المَثْنَوِيّ المَعْنَوِيّ

تأليف

جلال الدّين الرُّوميّ

ترجمة

د. علي عبَّاس زليخة

الكتاب السَّادِس

نسخة رينولد نيكلسون

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هُوَ الْمُجَلَّدُ السَّادِسُ مِنْ دَفاتِرِ المَثْنَوِيّ ، وَبَيِّناتِ المَعْنَوِيّ ، إنَّهُ المِصْباحُ لِظَلامِ الوَهْمِ والشُّبْهَةِ والخَيالاتِ والشَّكِّ والرِّيْبَةِ، مِصْباحٌ لا يُمْكِنُ إدراكُهُ بالحِسّ الحَيَوانِيّ، لأنَّ مَقامَ الحِسّ الحَيَوانِيّ مَقامُ أَسْفَلِ سافِلِيْن، وَقَدْ جُعِلَ الحِسُّ الحَيَوانِيّ لأجْلِ عِمارَةِ صُورَةِ العالَمِ الأَسْفَل، وَأُحِيْطَتْ حَواسُّ ومدارِكُ أهْلِهِ بِدائِرَةٍ ، فلا يَقْدِرونَ على تَجاوُزِ تِلْكَ الدَّائِرَة، ذلِكَ تَقْدِيْرُ العَزيزِ العَليم، يَعْني جَعَلَ مِقْدارَ وُصُولِ عَمَلِهِمْ وَجَوَلانِ نَظَرِهِمْ مَحْدُوداً ، وهكذا كُلُّ نَجْمٍ لَهُ مِقْدارٌ، وَلَهُ مَوْقِعُ عَمَلٍ مِنَ الفَلَك، يَصِلُ عَمَلُهُ إلى ذلِكَ الحَدِّ المُعَيَّن ، وَكَمِثْلِ حاكِمِ مَدِيْنَةٍ فإنَّ حُكْمَهُ يَكُونُ نافِذاً في مَدِيْنَتِهِ تِلْكَ، ولا يكُونُ حاكِماً لِما وراءِ توابِعِ تِلْكَ المَدِيْنَة، عَصَمَنا اللهُ مِنْ حَبْسِهِ وَخَتْمِهِ وما حَجَبَ بِهِ المَحْجُوبين ، آمينَ يا رَبَّ العالَمِيْن.

بسم الله الرحمن الرحيم

أي حَياةَ القَلْبِ حُسامَ الدِّيْنِ إنَّ المَيْلَ، جائِشٌ كثيراً إلى القِسْمِ السَّادِسِ؛
صارَ مِنْ جَذْبِ مِثْلِكَ عَلَّامَةً، طَوَّافاً في الكَوْنِ باسْمِ الكِتابِ الحُسامِيّ؛
أَيْ مَعْنَوِيُّ أَحْمِلُ إِلَيْكَ هَدِيَّةً ، القِسْمَ السَّادِسَ في تَمامِ المَثْنَوِيّ؛
هَبِ الجِهاتِ الأَرْبَعَ النُّورَ مِنْ سِتِّ صُحُف، كَيْ يَطُوفَ حَوْلَهُ مَنْ لَمْ يَطُفْ؛
لا شُغْلَ لِلعِشْقِ بِالخَمْسِ والسِّتّ، مَقْصَدُهُ جَذْبُ الحَبيبِ فَحَسْب؛
عَسى أَنْ يَصِلَ بَعْدُ دَسْتُورٌ، بِأَنْ تُقالَ الأَسْرارُ فَتُقال؛
في بَيانٍ يَكُونُ أَكْثَرَ قُرْباً، مِنْ هذِهِ الكِناياتِ الدَّقِيْقَةِ المُسْتَتِرَة؛
السِّرُّ لَيْسَ شَرِيكاً لِغَيْرِ عالِمِ السِّرِّ، السِّرُّ في أُذُنِ المُنْكِرِ لا يَكُونُ سِرّاً؛
لكِنَّ الدَّعْوَةَ وَرَدَتْ مِنَ الخالِقِ، لا شُغْلَ لنا بِقَبُولِها وَعَدَمِ القَبُول؛
نُوحُ ظَلَّ تِسْعَمائَةَ سَنَةٍ يَدْعُو، وَلَحْظَةً بِلَحْظَةٍ إنكارُ قَوْمِهِ يَزِيد؛
وَلَمْ يَرْجِعْ عَنِ المَقالِ أَبَداً، وَلَمْ يَزْحَفْ إلى عارِ الصَّمْتِ أَبَداً؛
قالَ: مِنْ صُراخِ وَنُباحِ الكِلاب، لَمْ تَرْجِعْ قافِلَةٌ مِنَ الطَّرِيقِ أَبَداً؛
وما وَهَنَ البَدْرُ في المَسِيْرِ في الميدان، في اللَّيْلَةِ القَمْراءِ مِنْ نُباحِ الكِلاب؛
الكِلابُ تَنْبَحُ والقَمَرُ يَنْشُرُ النُّوْرَ ، كُلُّ شَخْصٍ يَسْعى على خِلْقَتِه؛
لَقَدْ أَعْطى القَضاءُ لِكُلِّ شَخْصٍ ، في الإِبْتِلاءِ خِدْمَةً تَلِيْقُ بِجَوْهَرِه؛
إذا كانَ الكَلْبُ لا يَتْرُكُ نُباحَ السَّقَم، أنا القَمَرُ كَيْفَ أَتْرُكُ السَّيْر؛
إذا زادَ الخَلُّ في حُمُوضَتِهِ، صارَ واجِباً أَنْ يُزادَ السُّكَّر؛
القَهْرُ خَلٌّ واللُّطْفُ كالعَسَل، هذانِ الإِثْنانِ رُكْنُ كُلِّ شرابٍ حُلْوٍ مُرّ؛
إذا قَلَّ في الشَّرابِ العَسَلُ عَنِ الخَلّ، آلَ حالُ ذاكَ المَشْرُوبُ إلى الخَلَل؛
القَوْمُ يَصُبُّونَ على نُوحٍ الخَلّ، والبَحْرُ يَصُبُّ عَلَيْهَ المَزِيدَ مِنَ السُّكَّر؛

وكانَ لِسُكَّرِهِ المَدَدُ مِنْ بَحْرِ الجُود، فكانَ زائداً على خَلِّ أَهْلِ العالَم؛
الوَلِيُّ ذاكَ واحِدٌ كَأَلْف، بَلْ عَبْدُ العَلِيِّ ذاكَ مِئَةُ قَرْن؛
إنَّ الَّذي لَهُ سَبيلٌ مِنَ البَحْرِ، تَجْثُو أمامَهُ على الرُّكَبِ أنهارُ جَيْحُون؛
خاصَّةً هذا البَحْرُ الَّذي جَمِيْعُ البِحارِ، حِيْنَ سَمِعَتْ دَمْدَمَتَهُ تِلْكَ والهَدِيْر؛
صارَتْ أَفْواهُها مُرَّةً حَياءً وَخَجَلاً، أنْ صارَ الاِسْمُ الأعْظَمُ قَريناً مَعَ الأقَلّ؛
بِمُقارَنَةِ هذا العالَمِ بِذاكَ العالَم، يَصِيْرُ هذا العالَمُ هارِباً غارِباً؛
هذِهِ عِبارَةٌ ضَيِّقَةٌ وَقاصِرَةُ الرُّتْبَة، لَيْسَ بَيْنَ الأخَسِّ والأخَصِّ أَيَّةُ نِسْبَة؛
مِنْ نَعِيْبِ الغُرابِ إذا نَعَبَ في الكَرْمِ ، متى يَتَوَقَّفُ البُلْبُلُ عَنْ غِنائِهِ الجَمِيْل؛
لِكُلِّ واحِدٍ يُوجَدُ مُشْتَرٍ مُنْفَصِل، في هذا البازارِ يَفْعَلُ اللهُ ما يشاء؛
ثِمارُ مَزْرَعَةِ الشَّوكِ غِذاءُ النِّيران، عَبيرُ الوَرْدِ قُوْتُ دِماغِ السَّكْران؛
إذا كانَتِ النَّجاسَةُ مُسْتَقْبَحَةً عِنْدَنا ، فَهِيَ عِنْدَ الخنزيرِ والكَلْبِ سُكَّرٌ وَحَلْوى؛
إذا كانَ الأنجاسُ يَعْمَلُونَ هذِهِ النَّجاسات، فإنَّ المِياهَ تَسْعى السَّعْيَ بالتَّطْهِيْر؛
رَغْمَ أنَّ الأفاعِيَ تَنْفُثُ السَّمَّ، وَرَغْمَ أنَّ المَمْرُورِيْنَ مِنَّا يَقُومُونَ بالتَّفْرِقَة؛
النَّحْلُ في الجِبالِ والجِرارِ والشَّجَر، تَصْنَعُ مِنَ الشَّهْدِ مَخازِنَ للسُّكَّر؛
السُّمُومُ مَهْما سَمَّمَتْ مِنَ الخَلْق، سرعانَ ما تُزيلُها أنواعُ التِّرْياق؛
هذا العالَمُ حَرْبٌ إذا نَظَرْتَ الكُلَّ، الذَّرَّةُ مَعَ الذَّرَّةِ كالدِّيْنِ مَعَ الكُفْر؛
فَتِلْكَ ذَرَّةٌ تَظَلُّ تَطِيْرُ لليسار، وَتِلْكَ أُخْرى في الطَّلَبِ جِهَةَ اليَمِيْن؛
ذَرَّةٌ فِعْلُها للأعلى وَأُخْرى للأسْفَل، فَلْتَرَ حَرْبَ فِعْلَيْهِما في الرُّكُون؛
الحَرْبُ الفِعْلِيَّةُ مِنَ الحَرْبِ الخَفِيَّةِ، اِعْرِفْ ذاكَ الخِلافَ مِنْ هذا الخِلاف؛
الذَّرَّةُ الَّتي صارَتْ مَحْواً في الشَّمْس، حَرْبُها صارَتْ خارِجَ الوَصْفِ والحِساب؛
ما دامَ امَّحى مِنَ الذَّرَّةِ النَّفْسُ والنَّفَس، حَرْبُها الآنَ هِيَ حَرْبُ الشَّمْسِ وَحَسْب؛
راحَ مِنْها حَراكُ الطَّبْعِ والسُّكُون، مِمَّ؟ ، مِنْ إنَّا إِلَيْهِ راجِعُون؛

مِنَ النَّفْسِ صِرْنا إلى بَحْرِكَ راجِعِيْن، وَصِرْنا مِنْ رَضاعِ الأَصْلِ مُسْتَرْضِعِيْن؛
أي مُتَوَقِّفاً في فُرُوعِ الطَّرِيقِ مِنَ الغُول، لا تَبَاهَ بالأُصُولِ أيْ بلا أُصُول؛
حَرْبُنا وَصُلْحُنا في نُوْرِ عَيْن، لَيْسَ مِنَّا هُوَ *بَيْنَ إِصْبَعَيْن*؛
حَرْبُ طَبْعٍ وَحَرْبُ فِعْلٍ وَحَرْبُ قَوْل، إنَّ بَيْنَ الأجْزاءِ حَرْباً ذاتَ هَوْل؛
هذا العالَمُ قائمٌ مِنْ هذِهِ الحَرْب، أُنْظُرْ في العَناصِرِ لِيُحَلَّ الإشْكال؛
العَناصِرُ الأَرْبَعَةُ أَرْبَعَةُ عَمَدٍ قَوِيَّةٍ، مُسْتَوٍ عَلَيْها سَقْفُ الدُّنيا اسْتِواءً؛
وكُلُّ عَمُودٍ كاسِرٌ للعَمُوْدِ الآخَر، عَمُودُ الماءِ كاسِرٌ لِعَمُودِ الشَّرَر؛
بِناءُ الخَلْقِ قائِمٌ على الأَضْداد، لا جَرَمَ نَحْنُ في حَرْبٍ مِنَ الضُّرِّ والنَّفْع؛
فأَحْوالُنا الواحِدُ مِنْها خِلافُ الآخَر، كُلُّ واحِدٍ مُخالِفٌ للآخَرِ في الأَثَر؛
مادُمْتُ في كُلِّ لَحْظَةٍ أَقْطَعُ طَرِيقَ نَفْسِيْ، كَيْفَ أَعْمَلُ وِفاقاً لِشَخْصٍ آخَر؛
أُنْظُرْ إلى مَوْجِ جُيُوشِ أحْوالِنا، كُلُّ واحِدٍ مَعَ الآخَرِ في خِصامٍ وَحَرْب؛
فَلْتَرَ في النَّفْسِ مِثْلَ هذِي الحَرْبِ العَوان، ثُمَّ ما هُوَ انْشِغالُكَ بِحَرْبِ الآخَرين؛
عسى يَشْتَرِيْكَ الحَقُّ مِنْ هذِهِ الحَرْب، وَيَحْمِلُكَ إلى عالَمِ الصُّلْحِ وَاحِدِ اللَّون؛
ذاكَ العالَمُ لَيْسَ غَيْرَ باقٍ وَعامِرٍ، لأنَّ تَرْكِيْبَ ذاكَ العالَمِ لَيْسَ مِنَ الأَضْداد؛
مِنَ الضِّدِّ لِلضِّدِّ يَأتي الفَناء، إنْ لَمْ يَكُنْ ضِدٌّ فَلَيْسَ إلَّا البَقاء؛
نَفى الضِّدَّ عَنِ الجَنَّةِ مَنْ هُوَ بلا نَظِيْر، لا تَكُونُ شَمْسٌ وَضِدُّها مِنَ الزَّمْهَرير؛
انعِدامُ اللَّونِ أُصُولِ الألوان، أنواعُ الصُّلْحِ أُصُولُ الحُرُوب؛
ذاكَ العالَمُ أَصْلٌ لِهذا الوَثاقِ المَمْلُوءِ بالغَمّ، والوَصْلُ أَصْلٌ لِكُلِّ فِراقٍ وَهَجْر؛
مِمَّ نَحْنُ مُخالِفُونَ أَيْ سَيِّدَنا، وَمِمَّ وَلَدَتِ الوَحْدَةُ هذِهِ الأَعْداد؛
لأنَّ الأَضْدادَ الأرْبَعَةَ أَصْلٌ وَنَحْنُ الفَرْع، إيجادُ الأَصْلِ جَعَلَ طَبْعَهُ في الفَرْع؛
جَوْهَرُ الرُّوحِ ما دامَ خَلْفَ الفَصْل، هذا لَيْسَ طَبْعَهُ هذا طَبْعُ الكِبْرياء؛
أُنْظُرْ الحُروبَ على أنَّها أُصُولُ الصُّلْح، كالنَّبِيِّ الَّذي كانَتْ حَرْبُهُ مِنْ أَجْلِ الله؛

إنَّهُ غالِبٌ وظافِرٌ في كلا العالَمَيْن، شَرْحُ هذا الغالِبِ لا يَسْتَوعِبُهُ فَمٌ؛
إذا كانَ لا يُمْكِنُ حَمْلُ ماءِ جَيْحُون، لا يُمْكِنُ تَرْكُ أَخْذِ مِقدارِ شُربَةِ الظَّمآن؛
إذا صِرْتَ ظامِئَ البَحْرِ المَعْنَوِيّ، قُمْ بالتَّفَرُّجِ في جَزيرَةِ المَثْنَوِيّ؛
تَفَرَّجْ بِهِ ما شِئْتَ كُلَّ نَفَس، المَعْنَوِيُّ وَحْدَهُ يَرى المَثْنَوِيَّ؛
إذا أزالَتِ الرِّيْحُ القَشَّ مِنْ ماءِ النَّهْرِ، وَجَدَ الماءُ مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَةَ اللَّون؛
أُنْظُرْ إلى أَغْصانِ المَرْجانِ النَّضِيْرَةَ، وانْظُرْ إلى الثِّمارِ النَّامِيَةِ مِنْ ماءِ الرُّوحِ؛
إذا صارَ مُجَرَّداً مِنَ الحَرْفِ والصَّوْتِ والنَّفَس، تَرَكَ ذاكَ كُلَّهُ وصارَ بَحْراً؛
ناطِقُ الحَرْفِ وَسامِعُ الحَرْفِ والحُرُوف، الثَّلاثَةُ كُلُّها تَصِيْرُ رُوحاً في الاِنْتِهاء؛
مُعْطِي الخُبْزِ وآخِذُ الخُبْزِ والخُبْزُ الطَّاهِرُ، تَخَلَّصُوا مِنَ الصُّوَرِ صارُوا تُراباً؛
لكِنَّ مَعْناها ظَلَّ في المقاماتِ الثَّلاثَةِ، في المَراتِبِ هِيَ مُمَيَّزَةٌ وَهِيَ دائِمَة؛
صارَتِ الصُّورَةُ تُراباً والمَعْنى لَمْ يَصِرْ، كُلُّ مَنْ قالَ صارَ قُلْ لَهُ لا لَمْ يَصِرْ؛
في عالَمِ الرُّوحِ كُلٌّ مِنَ الثَّلاثَةِ مُنْتَظِر، حِيناً مِنَ الصُّوْرَةِ هارِبٌ وَحِيْناً مُسْتَقِرٌ؛
يَجِيْءُ الأمْرُ امْضِ في الصُّوَرِ فَيَمْضِي، كما عَنْ أَمْرِهِ مُجَدَّداً يَصِيْرُ مُجَرَّداً؛
فاعْرِفْ إذَنْ *لَهُ الخَلْقُ وَلَهُ الأمْر*، الخَلْقُ الصُّوْرَةُ والأَمْرُ الرُّوحُ الرَّاكِبُ علَيْها؛
الرَّاكِبُ والمَرْكُوبُ في نَفاذِ أَمْرِ الشَّاه، الجِسْمُ بالعَتَبَةِ والرُّوحُ في القَصْر؛
إذا أرادَ المَلِكُ أنْ يَجِيْءَ الماءُ في الإناء، يَقُولُ لِجَيْشِ الرُّوحِ هيَّا اركَبُوا؛
فإذا أرادَ مَجِيْءَ الأرواحِ في العُلُوّ، يجِيْءُ النِّداءُ مِنَ النُّقَباءِ هَيَّا اِنزِلُوا؛
بَعْدَ هذا سَوفَ يَصِيْرُ ضَعِيفاً الكلام، قَلِّلِ النَّارَ لا تَزِدْ لها الحَطَب؛
حتَّى لا تَجِيْشَ القُدُورُ الصَّغِيْرَةُ سَريعاً، قِدْرُ المَدارِكِ صَغِيْرَةٌ وَوَضِيْعَة؛
سُبْحانَهُ أَوْجَدَ بُسْتانَ تُفَّاحٍ، تَبارَكَ أَخْفاهُ في غَمامِ الحُرُوف؛
مِنْ غَمامِ صوتٍ وحَرْفٍ وقالٍ وقِيْل، حِجابٌ فلا يجيءُ مِنَ التُّفَّاحِ غَيْرُ العَبير؛
زِدْ مَرَّةً في جَذْبِ هذا العَبيرِ بالوَعْيِ، كَيْ يَشُدَّكَ مِنْ أُذُنِكَ وَيَحْمِلَكَ إلى أَصْلِك؛

حافِظْ على العَبيرِ واحْذَرْ مِنَ الزُّكام، غَطِّ البَدَنَ مِنَ الرِّيْحِ وَمِنْ بَرْدِ العوام؛
حَتَّى لا تُطَيِّنَ مَشامَكَ مِنَ الأَثَر، فَهَواءُ العَوامِّ أَبْرَدُ مِنَ الشِّتاء؛
بما أَنَّهُمْ جَمادٌ وَمُنْجَمِدُنَ بارِدُونَ بِأَبْدانٍ عِظام، أنفاسُهُمْ تَهُبُّ مِنْ تَلٍّ مِنَ الثَّلْج؛
عِنْدَما تَلْبَسُ الأَرْضُ الكَفَنَ مِنْ هذا الثَّلْج، اِضْرِبْ بِسَيْفِ شَمْسِ حُسامِ الدِّيْن؛
ألا فارْفَعْ مِنَ الشَّرْقِ سَيْفَ الله، أَدْفِئْ مِنَ الشَّرْقِ هذا الإيوان؛
تِلْكَ الشَّمْسُ تَضْرِبُ الثَّلْجَ خَنْجَراً، فَتَسيلُ السُّيُولُ مِنَ الجِبالِ على الأَرْض؛
مِنْ كَوْنِها لا شَرْقِيَّةً ولا غَرْبِيَّةً، هِيَ في اللَّيْلِ والنَّهارِ مَعَ المُنَجِّمِ في حَرْب؛
أنْ لِمَ اسْتَقْبَلْتَ النُّجُومَ بلا هُدى، وَلَمْ تَسْتَقْبِلْني مِنَ اللُّؤمِ والعَمى؛
لَمْ يُسْعِدْكَ مقالُ ذاكَ الأَمِيْن، في القُرآنِ *لا أُحِبُّ الآفِلِيْن*؛
عَقَدْتَ الكَمَرَ مِنْ قُزَحَ أمامَ القَمَرْ، مِنْ ذاكَ تَظَلُّ تَأْلَمُ مِنْ *وانْشَقَّ القَمَر*؛
أنتَ مُنْكِرٌ لِهذا وَأَنَّ الشَّمْسَ كُوِّرَت، الشَّمْسُ عِنْدَكَ في أَعلى مَرْتَبَة؛
مِنَ النَّجْمِ رَأَيْتَ تَصْريفَ الهَوى، فلا تُسْعِدُكَ *إذا النَّجْمُ هَوى*؛
لَمْ يُؤَثِّرْ بِكَ القَمَرُ أَكْثَرَ مِنَ الخُبْز، أَي كَمْ مِنْ خُبْزٍ قَطَعَ عِرْقَ الرُّوح؛
الزُّهْرَةُ لا تَكُونُ أَكْثَرَ تَأْثيراً مِنَ الماء، أي كَمْ مِنْ ماءٍ جَعَلَ البَدَنَ خَراباً؛
مَحَبَّةُ تِلْكَ في الرُّوحِ مِنْكَ فَنَصيحةُ الصَّديق، تَقَعُ على أُذُنِكَ خارِجَ الجِلْد؛
نَصِيْحَتُنا لا تُؤَثِّرُ بِكَ أَيْ أَعْظَم، أَيْضاً نَصيحَتُكَ لا تُؤَثِّرُ بنا اعْلَمْ؛
إِلَّا أنْ يَجِيْءَ المِفْتاحُ الخاصُّ مِنَ الحَبيب، الَّذي لَهُ مقاليدُ السَّموات؛
هذا الحَديثُ مِثْلَ النَّجْمِ والقَمَر، لكِنَّهُ بلا أَمْرِ الحَقِّ بلا أَثَر؛
هذا النَّجْمُ غَيْرُ ذي الجِهَةِ يَقَعُ تَأْثيرُهُ، على تِلْكَ الآذانِ طالِبَةِ الوَحْي؛
أنْ تعالَوا مِنَ الجِهَةِ إلى اللَّاجِهات، حَتَّى لا يُمَزِّقَكُمْ ذِئْبُ الهلاك؛
عِنْدَ لَمْعَةٍ مِنْ لُمَعِهِ الَّتي تَنْثُرُ الدُّرّ، شَمْسُ الدُّنيا تَكُونُ في صِفَةِ خَفَّاش؛
سَبْعَةُ الأفْلاكِ الزَّرْقاءِ مِنْهُ في الرَّقّ ، رَسُولُ القَمَرِ مِنْهُ في حَرارَةٍ وَفي دَقّ؛

الزُّهْرَةُ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَ المَسْأَلَة، المُشْتَرِي جاءَ أمامَهُ بِنَقْدِ الرُّوح؛
الرَّغْبَةُ لِتَقْبيلِ يَدِهِ عِنْدَ زُحَل، لكِنَّهُ لا يَرى لِنَفْسِهِ ذاكَ المَحَلّ؛
يَدُ المَرّيخِ خائِرَةٌ مِنْهُ والقَدَم، عُطارِدُ ذاكَ كَسَرَ مِنْهُ مِئَةَ قَلَم؛
هذِهِ الأَنْجُمُ كُلُّها مَعَ المُنَجِّمِ في حَرْب، أنْ أَيْ تارِكَ الرُّوحِ مِنْكَ ومُخْتارَ اللَّون؛
هُوَ الرُّوحُ وَنَحْنُ جَمِيْعاً اللَّونُ والرُّقُوم، هُوَ كَوكَبُ كُلِّ فِكْرٍ وَرُوحُ النُّجُوم؛
أيْنَ الفِكْرُ هُناكَ، كُلُّهُ نُورٌ طاهِر، لَفْظُ الفِكْرِ هذا مِنْ أَجْلِكَ أَيْ مُفَكِّر؛
كُلُّ نَجْمٍ لهُ في العُلا مَنْزِل، نَجْمُنا لا يَسْتَوعِبُهُ أَيُّ مَنْزِل؛
مُحْرِقُ المكانِ كَيْفَ يَحْويهِ مَكانٌ، النُّورُ اللَّامَحْدُودُ متى حَدَّهُ الحَدّ؛
لكِنَّهُمْ يَقُومُونَ بالتَّمْثيلِ والتَّصْوير، وذلِكَ لِيَفْهَمَ الضَّعِيْفُ العاشِق؛
ذاكَ لم يكُنْ مِثْلاً بَلْ مِثالاً، لِيَجْعَلَ العَقْلَ المُنْجَمِدَ جارِياً؛
العَقْلُ حادُّ الرَّأْسِ لَكِنَّ القَدَمَ واهِيَة، مِنْ كَوْنِ القَلْبِ صارَ خراباً والبَدَنُ صَحيح؛
عَقْلُهُمْ في ثِمارِ الدُّنيا عالِقٌ عالِق، فِكْرُهُمْ في تَرْكِ الشَّهْوَةِ هَباءٌ هَباء؛
صَدْرُهُمْ في وَقْتِ الدَّعْوى كأنَّهُ الشَّرْق، صَبْرُهُمْ في وَقْتِ التَّقْوى كأنَّهُ البَرْق؛
العالِمُ الَّذي هُوَ بالفَضائلِ مَغْرُورٌ ، مِثْلَ عالَمٍ بلا وَفاءٍ وَقْتَ الوفاء؛
وَقْتَ رُؤيَةِ النَّفْسِ لا تَسَعُهُ الدُّنيا، ضاعَ في الحَلْقِ والمَعِدَةِ كالخُبْز؛
أوصافُهُمْ هذِهِ كُلُّها تَصِيْرُ جَمِيلَةً، لا يَظَلُّ سَيّئاً ذاكَ الباحِثُ عَنِ الخَيْر؛
وَإِنْ كانَتِ الأَنانِيَةُ نَجِسَةً كالمَنِيّ، إذا اتَّصَلَتْ بالرُّوحِ وَجَدَتِ الضِّياء؛
كُلَّ جَمادٍ وَجَّهَ الوَجْهَ للنَّبات، تَطْلُعُ مِنْ شَجَرَةِ إِقْبالِهِ الحَياة؛
كُلُّ نَباتٍ وَجَّهَ الوَجْهَ للرُّوح، شَرِبَ مِنْ عَيْنِ الحَياةِ كالخِضْر؛
ثُمَّ إنَّ الرُّوحَ إذا جَعَلَتِ الوَجْهَ للحَبيب، تَحْمِلُ المَتاعَ إلى عُمْرٍ بلا نِهايَة؛

سُؤالُ سائلٍ عَنْ طائِرٍ يَحُطُّ على رَبَضِ مَدِيْنَةٍ ، أَرَأْسُهُ أَفْضَلُ وَأَعَزُّ وَأَشْرَفُ وَأَكْرَمُ أَمْ ذَنَبُهُ، وَجَوابُ الواعِظِ للسّائِلِ بِقَدْرِ فَهْمِه

واعِظٌ سَأَلَهُ يَوماً سائل، أنْ أَيْ مَنْ أنتَ على المَنْبَرِ أَسْنى قائل؛
عِنْدِي سُؤالٌ فقُلْ لَهُ الجَواب ، في هذا المَجْلِسِ يا ذا اللُّباب؛
طائِرٌ حَطَّ على رَأْسِ سُوْرِ المَدِيْنَةِ، الرَّأْسُ مِنْهُ يا تُرى أَفْضَلُ أمِ الذَّنَب؛
قالَ إذا كانَ رَأْسُهُ للمَدِيْنَةِ وَذَنَبُهُ للقَرْيَة، اعْلَمْ أنَّ الرَّأْسَ مِنْهُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّنَب؛
وإنْ كانَ ذَنْبُهُ جِهَةَ المَدِيْنَةِ وَرَأسُهُ للقَرْيَة، فِرَّ مِنْ وَجْهِهِ وَكُنْ تُرابَ ذاكَ الذَّنَب؛
الطَّائِرُ يَطِيْرُ بالجَناحِ إلى العُشّ، وجَناحُ الرَّجُلِ الهِمَّةُ يا أَيُّها الرِّجال؛
عاشِقٌ صارَ مُخالَطاً بالخَيْرِ والشَّرّ، لا تَنْظُرِ الخَيْرَ والشَّرَّ وانْظُرْ في الهِمَّة؛
البازُ وإنْ كانَ أبيَضاً وبلا نَظير، إذا كانَ صَيْدُهُ الفَأْرَ فَهُوَ حَقِيْر؛
وَلَوْ كَانَ هُناكَ بُومٌ وَمَيْلُهُ إلى الشّاه، فَهُوَ بازٌ قائِدٌ لا تَنْظُرْ إلى القُبَّعَة؛
آدَمِيٌّ بِقَدِّ طَسْتِ خَمِيْر، زائِدٌ على السَّماءِ وَعَلى الأثير؛
ما سَمِعَتْ هذِهِ السَّماءُ أَيَّ *كَرَّمْنا*، كَما سَمِعَ هذا الآدَمِيُّ المَمْلُوءُ بالغُمُوم؛
هَلْ عَرَضَ شَخْصٌ على الأَرْضِ والفَلَك، الجَمالَ والعَقْلَ والعِباراتِ والهَوَس؛
هَلْ عَرَضْتَ مَرَّةً على السَّماءِ أَبَداً، جَمالَ الوَجْهِ والإصابَةَ في الفِكْر؛
هَلْ قُمْتَ بِعَرْضِ جِسْمِكَ الفِضّيِّ أَبَداً، أَمامَ الصُّوَرِ في الحَمَّامِ أَيُّها الوَلَد؛
تَتْرُكُ تِلْكَ النُّقُوشَ الجَميلَةَ كالحُور، وَتَقُومُ بالتَّجَلِّي لِعَجُوزٍ نِصْفِ عَمْياء؛
أَيُّ شَيْءٍ في العَجُوزِ لَيْسَ فِيْ النُّقُوش، لِكَيْ تَخْتَطِفَكَ تِلْكَ العَجُوزُ مِنَ النُّقُوش؛
إنْ كُنْتَ لا تَقُولُ أنا أَقُولُ في البيان، إنَّهُ العَقْلُ والحِسُّ والدَّرْكُ والتَّدْبيرُ والرُّوح؛
إنَّ في العَجُوزِ رُوحاً مُمازِجَةً، وَلَيْسَ في الصُّوَرِ في الحَمَّامِ مِنْ رُوح؛
لَوْ أنَّ الصُّوْرَةَ في الحَمَّامِ كانَتْ مُتَحِرّكَةً، لاقْتَلَعَتْكَ مِنْ عَجُوْزِكَ في اللَّحْظَة؛

ما الرُّوحُ إنَّها الخَبيرَةُ بِالشَّرِّ والخَيْر، السَّعِيْدَةُ مِنَ الإحسانِ الباكِيَةُ مِنَ الضَّيْر؛
بِما أنَّ المَخْبَرَ سِرٌّ وَماهِيَّةُ الرُّوح، مَنْ كانَ أَخْبَرَ كانَ زائِدَاً في الرُّوح؛
للرُّوحَ تَأْثيرٌ إخْباري، كُلُّ مَنْ زادَ عِنْدَهُ هُوَ إلهِيّ؛
وإنْ كانَتِ الأَخْبارُ مِنْ خارِجِ هذا الوَضْع، فهذِهِ الأرواحُ في ذلِكَ المَيْدانِ جَماد؛
الرُّوحُ الأوَّلُ صارَ مَظْهَرَ البلاط، رُوحُ الرُّوحِ نَفْسُهُ صارَ مَظْهَرَ الله؛
كانَ أولئِكَ الملائِكَةُ جُمْلَةً عَقْلاً وَرُوحاً، جاءَ الرُّوحُ الجَدِيْدُ فصاروا جِسْماً لِذاك؛
مِنَ السَّعادَةِ حِيْنَ وَقَعُوا على ذاكَ الرُّوح، صارُوا كالبَدَن الخادِمِ لِذاكَ الرُّوح؛
إبليسُ ذاكَ لَمْ يَصِرْ واحِداً مَعَ الرُّوح، كانَ عُضْواً مَيْتاً ولِذلِكَ فُصِلَ عَنْ الرُّوح؛
لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ الفِداءَ فَلَمْ يَصِرْ مَعَ الرُّوح، اليَدُ المَكْسُورَةُ لَمْ تَصِرْ مُطِيْعةً للرُّوح؛
الرُّوحُ لا يَنْقُصُ إذا انكَسَرَ مِنْهُ عُضْو، الرُّوحُ تَسْتَطِيْعُ صُنْعَ الوُجُود بِيَدِها؛
وَهُناكَ سِرٌّ آخَرٌ فَأَيْنَ هِيَ أُذُنٌ أُخْرى، أيْنَ هِيَ البَبَّغاءُ المُسْتَعِدَّةُ لِذلِكَ السُّكَّر؛
لِخَواصِّ البَبَّغاواتِ قَنْدٌ عَظيم، وعَوامُّ البَبَّغاواتِ تَنالُ مِنْ ذلِكَ الطَّعامِ طَرَفاً؛
متى طَعِمَ دَرْويشُ الصُّوْرَةِ مِنْ تِلْكَ الزَّكاة، ذاكَ مَعْنىً لا *فَعُولُنْ فاعِلاتُ*؛
عَنْ حِمارِ عِيْسى لَيْسَ مَقطُوعاً القَنْد، لكِنَّ الحِمارَ في الخِلْقَةَ قابِلٌ للتِّبْن؛
لَو كانَ القَنْدُ مُزيداً في طَرَبِ الحِمار، لَصَبَّ أمامَ الحِمارِ قِنْطاراً مِنَ السُّكَّر؛
مَعْنى *نَخْتِمُ على أَفْواهِهِم*، اعْلَمْهُ هذا فهذا للسَّالِكِ مُهِمّ؛
حَتَّى عسى عَنْ طَرِيقِ خاتَمِ الرُّسُل، يُرْفَعُ الخَتْمُ الثَّقِيْلُ ذاكَ عَنِ الشَّفَة؛
الخَواتِمَ الَّتي وَضَعَها الأنبياء، تِلْكَ بِدِيْنِ أَحْمَدَ رُفِعَتْ؛
وَظَلَّتْ أَقْفالٌ مُغْلَقَةٌ اسْتَعْصَتْ، حَتَّى مِنْ كَفِّ *إنَّا فَتَحْنا* انْفَتَحَتْ؛
هُوَ شَفيعُ هذا العالَمِ وَذاكَ العالَم، هذا العالَمُ جِهَةَ الدِّيْن وَهُناكَ جِهَةَ الجِنان؛
هذا العالَمُ يَقُولُ أظْهِرْ لَهُمُ الطَّريق، ذاكَ العالَمُ يَقُولُ أَظْهِرْ لَهُمُ القَمَر؛
شُغْلُهُ في الظُّهُورِ وِفي الكُمُون، *اِهْدِ قَوْمِيْ إنَّهُمْ لا يَعْلَمُون*؛

انْفَتَحَ مِنْ نَفَسِهِ كِلا البابَيْن، دَعْوَتُهُ مُسْتَجابَةٌ في العالَمَيْن؛
مِنْ أَجْلِ هذا صارَ خاتَماً فبالجُود، لَمْ يُوجَدْ مِثْلُهُ وَلَنْ يَكُونَ لَهُ وُجُود؛
عِنْدَما يَسْبِقُ في الصَّنْعَةِ أُسْتاذٌ، ألا تَقُولُ لَهُ خَتْمُ الصَّنْعَةِ مَعَكَ؛
في فَتْحِ الخَواتِمِ أَنْتَ خاتِمٌ، في عالَمِ واهِبِي الرُّوحِ أَنْتَ حاتِم؛
إشاراتُ مُحَمَّدٍ هِيَ المُراد، فَتْحٌ كُلِّيٌّ في فَتْحٍ في فَتْح؛
على رُوحِهِ مِئَةُ أَلْفِ ثناءٍ، على قُدُومِ وَدَوْرِ أَبْنائِه؛
على ذلِكَ الخَلِيْفَةِ المُقْبِلِ مِنْ أولادِه، المَولُودِيْنَ مِنْ عُنْصُرِ الرُّوحِ مِنْهُ والقَلْب؛
أكانُوا مِنْ بَغْدادَ أَمْ هِرى أمِ الرَّيّ، هُمْ نَسْلُهُ بلا مِزاجِ الماءِ والطِّيْن؛
غُصْنُ الوَرْدِ حَيْثُما طَلَعَ هُوَ وَرْد، دَنُّ النَّبيذِ حَيْثُما جاشَ هُوَ نَبيذ؛
لَوْ أنَّ الشَّمْسَ رَفَعَتِ الرَّأْسَ مِنَ المَغْرِبِ، لَكانَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ لا شَيْئاً آخَر؛
أعْمِ عَنْ هذا النَّفَسِ طالِبِيْ العَيْب، أَيْ فَعَّالُ أَيْضاً مِنْ سَتَّارِيَّتِك؛
أَغْلَقَ الحَقُّ عَيْنَ الخَفَّاشِ سَيِّئِ الخِصال، عَنْ هذِهِ الشَّمْسِ الَّتي ما لَها مِثال؛
وَعَنْ نَظَراتِ الخَفَّاشِ قَلِيْلِ القَدْرِ النَّاقِصِ ، أَنْجُمُ تِلْكَ الشَّمْسِ في خَفاءٍ أَيْضاً؛

ذَمُّ النَّواميسِ البالِيَةِ الَّتي تكُونُ مانِعَ ذَوقِ الإيمان ، وَدَلِيلَ ضَعْفِ الصِّدْق وَقاطِعَ طَرِيقِ مِئَةِ أَلْفِ أَبْلَهٍ ، كما كانَتْ تِلْكَ الشِّياهُ قاطِعَ طَرِيقِ ذلِكَ المُخَنَّث ولا تُعِيْنُ على العُبُور، وَسُؤالُ المُخَنَّثِ للرَّاعِيْ أنْ عَجَباً هَلْ شِياهُكَ تَعَضُّني، فَقالَ إنْ كُنْتَ رَجُلاً وَكانَ فِيْكَ عِرْقُ رُجُولَةٍ تَكُونُ كُلُّها لَكَ فِداءً ، وإنْ كُنْتَ مُخَنَّثاً فَكُلُّ واحِدَةٍ لَكَ أَفْعى. مُخَنَّثٌ آخَرُ حِيْنَ يرى الخِرافَ يَرْجِعُ في الحالِ عَنِ الطَّرِيق دُونَ أنْ يَجْرُؤَ على السُّؤال، يَخافُ أنْ إذا سَأَلْتُ تُهاجِمُني الشِّياهُ وَتَعَضُّني

أيْ ضِياءَ الحَقِّ حُسامَ الدِّيْنِ تَعال، أيْ صِقالَ الرُّوحِ وَسُلْطانَ الهُدى؛
أعْطِ المَثْنَوِي المَسْرَحَ المَشْرُوح، أَعْطِ صُورَةَ أَمْثالِهِ الرُّوح؛
حَتَّى تَصِيْرَ حُرُوفُهُ كُلُّها عَقْلاً وَرُوحاً، وَتَطِيْرَ تَمْضِيْ إلى دارِ خُلْدِ الرُّوح؛
هِيَ أَيْضاً بِسَعْيِكَ جاءَتْ مِنَ الأرواح، إلى شِباكِ الحُرُوفِ وَصارَتْ مُكْتَنَفَة؛
فَلْيَكُنْ عُمْرُكَ في العالَمِ مِثْلَ الخِضْر، المُزيدِ في الرُّوحِ الآخِذِ باليَدِ وَالمُسْتَمِرّ؛
بَقيتَ كالخِضْرِ وإلياسَ في الدُّنيا، حَتَّى تَصِيْرَ الأَرْضُ مِنْ لُطْفِكَ سَماءً؛
كُنْتُ لِأَذْكُرَ مِنْ لُطْفِكَ جُزْءَاً مِنَ المِئَة، لَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ تَعْرِيضٌ لِعَيْنِ السُّوء؛
لكِنْ مِنْ عَيْنِ السُّوءِ نافِثَةِ السُّمّ، كم أَكَلْتُ ضَرَباتٍ تَطْحَنُ الرُّوح؛
إلَّا بِرَمْزِ ذِكْرِ حالِ الآخَرِيْن، لا أَجِيْءُ بِشَرْحِ الحالَةِ في البيان؛
هذا التَّعَلُّلُ أَيْضاً مِنْ حِيَلِ القَلْب، فَأَقْدامُ القَلْبِ عالِقَةٌ بالطِّيْن؛
مِئَةُ قَلْبٍ وَرُوحٍ عاشِقَةٌ للصَّانِع، وَعَيْنُ السُّوْءِ أو أُذُنُ السُّوءِ مانِع؛
هذا أبو طالِبٍ الوَحِيْدُ عَمُّ الرَّسُول، تَشْنيعُ العُربانِ عِنْدَهُ شَيْءٌ مَهُول؛
أَنْ ما تَقُولُ العَرَبُ عَنْ طِفْلي، وَأَنَّهُ غَيَّرَ الدِّيْنَ المُعْتَمَد؛
قالَ أَيْ عَمُّ اشْهَدْ شَهادَةً واحِدَةً، حتَّى أَقُومَ بالخُصُومَةِ عَنْكَ مَعَ الحَقّ؛
قالَ ذاكَ يَصِيْرُ فاشِياً مِنَ السَّماع، كُلُّ سِرٍّ جاوَزَ الإِثْنَيْنِ شاع؛
وَأَظَلُّ أنا في أَلْسِنَةِ هَؤلاءِ العَرَب، وأَبْقى ذليلاً عِنْدَهُمْ مِنْ هذا السَّبَب؛
لكِنْ لَو كانَ لَهُ *لُطْفُ ما سَبَق*، متى كانَ لَهُ هذا الخَوْفُ مَعَ جَذْبِ الحَقّ؛
الغِياثَ أَيْ أنتَ غِياثُ المُسْتَغِيْث، مِنْ مِقْراضِ الاِخْتياراتِ الخَبيث؛
أنا مِنَ الحِيْلَةِ وَمِنَ المَكْرِ مِنَ القَلْبِ، ذُهِلْتُ حَتَّى عَجَزْتُ عَنِ الصُّراخ؛
أنا مَنْ أَكُونُ والفَلَكُ ذو مِئَةِ شُغْلٍ وَشُغْل، صَرَخَ مِنْ هذا الكَمِيْنِ مِنَ الاِخْتيار؛
أَنْ أَيْ اللهُ الكَريمُ والحَلِيْم، أَعْطِنِي الأمانَ مِنْ هذا الاِخْتِيارِ ذي الشُّعْبَتَيْن؛
جَذْبُ الطَّرِيقِ الواحِدِ الصِّراطِ المُسْتَقِيْم، خَيْرٌ مِنَ التَّرَدُّدِ في طَرِيقَيْنِ أَيْ كَريم؛

رَغْمَ أنَّكَ مَقْصَدُ الجَمِيْعِ مِنْ هذينِ الطَّرِيقَيْنِ، لكِنَّ هذِهِ الإِثْنَيْنِيَّةَ مِثْلَ نَزْعِ الرُّوحِ؛
مِنَ الطَّرِيقَيْنِ رَغْمَ أنَّهُ لا عَزْمَ إلَّا بِكَ، إلَّا أَنَّ الشُّرْبَ لا يَكُونُ أَبَداً كالحَرْب؛
اِسْتَمِعْ إلى بيانِهِ مِنَ اللهِ في القُرْآن، آيَةَ *أَشْفَقْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها*؛
هذا التَّرَدُّدُ يَكُونُ كالوَغى في القَلْب، أيَكُونُ هذا أمْ يَكُونُ ذاكَ الأفْضَلَ لِحالِي؛
في التَّرَدُّدِ يَتَصادَمُ الواحِدُ بالآخَر، الخَوفُ وَالرَّجاءُ للأَفْضَلِ في كَرٍّ وَفَرّ؛

في المُناجاة والإِلْتِجاء للحَقِّ مِنْ فِتْنَةِ الإِخْتيار وَفِتْنَةِ أَسْبابِ الإِخْتِيار، فالسَّمواتُ والأَرَضِونَ مِنَ الإِخْتيارِ وَأَسْبابِ الإِخْتيارِ شاكِيَةٌ وَخائِفَة، وَخِلْقَةُ الآدَمِيِّ مُولَعَةٌ بِطَلَبِ الإِخْتيار وَأَسْبابِ الإِخْتيار، وهكذا فإنَّهُ إذا صارَ مَرِيضاً رأى الإِخْتيارَ قَلَّ فَطَلَبَ الصِّحَّةَ الَّتي تَكُونُ سَبَبَ اخْتيارٍ لِيَزِيْدَ اخْتِيارُه وَطَلَبَ المَنْصِبَ لِيَزِيْدَ اخْتِيارُه، وكانَ فَرْطُ الإِخْتيارِ وأَسْبابِ الإِخْتِيارِ مَهْبَطَ قَهْرِ الحَقِّ في الأُمَمِ الماضِيَة ، فما مِنْ شَخْصٍ رأى فِرْعَوناً عاجِزاً

أَوَّلاً هذا الجَزْرُ والمَدُّ مِنْكَ وَصَلَني، وإلَّا لكانَ هذا البَحْرُ ساكِناً أَيْ مَجِيْد؛
أَنتَ مِنْ هُناكَ أَعْطَيْتَني هذا التَّرَدُّدَ، فاجْعَلْني بلا تَرَدُّدٍ مِنْكَ أَيْضاً مِنَ الكَرَم؛
قُمْتَ بالإِبْتِلاءِ لي فآهٍ الغِيْاث، أيْ مَنِ الذُّكُورُ مِنْ ابتِلائكَ كالإناث؛
يا رَبِّ لا تَكْوِنِيْ بِكَيِّ هذا الإِبْتِلاء، أَعْطِني مَذْهَباً لا تُعْطِني عَشْرَةَ مذاهِب؛
أنا جَمَلٌ نَحِيْلٌ وَجَرِيحُ ظَهْرٍ، صارَ شَكْلي مِنَ الإِخْتيارِ كالسَّرْج؛
هذا العِدْلُ يَثْقُلُ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ تارَةً، وَذاكَ العِدْلُ يَسْحَبُ إلى تِلْكَ الجِهَةِ تارَةً؛
أَلْقِ عَنِّي هذا الحِمْلَ الخَشِنَ، حَتَّى أَرى رَوْضَةَ الأبرار؛
حَتَّى أرْتَعِيَ مِنْ ذلِكَ البُسْتانِ للجُود، كَأَصْحابِ الكَهْفِ *لا أَيْقاظَ بَلْ هُمْ رُقُود*؛
أَكُونُ نائِماً أو على اليَمِيْنِ أو على اليسار، لا أَتَحَرَّكُ إلَّا كالكُرَةِ بِغَيْرِ اخْتِيار؛

أَتَحَرَّكُ بِتَقْليبِكَ إلى ذاتِ اليَمِيْن، أو إلى ذاتِ الشِّمالِ أَيْ رَبَّ الدِّيْن؛
مئاتِ أُلُوفِ السِّنِيْنَ كُنْتُ في طَيَرانٍ، بِغَيْرِ اخْتِيارٍ مِثْلَ ذرَّاتِ الهَواء؛
إذا صارَ مَنْسِيَّاً لي ذلِكَ الوَقْتُ والحال، لي مِنْهُ التِّذْكارُ في منامِ الإرْتِحال؛
أَنْجُو مِنْ هذا الصَّليبِ ذي الأرْبَعَةِ فُرُوع،أَثِبُ إلى مَسْرَحِ الرُّوحِ مِنْ هذا المُناخ؛
أَذُوقُ مِنْ حاضِنَةِ النَّومِ أَيْ صَمَدُ، اللَّبَنَ مِنْ تِلْكَ الأَيَّامِ الماضِيَة؛
كُلُّ العالَمِينَ مِنْ اخْتِيارٍ وَوُجُودِ النَّفْس، يَهْرَبُونَ إلى عالَمِ السُّكْرِ وَغِيابِ الوَعْي؛
يَضَعُونَ على النَّفْسِ عارَ الخَمْرِ والزَّمْر، لِأَجْلِ أنْ يَتَحَرَّرُوا لَحْظَةً مِنَ الوَعْي؛
الكُلُّ يَعْلَمُ أنَّ هذا الوُجُودَ فَخٌّ، فِكْرُ وَذِكْرُ الاِخَتِيارِ هُوَ جَهَنَّم؛
يَهْرَبُونَ مِنَ النَّفْسِ إلى فَقْدِ النَّفْس، إمَّا بالسُّكْرِ وإمَّا بالشُّغْلِ أَيْ مُهْتَدِي؛
فَتَسْحَبُ النَّفْسَ تُعيدُها مِنْ ذلِكَ العَدَم، ذلِكَ أنَّها ذَهَبَتْ إلى فَقْدِ الوَعْيِ بلا أَمْر؛
لَيْسَ للجَنّ ولا للإنْسِ أنْ يَنْفَذُوا مِنْ حَبْسِ أَقْطارِ الزَّمَنْ
لا نُفوذَ إِلَّا بِسُلْطانِ الهُدى مِنْ تَجاويفِ السَّمواتِ العُلى
لا هُدى إِلَّا بِسُلْطانٍ يقِيْ مِنْ حراسِ الشُّهْبِ رُوْحَ المُتَّقِي
ما لِشَخْصٍ إلى بلاطَ الكَبْرياء ، مِنْ طَرِيْقٍ ما لَمْ يَصِرْ فَناءً؛
ما هُوَ مِعْراجُ الفَلَكِ إنَّهُ الفَناء، مَذْهَبُ العاشِقِيْنَ وَدِيْنُهُم هُوَ الفَناء؛
الافتِقارُ لِثَوبِ الصُّوفِ والحِذاءِ القَدِيْم، مِحْرابُ إيازَ في طَرِيقِ العِشْق؛
رَغْمَ أنَّهُ كانَ مَحْبُوباً للشَّاه، كانَ لَطِيْفَ وَجَمِيْلَ الظَّاهِرِ والباطِن؛
تَخَلَّى عَنِ الكِبْرِ والرِّياءِ والحِقْد، صارَ وَجْهُهُ مِرْآةً لِحُسْنِ السُّلْطان؛
صارَ بِعِيْداً عَنْ وُجُودِ نَفْسِهِ، فَكانَ مُنْتَهى أَمْرِهِ مَحْمُوداً؛
مِنَ الاحْتِرازِ خَوْفاً مِنَ الكِبْر، صارَ تَمْكِيْنُ إياز أَقْوى؛
فَقَدْ صارَ مُهَذَّباً وَصارَ واصِلاً، وَقَطَعَ رَقَبَةَ الكِبْرِ وَرَقَبَةَ النَّفْس؛
إمَّا أَنَّهُ كانَ يَقومُ بِتِلْكَ الحِيَلِ للتَّعليم، أو مِنْ أَجْلِ حِكْمَةٍ بَعِيْداً عَنِ الوَجَل؛

أو أنَّ رُؤيَةَ حِذائِهِ القَدِيْمِ صارَتْ مَرْغُوبَةً، مِنْ كَوْنِ الوُجُودِ مُرْتَبِطاً بِنَسِيْمِ العَدَم؛
لِيَفْتَحَ القَبْرَ فذاكَ يَفْتَحُ على العَدَم، لِيَجِدَ ذاك النَّسِيْمَ لِلعَيْشِ والحَياة؛
مُلْكُ وَمالُ وَأَطْلَسُ هذِهِ المَرْحَلَهْ، على الرُّوحِ نِشِيْطَةِ السَّيْرِ سِلْسلَهْ؛
رأى سِلْسِلَةَ الذَّهَبِ وَصارَ مَغْرُوراً، الرُّوحُ صارَتْ مِنَ المفازَةِ إلى قَعْرِ الجُبِّ؛
صُوْرَتُهُ جَنَّةٌ وَمَعْناهُ نارٌ، أَفْعى مَلِيْئَةٌ بالسُّمِّ في صُوْرَةِ حَسْناء؛
مَعَ أنَّ المُؤمِنَ لا يُصابُ مِنْ سَقَرَ بِضَرَر، خَيْرٌ لَهُ الإِبْتِعادُ عَنْ ذلِكَ الخَطَر؛
مَعَ أنَّ جَهَنَّمَ تُبْعِدُ عَنْهُ النَّكال، لكِنَّ الجَنَّةَ أَفْضَلُ لَهُ في كُلِّ حال؛
الحَذَرَ أَيْ ناقِصُونَ مِنْ هذهِ الحَسْناء ، فَهِيَ وَقْتَ الصُّحْبَةِ تَتَحَوَّلُ إلى جَهَنَّم؛

حِكايَةُ ذاكَ الغُلامِ الهَنْدِيِّ الَّذي أَحَبَّ ابْنَةَ سَيِّدِهِ سِرّاً، وَعِنْدَما عَقَدُوا لِلبِنْتِ على ابْنِ واحِدٍ مِنَ العُظَماء وَعَلِمَ الغُلامُ بالخَبَرِ مَرِضَ وَصارَ يَذُوبُ، وَما مِنْ طَبيبٍ عَرِفَ عِلَّتَهُ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ جُرْأَةٌ لِقَولِ ذاك

كانَ لِسَيِّدٍ عَبْدٌ هِنْدِيّ، رَبَّاهُ وَنَمَّاهُ وأَحْياه؛
عَلَّمَهُ العِلْمَ والآداب على التَّمام، أَشْعَلَ شَمْعَ الفَضائِلِ في قَلْبِه؛
رَبَّاهُ مِنَ الطُّفُولَةِ على الدَّلال، في حِضْنِ اللُّطْفِ صانِعُ الإكرامِ ذاك؛
كانَ لِهذا السَّيِّدِ بِنْتٌ جَمِيْلَةٌ، فِضِّيَّةُ القَدِّ لَطِيفَةٌ حَسَنَةُ الجَوْهَر؛
صارَتِ البِنْتُ مُراهِقَةً وَجاءَ الطُّلَّابُ، يَبْذلُونَ مِنْ أَجْلِها المُهُوْرَ الغالِيْة؛
وَلَحْظَةً بِلَحْظَةٍ كانَ يَصِلُ إِلَيْهِ، خاطِبٌ للبِنْتِ مِنْ طَرَفِ كُلِّ عَظِيْم؛
قالَ السَّيِّدُ المالُ ما لَهُ ثَبات، يجِيْءُ نهاراً وَيَذْهَبُ لَيْلاً في الجِهات؛
كما أنَّ حُسْنَ الصُّورَةِ ما لَهُ اعْتِبار، الوَجْهُ يَصْفَرُّ مِنْ وَخْزِ شَوْكَةٍ واحِدَة؛
وَمَولُودُ الكُبَراءِ مِنَ السَّهْلِ أَيْضاً، أنْ يَكُونَ مَغْرُوراً بالمالِ والحَسَب؛
أَيْ كَمْ مِنْ وَلَدِ عَظِيْمٍ ذي فَسادٍ وَشَرّ، جَلَبَ العارَ للأَبِ مِنْ فِعْلِهِ القَبيح؛

كثيرُ الفَضْلِ أيْضاً رَغْمَ أنَّهُ نَفِيْس، ناقِصُ العِبادَةِ واعْتَبِرْ مِنْ إبْلِيْس؛
كانَ لَهُ العِلْمُ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِشْقُ الدِّيْن، هُوَ لَمْ يَرَ مِنْ آدَمَ غَيْرَ نَقْشِ الطِّيْن؛
رَغْمَ أنَّكَ تَعْلَمُ دِقَّةَ العِلْمِ أَيْ أَمِيْن، عَيْناكَ النَّاظِرَتانِ للغَيْبِ غيرُ مَفْتُوحَتَيْن؛
هُوَ لَمْ يَرَ غَيْرَ اللِّحْيَةِ وَالعَمامَةِ، وَمِنَ المُعَرِّفِ سَأَلَ عَنِ الكثيرِ والقَليل؛
عارِفا أنتَ مِنْ مُعَرِّفٍ فارِغ، ترى الكُلَّ أنتَ نُورٌ بازِغ؛
شُغْلُكَ التَّقْوى والدِّيْنُ والصَّلاح، مِنْهُ يَكُونُ في العالَمَيْنِ الفلاح؛
جَعَلَ الاِخْتيارَ على صِهْرٍ صالِحٍ، كانَ فَخْرَ الجَمِيْعِ بالحَسَبِ والنَّسَب؛
النِّساءُ قُلْنَ إنَّهُ بلا مال، بلا عَظَمَةٍ وَحُسْنٍ واسْتِقْلال؛
قالَ تِلْكَ تابِعَةٌ للزُّهْدِ والدِّيْن، هُوَ بلا ذَهَبٍ كَنْزٌ على وَجْهِ الأرْض؛
حِيْنَ صارَ تَزْويجُ البِنْتِ فاشِياً بِجِدّ، مِنْ هدايا الزَّواجِ والعلاماتِ والقِماش؛
كانَ الغُلامُ الصَّغِيْرُ في المَنْزِلِ، فَصارَ مَرِيْضاً وَضَعِيْفاً وعاجِزاً في الحال؛
كانَ يَذُوبُ مِثْلَ مَريضٍ بالدَّقِّ، لَمْ يَعْرِفْ غَيْرَ القَليلِ عَنْ عِلَّتِهِ طَبيب؛
العَقْلُ كانَ يَقُولُ وَجَعُهُ مِنَ القَلْب، علاجُ البَدَنِ باطِلٌ في غَمِّ القَلْب؛
الغُلامُ الصَّغِيْرُ لَمْ يَفُهْ عَنْ حالِهِ بِشَيْء، أنْ مِمَّ كانَ يُلِمُّ بِهِ في صَدرِهِ الوَخْز؛
قالَ الزَّوجُ للزَّوجَةِ لَيْلاً أنْ اسْأَلِيْه، أعِيْدِي عَلَيْهِ السُّؤالَ في الخلاءِ عَنْ حالِه؛
كُنْتِ لَهُ في مَحَلِّ أُمِّهِ، وَكانَ يُظْهِرُ لَكِ غَمَّهُ؛
عِنْدَما تَكَلَّمَ للسَّيِّدَةِ بِهذا الكلامِ في الأُذُن، ذَهَبَتْ للغُلامِ بَعْدَ يَومٍ آخَر؛
وراحَت تِلْكَ السَّيِّدَةُ تُمَشِّطُ شَعْرَ رَأْسِهِ، بِمائَتَيْ مَحَبَّةٍ وَدَلالٍ وَرِفْق؛
كما تَفْعَلُ الأُمَّهاتُ الحَنُونات، لاطَفَتْهُ حَتَّى جاءَ بالبيان؛
أنْ أنا لَمْ يَكُنْ هذا مِنْكِ أَمَلي، أنْ تُعْطِي البِنْتَ لِغَرِيْبٍ عَنُود؛
هِيَ بِنْتُ سَيِّدِي وأنا جَرِيحُ الكَبِدِ بِها، أَلَيْسَ مِنَ الحَيْفِ أنْ تَذْهَبَ مَكاناً آخَر؛
أَرادَتْ تِلْكَ السَّيِّدَةُ مِنَ الغَضَبِ الَّذي جاءَها، أنْ تَضْرِبَهُ وَتَرْمِيَ بِهِ عَنِ السَّطْح؛

أنْ هُوَ مَنْ يَكُونُ؟! هِنْدِيٌّ ابْنُ زانِيَة، حَتَى يَكُونَ لَهُ الطَّمَعُ بِبِنْتِ سَيّدِه؛
قالَتْ الصَّبْرُ أولى وَأَمْسَكَتِ النَّفْسَ، وقالَتْ للسَّيّدِ أَنِ اسْمَعْ هذا العَجَب؛
مِثْلُ هذا الغلامِ الَّذي كانَ خائِناً، وَكُنَّا نَظُنُّ في شَأنِهِ أَنَّهُ كانَ مُعْتَمَداً؛

أمْرُ السَّيِّدِ لأُمِّ البِنْتِ بالصَّبْر وأنْ لا تَزْجُرَ الغُلام أنْ أنا أُخْرِجُهُ مِنْ هذا الطَّمَعِ بلا زَجْر، لا السِّيْخُ يَحْتَرِقُ ولا يبقى الكَبابُ نَيّئاً

قالَ السَّيّدُ اصْبِري قُولي لَهُ، نَحْنُ سَنَفْصِلُها عَنْهُ وَنُعْطِيْها لَكَ؛
فَعَسى أنْ أُخْرِجَ هذا مِنْ قَلْبِهِ، وانْظُري أنتِ كَيْفَ سَأَقُومُ بِدَفْعِه؛
أنتِ أَسْعِدِي قَلْبَهُ قُولي لَهُ اعْلَمْ يَقِيْناً، أَنَّ بِنْتَنا في الحَقَيْقَةِ زَوْجَةٌ لَك؛
نَحْنُ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ أَيُّها المُشْتري الجَمِيْل، ما دُمْنا قَدْ عَلِمْنا فَأنتَ أَولى بِها؛
نارُنا أَيْضاً في تَنُّورِنا، تِلْكَ ليلانا وَأنتَ مَجْنُونُنا؛
حتَّى يَقَعَ عَلَيْهِ جَمِيْلُ الفِكْرِ والخَيال، الفِكْرُ العَذْبُ للرَّجُلِ سِمَنٌ وَحُسْنُ حال؛
الحَيَوانُ يَسْمَنُ لكِنْ مِنَ العَلَف، الآدَمِيُّ يَسْمَنُ مِنَ العِزِّ والشَّرَف؛
الآدَمِيُّ يَسْمَنُ مِنْ طَرِيقِ الأُذُن، الحَيَوانُ يَسْمَنُ مِنْ طَرِيقِ الحَلْقِ والأكل؛
قالَتِ السَّيّدَةُ مِنْ هذا العارِ المَهِيْن، متى يُمْكِنُ لِفَمِيْ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِهذا؛
كَيْفَ لي أنْ أَلُوكَ مِثْلَ هذا الهَذْرِ مِنْ أَجْلِه، قُلْ لِذاكَ الخائِنِ بِطَبْعِ إبليسَ مُتْ؛
قالَ السَّيّدُ لا لا تَخافي وَخادِعِيْه، كَيْ تَذْهَبَ العِلَّةُ مِنْهُ مِنْ هذا اللُّطْفِ الجَمِيْل؛
وَسَجِّلِيْ عَلَيَّ دَفْعَهُ أيْ مَحْبُوبَة، وَخَلِّيْهِ إلى أنْ يَجِدَ الصِّحَّةَ ذاكَ الرَّفِيْعُ الخَيْط؛
لَمَّا كَلَّمَتْ تِلْكَ السَّيّدَةُ ذاكَ المُضْنى، لَمْ يَعُدْ يَتَّسِعُ لَهُ مِنَ التَّبَخْتُرِ وَجْهُ الأَرْض؛
صارَ سَمِيناً جَسِيْماً وَأَحْمَرَ اللَّونِ مُتَفَتِّحاً، مِثْلَ الوَرْدِ الأَحْمَرِ وَشَكَرَ أَلْفَ شُكْر؛
وَكانَ حِيْناً حِيْناً يَقُولُ أَيْ سَيّدَتِي، لا كانَ هذا مِنْكِ مِنْ قَبيلِ الاِحْتيالِ والفَنّ؛

عَمِلَ السَّيِّدُ مَجْمَعاً وَأَصْدَرَ دَعْوَةً، أَنْ أنا سوفَ أَعْمَلُ وُصْلَةً مَعَ فَرَجْ؛
لِيُلْبِسَ الأمْرَ على الجَماعَةِ والعِيال، أَنْ أيْ فَرَجُ مُبارَكٌ عَلَيْكَ الاِتِّصال؛
صارَ فَرَجُ أَكْثَرَ يَقِيْناً مِنْ هذا الكلام، ذَهَبَتِ العِلَّةُ مِنْهُ كُلِّيّاً مِنَ الأَصْلِ والجَذْر؛
بَعْدَ ذلِكَ في اللَّيْلِ في خَيْمَةِ العُرْسِ بِفَنّ، اخْتَضَبَ رَجُلٌ بالحِنَّاءِ كَأَنَّهُ امْرَأَة؛
وَضَعَ النُّقُوشَ الكَثيرَةَ على ساعِدِهِ كالعَرُوس، أَظْهَرَ لَهُ دَجاجَةً وَأَعْطاهُ ديكا؛
وَأَلْبَسُوا ذلِكَ الأمْرَدَ الجِلْفَ، مِقْنَعَةً وَحُلَّةً عَرُوسٍ جَمِيْلَةً؛
أَطْفَأَ الشَّمْعَ وَقْتَ الخَلْوَةِ مُسْرِعاً، وَبَقِيَ الهِنْدِيُّ مَعَ ذلِكَ الجِلْفِ القاسي؛
الهِنْدِيُّ الصَّغِيْرُ يَصْرُخُ وَيَسْتَغِيْث، ولا أَحَدَ في الخارِجِ سَمِعَ مِنْ قَرْعِ الدُّفُوف؛
ضَرْبُ الدَّفِّ والكَفِّ وَصِياحُ الرِّجالِ والنِّساء، أَخْفى صُراخَ مُطْلِقِ الصُّراخِ ذاكَ؛
إلى النَّهارِ يَضْغَطُ على ذلِكَ الهِنْدِيّ، كانَ كَأَنَّهُ كِيْسُ الطَّحِينِ عِنْدَ الكَلْب؛
في الصَّباحِ جاؤوا بالطَّاسِ والنَّفيرِ الضَّخْم، وَذَهَبَ فَرَجُ للحَمَّامِ رَسْمَ العِرْسان؛
ذَهَبَ إلى الحَمَّامِ في عذابِ الرُّوح، مُمَزَّقَ الدُّبُرِ كَثَوبِ مُوْقِدِي الأتونِ القَدِيم؛
جاءَ مِنَ الحَمَّامِ إلى خَيْمَةِ المَخْدَع، أَجْلَسُوا أمامَهُ البِنْتَ كَأَنَّها العَرُوس؛
وَأُمُّها جَلَسَتْ هُناكَ للمُراقَبَة، إذ لا يَجِبُ أَنْ يَقُومَ بالاِمْتِحانِ نهاراً؛
نَظَرَ إِلَيْها ساعَةً مِنَ العِناد، ثُمَّ آنَذاكَ قامَ بِدَفْعِها بِكِلْتا يَدَيْه؛
قالَ لا كانَ لِشَخْصٍ أَبَداً هكذا اتِّصال، بِمِثْلِكِ عَرُوسٍ قَبيحَةٍ رَديئَةِ الفِعال؛
وَجْهُكِ نَضِرٌ كَوُجُوهِ النِّساءِ في النَّهارِ، عُضْوُكِ باللَّيْلِ أَسْوَأُ مِنْ عُضْوِ الحِمار؛
وَهكذا جُمْلَةُ نَعِيْمِ هذِهِ الدُّنيا، جَمِيْلٌ جِدّاً مِنْ بَعِيْدٍ قَبْلَ الاِمْتِحان؛
يَظْهَرُ في النَّظَرِ على البُعْدِ ماءً، فإذا اقْتَرَبْتَ بالوَجْهِ مِنْهُ كانَ سراباً؛
إنَّها عَجُوزٌ مُنْتِنَةٌ وَمِنْ شِدَّةِ الخِداع، تُظْهِرُ النَّفْسَ كالعَرُوسِ الجِدِيْدَة؛
ألا لا تَكُنْ مَغْرُوراً بِأَلْوانِها تِلْك، ولا تأكُلْ مِنْ عَسَلِها المَمْلُوءِ بالإبَر؛
واصْطَبِرْ فالصَّبْرُ مِفْتاحُ الفَرَج، كَيْ لا تَقَعَ كَفَرَجَ بِمِئَةِ حَرَج؛

حَبَّتُها ظاهِرَةٌ للعيانِ وشِباكُها خَفِيَّةٌ، تُظْهِرُ لَكَ إنعامَها الجَمِيْلَ أوّلاً؛

بيان أَنَّ ذاكَ الغُرُورَ لَيْسَ للهِنْدِيِّ وَحْدَهُ بَلْ إنَّ كُلَّ آدَمِيٍّ مُبْتَلىً بِمِثْلِ هذا الغُرُورِ في كُلِّ مَرْحَلَةٍ إلَّا مَنْ عَصَمَهُ الله

إذا ارتَبَطْتَ بِتِلْكَ كُنْ على حَذَر، كم سَتَبْكِيْ في النَّدامَةِ في عَجْز؛
اِسْمُ الأمِيْرِ واسْمُ الوَزِيْرِ واسْمُ المَلِك، مَخْفِيٌّ بِهِ المَوْتُ والألَمُ وَدَفْعُ الرُّوح؛
كُنْ عَبْداً وَسِرْ على الأَرْضِ كالجَواد، لا كالجَنازَةِ مَحْمُولَةً على الأعْناق؛
الكَفُورُ يُرِيدُ الجَمِيْعَ حَمَّالِيْنَ لَه، يَحْمِلُونَهُ إلى القَبْرِ مِثْلَ الفارِسِ المَيِّت؛
كُلَّ مَنْ رَأَيْتَ في المَنامِ على جَنازَةٍ، يكُونُ فارِسَ مَنْصَبٍ عالي الرِّكاب؛
لأنَّ ذلِكَ التَّابُوتَ مَحْمُولٌ على الخَلْق، أولئِكَ الكِبارُ أَلْقَوا بالحِمْلِ على الخلق؛
ضَعْ حِمْلَكَ عَلَيْكَ لا تَضَعْهُ على شَخْصٍ، أقِلَّ طَلَبَ الرِّئاسَةِ فالدَّرْويشُ أَفْضَل؛
لا تَتَّخِذْ مِنْ أَعْناقِ الرِّجالِ مَرْكَباً، كَيْ لا يُصِيْبَكَ النِّقْرِسُ في كِلْتا القَدَمَيْن؛
المَرْكَبُ الَّذي أخيراً تَتَخَلَّى عَنْهُ، وَأَنتَ عاجِزٌ في مَدِيْنَةٍ وَقَرْيَةٍ خَرِبَة؛
تَخَلَّ عَنْهُ الآنَ إذْ بَدَتْ لَكَ المَدِيْنَة، لِئَلَّا يَكُونَ عَلَيْكَ أنْ تَحُطَّ المَتاعَ في خَرِبة؛
حطِّمْهُ الآنَ إذْ عِنْدَكَ مِئَةُ بُسْتان، حتَّى لا تَصِيْرَ عاجِزاً وعابِدَ خَراب؛
قالَ النَّبِيُّ إذا كُنْتَ طَالِبَ الجَنَّةِ ، مِنَ الإلهِ لا تَطْلُبْ شَيْئاً مِنْ أَحَد؛
فإنْ لَمْ تَطْلُبْ فَأَنا لَكَ الكَفيل ، بِجنَّةِ المَأوى وبِلِقاءِ الله؛
ذاكَ صَحابِيٌّ كانَ حازِماً في أمْرِ تِلْكَ الكَفالَة، كانَ راكِباً يَوماً على جَواد؛
وَقَعَ السَّوْطُ مِنْ كَفِّهِ على الأرْض، فَنَزَلَ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَطْلُبْ ذاكَ مِنْ شَخْص؛
ذاكَ الَّذي مِنْ عَطائِهِ لا يَجِيْءُ أَيُّ سُوء، يَعْلَمُ وَيُعْطِيْ مِنْ نَفْسِهِ بلا طَلَب؛
وإذا طَلَبْتَ عَنْ أمْرِ الحَقِّ جازَ لَكَ، مِثْلُ ذاكَ الطَّلَبِ طَرِيقُ الأنبياء؛

لا يبقى السُّوءُ إذا أَشارَ الحَبيب، إذا كانَ الكُفْرُ مِنْ أَجْلِ الحَبيبِ صارَ إيماناً؛
كُلُّ سُوءٍ جاءَ مِنْ بَعْدِ أَمْرِهِ، هُوَ سُوءٌ أَفْضَلُ مِنْ حَسَناتِ العالَم؛
إذا صارَ جِلْدُ ذلِكَ الصَّدَفِ مَجْرُوحاً أَيْضاً، لا تَرْمِهِ فَفيهِ مِئَةُ أَلْفِ دُرّ؛
هذا الكلامُ لا نِهايَةَ لَهُ فَعُدْ بنا، إلى جِهَةِ الشَّاهِ وارْجِعْ على مِزاجِ الباز؛
واذْهَبْ إلى المَنْجَمِ كالذَّهَبِ الخالِصِ، حَتَّى تَتَحَرَّرَ يَداكَ مِنَ التَّرْك؛
عِنْدَما يُعْطُونَ لِصُورَةِ الطَّريقَ إلى القَلْب، يَقُومُونَ مِنْ نَدامَةٍ في الآخِرِ بِتَرْكِها؛
وَيَجِيئُونَ بالتَّوْبَةِ على هَيْئَةِ الفَراشَة، ثُمَّ يَعُودُ النِّسْيانُ فَيَشُدُّهُمْ جِهَةَ العَمَل؛
مِثْلَ الفَراشَةِ رَأَتِ النَّارَ نُوراً مِنْ بُعْد، فَرَبَطَتْ إلى تِلْكَ الجِهَةِ الحِمْل؛
حِيْنَ جاءَتْ وَأَحْرَقَتْ جَناحَها هَرَبَتْ، ثُمَّ عادَتْ كالأَطْفالِ وَوَقَعَتْ وَكَبَّتِ المِلْح؛
مَرَّةً أُخْرى على الظَّنِّ وَطَمَعِ النَّفْع، رَمَتْ بالنَّفْسِ مُسْرِعَةً على نارِ ذاكَ الشَّمْع؛
مَرَّةً أُخْرى احْتَرَقَتْ وَتراجَعَتْ مُسْرِعَةً، حِرْصُ القَلْبِ عَادَ فَجَعَلَها ناسِيَةً وَسَكْرى؛
في تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتي تَراجَعَتْ بِها مِنَ الحَرْق، كانَتْ كالهِنْدِيّ في دَفْعِ الشَّمْع؛
أَنْ أَيْ مُنيرَ الوَجْهِ كالقَمَرِ في اللَّيْلِ، واهِ مِنَ الصُّحْبَةِ الكاذِبَةِ وَحَرْقِ المَغْرُور؛
مِنْ جَديدٍ تَذْهَبُ التَّوْبَةُ مِنْ ذاكِرَتِها ويَذْهَبُ الأنين، أَوْهَنَ الرَّحْمنُ كَيْدَ الكافِرين؛

في عُمُومِ تَأْويلِ هذِهِ الآيَةِ أَنْ *كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلحَرْبِ*

كُلَّما هُمْ أَوْقَدُوا نارَ الوَغى أَطْفَأَ اللهُ نارَهُمْ حَتَّى انْطَفا

قالَ أَيْ قَلْبُ لا تَقِفْ هُناكَ وَعَقَدَ العَزْم، وَصارَ ناسِياً فَهوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ العَزْم؛
بِما أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِذْرَةُ صِدْقٍ مَزْرُوْعَةٌ، قَرَّرَ الحَقُّ لَهُ نِسْيانَ ذاكَ؛
رَغْمَ أَنَّهُ يَقْدَحُ زِنادَ النَّارِ في القَلْب، فإنَّ كَفَّ الحَقِّ تُطْفِئُ شُعْلَتَهُ تِلْك؛

قَصَّةٌ في تَقْريرِ هذِهِ الآيَةِ أَيْضاً

مُعْتَمَدٌ سَمِعَ في اللَّيْلِ وَقْعَ أَقْدام، فَأَمْسَكَ بَقَدَّاحَةٍ وراحَ يَقْدَحُ النَّار؛
جاءَ اللِّصُّ في اللَّحْظَةِ وَجَلَسَ أَمامَهُ، وَكُلَّما أَشْعَلَ ذاكَ الفَتيلَةَ أَطْفَأَها اللِّصّ؛
يَضَعُ على الفَتيْلَةِ رَأْسَ إِصْبَعِهِ، حَتَّى تَصِيْرَ شُعْلَةُ النَّارِ فَناءً؛
السَّيِّدُ كانَ يَظُنُّها تَنْطَفِئُ مِنْ نَفْسِها، إذْ لَمْ يَكُنْ يرى اللِّصَّ يُطْفِئُها؛
قالَ السَّيِّدُ هذِهِ الفَتيْلَةَ رَطْبَةٌ، سُرْعانَ ما تَنْطَفِئُ الشُّعْلَةُ مِنْ رُطُوبَتِها؛
مِنْ شِدَّةِ ما كانَ أمامَهُ مِنْ ظلامٍ وَظُلْمَة، لَمْ يَرَ مُطْفِئَ النَّارِ الَّذي كانَ أَمامَه؛
مِثْلُ هذا المُطْفِئِ لِلنَّارِ في قَلْبِ الكافِرِ، وَعَيْنُ الكافِرِ لا تَراهُ مِنَ العَمَش؛
كَيْفَ لا يَعْلَمُ قَلْبُ العالِمِ، أنَّ لِكُلِّ مُغَيِّرٍ مُغْيِّراً؛
كَيْفَ لا تَسْأَلُ النَّفْسَ عَنِ اللَّيْلِ والنَّهار، متى يأتيانِ ومتى يَذْهبانِ بلا رَبٍّ؟؛
تَدُورُ حَوْلَ المَعْقُولاتِ دائراً فانْظُرْ، مِثْلَ هذا الاِنْعِدامِ للعَقْلِ مِنْكَ أَيْ مَهِيْن؛
المَنْزِلُ مَعَ البَنَّاءِ يَكُونُ مَعْقُولاً أَكْثَر، أَمْ مِنْ غَيْرِ البَنَّاءِ قُلْ يا قَليلَ الفَضْل؛
الخَطُّ مَعَ الكاتِبِ يَكُونُ مَعْقُولاً أَكْثَر، أَمْ مِنْ غَيْرِ كاتِبٍ فَكِّرْ أَيْ وَلَد؛
جِيْمُ الأُذُنِ وَعَيْنُ العَيْنِ وَمِيْمُ الفَمّ، كَيْفَ تَكُونُ مِنْ غَيْرِ كاتِبٍ أَيْ مُتَّهَم؛
الشَّمْعُ المُضِيْءُ بلا مُشْعِلٍ اشْتَعَل، أَمْ تراهُ اشْتَعَلَ مِنْ مُشْعِل؛
الصَّنْعَةُ الجَمِيْلَةُ مِنْ كَفِّ مَشْلُولٍ ضَرير، تَكُونُ أَولى أم مِنْ كَفِّ فاعِلٍ بَصِيْر؛
إِذَنْ ما دُمْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَقْهَرُكَ، وَأَنَّهُ يَدُقُّ رَأْسَكَ بِدَبُّوسِ المِحْنَة؛
قُمْ بِدَفْعِهِ إِذَنْ بالحَرْبِ مِثْلَ نَمْرُود، أَطْلِقْ عَلَيْهِ السَّهْمَ الشَّديدَ في الهَواء؛
أَطْلِقِ السِّهامَ مِثْلَ جَيْشِ المَغُول، على السَّماءِ لِدَفْعِ نَزْعِ الرُّوح؛
أو اهْرَبْ مِنْهُ إِنْ كُنْتَ قادِراً وامْضِ، وَكَيْفَ تَمْضِيْ وَأَنْتَ في كَفِّهِ رَهِيْنَة؛
كُنْتَ في العَدَمِ وَلَمْ تَتَحَرَّرْ مِنْ كَفِّهِ، وَكَيْفَ لَكَ أَنْ تَتَحَرَّرَ مِنْ كَفِّهِ أَيْ ضُحْكَة؛

الرَّغْبَةُ في الفِرارِ وَطَلَبُ الفِرارِ مِنْهُ، أمامَ عَدْلِهِ سَفْكٌ لِدَمِ التَّقْوى؛
هذا العالَمُ شَبَكَةٌ وَحَبَّتُها الأمَل، فاهْرَبْ مِنَ الشِّباكِ أَدِرْ عَنْها الوَجْه؛
إذا ما رُحْتَ هكذا رَأَيْتَ مِئَةَ فَتْح، وإذا رُحْتَ عَكْسَ ذاكَ رَأَيْتَ الفَساد؛
قالَ النَّبِيُّ اسْتَفْتُوا القُلُوب، وَلَوْ حَدَّثَكُمُ المُفْتُوْنَ بالخارِجِ بالخُطُوب؛
فاتْرُكِ الأَمَلَ لِتَصِلَ إِلَيْكَ الرَّحْمَة، وَقَدْ جَرَّبْتَ وهذا ما يَجِبُ لَها؛
ما دُمْتَ لا تَسْتَطِيْعُ الفِرارَ مِنْهُ قُمْ بِخِدْمَتِه، حَتَّى تَذْهَبَ مِنْ حَبْسِهِ إلى رَوْضَتِه؛
حِيْنَ تَصِيْرُ مُراقِباً لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ، تَرى العَدْلَ أَيْ غَوِيٌّ وَترى العادِل؛
وإنْ قُمْتَ بإغلاقِ عَيْنِكَ مِنَ الاِحْتِجاب، مَتى تَقُومُ الشَّمْسُ بالتَّخَلِّي عَنْ عَمَلِها؛

إظْهارُ المَلِكِ للأُمَراءِ والمُتَعَصِّبِيْنَ في الطَّريقِ سَبَبَ زِيادَةِ فَضِيْلَةِ وَمَرْتَبَةِ وَقُرْبَةِ وَراتِبِ إياز عَلَيْهِم على وَجْهٍ لا تَبْقى بِهِ لَهُمْ حُجَّةٌ واعْتِراض

حِيْنَ صارَ الأُمَراءُ مِنَ الحَسَدِ يَجِيْشُون، قامُوا في العاقِبَةِ بالطَّعْنِ على مَلِكِهِم؛
أنْ إيازُ هذا لا يَمْلِكُ ثلاثينَ عَقْلاً، فَكَيْفَ أَخَذَ راتِبَ ثلاثينَ وَزِيْراً؛
فَخَرَجَ الأمِيْرُ مَعَ أولئكَ الثّلاثينَ أَمِيْراً، جِهَةَ الصَّحْراءِ وأرْضٍ جَبَلِيَّةٍ للصَّيْد؛
رأى قافِلَةً مِنْ بَعِيْدٍ ذلِكَ المَلِكْ، فقالَ لأمِيْرٍ اذْهَبْ أَيْ مُؤتَفِك؛
اِذْهَبْ وَسَلْ تِلْكَ القافِلَةَ على الرَّصَد، مِنْ أَيَّةِ مَدِيْنَةٍ هِيَ قادِمَة؛
راحَ وَسَأَلَ وَجاءَ أنْ مِنَ الرَّيّ، قالَ وإلى أَيْنَ هِيَ ذاهِبَةٌ فَتَوَقَّف؛
قالَ لآخَرَ اذْهَبْ أَيْ أبا العُلا، فاسْأَلِ القافِلَةَ إلى أَيْنَ هِيَ ذاهِبَة؛
راحَ وَجاءَ وَقالَ إلى جِهَةِ اليَمَن، قالَ ما مَتاعٌ مَعَها أَيْ مُؤْتَمَن؛
بَقِيَ حَيْرانَ ، قالَ لأميرٍ آخَر، اِذْهَبْ وسَلْ ما متاعُ أولئِكَ النَّفَر؛
عادَ قالَ مَعَهُمْ مِنْ كُلِّ جِنْس، وأغْلَبُ ذاكَ أواني الزُّجاجِ الرَّازِي؛

قالَ مَتى خَرَجُوا مِنْ مَدِيْنَةِ الرَّيّ، فَظَلَّ حَيْرانَ ذاكَ الأمِيْرُ واهِيْ القَدَم؛
وَهَكَذا إلى ثلاثينَ أمِيْراً وَأَكْثَر، مِنْ واهٍ للرَّأْيِ وناقِصٍ في الكَرِّ والفَرّ؛
قالَ للأُمَراءِ إنَّني يَوماً، امْتَحَنْتُ إيازي هذا وكانَ وَحْدَهُ؛
أنِ اسْأَلِ القافِلَةَ مِنْ أَيْنَ هِيَ قادِمَة، فَذَهَبَ وَسَأَلَ عَنْ هذِهِ الأشياءِ كُلِّها؛
بلا وَصِيَّةٍ بلا إشارَةٍ عَنْ واحِدٍ واحِدٍ، مِنْ أَحْوالِهِمْ أَخَذَ العِلْمَ بلا رَيْبٍ وَشَكّ؛
وكُلُّ الَّذي كُشِفَ مِنَ الثَّلاثينَ أميراً، في ثلاثينَ مقاماً كُشِفَ مِنْهُ تماماً بِلَحْظَة؛

رَدُّ الأُمَراء تِلْكَ الحُجَّةَ بِشُبْهَةِ الجَبْر وَجَوابُ الشّاه لَهُم

ثُمَّ قالَ أولئِكَ الأُمَراءُ أنْ هذا فَنّ، هذا مِنَ العِناياتِ لَهُ لا بِفِعْلِ الجهْد؛
قِسْمَةُ الحَقِّ للقَمَرِ الوَجْهُ الجَمِيْل ، الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ لِلْوَرْدِ عَطاءُ البَخْت؛
قالَ السُّلْطانُ بَلْ كُلُّ ما وُلِدَ مِنَ النَّفْس، رَيْعُ تَقْصِيْرٍ وَدَخْلُ اجْتِهاد؛
وإلَّا متى كانَ آدَمُ قالَ لله، *رَبَّنا إنَّا ظَلَمْنا نَفْسَنا*؛
كانَ قالَ هذا الذَّنْبُ مِنَ البَخْت، مادامَ هذا القَضاءُ ما نَفْعُ حَزْمِنا؛
مِثْلَ إبْلِيْسَ الَّذي قالَ أَغْوَيْتَني، أنتَ كَسَرْتَ الكأْسَ وَعاقَبْتَنِي؛
بَلِ القَضاءُ حَقٌّ وَجُهْدُ العَبْدِ حَقّ، لا تَكُنْ أَعْوَرَ مِثْلَ إبْلِيْسَ الخَلَق؛
بَقِيْنا في التَّرَدُّدِ بَيْنَ عَمَلَيْن، هذا التَّرَدُّدُ مَتى كانَ دُوْنَ اخْتِيار؛
المُقَيَّدُ مِنْ كِلْتا يَدَيْهِ وَكِلْتا قَدَمَيْه ، متى يَقُولُ أَفْعَلُ هذا أو أَفْعَلُ ذاك؛
أَأَسِيْرُ في البَحْرِ أمْ أَطِيْرُ في الهَواء ، هذا التَّرَدُّدُ لا يكُونُ أَبَداً في رَأْسِي؛
أَأَذْهَبُ إلى المَوْصِلِ مِنْ أَجْلِ السِّحْرِ ، أَمْ أَذْهَبُ إلى بابِلَ هذا يَكُون تَرَدُّداً؛
فالتَّرَدُّدُ إنَّما تَجِبُ لَهُ القُدْرَة، أو يَكُونُ ذاكَ ضُحْكاً على الشَّارِب؛
أَقِلَّ وَضْعَ الذَّنْبِ على القَضاءِ أَيْ شابّ،كَيْفَ تَضَعُ جُرْمَ نَفْسِكَ على الآخَرِيْن؛
أَيَقْتُلُ زَيْدٌ والقِصاصُ على عَمْر، وَيَشْرَبُ عَمْروٌ الخَمْر وَيُحَدُّ أَحْمَدُ حَدَّ الخَمْر؛

دُرْ حَوْلَ النَّفْسِ وانْظُرْ جُرْمَ النَّفْس، لا تَرَ الحَرَكَةَ مِنَ الظِّلِّ وَرَها مِنَ الشَّمْس؛
فَسَوفَ لَنْ يَكُونَ غَلَطاً جزاءُ الأمير، يَعْرِفُ الخَصْمَ ذاكَ الأَمِيْرُ البَصِيْر؛
إذا أَكَلْتَ العَسَلَ لا تَجِيْءُ الحَرارَةُ للغَيْر، أَجْرُ يَوْمِكَ لا يَجِيْءُ في اللَّيْلِ للغَيْر؛
بِأَيِّ شَيْءٍ فَعَلْتَ جُهْداً وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْك، ماذا زَرَعْتَ وَرَيْعُ الزَّرْعِ لَمْ يَجِئْ إِلَيْك؛
فِعْلُكَ الَّذي يُولَدُ مِنْ رُوحِكَ وَبَدَنِك، سَوفَ يُمْسِكُ بِثَوْبِكَ مِثْلَ وَلَدٍ لَك؛
يُجْعَلُ للفِعْلِ في الغَيْبِ صُورَةٌ، ألا تُنْصَبُ مِنْ أَجْلِ فِعْلِ السَّرِقَةِ المَشْنَقَة؛
المَشْنَقَةُ مَتى أَشْبَهَتِ السَّرِقَةَ لكِنَّ ذاكَ، هُوَ تَصْوِيْرُ الإلهِ عالِمِ الغَيْب؛
الحَقُّ أَلْهَمَ قَلْبِ رَئِيْسِ الشُّرَطِ إلهاماً، أنْ صَوِّر الصُّوْرَةَ هكذا مِنْ أَجْلِ العَدْل؛
حتَّى تَصِيْرَ عالِماً وعادِلاً في القَضاء، غَيْرُ المُناسِبِ كَيْفَ يُقيمُ العَدْلَ والجَزاء؛
ما دامَ الحاكِمُ يَفْعَلُ هذا في الاِخْتيار، فَكَيْفَ يحكُمُ أَحْكَمُ هؤلاءِ الحاكِمين؛
حِيْنَ تَزْرَعُ الشَّعِيْرَ لا يَنْبُتُ غَيْرُ الشَّعِيْر، أَنْتَ اقْتَرَضْتَ فَمِمَّنْ تَطْلُبُ الرَّهْن؛
لا تَضَعْ جُرْمَ نَفْسِكَ على شَخْصٍ آخَر، اِدْفَعْ أُذُنَكَ وَوَعْيَكَ في هذِهِ المُجازاة؛
ضَعْ جُرْمَكَ على نَفْسِكَ أَنْتَ الَّذي زَرَعْت، مَعَ جَزاءِ وَعَدْلِ الحَقِّ قُمْ بالصُّلْح؛
الأَلَمُ كانَ لَهُ سَبَبٌ مِنْ سُوءِ الفِعْل، اِعْرِفِ السُّوءَ مِنْ فِعْلِ نَفْسِكَ لا مِنَ البَخْت؛
النَّظَرُ في البَخْتِ يَجْعَلُ النَّظَرَ أَحْوَلاً، يَجْعَلُ الكَلْبَ واهِناً وعاجِزاً عنِ العَمَل؛
أَيْ فَتى اجْعَل مِنْ نَفْسِكَ مُتَّهَماً، أَقِلَّ مِنْ جَعْلِكَ الجَزاءَ العَدْلَ مُتَّهَماً؛
قُمْ بالتَّوْبَةِ كالرِّجالِ واسْلُكِ الطَّرِيقَ للنِّهايَةِ، فإنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ بِمِثْقالٍ يَرَه؛
وَأَقِلَّ مِنَ الاِغْتِرارِ بِخِداعِ النَّفْس، فإنَّ شَمْسَ الحَقِّ لا تُغَطِّيْها الذَّرَّة؛
هذِهِ الذَّرَّاتُ الجِسْمِيَّةُ أَيْ مُفيد، أمامَ هذِهِ الشَّمْسِ الجِسْمانِيَّةِ ظاهِرَة؛
وإنَّ ذرَّاتِ الخَواطِرِ والأفْكار، ظاهِرَةٌ أمامَ شَمْسِ الحَقائِق؛

حِكايَةُ ذلِكَ الصَّيَّاد الَّذي كانَ لَفَّ نَفْسَهُ بالنَّبات وَوَضَعَ باقَةً مِنَ الوَرْدِ والشَّقائقِ على الرَّأْسِ كالقُبَّعَةِ حَتَّى تَظُنَّهُ الطُّيُورُ نباتاً، وذاكَ الطَّائِرُ الذَّكِيُّ الَّذي أَدْرَكَ قليلاً أَنْ هذا آدَمِيٌّ، فأنا لَمْ أَرَ نباتاً على هذا الشَّكْلِ أَبَداً، إلَّا أنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ ذاكَ تمامَ الإدراك، فصارَ مَغْرُوراً بالخِداع ، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ القاطِعِيَّةَ في الإدراكِ الأوَّل ، وامتَلَكَ القاطِعِيَّةَ في الإدراكِ الثَّاني للمَكْر؛ وهُوَ الحِرْصُ والطَّمَعُ لا سِيَّما عِنْدَ فَرْطِ الحاجَةِ والفَقْرِ ، قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ

كادَ الفَقْرُ أنْ يَكُونَ كُفْراً

ذَهَبَ طائِرٌ إلى وَسَطِ المَرْج، وكانَ هُناكَ شَبَكَةٌ مِنْ أَجْلِ الصَّيْد؛
بِضْعُ حَبَّاتٍ مَنْثُورَةٌ على الأرْض، وذاكَ الصَّيَّادُ جالِسٌ هُناكَ في كَمِيْن؛
جَعَلَ النَّفْسَ مُلْتَفَّاً بالأوراقِ والنَّبات، حَتَّى يَقَعَ الصَّيْدُ المِسْكِيْنُ في مَصْيَدَتِه؛
جاءَ طائرٌ صَغِيْرٌ نَحْوَهُ مِنَ الجَهْل، ثُمَّ قامَ بالطَّوافِ وأَسْرَعَ إلى أمامِ الرَّجُل؛
قالَ لَهُ مَنْ تَكُونُ أَيْ لابِسَ الأخْضَر، في هذِهِ الصَّحْراءِ بَيْنَ هذِهِ الوُحُوش؛
قالَ الرَّجُلُ أنا زاهِدٌ أنا مُنْقَطِعٌ، صِرْتُ مَعَ النَّباتِ إلى هُنا. أنا مُقْتَنِع؛
اخْتَرْتُ الزُّهْدَ والتَّقْوى دِيناً وَمَذْهَباً، ذلِكَ لأنِّي رَأَيْتَ الأَجَلَ مِنْ أمامِي؛
مَوْتُ الجارِ صارَ لِيْ واعِظاً، جَعَلَ الكَسْبَ والدُّكَّانَ لي خَراباً؛
ما دُمْتُ في الآخِرِ سَأَبْقى فَرْداً، يَجِبُ أَلَّا أَعْتادَ على صُحْبَةِ كُلِّ رَجُلٍ وامْرَأَة؛
سَوفَ أَتَوَجَّهُ في آخِرِ الأمْرِ للَّحْد، خَيْرٌ لي أنْ أَجْعَلَ طَبْعِيْ مَعَ الأحَد؛
ما دامُوا سَوْفَ يَرْبِطُونَ الذَّقْنَ أَيْ صَنَم، مِنَ الأَفْضَلِ أنْ أُقِلَّ تَحْرِيكَ الشِّفاه؛
أي مَنْ تَمَنْطَقْتَ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، نَصِيْبُكَ في الآخِرِ ثَوبٌ غَيْرُ مَخِيْط؛
لِنُوَجِّهِ الوَجْهَ للتُّرابِ فَقَدْ طَلَعْنا مِنْهُ، لِماذا نَرْبِطُ القَلْبَ بِمَنْ هُمْ بلا وَفاء؛

جَدُّنا وَأهْلوْنا الأقْدَمُونَ الطَّبائِعُ الأرْبَع، لِماذا رَبَطْنا الطَّمَعَ بالنَّسَبِ العارِيَة؛

لِسِنينَ وَجِسْمُ الآدَمِيّ ، لَهُ صُحْبَةً وَرِفْقَةً مَعَ العَناصِر؛

رُوْحُهُ نَفْسُها قامَتْ بالنُّكُول، عَنْ رُوحِ أَصْلِها مِنَ النُّفُوسِ والعُقُول؛

مِنَ النُّفُوسِ وَالعُقُولِ المَملوءَةِ بالصَّفا، يَجِيْءُ الكِتابُ إلى الرُّوحِ أَنْ أَيْ بلا وفا؛

وَجَدْتَ رِفاقاً لِخَمْسَةِ أيَّامٍ، فَأَعْرَضْتَ بالوَجْهِ عَنِ الرِّفاقِ القُدَامى؛

الأطْفالُ رَغْمَ أَنَّهُمْ سُعَداءُ باللَّعِب، ذَوُوهُم يَسْحَبُونَهُمْ في اللَّيْلِ جِهَةَ المَنْزِل؛

الطِّفْلُ الصَّغِيْرُ خَلَعَ الثِّيابَ وَقْتَ اللَّعِب، أَخَذَ اللِّصُّ فَجْأَةً ثَوْبَهُ وَحِذاءه؛

انبرى باللَّعِبِ بِمِثْلِ ذاكَ النَّشاط، حتَّى ذَهَبَتِ القُبَّعَةُ والقَمِيْصُ مِنْ ذاكِرَتِه؛

حَلَّ اللَّيْلُ وَصارَ اللَّعِبُ مِنْهُ بلا مَدَد، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَجْهٌ لِيَذْهَبَ إلى جِهَةِ البَيْت؛

أما سَمِعْتَ إِنَّما الدُّنيا لَعِب، أَعْطَيْتَ مَتاعَكَ للرِّيْحِ فَأنتَ مُرْتَعِب؛

اِبْحَثْ عَنِ الثَّوبِ قَبْلَ أنْ يَحِلَّ اللَّيْل، لا تَجْعَلِ النَّهارَ ضائعاً في القِيْلِ والقال؛

أنا اخْتَرْتُ الخَلْوَةَ في الصَّحْراء، رَأَيْتُ الخَلْقَ سَارِقِيْنَ للثِّياب؛

نِصْفُ العُمْرِ طَمَعٌ بالأحِبَّة، نِصْفُ العُمْرِ غُصَصٌ مِنَ الأعْداء؛

ذاكَ أَخَذَ الجُبَّةَ وهذا أَخَذَ القُبَّعَة، وَنَحْنُ غارِقونَ باللَّعِبِ كالطِّفْلِ الصَّغِيْر؛

وَقْتُ لَيْلِ الأَجَلِ صارَ قَرِيباً جِدَّاً، خَلِّ هذا اللَّعِبَ حَسْبُكَ لا تَعُدْ؛

فامْتَطِ جَوادَ التَّوْبَةِ وصِلْ إلى اللِّصّ، وَخُذْ مِنَ اللِّصِّ الثِّيابَ وارْجِعْ؛

مَرْكَبُ التَّوْبَةِ عَجِيْبٌ مِنْ مَرْكَبٍ، وَصَلَ مِنَ الحَضِيْض إلى الفَلَكِ في لَحْظَةٍ؛

لكِنْ مِنْ ذاكَ حافِظْ على المَرْكَبِ دَوماً، اجْعَلْهُ مَخْفِيَّاً عَنْ الَّذي سَرَقَ قباءَك؛

حَتَّى لا يَسْرِقَ مَرْكَبَكَ أيْضاً، اِحْرِسْ مَرْكَبَكَ هذا لَحْظَةً بِلَحْظَة؛

حِكايَةُ ذاكَ الرَّجُلِ الَّذي سَرَقَ اللُّصوصُ كبْشَهُ وَلَمْ يَقْنَعُوا بِذَلِكَ حَتَّى سَرَقُوا بالحِيْلَةِ ثيابَهُ أَيْضاً

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَمْلِكُ كَبْشاً يَجُرُّهُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ اللِّصُّ الكَبْشَ، قَطَعَ حَبْلَهُ؛
حِيْنَ خَبِرَ ذاكَ راحَ يَجْري يَساراً وَيَمِيْناً، لِيَكْتَشِفَ أَيْنَ يَكُونُ آخذُ الكَبْشِ ذاك؛
فرأى ذلِكَ السَّارِقَ على رَأْسِ فُتْحَةِ بِئْرٍ، وكانَ يُطْلِقُ الصُّراخَ أَنْ واوَيْلَتا؛
قالَ مِمَّ أنتَ شاكٍ أَيُّها الأُسْتاذُ، قالَ كِيْسُ ذَهَبي وَقَعَ في هذِهِ البِئْر؛
إنْ كُنْتَ تَسْتَطِيْعُ النُّزُولَ في البِئْرِ وَإِخْراجَهُ، أَدْفَعُ لَكَ مِنْهُ الخُمْسَ بِسُرُورِ قَلْب؛
تَأْخُذُ خُمْسَ المائةِ دِينارٍ باليَد، قالَ في النَّفْسِ هذا ثَمَنُ عَشْرَةِ أَكْباش؛
إنْ كانَ بابٌ انْغَلَقَ فَعَشْرَةٌ فُتِحَتْ، إنْ كانَ ضاعَ الكَبْشُ فالحَقُّ عَوَّضَ بِجَمَل؛
فَنَزَعَ ثِيابَهُ وَنَزَلَ في البِئْر، فَأَخَذَ ذلِكَ السَّارِقُ الثِّيابَ أَيْضاً مُسْرِعاً؛
يَجِبُ حازِمٌ لِيَقْطَعَ الطَّرِيقَ للقَرْيَة، إنْ لَمْ يَكُنْ حَزْمٌ فالطَّمَعُ يَجِيْءُ بالطَّاعُون؛
هُوَ لِصٌّ واحِدٌ وَسِيْرَتُهُ الفِتْنَة، هُوَ كالخَيالِ لَهُ في كُلِّ لَحْظَةٍ صُوْرَة؛
لا شَخْصَ يَعْرِفُ مَكْرَهُ إلَّا الله، فاهْرَبْ إلى اللهِ وانْجُ مِنْ ذلِكَ المُخادِع؛

مُناظَرَةُ الطَّائِرِ مَعَ الصَّيَّادِ في التَّرَهُّبِ وَفي مَعْنى التَّرَهُّبِ الَّذي نَهى المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلام أُمَّتَهُ تِلْكَ عَنْهُ ، أنْ لا رُهْبانِيَّةَ في الإسْلام

قالَ لَهُ الطَّائِرُ يا سَيّدُ لا تَقِفْ في الخَلْوَة، التَّرَهُّبَ في دِيْنِ أَحْمَدَ لَيْسَ بالجَمِيْل؛
عَنِ التَّرَهُّبِ نَهى ذاكَ الرَّسُول، كَيْفَ تَعَلَّقْتَ بِبِدْعَةٍ أَيْ فَضُول؛
الجُمْعَةُ شَرْطٌ والجَماعَةُ في الصَّلاة، والأَمْرُ بالمَعْرُوفِ والاِحْتِرازُ مِنَ المُنْكَر؛
واحْتِمالُ الأَذى مِنْ سَيِّئي الطَّبْعِ بالصَّبْرِ، وَإِعْطاءُ النَّفْعِ للخلائقِ كالغَيْم؛

خَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ أَيْ أَب، إنْ لَمْ تَكُنْ حَجَراً ما مُرافَقَتُكَ للمَدَر؛
كُنْ في الأُمَّةِ المَرْحُومَةِ وَكُنْ مَرْحُوماً، لا تَتْرُكْ سُنَّةَ أَحْمَدَ وَكُنْ مَحْكُوماً؛
قالَ: عَقْلُ كُلِّ مَنْ ما لَهُ رُسُوخ، عِنْدَ العاقِلِ مِثْلَ الحَجَرِ وَمِثْلَ الطِّيْنِ اليابِس؛
ذاكَ الَّذي أُمْنِيَتُهُ الخُبْزُ مِثْلَ الحِمار، صُحْبَتُهُ هِيَ عَيْنُ الرَّهْبانِيَّة؛
إنَّ غَيْرَ الحَقِّ لا شَكَّ رُفاتْ كُلُّ آتٍ بَعْدَ حِيْنٍ فَهوَ آت
حُكْمُهُ يكونُ حُكْمَ قِبْلَتِهِ أَيْضاً، اعْتَبِرْهُ مَيْتاً بِما أنَّهُ يَطْلُبُ المَيْتَةَ؛
كُلُّ مَنْ يَكُونُ مَعَ هؤلاءِ القَوْمِ راهِباً، وَيكُونُ الحَجَرُ والطِّيْنُ لَهُ صاحِباً؛
الحَجَرُ والطِّيْنُ ما قَطَعَا دَرْبَ شَخْصٍ، وَمِنْ طِيْنِ الخَلْقِ تَصِلُ مِئَةُ أَلْفِ آفَة؛
قالَ لَهُ الطَّائِرُ فالجِهادُ آنَذاكَ يَكُونُ، إذا كانَ هذا القاطِعُ للطَّريقِ في الطَّريق؛
مِنْ أَجْلِ الحِفْظِ والعَوْنِ والقِتال، للطَّريقِ الخَطِرِ يَجِيْءُ أَسَدُ الرِّجال؛
إنَّ عِرْقَ الرُّجُولَةِ يَصِيْرُ ظاهِراً عِنْدَما ، يكونُ المُسَافِرُ مَعَ الأَعْداءِ في الطَّريق؛
بِمَا أنَّ ذاكَ الرَّسُولَ كانَ نَبِيَّ السَّيْف، أُمَّتُهُ تَكُونُ مِنَ الفُحُولِ وَشاقِّي الصُّفُوف؛
المَصْلَحَةُ في دِيْنِنا الحَرْبُ والقُوَّة، المَصْلَحَةُ في دِيْنِ عِيْسى الغارُ والجَبَل؛
قالَ بلى إذا كانَ هُناكَ عَونٌ وَقُوَّة، حَتَّى يَتِمَّ الضَّرْبُ بِقُوَّةٍ على الشَّرِّ والفِتْنَة؛
فإنْ لَمْ تَكُنْ قُوَّةٌ فالتَّقِيَّةُ خَيْرٌ، وفِرَّ بِسُهُولَةٍ إلى *الفِرارُ مِمَّا لا يُطاق*؛
قالَ يَجِبُ صِدْقُ القَلْبِ للعَمَل، وإلَّا فَلَنْ يَقِلَّ الأَصْدِقاءُ للصَّديق؛
كُنْ صَدِيقاً حَتَّى تَرى الأَصْدِقاءَ بلا عَدَد، مَنْ كانَ بلا أَصْدِقاءَ بَقِيَ بلا مَدَد؛
الشَّيْطانُ ذِئْبٌ وَأَنْتَ مِثْلَ اليُوسُفِيّ، لا تَنتَقِلْ مِنْ جِوارِ يَعْقُوبَ أيْ صَفِيّ؛
الذِّئْبُ في أَغْلَبِ الأَحْيانِ آخِذٌ لِذاكَ الخَرْوف، السَّائِرِ وَحِيْداً والتَّارِكِ للقَطيع؛
ذلِكَ التَّارِكُ للسُّنَّةِ مَعَ الجَماعَة، سَفَكَ في مِثْلِ هذا المَسْبَعِ دَمَه؛
السُّنَّةُ هِيَ الطَّرِيقُ والجَماعَةُ كالرَّفيق، بلا طَرِيقٍ ولا رَفِيْقٍ تَقَعُ في المَضِيْق؛
لَيْسَ رَفِيْقَ طَرِيقٍ مَنْ كانَ خَصْماً للعَقْل ، إنَّهُ يَنْتَهِزُ الفُرْصَةَ لِيَسْرِقَ ثَوْبَك؛

يَسِيْرُ مَعَكَ حَتَّى يَجِدَ عَقَبَةً، حَيْثُ يقْدِرُ في ذلِكَ المكانِ أنْ يَنْهَبَكَ؛
أو يكُونُ جَباناً إذا رأى خَوْفاً، أَلْقى عَلَيْكَ دَرْساً لِلرُّجُوعِ عَنِ الطَّريق؛
يَجْعَلُ الرَّفيقَ مِنْ جُبْنِ قَلْبِه وَجِلاً، اعْرِفْ مِثْلَ هذا الرَّفيقِ عَدُوَّاً لا وَلِيَّاً؛
الطَّريقُ مُقامَرَةٌ بالرُّوحِ وَفي كُلِّ مَقْصَبَةٍ، آفَةٌ لِدَفْعِ واهِيْ الرُّوحِ عَنْه؛
طَريقُ الدِّيْنِ مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ مِلْؤهُ فِتْنَةٌ وخَطَر، وَليسَ طَريقَ كُلِّ مُخَنَّثِ الجَوْهَر؛
امتِحاناتُ النُّفُوس في طَريقِ هذا الخَوْفِ، كأنَّها الغِربالُ في تَمْييزِ النِّخالَة؛
ما الطَّرِيقُ هُوَ المَمْلُوءُ بِآثارِ الأَقْدام، ما الصَّديقُ هُوَ سُلَّمُ العزائم؛
افْتَرَضْتُ لَمْ يَجِدْكَ ذاكَ الذِّئْبُ مِنَ الاِحْتياط، أَنْتَ بلا جَماعَةٍ لَنْ تَجِدَ النَّشاط؛
ذاكَ الَّذي يَسِيْرُ حَسَناً وَحْدَهُ في طَرِيق، يَصِيْرُ سَيْرُهُ مَعَ الرِّفاقِ مِئَةَ ضِعْف؛
الحِمارُ على ما بِهِ مِنْ غَلَظَةٍ أَيْ فَقِيْر، يصيرُ أَنْشَطَ وَقابِلاً للقُوَّةِ مِنَ الرِّفاق؛
الحِمارُ الَّذي يَسِيْرُ مُنْفَرِداً عَنِ القافِلَة،يَصِيْرُ لَهُ الطَّريقُ مِئَةَ ضِعْفٍ مِنَ التَّعَب؛
ويُعاني مَزيدَ وَخْزِ سِياخٍ وَضَرْبَ عِصِيّ، حَتَّى يَقْطَعَ وَحِيْداً تِلْكَ الصَّحْراء؛
ذاكَ الحِمارُ يَقُولُ لَكَ فاسْمَعْ جَيِّداً: إنْ لَمْ تَكُنْ حِماراً مِثْلِي لا تَسِرْ وَحِيْداً؛
ذاكَ الَّذي يَسِيْرُ وَحِيْداً سَعِيْداً في الرَّصَد، لا شَكَّ يَسِيْرُ مَعَ الرِّفاقِ أَسْعَد؛
وَكُلُّ نَبِيٍّ في هذا الطَّرِيقِ الصَّحِيْح، أَظْهَرَ المُعْجِزَةَ وَبَحَثَ عَنِ الرِّفاق؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ تَرافُقٌ بَيْنَ الجُدران، متى كانَتْ ظَهَرَتِ البُيُوتُ والمَخازِن؛
لَو كانَ كُلُّ جِدارٍ قامَ مُنْفَرِداً، كَيْفَ يَكُونُ السَّقْفُ مُعَلَّقاً في الهَواء؛
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ تَرافُقٌ بَيْنَ الحِبْرِ والقَلَم، مَتى كانَ خُطَّ على وَجْهِ الأوراقِ رَقَم؛
هذِهِ الحَصِيْرُ الَّتي يَفْرِشُها الشَّخْص، لَو لَمْ تَكُنْ مُتَّصِلَةً بِبَعْضِها حَمَلَتْها الرِّيْح؛
بِما أنَّ الحَقَّ خَلَقَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ زَوْجَيْن، صارَتِ النَّتائِجُ مِنَ الاِجْتِماعِ ظاهِرَة؛
هذا قالَ وهذا قالَ مِنَ الاِهْتِزاز، وَبَحْثُهُما طالَ في هذا المَعْنى؛
اِجْعَلِ المَثْنَوِيَّ مَطْلُوباً وَسَلِساً، وارْوِ ما جَرى مُوْجَزاً وَقَصِيْراً؛

بَعْدَ ذلِكَ قالَ لَهُ لِمَنْ ذلِكَ القَمْحُ، قالَ هُوَ أمانَةٌ مِنْ يَتِيْمٍ بلا وَصِيّ؛
إنَّهُ مالُ أَيْتامٍ وَهُوَ أمانَةٌ عِنْدِيْ، ذلِكَ لأَنَّهُمْ يَرونَني مُؤتَمَناً؛
قالَ أنا مُضْطَرٌّ وَمَجْرُوحُ حال، المَيْتَةُ لِيْ في هذِهِ اللَّحْظَةِ حَلال؛
أما مِنْ دَسْتُورٍ لآكُلَ مِنْ هذا القَمْح، أيْ أمِيْنُ وَأَيْ تَقِيٌّ وأي مُحْتَرَم؛
قالَ أَنْتَ هُوَ المُفْتي بالضَّرُورَةِ أَيْضاً، إنْ أكَلْتَ بلا ضَرُورَةٍ تَكُونُ مُجْرِماً؛
والاِحْتِياطُ أَفْضَلُ مِنَ الضَرُوْرَةِ أيْضاً، وإنْ أَكَلْتَ فادْفَعْ ضَمانَ ذاكَ على الأَقَلّ؛
فَغارَ الطَّائِرُ في النَّفْسِ ذلِكَ الزَّمان، وَحَرَّرَ حِصانُهُ الرَّأْسَ مِنْ جَذْبِ العِنان؛
وَعِنْدَما أَكَلَ ذلِكَ القَمْحَ وَقَعَ في الفَخّ، فَقَرَأَ ياسِيْنَ وَقَرَأَ الأنعامَ مَرَّات؛
بَعْدَ الوُقُوعِ ما الحِيْلَةُ وما الآه، هذا الدُّخانُ الأَسْوَد كانَ واجِباً قَبْلَ ذاكَ؛
في تِلْكَ اللَّحْظَةِ إذْ يَتَحَرَّكُ الحِرْصُ والهَوَس، في تِلَكَ اللَّحْظَةَ فَلْتَقُلْ أَيْ مُغِيْث؛
فَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ قَبْلَ خرابِ البَصْرَة، يُمْكِنُ لِلبَصْرَةِ أنْ تَنْجُوَ مِنْ ذلِكَ الخَراب؛

اِبْكِ لي يا باكِيي يا ثاكِلِي قَبلَ هَدْمِ البَصْرَةِ والمَوْصِلِ
نُحْ عَلَيَّ قَبْلَ مَوتي واغْتَفِرْ لا تَنُحْ لي بَعْدَ مَوتي واصْطَبِرْ
اِبْكِ لي قَبْلَ ثُبُوري في النَّوى بَعْدَ طُوفانِ النَّوى خَلِّ البُكا

الزَّمانَ الَّذي يَصِيْرُ فيهِ الشَّيْطانُ قاطِعَ الطَّريق، ذلِكَ الزَّمانَ يَجِبُ أنْ تَقْرَأَ يس؛
مِنْ قَبْلِ أنْ تَصِيْرَ القافِلَةُ مُحَطَّمَةً، في تِلْكَ اللَّحْظَةِ فَلْتَقْرَعِ الطَّبْلَ أَيُّها الحارِس؛

حِكايَةُ ذلِكَ الحارِسِ الَّذي ظَلَّ صامِتاً حَتَّى أَخَذَ اللُّصُوصُ مَتاعَ التُّجَّارِ كُلَّهُ ، وبعْدَ ذلِكَ راحَ يُطْلِقُ الصَّيْحاتِ وَيَقُومُ بالحِراسَة

نامَ حارِسٌ فَسَرَقَ اللِّصُّ الأمْتِعَة، وَخَبَّأَ البَضائِعَ تَحْتَ كُلِّ تُراب؛
طَلَعَ النَّهارُ واسْتَيْقَظَ أولئِكَ الرَّكْب، فَرَأوا الأَمْتِعَةَ ذَهَبَتْ والمالَ والجِمال؛
فقالُوا لَهُ أَيُّها الحارِسُ تَكَلَّمْ، ماذا جَرى أَيْنَ هِيَ البَضَائِعُ والأمْوال؛

قالَ لَقَدْ جاءَ اللُّصُوصُ تَحْتَ النِّقاب، وَأَخَذُوا الأمْتِعَةَ مِنْ أمامِي سَرِيعاً؛
فقالَ لَهُ القَومُ أَيْ شَبيهَ تَلِّ الرَّمْل، ما كُنْتَ تَفْعَلُ إذَنْ مَنْ تَكُونُ أي مَيِّتَ الرَّمْل؛
قالَ كُنْتُ شَخْصاً واحِداً وَكانُوا جَماعَة، ذاتَ سِلاحٍ وَذاتَ مَهابَةٍ وَذاتَ شَجاعَة؛
قالُوا إذا كانَ لَكَ قَلِيْلُ أَمَلٍ بالحَرْب، فاصْرَخْ صَرْخَةً أَنْ أَيْ كُرَماءُ انْهَضُوا؛
قالَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ جَرَّدُوا السُّيُوفَ والمِدى، أنِ اصْمتْ أو نَقْتُلكَ بلا أَسَف؛
أغْلَقْتُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الفَمَ مِنَ الخَوْف، والآنَ أنا أَقُومُ بالصِّياحِ والصُّراخِ والعَويل؛
تِلْكَ اللَّحْظَةَ انْقَطَعَ نَفَسِيْ ذاكَ عَنِ النُّطْق، هذِهِ اللَّحْظَةَ أصْرُخُ لكُمْ ما أرَدْتُم؛
حِيْنَ يَأخُذُ عُمْرَكَ شَيْطانُ الفاضِحَه، لا تَعُودُ مُسْتَمْلَحَةً *أَعُوْذُ والفاتِحَه*؛
وإنْ كانَ غَيْرَ مُسْتَمْلَحٍ الآنَ الحَنين، الغَفْلَةَ مُسْتَهْجَنَةٌ أَكْثَرَ مِنْ ذاكَ باليَقِيْن؛
وهكذا أيْضاً أي غَيْرَ المَلْيْحِ فاشْكُ، أنِ انْظُرْ أَيْ عَزيزُ نَظَراً إلى الأذِلّاء؛
فَأنتَ قادِرٌ في الوَقْتِ وَفي غَيْرِ الوَقْت، متى كانَ لِشَيْءٍ أنْ يَفُوتَكَ أيْ اَلله؛
مَلِكُ *لا تَأْسَوا على ما فاتَكُمْ*، متى يَصِيْرُ مَطْلُوبٌ خارِجاً عَنْ قُدْرَتِه؛

إحالَةُ الطَّائر وُقُوعَهُ في الشِّباكِ إلى فِعْلِ وَمَكْرِ وَنِفاقِ الزَّاهِدِ وَجَوابُ الزَّاهِدِ للطَّائر

قالَ ذاكَ الطَّائِرُ إنَّ هذا هُوَ الجَزاء، لِمَنْ أَصْغى إلى مَكْرِ وَخِداعِ الزُّهَّاد؛
قالَ الزَّاهِدُ لا بَلْ جَزاءُ ذلِكَ النَّشَّاف، الَّذي أَكَلَ مالَ الأَيْتامِ مِنَ الجُزاف؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ شَرَعَ بالنّواح، حتَّى ارْتَعَشَ الفَخُّ والصَّيَّادُ مِنَ الأَلَم؛
أنْ مِنْ تناقُضاتِ قَلْبي انكَسَرَ ظَهْري، أي حَبيبُ تَعالَ امْسَحْ بِيَدِكَ على رَأْسي؛
تَحْتَ يَدِكَ رَأْسي لها راحَةٌ، يَدُكَ في شُكْرِ العَطاءِ آيَةٌ؛
لا تَرْفَعْ ظِلَّكَ عَنْ رَأْسي، أنا بلا قَرارٍ بلا قَرارٍ بلا قَرار؛

نَفَرَ النَّومُ في غَمِّكَ مِنْ عَيْني، أي مَنْ تُثيرُ غَيْرَةَ السَّرْوِ والياسَمِيْن؛
إنْ كُنْتُ غَيْرَ لائقٍ ما يَكُونُ لَوْ لَحْظَةً، سَأَلْتَ عَنْ غَيْرِ اللَّائقِ المَغْمُوم؛
وَأَيَّ اسْتِحقاقٍ كانَ يَمْلِكُ هذا العَدَمُ، حَتَّى فَتَحَ لَهُ لُطْفُكَ مِثْلَ هذِهِ الأَبْواب؛
الكَرَمُ جَرَحَ التُّرابَ الأجْرَبَ، وَضَعَ لَهُ عَشْرَ جَواهِرَ مِنْ نُورِ الحِسِّ في الجَيْب؛
خَمْسَ حَواسٍّ ظاهِرَةً وَخَمْساً باطِنَةً، فَصارَتْ النُّطْفَةُ المَيْتَةُ مِنْ ذاكَ بَشَراً؛
التَّوبَةُ بلا تَوْفِيْقِكَ أَيُّها النُّورُ العالي، لا تَكُونُ غَيْرَ اسْتِهْزاءٍ بِلِحْيَةِ التَّوْبَة؛
تَقْتَلِعُ شارِبَ التَّوْبَةِ شَعْرَةً شَعْرَةً، التَّوْبَةُ هِيَ الظِّلُّ وَأَنْتَ القَمَرُ المُضيء؛
أي مَنْ خَرُبَ مِنْكَ دُكَّاني وَمَنْزِلي، كَيْفَ لا أَبكِيْ وَأَنْتَ تَعْصِرُ قَلْبي؛
كَيْفَ أَهْرَبُ ولا حَيَّ دُونَكَ، ولا يَكُونُ عَبْدٌ لَولا رُبُوبِيَّتُك؛
خُذْ رُوحِيْ أيْ مَنْ أنتَ للرُّوحِ أُصُول، لأنِّي مِنْ دُونِكَ مِنَ الرُّوحِ مَلُول؛
أنا عاشِقٌ لِفَنِّ الجُنُون، أنا شَبْعانٌ مِنَ العِلْمِ والحِكْمَة؛
كَيفَ أُمَزِّقُ الخَجَلَ وَأَقُولُ السِّرَّ فاشِياً، كَمْ هذا الصَّبْرُ والعَناءُ والاِرْتِعاش؛
صِرْتُ مَخْفِيَّاً في الحَياءِ مِثْلَ السِّجاف، فلأثِبْ فَجْأَةً مِنْ تَحْتِ هذا اللِّحاف؛
أَيُّها الرِّفاقُ أَغْلَقَ الحَبيبُ الدُّرُوب، نَحْنُ غِزلانٌ عُرْجٌ وَهُوَ أَسَدٌ هَصُور؛
ما هِيَ الحِيْلَةُ غَيْرُ التَّسْليمِ والرِّضا، في كَفِّ سَفَّاكِ الدِّماءِ أَسَدِ الشَّرى؛
لا ينامُ ولا يَأْكُلُ كَأَنَّهُ الشَّمْسُ، وَيَجْعَلُ الأرواحَ بلا أكْلٍ ولا نَوم؛
أنْ تعالَ كُنْ أنا أو كُنْ بِطَبْعِي أنا، حَتَّى ترى في التَّجَلِّي وَجْهِي أنا؛
وإنْ لَمْ تَكُنْ رَأَيْتَ كَيْفَ صِرْتَ والِهاً هكذا، كُنْتَ تُراباً وَصِرْتَ طالِباً للإحياء؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ أعطاكَ بلا جِهَةٍ العَلَف، كَيْفَ بَقِيَتْ عَيْنُ رُوحِكَ إلى ذلِكَ الطَّرَف؛
القِطُّ على ذلِكَ الجُحْرِ مُعْتَكِف، لأنَّهُ مِنْ ذلِكَ الجُحْرِ مُعْتَلِف؛
قِطٌّ آخَرُ يَتَرَدَّدُ على السَّطْح، لأنَّهُ وَجَدَ مِنْ صَيْدِ الطُّيُورِ الطَّعام؛
ذاكَ واحِدٌ صارَ لَهُ النَّسْجُ قِبْلَةً، وذاكَ واحِدٌ حارِسٌ مِنْ أَجْلِ الأُجْرَة؛

وذاكَ واحِدٌ عاطِلٌ والوَجْهُ في اللّامكان، فَمِنْ تِلْكَ الجِهَةِ أَعْطَيْتَهُ قُوْتَ الرُّوح؛
عَمَلُهُ أَنَّهُ صارَ مُريداً للحَقّ، مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِ انْقَطَعَ عَنْ كُلِّ عَمَل؛
الآخَرُونَ كالأطْفالِ في هذِهِ الأَيَّامِ القَليْلَة، يَقُومونَ باللَّعِبِ إلى لَيْلَةِ التِّرْحال؛
النَّائِمُ الَّذي فَرَّ مُسْرِعاً مِنَ اليَقَظَة، تَخْدَعُهُ وَتُمَنّيْهِ حاضِنَةُ الوَسْواس؛
أَنْ اذْهَبْ وَنَمْ أَيْ حَبيبُ نَحْنُ لا نَسْمَحُ ، بِأَنْ يَجْعَلَكَ شَخْصٌ تَنْفِرُ مِنَ النَّوم؛
أنتَ أيْضاً اقْلَعِ النَّفْسَ مِنْ جَذْرِ النَّوم، مِثْلَ ظَمْآنٍ سَمِعَ صَوْتَ الماء؛
أنا صَوْتُ الماءِ أنا في أُذُنِ الظِّماء، مِثْلَ المَطَرِ يَنْزِلُ مِنَ السَّماء؛
فانْتَفِضْ أَيْ عاشِقُ وَقُمْ بالاِضْطِراب، أَصَوتُ الماءِ وَأَنْتَ ظامِئٌ ثُمَّ آنَذاكَ نَوْم؛

حِكايَةُ ذلِكَ العاشِقِ الَّذي جاءَ لَيْلاً على أَمَلِ وَعْدِ المَعْشُوقَةِ إلى تِلْكَ الحُجْرَةِ الَّتي كانَتْ أشارَتْ لَهُ عَلَيْها ، وَبَقِيَ مُنْتَظِراً جُزْءاً مِنَ اللَّيْل ثُمَّ اخْتَطَفَهُ النَّوم، وجَاءتِ المَعْشُوقَةُ لإنجازِ الوَعْدِ فَوَجَدَتْهُ نائِماً فَمَلأتْ جَيْبَهُ بالجَوْزِ ، وَتَرَكَتْهُ نائِماً وَرَجَعَتْ

عاشِقٌ كانَ في سالِفِ الأيَّام، كانَ حافِظاً للعَهْدِ في عَهْدِ نَفْسِه؛
ظَلَّ سِنينَ في قَيْدِ وَصْلِ قَمَرِهِ، مَقْتُولاً مَغْلُوباً لِمَلِكِهِ ذاكَ مَلِكِ المُلُوك؛
والعاقِبَةُ أَنَّ كُلَّ طالِبٍ واجِدٌ، إنَّ الفَرَجَ مَولُودٌ مِنَ الصَّبْر؛
قالَتْ لَهُ حَبيبَتُهُ يَوماً تعالَ اللَّيْلَةَ، فإنَّني سَوْفَ أَطْبِخُ مِنْ أَجْلِكَ اللُّوبياء؛
اجْلِسْ في تِلْكَ الحُجْرَةِ إلى مُنْتَصَفِ اللَّيْل، وَأنا أجِيْءُ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ بلا طَلَبْ؛
قَرَّبَ الرَّجُلُ قُرْباناً وَوَزَّعَ الخُبْزَ عَطاءً، لَمَّا صارَ قَمَرُهُ مِنْ خَلْفِ الغمامِ ظاهِراً؛
جَلَسَ ذلِكَ المُحِبُّ في تِلْكَ الحُجْرَةِ لَيْلاً، على أَمَلِ وَعْدِ رَفيقِ الغارِ ذاك؛
بَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ جاءَتْ حَبيبَتُهُ ، جاءَتْ مَعْشُوقَتُهُ تِلْكَ صادِقَةُ الوَعْد؛
رَأَتْ عاشِقَها وَقَدْ أَخَذَهُ النَّوم، فَشَقَّتْ شِقّاً صَغيراً في كُمِّ ثَوبِهِ؛

وَضَعَتْ في جَيْبِهِ بَعْضاً مِنَ الجَوز، أنْ أنتَ طِفْلٌ خُذْ هذا والْعَبِ النَّرْد؛
عِنْدَما نَهَضَ العاشِقُ في السَّحَرِ مِنَ النَّوْم ، وَرأى الكُمَّ مَشْقُوقاً وَرأى الجَوْز؛
قالَ مَلِكُنا كُلُّهُ وَفاءٌ وَصِدْقٌ ، كُلُّ ما يَصِلُ إلَيْنا وَصَلَ مِنَّا لنا؛
أي قَلْبَنا بلا نَومٍ نَحْنُ مِنْ هذا آمِنُون، نَحْنُ كالحَرَسِ على السَّطْحِ نَقْرَعُ الطَّبْل؛
جَوزُنا طُحِنَ في هذا المَطْحَن، كُلُّ ما نَقُولُ عَنْ غَمِّنا قَليل؛
عاذِلا كَمْ تَحْذيرُكَ مِنَ الحَوادِث، بَعْدَ هذا أَقِلَّ نُصْحَ المَجْنُون؛
أنا لا أُرِيْدُ سَماعَ تَخْويفَ الهِجْران، جَرَّبْتُ، كَمْ أُرِيْدُ أنْ أُجَرِّب؛
كُلُّ ما سِوى الجُنُون والإِضْطِراب، في هذا الطَّرِيْقِ بُعْدٌ وَاغْتِراب؛
هَيَّا ضَعْ في قَدَمِيْ الزِّنْجِيْر، فَقَدْ مَزَّقْتُ سَلْسَلَةَ التَّدْبير؛
غَيْرَ تِلْكَ الجَدِيْلَةِ مِنْ مَعْشُوقِيَ المُقْبِل، لَوْ جِئْتَ بِمائتَي زَنْجِيْرٍ أُحَطِّمُها؛
العِشْقُ والرِّفْعَةُ لا يَتَّفِقانِ أَي أخ، على بابِ الرِّفْعَةِ أي عاشِقُ لا تَقِفْ؛
لَقَدْ جاءَ الوَقْتُ لِكَيْ أَصِيْرَ عُرياناً، وَأَدَعَ الرُّسُومَ وَأَصِيْرَ قاطِبَةً رُوحاً؛
تعالَ أَيْ عَدُوَّ الفِكْرِ والحَياء، فَقَدْ مَزَّقْتُ حِجابَ الخَجَلِ والحَياء؛
أَيْ مَحْبُوسَ نَوْمِ الرُّوحِ مِنَ السِّحْر ،أنتَ قاسِيْ القَلْبِ أي عزيزُ أنتَ في عالَمِك؛
هَيَّا أمْسِكْ بِحَلْقِ الصَّبْرِ واضْغَطْ، لِيَصِيْرَ قَلْبُ العِشْقِ راضِياً أي فارِس؛
ما لَمْ أَحْتَرِقْ متى يَصِيْرُ راضِياً قَلْبُهُ، أي مَنْ قَلْبُنا أهْلُهُ وَمَنْزِلُهُ؛
أنتَ تَحْرِقُ مَنْزِلَكَ ألا فاحْرِقْ، مَنْ ذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي يَقُولُ لا يَجُوز؛
أَيُّها الأسَدُ السَّكرانُ اِحْرِقْ هذا المَنْزِلَ حَسَناً، إنَّ مِثْلَ هذا أولى بِمَنْزِلِ العاشِق؛
بَعْدَ هذا سَأَجْعَلُ مِنْ هذا الحَريقِ قِبْلَةً، ذاكَ لأنِّيَ شَمْعٌ وأنا مِنْ حَرْقِهِ أُضِيْء؛
فاتْرُكِ النَّومَ هذِهِ اللَّيْلَةَ أَيْ أَب، لَيْلَةً مُرَّ في حِمى مَنْ هُمْ بلا نَوم؛
أُنْظُرْ هؤلاءِ فَقَدْ صارُوا مَجانين، يُقَتَّلُونَ بالوَصْلِ كما يُقَتَّلُ الفَراش؛
أُنْظُرْ مَرْكَبَ الخَلْقِ غَرِيقَ العِشْق، كأنَّ حَلْقَ العِشْق صارَ أَفْعى؛

أفْعى خَفِيَّةً تَخْطِفُ القَلْب، تَجْذِبُ العَقْلَ الرَّاسِخَ كالجَبَلِ كالمَغْناطِيْس؛
عَقْلُ كُلِّ عَطَّارٍ صارَ عالِماً بِها، أراقَ آنِيَةَ العِطْرِ في ماءِ النَّهْر؛
اِذْهَبْ فَمِنْ هذا النَّهْرِ لَنْ تَجِدَ للأَبَد، *لَمْ يَكُنْ حَقّاً لَهُ كُفُواً أَحَد*؛
أَيْ مُزَوِّرُ افْتَحِ العَيْنَ وانْظُرْ، كم تَقُولُ لا أَعْرِفُ هذا وَذاك؛
واخْرُجْ مِنْ وباءِ النِّفاقِ والتَّزْوير، وادْخُلْ في عالَمِ الحَيِّ والقَيُّوم؛
حَتَّى *لا أرى* مِنْكَ تَصِيْرُ *أرى*، وكُلُّ *لا أَعْلَمُ* مِنْكَ تَصِيْرُ *أعلَم*؛
فاعْبُرْ مِنَ السُّكْرِ وَصِرْ واهِبَ السُّكْر، وانتَقِلْ مِنْ هذا التَّلَوُّنِ إلى *اسْتِوائِه*؛
كَمْ تَدَلَّلُ مِنْ هذا السُّكْرِ كَفى، كُثُرٌ في كُلِّ حَيٍّ هُمُ السُّكارى؛
سُكارى الحَبيبِ وَلَوْ مَلأوا العالَمَينِ ، يكُونُونَ واحِداً وذاكَ الواحِدُ لَيْسَ بِهَيِّنٍ؛
هذا مِنَ الكَثْرَةِ لا يَجِدُ الهَوان، الذَّليلُ مَنْ يكُونُ؟، هُوَ عابِدُ البَدَنِ النَّارِيُّ؛
لَوْ امْتَلأَ العالَمُ مِنْ نُوْرِ الشَّمْس، مَتى تَصِيْرُ ذلِيْلَةً تِلْكَ الحَرارَةُ حَسَنَةُ الإلْتِهاب؛
لكِنْ مَعَ هذا الجَمِيْع امْشِ بِدَلالٍ واعْلُ، ما دَامَتْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً وهادِئَة؛
رَغْمَ أنَّ هذا السُّكْرَ كالبازِ الأَشْهَب، هُناكَ أعلى مِنْهُ في الأرْضِ القُدُس؛
اِذْهَبْ وَصِرْ إسرافيلِيَّاً بامْتِياز، في نَفْخِ الرُّوحِ وسَكْرانَ وَصانِعَ سكارى؛
السَّكرانُ إذْ صارَ القَلْبُ مِزاجَ الفِكْر، صارَ *لا أَعْلَمُ هذا ولا أَعْلَمُ ذاكَ* لَهُ عادَة؛
لا أَعْلَمُ هذا ولا أَعْلَمُ ذاكَ مِنْ أجْلِ ماذا، حتَّى تَقُولَ ذاكَ الَّذي نَعْلَمُ ما يَكُون؛
النَّفْيُ يكُونُ مِنْ أَجْلِ الإثْباتِ في الحَديث، فاتْرُكِ النَّفْيَ وابْدَأْ مِنَ الإثْبات؛
ألا فَلْتَدَعْ *لَيْسَ هذا وَلَيْسَ ذاكَ*، اِبْدَأْ بِتَقْدِيْمِ ذاكَ الَّذي هُوَ مَوجُود؛
أُتْرُكِ النَّفْيَ وَعابِدَ الوُجُودِ ذاكَ أَيْضاً ، وَتَعَلَّمْ هذا مِنَ التُّركِيُّ السَّكْرانَ أَيْ أَب؛

اسْتِدْعاءُ أَمِيْرٍ تُرْكِيٍّ مَخْمُورٍ لِمُطْرِبٍ في وَقْتِ الصَّبُوح ،
وَتَفْسِيْرُ هذا الحَديثِ : إنَّ للهِ تعالى شَراباً أَعَدَّهُ لأوليائِهِ
إذا شَرِبُوا مِنْهُ سَكِرُوا وإذا سَكِرُوا طابُوا إلى آخِرِ الحَديث

الخَمْرُ تَجِيْشُ في دَنِّ الأسرار ، لِيَشْرَبَ كُلُّ مُجَرَّدٍ مِنْ تِلْكَ الخَمْر

قالَ اللهُ تعالى إنَّ الأبرارَ يَشْرَبُون

هذِهِ الخَمْرُ الَّتي أنتَ تَشْرَبُ حَرامٌ، نَحْنُ لا نَشْرَبُ الخَمْرَ إلَّا حَلالا
اجْتَهِدْ كَيْ تَصِيْرَ مَوْجُوداً مِنَ العَدَم، وَتَصِيْرَ سَكْرانَ مِنْ شرابِ الله

أَعْجَمِيٌّ تُرْكِيٌّ صحا في السَّحَرِ، وَمِنْ خُمارِ الخَمْرِ طَلَبَ مُطْرِباً؛
مُطْرِبُ الرُّوحِ مُؤنِسٌ لِلسُّكارى، ذاكَ نُقْلٌ وَقُوْتٌ وَقُوَّةٌ للسُّكارى؛
المُطْرِبُ يَشُدُّهُمْ إلى جِهَةِ السُّكْر، البازُ مِنْ نَفَسِ المُطْرِبِ طَعِمَ السُّكْر؛
ذاكَ نالَ شَرابَ الحَقِّ مِنْ ذاكَ المُطْرِب،وذا عَبَّ شرابَ البَدَنِ مِنْ هذا المُطْرِب؛
كلاهُما بالإسْمِ نَفْسِهِ في اللَّفْظِ لكِنْ، شَتَّانَ ما بَيْنَ هذا الحَسَن وَذاكَ الحَسَن؛
رُبَّ لَفْظٍ لَهُ اشْتِباهٌ في البيان، لكِنْ أينَ الرَّسَنُ مِنَ السَّماء(ريسمان مِنْ آسْمان)؛
اشْتِراكُ اللَّفْظِ دائماً قاطِعُ طَريق، المُؤمِنُ والمَجُوْسِيُّ مُشْتَرِكانِ في البَدَن؛
الأجْسامُ مِثْلَ جِرارٍ مُغْلَقَةِ الرَّأْسِ، أُنْظُرْ في الجِرارَ لِتَعْلَمَ ما يُوْجَدُ في كُلِّ جَرَّة؛
جَرَّةُ ذلِكَ البَدَنِ مَمْلُوءَةٌ مِنْ ماءِ الحَياة، وَجَرَّةُ هذا البَدَنِ مَمْلُوءَةٌ مِنْ سُمِّ المَمات؛
إنْ كُنْتَ تَنْظُرُ إلى مَظْرُوفِهِ فَأَنْتَ مَلِكٌ، وإنْ كُنْتَ تَنْظُرُ إلى ظَرْفِهِ فَأَنْتَ ضالّ؛
اعْرِفِ اللَّفْظَ شَبيهاً بِهذا الجِسْم، واعْرِفْ مَعْناهُ في الدَّاخِلِ شَبيهاً بالرُّوح؛
عَيْنُ البَدَنِ تَنْظُرُ إلى البَدَنِ دائِماً، عَيْنُ الرُّوحِ تَنْظُرُ إلى الرُّوحِ المَلِيْئَةِ بالفَنّ؛
إذَنْ مِنْ نَقْشِ أَلْفاظِ المَثْنَوِيّ، ضَلَّ الصُّوريُّ واهْتَدى المَعْنَوِيّ؛

في القُرْآنِ مُقَرَّرٌ أَنْ هذا القُرْآنَ في الباطِنِ، هادٍ للبَعْضِ وَمُضِلٌّ للبَعْض؛
اللهَ اللهَ إذا ما ذَكَرَ العارِفُ الخَمْرَ، وَعِنْدَ العارِفِ متى كانَ شَيْءٌ مَعْدُوماً؛
فَهْمُكَ كانَ مِثْلَ خَمْرَةِ الشَّيْطان، متى كانَ لَكَ تَخَيُّلُ خَمْرَةِ الرَّحْمن؛
المُطْرِبُ والشَّرابُ شَريكان، هذا يَجِيْءُ بِذاكَ وذاكَ يَأتي بِذا سَريعاً؛
كامِلُو الخُمارِ يَغْتَذُونَ مِنْ أنفاسِ المُطْرِب، والمُطْرِبُونَ يَحْمِلُونَهُمْ جِهَةَ الخَمَّارَة؛
إلى رَأْسِ ذاكَ المَيَدانِ وهذِهِ نِهايَتُهُ، وقَدْ صارَ القَلْبُ مِثْلَ الكُرَةِ تَحْتَ عصاه؛
الأُذُنُ تَمضي إلى ما يكونُ في الرَّأْس، لَو كانَ في الرَّأْسِ صَفَرٌ صارَ سُوَيداء؛
بَعْدَ ذلِكَ هذانِ الإثْنانِ يَذْهَبانِ في الدَّهْشَةِ، الوالِدُ والمَوْلُودُ يَصِيْرانِ هُناكَ واحِداً؛
عِنْدَما تَصالَحَ السُّرُورُ والأَلَم، تُرْكِيُّنا أَيْقَظَ المُطْرِبين؛
وَشَرَعَ المُطْرِبُ بِبَيْتٍ وَهُوَ نَعْسان، *أَنْ أَنِلْنِي الكَأْسَ يا مَنْ لا أَراك*؛

أَنتَ وَجْهِيْ لا عَجَبْ أَنْ لا أَراهْ غايَةُ القُرْبِ حِجابُ الإشْتِباهْ
أنتَ عَقْلي لا عَجَبْ إنْ لَمْ أَرَكْ مِنْ وُفُورِ الإِلْتِباسِ المُشْتَبَكْ
جِئْتَ لِيْ أَقْرَبَ مِنْ حَبْلِ الوَريد كَمْ أَقُلْ يا ، يا نِداءٌ للبَعِيْد
بَلْ أُغالِطُهُمْ أُنادِيْ في القِفارْ كَيْ أُكَتِّمْ مَنْ مَعِيْ مِمَّنْ أَغارْ

دُخُولُ ضَريرٍ إلى مَنْزِلِ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلام وَهَرَبُ عائِشَة مِنْ أمامِ الضَّرير وَقَولُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ ما هُرُوبُكِ هُوَ لا يَراكِ وَجَوابُ عائِشَة للرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم

لَقَدْ تَقَدَّمَ إلى أمامِ الرَّسُولِ ضَرير، أنْ أَيْ واهِبَ النَّوى لِتَنُّوْرِ كُلِّ خَمِيْر؛
أَنتَ أميرُ الماءِ وَأَنا المُسْتَسْقِي، المُسْتَغاثَ المُسْتَغاثَ أَيْ ساقِيَّ؛
حِيْنَ دَخَلَ ذاكَ الضَّريرُ مُسْرِعاً مِنَ الباب، عائِشَةُ هَرَبَتْ لأَجْلِ الإحْتِجاب؛

ذلِكَ أنَّ تِلْكَ السَّيِّدَةَ الطَّاهِرَة، كانَتْ واقِفَةً على غَيْرَةِ الرَّسُولِ الغَيُور؛
كُلُّ مَنْ كانَ أَجْمَلَ يُغارُ عَلَيْهِ أَكْثَر، ذاكَ أنَّ الغَيْرَةَ تَجِيْءُ مِنَ المالِ أَو البَنُون؛
عجائزُ النِّساءِ يُهْدِيْنَ الزَّوجَ الخِضابَ، لأنَّهُنَ عالِماتٌ بالقُبْحِ والعَجْزِ؛
بِما أنَّ الجَمالَ الأَحْمَدِيَّ في كِلا الكَوْنَيْن، يَجِدُ العَوْنَ مِنَ الجَمالِ الإلهِيّ؛
لُطْفُ كلا الكَونَيْنِ صارَ واصِلاً إِلَيْه، وَصارَتِ الغَيْرَةُ لِتِلْكَ الشَّمْسِ مِئَةَ ضِعْف؛
أَنْ أَلْقَيْتُ في كَيْوانَ الكُرَةَ، خَبِّئِي الوُجُوهَ أيْ نُجُومُ هَيَّا؛
صِيْروا فانِيْنَ في شُعاعِيْ بلا نَظِيْر، أو تَصِيْروا مَفْضُوحِيْنَ أمامِ نُوري؛
أنا مِنَ الكَرَمِ أَصِيْرُ غائباً كُلَّ لَيْلَةٍ، وَمَتى أرُوحُ إلَّا أنَّني أُظْهِرُ أَنِّي أرُوح؛
كَيْ تَصِيْروا مِنْ دُوني لَيْلَةً كالخَفَّاش، تَطِيْرونَ بالأَجْنِحَةِ حَوْلَ هذا المَطار؛
تَعْرِضُونَ الجَناحَ مِثْلَ الطَّواويس، تَصِيْرُونَ مُجَدَّداً سكارى ومُعانِدِيْنَ وَمُعْجَبين؛
أُنْظُرُوا إلى أَقْدامِكُمْ قَبيحَةِ الشَّكْلِ تِلْكَ، مِثْلَ الحِذاءِ القَدِيْمِ الَّذي كانَ شَمْعَ إياز؛
أظْهِرُ الوَجْهَ صُبْحاً مِنْ أَجْلِ التَّأديب،كَيْ لا تَصِيْروا مِنَ الأنا مِنْ أَهْلِ الشِّمال؛
أُتْرُكْ ذاكَ الحَديثَ فَذاكَ الحَدِيْثَ طَويلٌ، فَقَدْ جاءَ بالنَّهْيِ عَنِ التَّطْويلِ أَمْرُ كُنْ؛

امْتِحانُ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلامُ لِعائِشَة أنْ لِماذا تَخْتَبْئِيْنَ، لا تَخْتَبِئِيْ فإنَّ الأَعْمى لا يَراكِ ، لِيَصِيْرَ ظاهِراً أَعائِشَةُ واقِفَةٌ على ضَمِيْرِ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلامُ أَمْ مُقَلِّدَةٌ للقَوْلِ الظَّاهِر

قالَ النَّبِيُّ مِنْ أَجْلِ الاِمْتِحان، هُوَ لا يَراكِ أَقِلِّيْ الاِخْتِباء؛
قالَتْ عائِشَةُ إشارَةً بِاليَدَيْن، هُوَ لا يَرى وَلكِنَّني أراه؛
غَيْرَةُ العَقْلِ على جَمالِ الرُّوح، مَمْلُوءٌ بالتَّشْبِيْهاتِ والتَّمْثِيْلِ هذا النَّصُوح؛
مَعَ كُلِّ هذا الخَفاءِ الَّذي لِهذِهِ الرُّوح، لِمَ يغارُ العَقْلُ عَلَيْها إلى هذا القَدْر؛
مِمَّنْ تَقُومُ بالاِخْتِباءِ أَيْ غَيُورَ الطَّبْع، أَيْ مَنْ وَجْهُهُ مُحَجَّبٌ بِنُورِه؛

هذِهِ الشَّمْسُ تَمْشي بلا نِقاب، فَرْطُ نُورِها لِوَجْهِها نِقاب؛
فَمِمَّنْ تَخْتَفِيْ أَي ذا الغِيَر، والشَّمْسُ لا ترى مِنْهُ الأَثَر؛
الغَيْرَةُ مِنْ ذاكَ تزيدُ أكْثَرَ في بَدَنِي، حتَّى لَأُريدُ إِخْفاءَهُ عَنْ نِفسِهِ أَيْضاً؛
مِنْ نارِ الغَيْرَةِ الشَّدِيْدَةِ الَّتي تَقْصِدُني، حديثي وَعَيْني وَأُذُني في حَرْبٍ مَعِي؛
ما دُمْتَ بِمِثْلِ هذِهِ الغَيْرَةِ أَيُّها الرُّوحُ والقَلْب، أَغْلِقِ الفَمَ إِذَنْ واتْرُكِ القَوْل؛
أَخْشى لَوْ صَمَتُّ أنْ تَقُومَ تِلْكَ الشَّمْسَ، بِتَمْزيقِ الحِجابَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرى؛
في الصَّمْتِ يَصِيْرُ قَولُنا أَظْهَر، مِنْ مَنْعِ ذاكَ يَصِيْرُ المَيْلُ أَكْثَر؛
إذا زَمْجَرَ البَحْرُ صارَ جَيَشانُهُ زَبَداً، يَصِيْرُ جَيَشانَ *أَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ*؛
قَولُ الحَرْفِ إِغْلاقٌ لِتِلْكَ النَّافِذَة، عَيْنُ إظهارِ الحَدِيْثِ يَكونُ إِخْفاءً؛
قُمْ بالصُّراخِ كالبلابِلِ في وَجْهِ الوَرْد، لِتَجْعَلَهُمْ مَشْغُولِيْنَ عَنْ عَبيرِ الوَرْد؛
حتَّى يَصِيْرَ مَشْغُولاً بالقَوْلِ سَعْيُهُم، فلا يَطِيْرَ جِهَةَ وَجْهِ الوَرْدِ وَعْيُهُم؛
أمامَ هذِهِ الشَّمْسِ الَّتي هِيَ مُنيرَةٌ جِدَّاً، كُلُّ دَلِيْلٍ يَكُونُ في الحَقيقَةِ قاطِعَ طَرِيق؛

حِكايَةُ ذلِكَ المُطْرِبِ الَّذي بَدَأَ بِهذا الغَزَلِ في مَحْفَلِ الأميرِ التُّرْكِيّ:

أَوَرْدٌ أنتِ أمْ سَوْسَنٌ أمْ سَرْوٌ أمْ قَمَرٌ لا أدْري

ماذا تُريدِيْنَ مِنْ هذا العَلِيْلِ الولْهانِ لا أَدْري

وَصُراخُ التُّرْكِيّ بِهِ أنْ قُلْ ما تَدْري ، وَجَوابُ المَطْرِبِ للأمير

شَرَعَ المُطْرِبُ أمامَ التُّرْكِيِّ السَّكْران، بِنَغْمَةِ أَسْرارِ *أَلَسْتُ* في الحِجاب؛
لَسْتُ أَدْري أَأَنْتَ وَثَنٌ أَمْ قَمَر، لَسْتُ اَدري ماذا تُريدُ مِنّي؛
لَسْتُ أَدْري بِأَيَّةِ خِدْمَةٍ آتيكَ، آتيكَ بالصَّمْتِ أَمْ آتيكَ بالعِبارَة؛
عَجَبي لَسْتَ عَنّي بِمُنْفَصِلٍ، لَسْتُ أَدْري أنا أَيْنَ وَأَنْتَ أَيْن؛
لَسْتُ أَدْري كَيْفَ تَقُومُ بِجَذْبي، حِيْناً على الصَّدْرِ وَحِيْناً مُضَرَّجاً بِدَمِي؛

هكذا فَتَحَ الشِّفاهَ بالقَوْلِ لَسْتُ أَدْري، يُرَدِّدُ على النَّغَمِ لَسْتُ أدري لَسْتُ أدري؛
عِنْدَما جاوَزَ الحَدَّ بالقَوْلِ لَسْتُ أَدْري ، مَلَّ تُرْكِيُّنا مِنْ هذِهِ الحَرارَةِ مِنَ العَجَب؛
انتَفَضَ ذلِكَ التُّرْكِيُّ وَأَمْسَكَ بِدَبُّوسٍ، حَتَّى يَضْرِبَ بِهِ رَأْسَ ذاكَ المُطْرِب؛
أَمْسَكَ قائدٌ مِنَ الأعْوانِ بالدَّبُّوسِ باليَد، قالَ لا فَقَتْلُ المُطْرِبِ هذِهِ اللحْظَةَ سَيِّئ؛
قالَ هذا التِّكْرارُ مِنْهُ بلا حَدٍّ ولا طَعْم، آذى طَبْعي سَأَضْرِبُ رَأْسَه؛
أي دَيُّوثُ إذا كُنْتَ لا تَدْري فلا تَهْذي، وإنْ كُنْتَ تَدْري فَقَعْ على المَقْصُود؛
قُلْ ذاكَ الَّذي تَدْري أيُّها المَهْووس، لا تَسْتَمِرَّ بالقَولِ *لا أدري لا أدري*؛
أنا أَسْأَلُكَ مِنْ أَيْنَ أنتَ أَيْ مُرَى، تَقُولُ لسْتُ مِنْ بَلْخٍ ولا مِنْ هِرى؛
ولا مِنْ بَغْدادَ ولا المَوْصِلِ ولا طِراز، وتَسْتَمِرُّ في قَولِ *لا* ، و*لا* طَرِيقٌ طَويل؛
قُلْ أنا مِنْ مكانِ كذا افْتَحِ الطَّريق، فإنَّ تَنْقِيْحَ المَناطِ هذا بلا مَحَلّ؛
أو أَسْأَلُكَ ماذا أَكَلْتَ على الفُطُور، فَتَقُولُ لَمْ أَشْرَبِ الشَّرابَ وَلَمْ آكُلِ الكَباب؛
ولا القَدِيْدَ ولا الثَّرِيْدَ ولا العَدَس، فَلْتَقُلْ ذاكَ الَّذي أَكَلْتَ وَحْدَهُ وَحَسْب؛
اجْتِرارُ الكلامِ الطَّويلِ مِنْ أَجْلِ ماذا، قالَ المُطْرِبُ ذاكَ لأَنَّ مَقْصُوديْ خَفِيّ؛
يَهْرَبُ الإثباتُ مِنْ أمامِ نَفْيِك، قُمْتُ بالنَّفْيِ لِتَحْصَلَ مِنَ الإثْباتِ على عَبير؛
في اللَّحْنِ آتي بِهذا النَّفْيِ في الغِناءِ ، عِنْدَما تَمُوتُ يَقُولُ لَكَ المَوتُ السِّرّ؛

تَفْسيرُ قَولِهِ عَلَيْهِ السَّلام : مُوتُوا قَبْلَ أنْ تَمُوتُوا

مُتْ أَي صَديقُ قَبْلَ المُوتِ إنْ كُنْتَ طالِبَ الحَياة
فإنَّ إدْريسَ مِنْ مِثْلِ هذا المَوْتِ صارَ للجَنَّةِ قَبْلَنا

كَمْ آذَيْتَ الرُّوحَ وأنْتَ في الحِجاب، لأنَّ المَوتَ كانَ الأَصْلَ وَلَمْ تَجِئْ بِهِ؛
ما لَمْ تَمُتْ لا تَنْتَهِي مُعاناةُ الرُّوح، بلا إكمالِ صُعُودِ السُّلَّمِ لا تَصِلُ لِلسَّطْح؛
إذا فُقِدَتْ دَرَجَتانِ مِنْ مِئَةِ دَرَجَة، حُرِّمَ على السَّاعِي الوُصُولُ إلى السَّطْح؛
إذا نَقُصَ مِنَ الحَبْلِ ذِراعٌ مِنْ مِئَةِ ذِراع، متى يَدْخُلُ الماءُ في الدَّلْوِ مِنَ البِئْر؛
لَنْ تَصِلَ إلى إغْراقِ هذِهِ السَّفِيْنَةِ أَيْ أمير،حَتَّى تَضَعَ في داخِلِها المَنَّ الأخير؛
اِعْرِفِ المَنَّ الأخِيْرَ أَصْلاً فَهُوَ طارِق، مَرْكَبُ الوَسْواسِ والغَيِّ مِنْهُ غارِق؛
سَفِيْنَةُ الوَعْيِ حَيْنَ تَغْرَق، تَصِيْرُ شَمْسَ الفَلَكِ الأزرَق؛
إذا لَمْ تَمُتْ يَصِيْرُ نَزْعُ الرُّوحِ طَويلاً، مُتْ في الصُّبْحِ كالشَّمْعِ أي طِرازَ الشَّمْع؛
ما لَمْ تَصِرْ نُجُومُنا مُخْتَفِيَةً، اِعْلَمْ أنَّ شَمْسَ العالَمِ تَظَلُّ مُخْتَفِيَةً؛
فاضْرِبِ النَّفْسَ بالعَصا واحْطِمِ الأنا، ذلِكَ لأنَّ قِطْنَ الأُذُنِ هُوَ عَيْنُ البَدَن؛
أنتَ تَضْرِبُ نَفْسَكَ بِعَصاكَ أي دَنِيّ، هذِهِ الأنانِيَةُ مِنْكَ مُنْعَكِسَةٌ في فِعالي؛
رَأَيْتَ صُورَةَ نَفْسِكَ في صُورَتي، فَرُحْتَ هائِجاً في قِتالِ نَفْسِكَ؛
مِثْلَ ذاكَ الأَسَدِ الَّذي نَزَلَ في البِئْر، رأى صُورَةَ نَفْسِهِ فَظَنَّها خَصْمَه؛
نَفْيُ ضِدِّ الوُجُودِ واجِبٌ بلا شَكّ، لِتَعْرِفَ مِنَ الضِّدِّ قليلاً عَنِ الضِّدِّ؛
لا إعلامَ هذا الزَّمانَ غَيْرُ نَفْيِ الضِّدّ، لا لَحْظَةَ في هذِهِ النَّشْأَةِ بلا فَخّ؛
يَجِبُ الكَوْنُ بلا حِجابٍ أي ذا اللُّباب، اِخْتَرِ المَوتَ وَمَزِّقْ ذلِكَ الحِجاب؛
لا مِثْلَ ذلِكَ المَوْتِ الَّذي تَذْهَبُ بِهِ للقَبْر، بَلْ موتٌ تَبْديلِيٌّ تَذْهَبُ بِهِ في النُّور؛
ماتَ ذلِكَ الطِّفْلُ وصارَ رَجُلاً بالِغاً، صارَ رُومِيّاً وامَّحَتْ عَنْهُ صِبْغَةُ الزِّنْجِيّ؛
صارَ التُّرابُ ذَهَباً لَمْ تَبْقَ هَيْأَةُ التُّراب، صارَ الغَمُّ فَرَحاً لَمْ تَبْقَ شَوكَةُ الغَمّ؛
المُصْطَفى مِنْ هذا قالَ أَيْ طالِبَ الأَسْرار، أنْ إذا أَرَدْتَ أنْ تَرى مَيّتاً حَيَّاً؛
يَسِيْرُ فَوْقَ التُّرابِ مِثْلَ الأحْياء، مَيّتٌ وَرُوحُهُ عَلَتْ في السَّماء؛
لِرُوحِهِ هذِهِ اللَّحْظَةَ مَسْكَنٌ في الأعْلى، فإذا هُوَ ماتَ لا يَكُونُ لِرُوحِهِ نَقْل؛

ذاكَ أنَّهُ حَصَلَ لَهُ قَبْلَ المَوتِ النَّقْل، هذا يجِيْءُ فَهْمُهُ بالمَوتِ لا بالعَقْل؛
نَقْلٌ لا يَكُونُ مِثْلَ نَقْلِ رُوحِ العوامّ، هكذا نَقْلٌ يَكُونُ مِنْ مقامٍ إلى مَقام؛
كُلُّ مَنْ أرادَ أنْ يَرى على الأرْض، مَيّتاً يَسِيْرُ ظاهِراً هكذا؛
قُلْ لَهُ انْظُرْ أبا بَكْرٍ التَّقِيّ، صارَ مِنْ صِدْقِهِ أَمِيْرَ المُحْشَرِيْن؛
أُنْظُرْ في هذِهِ النَّشْأَةِ إلى الصِّدّيْق، حَتَّى تَصِيْرَ بالحَشْرِ زائِدَ التَّصْدِيْق؛
فَمُحَمَّدٌ صارَ مِئَةَ قِيامَةٍ نَقْدا، ذاكَ لأنَّهُ حَلَّ في الفَناءِ حَلّاً وَعَقْدا؛
أَحْمَدُ المَولُودُ ثانِيَةً في الدُّنيا، كانَ مِئَةَ قِيامَةٍ في العِيان؛
وَيَسْأَلُونَهُ عَنِ القِيامَة، أَيْ قِيامَةُ كَمْ بَقِيَ للقِيامَة؛
وَكَمْ كانَ يَقُولُ لَهُمْ بِلِسانِ الحال، أَيَسْأَلُ شَخْصٌ المَحْشَرَ عَنِ الحَشْر؛
مِنْ أَجْلِ هذا قالَ ذاكَ الرَّسُولُ حَسَنُ الخِطاب، *رَمْزَ مُوتُوا قَبْلَ مَوْتٍ يا كِرام*؛
مِثْلَما أنا مِتُّ مِنْ قَبْلِ المَوت، جِئْتُ مِنْ ذلِكَ الطَّرَفِ بالصِّيْتِ والصَّوت؛
إذَنْ صِرْ قِيامَةً وانْظُرِ القِيامَةَ، هذا هُوَ الشَّرْطُ لِرُؤْيَةِ كُلِّ شَيْء؛
ما لَمْ تَصِرْهُ لَنْ تَعْرِفَهُ تَماماً، سَواءً أكانَ ذاكَ أَنْواراً أمْ ظلاماً؛
صِرْتَ عَقْلاً فَعَرَفْتَ العَقْلَ كمالاً، صِرْتَ عِشْقاً فَعَرَفْتَ العِشْقَ ذُبالاً؛
كُنْتُ لأجِيْءَ لِهذِهِ الدَّعْوى بالبُرْهانِ المُبين، لَوْ كانَ هُناكَ الإدراكُ المُلائِمُ لِهذا؛
التِّيْنُ في هذا الطَّرَفِ كَثيرٌ وَرَخِيْصٌ، لَوَ وَصَلَ طائرٌ ضَيْفٌ وكانَ آكِلاً للتِّيْن؛
الكُلُّ في هذا العالَمِ مِنْ رِجالٍ وَمِنْ نِساء، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ في نَزْعٍ وَفي مَوت؛
فاعْتَبِرْ كلامَهُمْ ذاكَ مِنْ قَبيلِ الوَصايا، الَّتي يَقُولُها الأبُ لَحْظَةَ المَوْتِ للاِبْن؛
حَتَّى تَنْمُوَ العِبْرَةُ والرَّحْمَةُ بِهذا، وحتَّى تَقْطَعَ جَذْرَ البُغْضِ والحَسَدِ والحِقْد؛
أنتَ فانْظُرْ بِتِلْكَ النِّيَّةِ إلى الأَقْرِباء، حَتَّى لا يَحْتَرِقَ قَلْبُكَ مِنْ نَزْعِهِم؛
كُلُّ آتٍ آتٍ اعْتَبِرْ مِنْ قَبيلِ النَّقْد، واعْتَبِرِ الصَّدِيْقَ في نَزْعٍ وَفي فَقْد؛
وإذا الأغْراضُ صارَتْ حِجاباً لِهذا النَّظَر،أَلْقِ هذِهِ الأَغْراضَ خارِجاً مِنَ الجَيْب؛

وإنْ لَمْ تَقْدِرْ فلا تَقِفْ يابِساً على العَجْز، واعْلَمْ أنَّ مَعَ العَاجِزِ مُعْجِزاً مُخْتاراً؛
العَجْزُ زَنْجِيْرٌ أنتَ مُقَيَّدٌ بالزَّنْجِير، اِجْعَلِ العَيْنَ على الزَّنْجِيْرِ إذْ فَتْحُهُ واجِب؛
إذَنْ تَضرَّعْ أنْ أَيْ هادِيَّ الحَياة، كُنْتُ مُنْفَتِحاً وَصِرْتُ مُغْلَقاً ، ذا مِنْ ماذا؛
أأنا أَضْغَطُ القَدَمَ أَشَدَّ في الشَّرّ، فَأنا مِنْ قَهْرِكَ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ فِيْ خُسْر؛
أكُنْتُ عَنْ نَصائِحِكَ في صَمَم، أَدَّعِيْ كَسْرَ الأَصْنامِ وأنا صانِعُ الصَّنَم؛
تَذَكُّرُ صُنْعِكَ أوجَبُ أَمْ تَذَكُّرُ المَوت، المَوتُ مِثْلَ الخَرِيفِ وَأَنْتَ أَصْلُ الأوراق؛
سِنِيْنَ وهذا المَوْتُ يَقْرَعُ الطَّبْلَ، وَأُذُنُكَ تَقُومُ بالحَرَكَةِ في غَيْرِ مكان؛
تَقُولُ في النَّزْعِ مِنَ الرُّوحِ آهٍ المَوت، هذِهِ اللَّحْظَةَ جَعَلَكَ على عِلْمٍ بِهِ المَوت؛
أَخَذَ المَوْتُ بالحَلْقِ مِنْهُ مِنَ الصُّراخ، شَقَّ طَبْلَهُ مِنَ الضَّرْبِ العَجِيْب؛
جَعَلْتَ نَفْسَكَ مُتَعَلِّقاً بالدَّقائق، هذِهِ اللَّحْظَةَ وَجَدْتَ رَمْزَ المَوت؛

تَشْبيهُ المُغَفَّلِ الَّذي أَضاعَ العُمُرَ وَهُو وَقْتَ المَوْتِ في ذلِكَ الضِّيْقِ آخِذٌ بالتَّوْبَةِ والإسْتِغْفار بِتَعْزِيَةِ الشِّيْعَةِ مِنْ أَهْلِ حَلَبَ كُلَّ سَنَةٍ أَيَّامَ عاشُوراء بِبابِ أنْطاكِيّة وَوُصُول شاعِرٍ غَرِيبٍ مِنَ السَّفَر وَسُؤالُهُ عَنْ هذا الصِّياحِ أنْ ما هذِهِ التَّعْزِيَة

يَومَ عاشُوراءَ كُلُّ أَهْلِ حَلَب، يَدْخُلُونَ في بابِ أنطاكِيَةَ إلى اللَّيْل؛
جَمْعٌ عَظيمٌ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ دائماً، يَجْتَمِعُونَ وَيُقِيْمُونَ مَأْتَماً لآلِ البَيْت؛
يَنُوحُونَ بالأنينِ والحَنينِ في البُكاء، شِيْعَةُ عاشُوراءَ مِنْ أَجْلِ كَرْبلاء؛
يَذْكُرُونَ ما رأى آلُ ذلِكَ البَيْت، مِنْ يَزِيْدٍ والشِّمْرِ مِنْ ظُلْمٍ وامْتِحان؛
مِنْ أصْواتِ حَرَكاتِهِم وصَرَخاتِهِمْ بالوَيْل، تَصِيْرُ مَمْلُوءَةً الصَّحْراءُ كُلُّها والمفازة؛
شاعِرٌ غَرِيبٌ وَصَلَ مِنَ السَّفَر، في يَومِ عاشُوراءَ وَسَمِعَ ذاكَ الصُّراخ؛

فَتَرَكَ المَدِيْنَةَ وَذَهَبَ ذلِكَ الصَّوب، قَصَدَ البَحْثَ والفَحْصَ عَنْ تِلْكَ الصَّرَخات؛
صارَ سائلاً يَسْأَلُ في الإفْتِقاد، ما يَكُونُ هذا الغَمُّ وَلِمَنْ هذا المَأْتَم؛
لا بُدَّ وَأَنَّ رَئِيْساً عَظِيْماً قَدْ ماتَ، مِثْلُ هذا المَجْمَعِ لا يَكُونُ لأمْرٍ يَسِيْر؛
ما اسْمُهُ وَألقابُهُ أعْطُوني الشَّرْحَ، فأنا غَريبٌ وأنتُمْ أهْلُ البَلَد؛
حَدِّثُوني عَنْ اسْمِهِ وَحِرْفَتِهِ وأوصافِهِ، حَتَّى أَقُولَ مَرْثِيَّةً في أَلْطافِهِ؛
سَأَنْظِمُ فيهِ مَرْثِيَّةً فَأنا رَجُلٌ شاعِر، حتَّى أحْصَلَ مِنْ هُنا على الأجْرِ والعَطاء؛
ذاكَ واحِدٌ قالَ لَهُ انْتَبِهْ أنتَ مَجْنُون، أنتَ لَسْتَ شِيْعَةً أَنْتَ عَدُوٌّ لآلِ البَيْت؛
أنتَ لا تَعْلَمُ أنَّهُ يُوجَدُ يَوْمُ عاشُوراء، مَأتَمٌ لِرُوحٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ قَرْن؛
متى كانَتْ هذِهِ الغُصَّةُ سَهْلَةً عِنْدَ المُؤْمِن، قَدْرَ عِشْقِ الأُذُنِ عِشْقُ قُرْطِ الأُذُن؛
عِنْدَ المُؤْمِنِ يَكُونُ مأتَمُ تِلْكَ الرُّوح ، أَكْثَرُ شُهْرَةً مِنْ مِئَةٍ مِنْ طُوفانِ نُوح؛

قَولُ ذلِكَ الشَّاعِرِ نُكْتَةً في طَعْنِ شِيْعَةِ حَلَب

قالَ بلى ولكِنْ متى كانَ دَوْرُ يَزيد، متى كانَ هذا الغَمُّ وَلِمَ وَصَلَ مُتَأَخِّراً هُنا؛
عَيْنُ العُمْيانِ رَأَتْ تِلْكَ الخَسارَة، أُذُنُ الطُّرْشانِ سَمِعَتْ تِلْكَ الحِكايَة؛
أَكُنْتُم نائِمِيْنَ إلى الآنَ فَأنْتُمُ الآن، تَقُومُونَ بِتَمْزيقِ الثِّيابِ مِنَ العَزاء؛
فَأَقِيْمُوا العَزاءَ على النَّفْسِ أَيُّها النَّائِمُون، ذلِكَ لأنَّ هذا النَّومَ الثَّقِيْلَ مَوتٌ رَدِيْء؛
رُوحُ سُلْطانٍ تَحَرَّرَتْ مِنَ السِّجْن، لِمَ نُمَزِّقُ الثِّيابَ لِمَ نَعَضُّ على الأَيْدِي؛
بِما أَنَّهُمْ كانُوا مُلُوكاً للدِّيْن، فَهذا وَقْتُ السُّرُوْرِ بِما أَنَّهُمْ كَسَرُوا القُيُود؛
لَقَدْ أَسْرَعُوا إلى جِهَةِ قَصْرِ الدَّوْلَة، وَتَخَلَّصُوا مِنَ النِّيْرِ وَمِنَ الزَّنْجِيْر؛
إنَّهُ يَومُ مُلْكٍ وَفَتْحٍ وَسُلْطان، لَوْ كانَ عِنْدَكَ ذَرَّةٌ مِنَ العِلْمِ بِهِمْ؛
وإنْ لَمْ تَكُنْ عالِماً اذْهَبْ وابْكِ على النَّفْس، لأنَّكَ في إنكارٍ للنَّقْلِ والمَحْشَر؛
قُمْ بالنُّواحِ على قَلْبِكَ وَدِيْنِكَ الخَراب، فَأَنْتَ لا تَرى غَيْرَ هذا التُّرابِ القَدِيْم؛

وإنْ كانَ يَرى لِمَ لا يَكُونُ بَطَلاً، ظَهَيْراً مُفادِياً بالرُّوحِ وَشَبِعَ العَيْن؛
أَيْنَ في وَجْهِكَ السُّرُورُ مِنْ خَمْرِ الدِّيْن، إنْ كُنْتَ رَأَيْتَ البَحْرَ أَيْنَ كَفُّ السَّخِيّ؛
ذاكَ الَّذي رأى الجَدْوَلَ لا يَمْنَعُ الماءَ ، فَكَيْفَ ذاكَ الَّذي رأى البَحْرَ والسَّحاب؛

تَمْثيلُ الرَّجُلِ الحَريصِ الَّذي لا يُبْصِرُ رَزَّاقِيَّةَ الحَقّ وَخَزائِنَ رَحْمَتِهِ بِنَمْلَةٍ في بَيْدَرٍ عَظيمٍ تَسْعى بِحَبَّةٍ قَمْحٍ تَجِيْشُ وَتَرْتَجِفُ وَتَسْحَبُها عَجِلَةً ولا تَرى سَعَةَ ذلِكَ البَيْدَر

نَمْلَةٌ تَصِيْرُ مُرْتَعِشَةً على حَبَّةٍ، لأنَّها كانَتْ عَمياءَ عَنِ البيادِرِ الجَمِيْلَة؛
تَجُرُّ تِلْكَ الحَبَّةَ بِالحِرْصِ وَالخَوْف، لأنَّها لا تَرى بَيْدَرَ ذاك الكَريمِ؛
صاحِبُ البَيْدَرِ يَظَلُّ قائلاً لَها هَيْ، أيْ مَنْ الشَّيْءُ مَعْدُومٌ أمامَكِ مِنَ العمى؛
أنتِ رَأَيْتِ تِلْكَ مِنْ بيادِرِنا، فَتَعَلَّقْتِ بِتِلْكَ الحَبَّةِ بالرُّوح؛
أيْ أنتَ في صُورَةِ ذَرَّةٍ انْظُرْ كَيْوان، أيْ نَمْلَةً عَرْجاءَ اذْهَبْ وعايِنْ سُلَيْمان؛
أَنْتَ لَسْتَ هذا الجِسْمَ أَنْتَ ذاكَ النَّظَر، تَحَرَّرْ مِنَ الجِسْمِ إِنْ كُنْتَ رَأَيْتَ الرُّوح؛
الآدَمِيُّ نَظَرٌ والباقِيْ لَحْمٌ وَجِلْد، كُلُّ ما رَأَتْهُ عَيْنُهُ فَهُوَ شَيْئُه؛
يُغْرِقُ الجَبَلَ دَنٌّ واحِدٌ مِنَ القَطْر، إذا كانَتْ عَيْنُ الدَّنِّ مَفْتُوحَةً على البَحْر؛
إذا كانَتْ لِرُوحِ الدَّنِّ طَريقٌ إلى البَحْر، الدَّنُّ يَعْلُو على نَهْرِ جَيْحُون؛
مِنْ ذلِكَ السَّبَبِ كانَتْ *قُلْ* كَمَقالِ البَحْر، لِكُلِّ مَنْ كانَ قائلاً بالنُّطْقِ الأَحْمَدِيّ؛
مقالُهُ كُلُّهُ كانَ دُرَّ بَحْر، إذْ كانَ لِقَلْبِهِ نُفُوذٌ في البَحْر؛
ما دامَ عطاءُ البَحْرِ كانَ مِنْ دَنِّنا، ما العَجَبُ لَو كانَ هذا العطاءُ سَمَكَ البَحْر؛
عَيْنُ الحسّ غُمَّتْ على نَقْشِ المَمَرّ، أنتَ تَراهُ مَمَرّاً وَهُوَ لها مُسْتَقَرّ؛
هذِهِ الاثْنَيْنِيَّةُ أوصافُ رُؤيَةِ الأحْوَل، وإلَّا فالأوَّلُ آخِرٌ والآخِرُ أَوَّل؛
مِمَّ يصيرُ ذا مَعلوماً يَصِيْرُ مِنَ البَعْث، فاطلُبِ البَعْثَ وأقِلَّ البَحْثَ في البَعْث؛

شَرْطُ يَومِ البَعْثِ هُوَ المَوْتُ أوّلاً، ذاكَ لأنَّ البَعْثَ هُوَ إحْياءُ المَيِّت؛

جَميعُ العالَمِيْنَ مِنْ هذا أخْطئوا الطَّريق، فهُمْ يخْشَونَ مِنَ العَدَمِ والعَدَمُ ملاذ؛

أيَّانَ نَبْحَثُ عَنِ العِلْمِ مِنْ تَرْكِ العِلْم، أيَّانَ نَبْحَثُ عَنِ السِّلْمِ مِنْ تَرْكِ السِّلْم؛

أيَّانَ نَبْحَثُ عَنِ الوُجُودِ مِنْ تَرْكِ الوُجُود، أيَّانَ نَبْحَثُ عَنِ التُّفاحِ مِنْ تَرْكِ اليَد؛

وَأَنْتَ تَقْدِرُ يا نِعْمَ المُعِيْنِ أنْ تَجْعَلَ، العَيْنَ مُبْصِرَةَ المَعْدُومِ مُبْصِرَةً للوُجُود؛

العَيْنُ الَّتي جاءَتْ ظاهِرَةً مِنَ العَدَم، رَأَتْ ذاتَ الوُجُودِ مَعْدُومَةً كُلِّيّاً؛

هذا العالَمُ المُنْتَظَمُ يَصِيْرُ المَحْشَر، إذا بُدِّلَتْ كِلْتا عَيْنَيْكَ وصارَتا أنوَر؛

مِنْ ذلِكَ لا تَظْهَرُ هذِهِ الحقائِقُ على التَّمام، فَفَهْمُها حرامٌ على هؤلاءِ الأخْوام؛

نِعْمَةُ الجَنَّاتِ الحِسانِ على الجَهَنَّمِيّ، مُحَرَّمَةٌ رَغْمَ أنَّ الحَقَّ سَخِيّ؛

يكُونُ مُرَّاً في فَمِهِ شَهْدُ الخُلْد، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الأوفياءِ بِعَهْدِ الخُلْد؛

أَلَيْسَتْ لَكُمْ نَفْسُ المُعامَلَةِ في التِّجارَة، مَتى تَتَحَرَّكُ اليَدُ إذا لَمْ يَكُنْ هُناكَ مُشْتَرٍ؛

متى تَكُونُ نَظَّارَةُ أهْلِ الشِّراء، كَنَظَّارَةِ أولئكَ المُتَجَوِّلِيْنَ الأغبياء؛

يَسْألُونَ سائلِيْنَ ذا بِكَمْ وذاكَ بِكَم، مِنْ أجْلِ تَمْريرِ الوَقْتِ والضَّحِكِ على اللِّحى؛

يَسْأَلُكَ عَنِ البَضاعَةِ مِنَ المَلَل، وَلَيْسَ بِالشَّخْصِ المُشْتري وَلا طالِبَ بِضاعَة؛

شاهَدَ البِضاعَةَ مِئَةَ مَرَّةٍ وَأعادَها، متى يقيسُ الثَّوبَ إنَّهُ يمْسَحُ الرِّيح؛

أيْنَ قُدُومُ وَكَرُّ وَفَرُّ المُشْتَرِي، وَأَيْنَ مِزاحُ ذاكَ السَّاخِرِ الهَزَلِيّ؛

ما دامَ لا يَمْلِكُ حَبَّةً مِنَ الذَّهَب، لَيْسَ طَلَبُهُ للجُبَّةِ إلّا لِلسُّخْرِيَة؛

لَيْسَ لَهُ في التِّجارَةِ مِنْ رَأْسِمال، إذَنْ شَخْصُهُ القَبيحُ وَظِلُّهُ سَيَّان؛

رَأْسُمالِ بازارِ هذِه الدُّنيا هُوَ الذَّهَب، رَأْسُ المالِ هُناكَ العِشْقُ وَعَيْنانِ رَطْبَتان؛

كُلُّ مَنْ ذَهَبَ بلا رَأْسِمالٍ إلى البازار، عُمُرُهُ ضاعَ وعادَ مُسْرِعاً خاماً؛

ها أينَ كُنْتَ أيْ أَخْ؟ لَمْ أكُنْ في مكانٍ، ها ماذا طَبَخْتَ للأكْلِ؟ لَمْ أطْبِخْ شَيْئاً؛

فَصِرْ مُشْتَرِياً حَتَّى تَتَحَرَّكَ يَدِيْ ، وَمَعْدَني الحامِلُ يَلِدُ الياقُوت؛

المُشْتري مَهْما كانَ واهِياً وبارِداً، أُدْعُ للدِّيْنِ فالدَّعْوَةُ وارِدَة؛
أرسِلِ طائِرَ البازَ وَصِدْ حَمامَ الرُّوحِ، واخْتَرْ في طَريقِ الدَّعْوَةِ طَريقَ نُوحٍ؛
اِفْعَلِ الخِدْمَةَ دائِماً مِنْ أَجْلِ الله، ما شَأْنُكَ بِالقَبُولِ والرَّدِّ مِنَ الخلائق؛

قِصَّةُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ يَقْرَعُ الدَّفَّ للسُّحُورِ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ على بابِ قَصْرٍ ، فقالَ لهُ الجارُ أَخِيْراً هُوَ مُنْتَصَفُ اللَّيْلِ وَلَيْسَ وَقْتَ السَّحَر ثُمَّ إِنَّهُ لَيسَ في هذا القَصْرِ مِنْ شَخْصٍ فَمِنْ أجْلِ مَنْ تَقْرَعُ وَجَوابُ المُطْرِبِ لَه

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَقْرَعُ للسَّحُورِ على باب، كانَ بِلاطاً وَرُواقاً لِشَخْصٍ عَظِيْم؛
مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ يَقْرَعُ للسُّحُورِ بِجِدّ، قالَ لَهُ قائلٌ أنْ أَيْ مُسْتَمِدّ؛
أَوّلاً دُقَّ دَفَّكَ وَقْتَ السَّحَرِ للسُّحُور، مُنْتَصَفُ اللَّيْلِ لَيْسَ وَقْتَ هذا الشَّرِّ والهَرْج؛
وَشَيْئاً آخَرَ افْهَمْ أي بُو الهَوَس، لَيْسَ في هذا المَنْزِلِ في الدَّاخِلِ مِنْ شَخْص؛
لا شَخْصَ في هذا المَكانِ غَيْرُ جِنٍّ وَشَيْطان، كَيْفَ تُضِيْعُ عُمرَكَ بلا فائِدة؛
تَقْرَعُ الدَّفَّ مِنْ أَجْلِ أُذُنٍ فَأَيْنَ الأُذُن، يَجِبُ الفَهْمُ حَتَّى يَكُونَ عِلْمٌ فَأَيْنَ الفَهْم؛
قالَ قُلْتَ فاسْمَعْ مِنَ التَّابِعِ الجَواب، حَتَّى لا تَبْقى في تَحَيُّرٍ واضْطِراب؛
رَغْمَ أنَّ هذِهِ اللَّحْظَةَ لَكَ مُنْتَصَفُ اللَّيْل، فإنَّ صُبْحَ الطَّرَبِ عِنْدي قَدِ اقْتَرَبْ؛
كُلُّ كَسْرٍ عِنْدِي صارَ انْتِصاراً، كُلُّ اللَّيالي أَمامَ عَيْنِيْ صارَتْ نَهاراً؛
عِنْدَكَ يَكُونُ دَماً ماءُ نَهْرِ النِّيْل، عِنْدي لا يكونُ دَماً بَلْ ماءً أَيْ نَبيل؛
في حَقِّكَ يَكُونُ ذاكَ حَدِيداً وَرُخاماً، وَعِنْدَ داؤودَ النَّبِيِّ يَكُونُ شَمْعاً وَيَكُونُ لَيّناً؛
عِنْدَكَ الجَبَلُ ثَقِيْلٌ جِدّاً وَجَماد، وَهُوَ عِنْدَ داؤودَ مُطْرِبٌ وَأُسْتاذ؛
عِنْدَكَ ذاكَ الحَصى ساكِتٌ، وَعِنْدَ أَحْمَدَ فَصِيْحٌ وَقانِتٌ؛

عِنْدَكَ عَمُودُ المَسْجِدِ مَيّتٌ، وعِنْدَ أَحْمَدَ عاشِقٌ ووالِه؛
العالَمُ بِكُلِّ أجْزائِهِ عِنْدَ العوام، مَيِّتٌ وَعِنْدَ اللهِ عالِمٌ وَمُطيع؛
وَذاكَ الَّذي قُلْتَ أنْ ما هُناكَ شَخْصٌ، في هذا المَنْزِلِ فَكَيْفَ تَقْرَعُ هذا الطَّبْل؛
فانْظُرِ الخَلْقَ يَدْفَعُونَ الأمْوالَ لِأجْلِ الحَقّ، وَيَضَعُونَ أساسَاً لِمِئَةِ خَيْرٍ وَمَسْجِد؛
يَبْذُلُونَ المالَ والبَدَنَ في طَرِيقِ الحَجّ، مُقامِرِيْنَ سُعَداءَ فِعْلَ سُكارى العُشّاق؛
ولا يَقُولُونَ ذاكَ البَيْتُ فارِغٌ أَبَداً، بَلْ صاحِبُ البَيْتِ مُخْتَبِئٌ كالرُّوح؛
دائماً يرى بَيْتَ الحَبيبِ مُمْتَلِئاً، ذاكَ الَّذي لَهُ مِنْ نُورِ الإلهِ الضِّياء؛
كَمْ مِنْ بَيْتٍ مَمْلُوءٍ مِنَ الجَمْعِ ومُزْدَحِم، وَهُوَ عِنْدَ العَيْنِ ناظِرَةِ العَواقِبِ فارِغ؛
وكُلَّ ما تُرِيدُ فاطْلُبْهُ في الكَعْبَة، حَتَّى يَطْلَعَ لَكَ في اللَّحْظَةِ أمامَ الوَجْه؛
كُلُّ نَقْشٍ كانَ فاخِراً وَعالِياً، متى كانَ بَيْتُ اللهِ مِنْهُ خالِياً؛
إنَّهُ حاضِرٌ مُنَزَّهٌ عَنِ الرّتاج، باقٍ لِلنَّاسِ مْنِ أجْلِ الاِحْتِياج؛
ولا يَقُولُونَ أَبَداً أنَّنا نَقُولُ لَبَّيْكَ، بلا نِداءٍ لنا ، لِمَاذا نَقُولُ أخِيْراً؛
بَلْ التَّوفيقُ الَّذي تَجِيْءُ بِهِ لَبَّيْكَ، هُوَ في كُلِّ لَحْظَةٍ نِداءٌ مِنَ الأحَد؛
أنا بالعَبِيرِ أَعْلَمُ أنَّ هذا القَصْرَ والمَنْزِل، مَحْفَلٌ للأرواحِ وَتُرابُهُ كِيْمِياء؛
أعْرِضُ نُحاسَ النَّفْسِ على كِيْمِيائِهِ، إلى الأَبَدِ عن طَرِيقِ البَمِّ والزِّيْر؛
حَتَّى تَجِيْشَ مِنْ هكذا ضَرْبِ سُحُور، في نَثْرِ الدُّرِّ والعَطاءِ البُحُور؛
الخَلْقُ في صُفُوفِ القِتالِ والحَرْب، يُقامِرُونَ بالأرواحِ في سَبيلِ الله؛
ذاكَ واحِدٌ في بلاءٍ كَبَلاءِ أَيُّوب، وَذاكَ واحِدٌ في صَبْرٍ كَصَبْرِ يَعْقُوب؛
مِئاتُ أُلُوفِ الخَلْقِ الظَّامِئينَ والمَساكِيْن، لِأجْلِ الحَقِّ مِنَ الطَّمَعِ يَبْذِلونَ الجُهْد؛
وَأَنا أَيْضاً مِنْ أَجْلِ اللهِ الغَفُور، مِنَ الطَّمَعِ بِهِ أَدُقُّ على البابِ للسُّحُور؛
تُرِيدُ مُشْتَرِياً تَحْصَلُ مِنْهُ على الذَّهَب، أيْ قَلْبُ مَتى كانَ مُشْتَرٍ خَيْراً مِنَ الحَقّ؛
يَشْتَرِي مِنْ مالِكَ الجُرابَ النَّجِس، وَيُعْطِي بِهِ نُوْرَ الضَّمِيْرِ المُقْتَبِس؛

يَأخُذُ مِنْكَ ثَلْجَ جِسْمِ الفَنا، وَيُعْطِيْكَ مُلْكاً خارِجَ وَهْمِنا؛
يَأْخُذُ مِنْكَ بِضْعَ قَطَراتٍ مِنَ الدَّمْع، وَيُعْطِيكَ كَوْثَراً يُثيرُ غَيْرَةَ الشَّهْد؛
يَأخُذُ مِنْكَ الآهَاتِ المَملُوءَةَ بالحُزْنِ في البَيْع، وَيُعْطِيْكَ بِكُلِّ آهٍ مِئَةَ جاهِ نَفْع؛
رِيْحُ الآهِ الَّتي تَسُوقُ غَيْمَ دَمْعِ العَيْن، مِنْ تِلْكَ الآهِ دُعِيَ الخَلِيْلُ أوَّاهاً؛
هَيَّا في هذا البازارِ السَّاخِنِ بلا نَظِيْر، بِعِ القَدِيْمَ واحْصَلْ على المُلْكِ نَقْداً؛
وإنْ قَطَعَ عَلَيْكَ الطَّريقَ شَكٌّ وَرَيْب، اِجْعَلْ لَكَ سَنَداً تُجَّارَ الأنبياء؛
كَمْ زادَ مَلِكُ المُلُوكِ ذاكَ في بَخْتِهِم ، حَتَّى أنَّ الجَبَلَ لا يَسْتَطِيْعُ حَمْلَ مَتاعِهِم؛

قِصَّةُ قَوْلِ بِلال أَحَدْ أحَدْ في حَرِّ الحِجازِ أوقاتَ الضُّحى مِنْ مَحَبَّةِ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلام حَيْثُ كانَ سَيِّدُهُ يَضْرِبُهُ بِأَغْصانِ الشَّوك مِنْ تَعَصُّبِ اليَهُودِ تَحْتَ شَمْسِ الحِجاز، وكانَ الدَّمُ يَفُورُ مِنَ الجِراحِ مِنْ بَدَنِ بلال، وَكانَ يَطْلَعُ مِنْهُ قَوْلُ أحَدْ أَحَدْ بلا قَصْد كما مِنَ المُتَأَلِّمِيْنَ الآخَرِيْنَ يَطْلَعُ أنينُ الجَهْدِ بلا قَصْد، لأَنَّهُ كانَ مُمْتَلِئاً مِنْ أَلَمِ العِشْقِ فَلَمْ يَكُنْ للاِهْتِمامِ بِدَفْعِ أَلَمِ الشَّوْكِ مَدْخَلٌ لَهُ مِثْلَ سَحَرَةِ فِرْعَونَ وَمِثْلَ جَرْجِيْسَ وَغَيْرِهِم لا يُعَدُّ ولا يُحْصى

فِداءً للشَّوكِ جَعَلَ البَدَنَ بِلال، كانَ سَيِّدُهُ يَضْرِبُهُ للنَّكال؛
أنْ لِمَاذا تَذْكُرُ دِيْنَ أحْمَدَ، أنتَ عَبْدٌ سَيِّئٌ مُنْكِرٌ لِدِيْني؛
يَضْرِبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ بالشَّوك، وَهُوَ يَقُولُ مِنْ أَجْلِ الإفْتِخارِ أَحَدْ؛
حتَّى كانَ الصِّدِّيْقُ مارَّاً بِذاكَ الطَّرَف، وَدَخَلَ في أُذُنِهِ قَوْلُ أَحَدْ ذاك؛
فامْتَلأتْ عَيْنُهُ بالدَّمْعِ وامَتَلأَ قَلْبُهُ بالعَناء، كانَ يَجِدُ مِنْ قَوْلِ أَحَدْ عَبيراً مَعْرُوفاً؛
بَعْدَ ذاكَ رآهُ في خَلْوَةٍ فَأَعْطاهُ النَّصِيْحَة، أنْ اجْعَلِ اعْتِقادَكَ خِفْيَةً عَنِ اليَهُود؛
هُوَ عالِمُ السِّرِّ فاجْعَلِ الخُطى في السِّرّ، قالَ تُبْتُ قُدَّامَكَ يا أَيُّها الهُمام؛

وفي يَومٍ آخَرَ مِنَ الفَجْرِ كانَ الصِّدِّيْقُ، يَمُرُّ في ذلِكَ الطَّرَفِ مِنْ أجْلِ عَمَلٍ؛
فَسَمِعَ الضَّرْبَ بالشَّوكِ مِنْ جَديدٍ وَقَوْلَ أَحَد، فاشْتَعَلَ في قَلْبِهِ الحَريقُ والشَّرار؛
وَعادَ فَنَصَحَهُ وَعادَ فَتاب، وَجاءَ العِشْقُ فَنَقَضَ تَوْبَتَه؛
وتابَ مَرَّاتٍ كَثيرَةً على هذا النَّمَط، وفي العاقِبَةِ صارَ في مَلَلٍ مِنَ التَّوبَة؛
قامَ بالإظْهارِ وَأَسْلَمَ القَلْبَ للبلاء، أنْ أَيْ مُحَمَّدُ أَيْ عَدُوَّ التَّوبات؛
أيْ مَنْ بَدَني مِنْكَ مَلآنٌ وَعُرُوقي مِنْكَ مَلأى، أيْنَ لي أنْ أُخْفِيَ التَّوبَةِ فيهِما؛
أأُخْرِجُ التَّوبَةَ عَنْ هذا مِنَ القَلْب، كَيْفَ لي أنْ أتُوبَ عَنْ حَياةِ الخُلْد؛
العِشْقُ قَهَّارٌ وأنا مَقْهُورُ العِشْق، صِرْتُ حُلْواً كالسُّكَّرِ مِنْ فِتْنَةِ العِشْق؛
أنا قَشَّةٌ يابِسَةٌ أمامَكِ أي رِيْحاً عاتِيَةً، كَيْفَ لِيْ أنْ أَعْلَمَ أَيْنَ سَوْفَ أَقَع؛
أكُنْتُ هِلالاً أمْ كُنْتُ بِلالاً أنا أجْري، وَسَوفَ أَصيرُ مُقْتَدِياً بِشَمْسِك؛
القَمَرُ ما شُغْلُهُ بالكِبَرِ والصِّغَر، هُوَ كالظِّلّ يَقْتَفي مِنَ الشَّمْسِ الأَثَر؛
كُلُّ مَنْ اتَّخَذَ القَرارَ بِوُجُودِ القَضاء، مُسْتَهْزِئٌ وَيَضْحَكُ على شارِبِه؛
أَقَشَّةٌ قُدَّامَ الرِّيْحِ ثُمَّ آنَذاكَ قَرار، أَقِيامَةٌ وَآنَذاكَ عَزْمُ عَمَل؛
أنا قِطَّةٌ في الجَوالِ في يَدِ العِشْق، لَحْظَةً أَعْلُو وَلَحْظَةً يَخْفِضُني العِشْق؛
هُوَ جَعَلَني دائِراً أَدُورُ حَوْلَ الرَّأْس، لا في الأَسْفَلِ أملِكُ الهُدُوءَ ولا في الأعْلى؛
العاشِقُونَ وقَعُوا في السَّيْلِ الجارِف، أَسْلَمُوا القُلُوبَ لِقَضاءِ العِشْق؛
مِثْلَ حَجَرِ الطَّاحُونِ في المَدار، تَدُورُ اللَّيْلَ والنَّهارَ في أنينٍ بلا قَرار؛
دَوَرانُها على جَرَيانِ الجَدْوَلِ شاهِدٌ، كَيْ لا يَقُولَ شَخْصٌ هذا الجَدْوَلُ راكِد؛
إذا كُنْتَ لا ترى الجَدْوَلَ المُخْتَفِي، أُنْظُرْ إلى دَورانِ دُولابِ الفَلَك؛
بِما أنَّهُ لَيْسَ للفَلَكَ مِنْهُ قرار، أيْ قَلبيَ الشَّبيهَ بالنَّجْمِ لا تَطْلُبِ القَرار؛
إذا تَعَلَّقْتَ باليَدِ بِغُصْنٍ مَتى يَتْرُكُه، حَيْثُما أَقَمْتَ ارْتِباطاً فإنَّهُ يَقْطَعُه؛
إذا كُنْتَ لا تَرى تَدْوِيْرَ القَدَر، أُنْظُرْ إلى العناصِرِ في غَلَيانِهِ وَدَوَرانِه؛

ذاكَ أنَّ دَورانَ ذلِكَ القَشِّ والزَّبد، يَكُونُ مِنْ غَلَيَانِ البَحْرِ ذي الشَّرَف؛

أُنْظُرْ إلى الرِّيْحِ الهائِمَةِ في ضَجِيْج،وانْظُرْ إلى مَوجِ البَحْرِ تَحْتَ أَمْرِها يَجِيْش؛

الشَّمْسُ والقَمَرُ ثَورا طاحُونَةٍ، يَدُورانِ دائِرَيْنِ وَيَقُومانِ بالحِفْظ؛

النُّجُومُ أَيْضاً تَجْري مِنْ مَنْزِلٍ لِمَنْزِل، وَتَصِيْرُ مَرْكَباً لِكُلِّ سَعْدٍ ونَحْس؛

إذا كانَتْ نُجُومُ الفَلَكِ بَعِيْدَةً، وَكانَتْ حَواسُّكَ هذِهِ واهِنَةً وَضَعِيْفَة؛

نُجُومُ عَيْنِنا وَأُذُنِنا وَوَعْيِنا، أَيْنَ تَكُونُ في اللَّيْلِ وَأَيْنَ تَكُونُ في اليَقَظَة؛

حِيْناً في السَّعْدِ والوِصالِ والسُّرُور، وَحِيْناً في النَّحْسِ والفِراقِ والذُّهُول؛

بِما أنَّ قَمَرَ الفَلَكِ في هذا الدَّوَران، هُوَ حِيْناً مُظْلِمٌ وَحِيْناً مُضِيْء؛

وَقْتَاً رَبيعٌ وَصَيْفٌ كالشَّهْدِ واللَّبَن، وَوَقْتَاً عِقابُ الثَّلْجِ وَالزَّمْهَرير؛

ما دامَتِ الكُلِّيَّاتُ أمامَهُ كالكُرَة، فَهِيَ مُسَخَّرَةٌ وَساجِدَةٌ لِصَوْلَجانِه؛

قَلْبُ وَأنتَ جُزْءٌ مِنْ هذِهِ المِئَةِ أَلْف، كَيْفَ لا تَكُونُ أمامَ حُكْمِهِ بلا قَرار؛

كُنْ كالمَطِيَّةِ في حُكْمِ الأمير، حِيْناً في الحَبْسِ في الحَظِيْرَةِ وَحِيْناً في المَسِيْر؛

إذا رَبَطَكَ إلى الوَتَدِ كُنْ في الرِّباط، وإذا أَطْلَقَ سَراحَكَ اذْهَبْ في نَشاط؛

الشَّمْسُ في الفَلَكِ حِيْنَ تَعْوَجُّ في السَّيْر، يُعْطِيْها الخُسُوفَ في سَوادِ الوَجْه؛

أنِ احْذَري مِنَ الذَّنَبِ وكُونِي واعِيَةً، حَتَّى لا تَصِيْرِي سَوداءَ الوَجْهِ كالقِدْر؛

كما أَنَّهُ يَضْرِبُ الغَيْمَ بِسَوطِ النَّار، اذْهَبْ على ذلِكَ النَّحْوِ لا على هذا النَّحْو؛

أَمْطِرْ على الوادِي الفُلانِيِّ لا تُمطِرْ بِهذا الصَّوب، يَقُومُ بِتَأدِيْبِهِ أنِ اسْتَمِعْ؛

عَقْلُكَ لَيْسَ زائداً على الشَّمْس، في ذلِكَ الفِكْرِ حَيْثُ جاءَ النَّهْيُ لا تَقِف؛

فلا تَخْطُ مائلاً أَنْتَ أيْ عَقْلُ أَيْضاً، حَتَّى لا يَجِيْئَكَ خُسُوفُ الوَجْهِ مِنْ أمامِك؛

إذا كانَ الذَّنْبُ أَقَلَّ تَرى نِصْفَ الشَّمْسِ، مُنْخَسِفاً وَالنِّصْفَ الآخَرَ مُشِعَّاً بالنُّور؛

أَنْ أنا آخُذُكَ على قَدْرِ الجُرْم، هذا كانَ التَّقْريرُ في الحُكْمِ والجَزاء؛

أكانَ خَيْراً أَمْ شَرَّاً مِنْ ظاهِرٍ وفي الضَّمِيْر، نَحْنُ بِجَمِيْعِ الأَشْياءِ سَمِيْعٌ وَبَصِيْر؛

أُعْبُرْ مِنْ هذا أَيْ أبُ صارَ النَّوروز، الخَلْقُ مِنَ الخَلَّاقِ صارَ حُلْوَ الحَديث؛
عادَ ماءُ الرُّوحِ راجِعاً إلى جَدْوَلِنا، عادَ مَلِكُنا راجِعاً إلى حِمانا؛
والبَخْتُ يَتَبَخْتَرُ وَيَسْحَبُ الرِّداء، وهُوَ يَقْرَعُ نَوْبَةَ كَسْرِ التَّوْبَة؛
أَخَذَ السَّيْلُ التَّوْبَةَ مَرَّةً أُخْرى، جاءَتِ الفُرْصَةُ أَخَذَ النَّومُ الحارِس؛
كُلُّ ذِي خَمْرٍ صارَ سَكْرانَ وَشَرِبَ الخَمْر، في هذِهِ اللَّيْلَةِ نُرِيْدُ أَنْ نَرْهَنَ مَتاعَنا؛
مِنْ شَرابِ ياقُوتِ الرُّوحِ ذاكَ المُزيدِ في الرُّوح، الياقُوتُ في الياقُوتِ في ياقُوتِنا؛
عادَ المَجْلِسُ مُفْرِحاً يُسْعِدُ القَلْبَ مِنْ جَدِيْد، قُمْ أَشْعِلِ الحَرْمَلَ لِدَفْعِ عَيْنِ السُّوء؛
صُراخُ السَّكارى يَجِيْئُني جَمِيْلاً، أي حَبيبُ مِثْلَ هذا يَنْبَغي لي إلى الأَبَد؛
الهِلالُ الجَمِيْلُ صارَ حَبيباً لِبِلال، صارَتْ جِراحُ الشَّوْكِ عِنْدَهُ الوَرْدَ وَالجُلَّنار؛
لَوْ صارَ البَدَنُ مِنْ ضَرْبِ الشَّوْكِ كالغِرْبال، رُوحي وَجِسْمِيْ صارا رَوْضَ إقْبال؛
بَدَني تَحْتَ ضَرْبِ شَوْكِ اليَهُود، رُوحِيْ سَكْرى وَخَرابُ ذاكَ الوَدُود؛
عَبيرُ رُوحٍ يَصِلُ إلى رُوحِيْ، عَبيرُ الحَبيبِ الرَّحِيْمِ يَصِلُني؛
جاءَ المُصْطَفى مِنْ جِهَةِ المِعْراجِ ، إلى بِلالِهِ أَنْ حَبَّذا لي حَبَّذا؛
لَمَّا سَمِعَ الصِّدِّيْقُ مِنْ بلال صادِقِ النَّفَس ، هذا الحَديثَ غَسَلَ اليَدَ مِنْ تَوْبَتِهِ ؛

ذِكْرُ الصِّدِّيْق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ واقِعَةَ بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
وَظُلْمَ اليَهُود لَهُ وَقولَهُ أَحَدٌ أَحَد وزِيادَةَ حِقْدِ اليَهُودِ عَلَيْهِ
مِنْ ذاكَ، وَقَصُّهُ قِصَّةَ تِلْكَ القَضِيَّةِ أمامَ المُصْطَفى عَلَيْهِ
الصَّلاةُ والسَّلام ، واسْتِشارَتُهُ إيَّاهُ في شراءِهِ مِنَ اليَهُود

مِنْ بَعْدِ ذاكَ قامَ ذاكَ الصِّدِّيق، بِذِكْرِ حالِ بلال ذي الوفا عِنْدَ المُصْطَفى؛
أنْ عابِرُ الفَلَكِ مَيْمُونُ الجَناحِ الماهِر، هذِهِ اللَّحْظَةَ في عِشْقِكَ وَفي شِباكِك؛
بازُ السُّلْطانِ في عذابٍ مِنَ البُوم، ذاكَ الكَنْزُ العَظِيْمُ صارَ مَدْفُوناً بالحَدَث؛

البُومُ تَجِيْءُ على البازِ بالظُّلْم، تَقْتَلِعُ الرِّيْشَ والجَناحَ مِنْهُ بلا ذَنْب؛
جُرْمُهُ هُوَ أَنَّهُ كانَ بازاً فَحَسْب، غَيْرَ الجَمالِ ماذا كانَ جُرْمُ يُوسُفَ إِذَنْ؛
الخرابُ مَسْكَنُ البُومِ، هُوَ لها وَطَنٌ، مِنْ ذاكَ هِيَ على البازِ في غَضَبِ اليَهُود؛
أنْ لِماذا يَقُومُ بِذِكْرِ تِلْكَ الدِّيار، أو ذِكْرِ قَصْرِ وَساعِدِ حاكِمِ البَلَدِ ذاك؛
أنتَ تَقُومُ في قَرْيَةِ البُومِ بالفُضُول، وَتَقُومُ بإلقاءِ الفِتْنَةِ بِها والتَّشْويش؛
مَسْكَنُنا الَّذي يُثيرُ غَيْرَةَ الأثير، أنتَ تدعُوْهُ الخَرابَ وَتُسَمِّيْهِ الحَقير؛
جِئْتَ بالمَكْرِ أنْ لَعَلَّنا نَحْنُ البُوم، نَجْعَلُ مِنْكَ مَلِكاً وَزَعيماً عَلَيْنا؛
تَسْعى بَيْنَهُمْ بالوَهْمِ والأفكارِ السَّوداء، على هذا الفِرْدَوْسِ تُطْلِقُ اِسْمَ الخَراب؛
سَنَضْرِبُكَ على الرَّأْسِ أَيْ رَدِيْءَ الصِّفات، لِتَتْرُكَ هذا المَكْرَ وَتَتْرُكَ التُّرَّهات؛
سَمَّرُوهُ على الصَّليبِ عارِيَ البَدَنِ للمَشْرِقِ، وَراحُوا يَضْرِبُونَهُ بِأغْصانِ الشَّوك؛
الدَّمُ يَفُورُ مِنْ بَدَنِهِ مِنْ مِئَةِ مَوْضِعٍ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ وَيُقَدِّمُ الرَّأْس؛
أعْطَيْتُهُ النَّصائِحَ أنِ اجْعَلِ الدِّيْنَ مَخْفِيَّاً، أَخْفِ السِّرَّ عَنِ اليَهُودِ اللُّعَناء؛
إنَّهُ عاشِقٌ قامَتْ قِيامَتُهُ، فَبابُ التَّوْبَةِ لَهُ صارَ مَسْدُوداً؛
أعاشِقٌ وَتَوْبَةٌ أو إمكانُ صَبْر، هذا مُحالٌ أَيْ حَبيبُ وَشَدِيْدُ العُسْر؛
التَّوبَةُ دُودَةٌ والعِشْقُ مِثْلُ الثُّعْبان، التَّوبَةُ وَصْفُ الخَلْقِ والعِشْقُ وَصْفُ الله؛
العِشْقُ مِنْ أَوصافِ اللهِ الغَنِيّ، العِشْقُ لِغَيْرِ اللهِ كانَ مُجازاً؛
ذلِكَ أنَّ ذاكَ الحُسْنَ حُسْنُ طِلاءِ الذَّهَب، ظاهِرُهُ النُّورُ وَداخِلَهُ الدُّخانُ الأَسْوَد؛
حِيْنَ يَذْهَبُ النُّورُ وَيَصِيْرُ ظاهِراً الدُّخان، يَذْبُلُ العِشْقُ المجازِيُّ ذاكَ الزَّمان؛
يَعُودُ ذاكَ الحُسْنُ جِهَةَ أَصْلِ نَفْسِهِ، وَيَبْقى الجِسْمُ مُتَعَفِّناً وَمَفْضُوحاً وَرَدِيْئاً؛
نُورُ القَمَرِ أيْضاً يَصِيْرُ راجِعاً نَحْوَ القَمَرِ، ويَرْجِعُ انْعِكاسُهُ عَنِ الجِدارِ الأَسْوَد؛
فَيَبقى الماءُ والطِّيْنُ بلا ذلِكَ الحُسْن، وَيَعُودُ الجِدارُ مِنْ غَيْرِ القَمَرِ كالشَّيْطان؛
النُّحاسُ لَمَّا فَرَّ عَنْ وَجْهِ الذَّهَب، وَعادَ ذاكَ الذَّهَبُ وَجَلَسَ في مَنْجَمِه؛

عادَ الزَّيْفُ مَفْضُوحاً وَبَقِيَ كالدُّخان، وَبَقِيَ عاشِقُهُ أَكْثَرَ سَوادِ وَجْهٍ مِنْه؛
عِشْقُ المُبْصِرينَ كانَ لِمَنْجَمِ الذَّهَب، لا جَرَمَ هُوَ يَصِيْرُ زائِداً كُلَّ يوم؛
ذاكَ أَنَّ المَنْجَمَ كانَ في الذَّهَبِ بلا شَريك،مَرْحَباً أَيْ مَنْجَمَ الذَّهَبِ لا شَكَّ فِيْك؛
كُلُّ مَنْ جَعَلَ الزَّيْفَ شَريكَ المَنْجَم، عادَ الذَّهَبُ مِنْهُ إلى مَنْجَمِ اللّامكان؛
عاشِقُ المَعْشُوقِ ميِّتٌ مِنَ الاِضْطِراب، مِثْلَ سَمَكَةٍ مَفْصُولَةٍ عَنْ ذلِكَ البَحْر؛
العِشْقُ رَبَّانِيٌّ وهُوَ شَمْسُ الكَمال، نُورُهُ الأَمْرُ والخَلْقُ مِثْلَ الظِّلال؛
حِيْنَ وَجْهُ المُصْطَفى اهْتَلَّ مِنْ هذِهِ القِصَّة، زادَتِ الرَّغْبَةُ عِنْدَهُ للحَدِيْثِ أَكْثَر؛
عِنْدَما وَجَدَ مُسْتَمِعاً مِثْلَ المُصْطَفى، كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْهُ صارَتْ لِساناً على حِدَة؛
قالَ لَهُ المُصْطَفى الآنَ ما العَمَل، قالَ إنَّ هذا العَبْدَ لَهُ مُشْتَرٍ؛
أنا مُشْتَرٍ لَهُ بِأَيِّ ثَمَنٍ يَطْلُبُهُ، لا أَنْظُرُ في الخَسارَةِ والحَيْفِ الظّاهِرَيْن؛
فإِنَّهُ جاءَ أَسِيْرَ اللهِ في الأَرْض، وَصارَ عُرْضَةً لِغَضَبِ عَدُوِّ الله؛

وَصِيَّةُ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلامُ للصِّدِّيْقِ أنْ إذا صِرْتَ مُشْتَرِياً لِبِلال اجْعَلْني شريكَكَ في هذِهِ الفَضِيْلَةِ مَهْما زادُوا في الثَّمَنِ مِنَ الغَضَبِ، وَكُنْ وَكِيْلي وَخُذْ مِنِّي نِصْفَ الثَّمَن

قالَ لَهُ المُصْطَفى أَنْ أَيْ طالِبَ الإِقْبال، أنا في هذا أَصِيْرُ لَكَ الشَّريك؛
أنتَ كُنْ وَكِيْلي والنِّصْفُ لي ، صِرْ المُشْتَرِي واقْبِضْ مِنِّي الثَّمَن؛
قالَ أَعْمَلُ مِئَةَ خِدْمَةٍ وَمَضى في الزَّمان، إلى مَنْزِلِ ذاكَ اليَهُودِيِّ بلا أَمان؛
قالَ للنَّفْسِ الجَوْهَرُ مِنْ كَفِّ الأَطْفال، سَهْلُ الشِّراءِ جِدّاً أَيُّها الأَب؛
شَيْطانُ الغُولِ اشْتَرى بِمُلْكِ الدُّنيا، عَقْلَ وإِيمانَ هَؤلاءِ الأَطْفالِ الحَمْقى؛
إنَّهُ يُعْطِيْ الزِّيْنَةَ للمَيْتَة، يَشْتَري مِنْهُم بِها مائتيْ رَوْضَة؛

مِثْلَما قاسَ ضَوْءَ القَمَرِ بالسِّحْر، خَطَفَ مِئَةَ كِيْسِ ذَهَب مِنَ الأخِسَّاءِ بالسِّحْر؛
عَلَّمَهُمْ أَنْبياؤهُمُ التِّجارَة، أَشْعَلُوا أمامَهُمْ شَمْعَةَ الدِّيْن؛
الشَّيْطانُ والغُولُ السَّاحِرانِ مِنَ السِّحْرِ والحَرْب، قَبَّحا في نَظَرِهِمُ الأنبياء؛
لَقَدْ طَلَعَ القُبْحُ مِنْ سِحْرِ العَدُوّ، حَتَّى وَقَعَ الطَّلاقُ بَيْنَ الزَّوْجِ والزَّوج؛
خاطُوا العُيُونَ مِنْهُمْ بالسِّحْر، حَتَّى باعُوا هكذا جَوهَراً بِثَمَنٍ بَخْس؛
هذا الجَوْهَرُ مِنْ كِلا العالَمَيْنِ أَعْلى، اشْتَرِهِ مِنْ هذا الطِّفْلِ الجاهِلِ فَهُوَ حِمار؛
الجَوْهَرُ وَخَرْزُ الحِمارِ عِنْدَ الحِمارِ سَيَّان، لِذاكَ الشَّاكِّ شَكٌّ في الدُّرِّ والبَحْر؛
إنَّهُ مُنْكِرٌ للبَحْرِ وجَواهِرِهِ ، مَتى كانَ حَيَوانَ دُرٍّ وَطالِبَ حِلِيّ؛
اللهُ لَمْ يَجْعَلْ في رَأْسِ الحَيَوان، أنْ يكُونَ مُتَعَلِّقاً باللَّعْلِ وَعابِداً للدُّرّ؛
هَلْ رَأَيْتَ قُرْطَ أُذُنٍ قَطُّ في أُذُنِ حِمار، سَمْعُ وَوَعْيُ الحِمارِ يكونانِ لِلمَرْج؛
اِقْرَأْ *أَحْسَنَ التَّقْويمِ* في *والتِّيْن*، فَهِيَ جَوْهَرٌ عَزِيزٌ يا أَيُّها العَزيز؛
أَحْسَنُ التَّقْويمِ زائِدٌ على العَرْش، *أَحْسَنُ التَّقْويمِ* خارِجٌ عَنِ الفِكْر؛
لَوْ ذَكَرْتُ قِيْمَةَ هذا المُمْتَنِع، لاحْتَرَقْتُ واحْتَرَقَ المُسْتَمِع؛
قَيِّدِ الشَّفَةَ هُنا ولا تَسُقِ الحِمارَ لِهذِهِ الجِهَة، الصِّدِّيْقُ ذَهَبَ جِهَةَ أولئكَ الحَمِيْر؛
قَرَعَ حَلْقَةَ البابِ وَحِيْنَ فُتِحَ الباب، دَخَلَ في بَيْتِ ذاكَ اليَهُودِيّ بلا وَعْيٍ مِنْه؛
جَلَسَ فاقِدَ النَّفْسِ سَكْرانَ الرَّأْسِ مَمْلُوءاً ناراً، وَكَمْ خَرَجَ مِنَ الكلامِ المُرِّ مِنْ فَمِه؛
أنْ كَيْفَ تَضْرِبُ وَلِيَّ اللهِ هذا، ما هذا الحِقْدُ مِنْكَ يا عَدُوَّ الضِّياء؛
إنْ كانَ لَكَ صِدْقٌ في دِيْنِ نَفْسِكَ، كَيْفَ يُطِيْعُكَ قَلْبُكَ في ظُلْمِ صادِق؛
أَيْ مَنْ أنتَ في دِيْنِ اليَهُودِ أُنْثى، لِذا تَحْمِلُ هذا الظَّنَّ على أولادِ المُلُوك؛
لا تَنْظُرْ مِنْ مِرْآةِ نَفْسِكَ العَوجاءِ، إلى الجَمِيْعِ أَيُّها المَرْدُودُ وَمَلْعُونُ الأَبَد؛
لَوْ قُلْتُ كُلَّ ذاكَ الَّذي خَرَجَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ، مِنْ شَفَةِ الصِّدِّيْقِ أَضَعْتَ اليَدَ والقَدَم؛
يَنابيعُ الحِكَمِ تِلْكَ مِثْلَ الفُرات، جارِيَةٌ مِنْ فَمِهِ مِنَ اللَّاجِهات؛

كما صارَ ماءٌ جارِياً مِنْ صَخْرَةٍ، لا مِنَ الجانِبِ يَمْلِكُ المَدَدَ ولا مِنَ الوَسَط؛
جَعَلَ الحَقُّ مِنْ تِلْكَ الصَّخْرَةِ دِرْعاً لَهُ، فانْفَجَرَ مِنْها الماءُ بِلَونِ السَّماء؛
كما جَعَلَ مِنْ نَبْعِ عَيْنِكَ النُّور، يجري بلا بُخْلٍ ولا فُتُور؛
لا مِنَ الشَّحْمِ يَأْخُذُ المَدَدَ ولا مِنَ الجِلْد، الحَبيبُ جَعَلَ الحِجابَ في الإيجاد؛
في خلاءِ الأُذُنِ رِيْحُهُ الجاذِبَه، مُدْرِكَةٌ صِدْقَ الكلامِ وكاذِبَه؛
ما تِلْكَ الرِّيْحُ في ذلِكَ العَظْمِ الصَّغِيْر، حَتَّى تَقْبَلَ حَرْفَ وَصوتَ الرَّاوِيَة؛
العَظْمُ والرِّيْحُ حِجابُ وَجْهٍ وَحَسْب، في العالَمَيْنِ لا شَخْصَ غَيْرُ الله؛
هُوَ مُسْتَمِعٌ هُوَ قائلٌ بِغَيْرِ احْتِجاب، ذلِكَ أنَّ الأُذُنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ أَيْ مُثاب؛
قالَ إذا كانَتْ تَجِيْئُكَ الرَّحْمَةُ عَلَيْه، اِدْفَعِ الذَّهَبَ وخُذْهُ أَيْ طالِبَ الإكْرام؛
ما دامَ قَلْبُكَ يَحْتَرِقُ اشْتَرِهِ مِنِّي، مُشْكِلَتُكَ لَنْ تَصِيْرَ حَلّاً بلا مَؤونَة؛
قَلَ أنا مِئَةُ قابِلٍ وخَمْسُمائَةِ سُجُود، عِنْدِي عَبْدٌ جَمِيْلٌ لَكِنَّهُ مِنَ اليَهُود؛
خُذْ أَبْيَضَ البَدَنِ أَسْوَدَ القَلْب، وأعْطِني في العِوَضِ أسْوَدَ البَدَنِ مُنِيْرَ القَلْب؛
ثُمَّ أَرْسَلَ في طَلَبِهِ وجاءَ بِهِ ذاكَ الهُمام، كانَ حَقّاً شَدِيْدَ الجَمالِ ذاكَ الغُلام؛
ظَلَّ ذاكَ اليَهُودِيُّ هكذا حَيْراناً، قَلْبُهُ الصَّخْرِيُّ ذَهَبَ مِنَ المَكانِ مُسْرِعاً؛
هكذا تَكُونُ حالَةُ عابِدِي الصُّورَة، قَلْبُهُمُ الصَّخْرُ يَصِيْرُ كالشَّمْعِ مِنْ صُورَة؛
لكِنَّهُ عاوَدَ العِنادَ وَلَمْ يَصِرْ راضِياً، أنْ لا بُدَّ مِنْ أنْ تَدْفَعَ زِيادَةً على هذا؛
فَزادَ عَلَيْهِ أَيْضاً نِصاباً مِنَ الفِضَّةِ ، حَتَّى صارَ راضِياً حِرْصُ ذاكَ اليَهُودِيّ؛

ضَحِكُ اليَهُودِيّ وَظَنُّهُ أنَّ الصِّدِّيْقَ مَغْبُونٌ في هذا العَقْد

فَقَهْقَهَ ذاكَ اليَهُودِيُّ حَجَرِيُّ القَلْب، مِنْ صَميمِ الخِداعِ والسُّخْرِيَةِ والغِشّ والغِلّ؛
قالَ لَهُ الصِّدِّيْقُ ما يَكُون هذا الضَّحِك، في جَوابِ سُؤالِهِ زادَ في الضَّحِك؛
قالَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ الجِدُّ وَالغرام، في شِراءِ هذا الغُلامِ الأَسْوَد؛

ما كُنْتُ لأجِيْشَ مِنَ العِناد، وَلَكُنْتُ بِعْتُكَ إيَّاهُ بِعُشْرِ هذا؛
فإنَّهُ لا يُساوِيْ عِنْدِيْ نِصْفَ دانِق، أنتَ جَعَلْتَ ثَمَنَهُ غالِياً بِالصُّراخ؛
فقالَ لَهُ الصِّدِّيْقُ في الجَوابِ أيْ غَبِيّ، بِعْتَ جَوْهَرَةً بِجَوْزَةٍ كالصَّبِيّ؛
فإنَّهُ عِنْدِيْ يُساوِيْ الكَوْنَيْن، أنا ناظِرٌ لِرُوْحِهِ وَأَنْتَ لِلَّون؛
إنَّهُ الذَّهبُ الأَحْمَرُ طُلِيَ بالسَّواد، غَيْرَةً عَلَيْهِ مِنْ هَؤلاءِ الحمْقى؛
عُيُونُ هذِهِ الجُسُومِ ذاتِ السَّبْعَةِ أَلْوان، مِنْ هذا النِّقابِ لا تُدْرِكُ تِلْكَ الرُّوح؛
لَوْ قُمْتَ بالمِكاسِ في البَيْعِ أَكْثَر، لَدَفَعْتُ جُمْلَةَ مُلْكِيْ وَمالَ نَفْسي؛
وَلَو زِدْتَ في المِكاسِ مِنَ الاِهْتِمام، كُنْتُ أَقْتَرِضُ كِيْساً مِنَ الذَّهَبِ مِنَ الغَيْر؛
أَعْطَيْتَهُ سَهْلاً لأنَّكَ وَجَدْتَهُ رَخِيْصاً، لَمْ تَرَ الدُّرَّ إِذْ لَمْ تَشُقَّ حُقَّةَ الدُّرّ؛
جَهْلُكَ أعْطى الحُقَّةَ مُغْلَقَةً، سَريعاً ترى أَيُّ غُبْنٍ وَقَعَ لَك؛
أعْطَيْتَ حُقَّةً مَمْلُوءَةً باللَّعْلِ للرِّيْح، أنتَ سَعِيْدٌ بِسَوادِ الوَجْهِ مِثْلَ زِنْجِيّ؛
في العاقِبَةِ كَمْ سَتَقُولُ واحَسْرَتا، هَلْ شَخْصٌ يبيعُ مِنْ نَفْسِه البَخْتَ والدَّوْلَة؛
وَصَلَ البَخْتُ في ثِيابِ الغِلْمان، عَيْنُكَ سَيِّئَةُ البَخْتِ لَمْ تَرَ غَيْرَ الظَّاهِر؛
هُوَ أَظْهَرَ لَكَ عُبُودِيَّةَ نَفْسِه، طَبْعُكَ القَبيحُ عَمِلَ مَعَهُ المَكْرَ والخِداع؛
أَسْوَدَ الأَسْرارِ أَبْيَضَ البَدَنِ هذا، خُذْ مِثْلَ عُبَّادِ الأوثانِ أَيُّها اللَّاغي؛
هذا لَكَ وذاكَ لِيْ كِلانا مُسْتَفِيْد، أَيْ يَهُودُ لَكُمْ دِيْنٌ وَلِيْ دِيْن؛
هذا كانَ لائِقاً بِعابِدِي الوَثَنْ، غِطاءُ سَرْجٍ مِنَ الأَطْلَسِ والجَوادُ مِنْ خَشَب؛
مِثْلَ قَبْرِ الكافِرِيْنَ مِلْؤهُ الدُّخانُ والنَّار، وَمِنَ الخارِجِ عَلَيْهِ مِئَةُ نَقْشٍ وزِيْنَة؛
مِثْلَ مالِ الظَّالِمِيْنَ مِنَ الخارِجِ جَمال، وَفي الدَّاخِلِ دَمُ المَظْلُومِ والوَبال؛
مِثْلَ المُنافِقِ مِنَ الخارِجِ الصَّوْمُ والصَّلاة، وَمِنَ الدَّاخِلِ التُّرابُ الأَسْوَدُ بلا نَبات؛
كَسَحابٍ خالٍ مِنَ الماءِ مِلْؤهُ القَرُّ والقُرّ، لا نَفْعَ فِيْهِ للأَرْضِ ولا قُوتَ بُرّ؛
مِثْلَ وَعْدِ المَكْرِ وَالقَوْلِ الكَذِب، آخِرُهُ افْتِضاحٌ وَأَوَّلُهُ إشْعاع؛

مِنْ بَعْدِ ذلِكَ أَمْسَكَ بِيَدِ بلال، وَقَدْ صارَ مِنْ أَذى ضرْسِ المِحْنَةِ كالخِلال؛
صارَ كعُوْدِ الخِلالِ في الفَمِ وَوَجَدَ الطَّريق، وَسارَ مُسْرِعاً جِهَةَ عَذْبِ اللِّسان؛
عِنْدَما رأى ذاكَ المُضْنى وَجْهَ المُصْطَفى، خَرَّ مَغْشِيَّاً عَلَيْهِ وَوَقَعَ على القَفا؛
طالَ غِيابُهُ عَنِ النَّفْسِ وَفَقْدُهُ الوَعْي، وَلَمَّا عادَ لِلنَّفْسِ أَطْلَقَ الدَّمْعَ مِنَ السُّرُورِ؛
شَدَّهُ المُصْطَفى إلى جِوارِ نَفْسِه، لا شَخْصَ يَعْرِفُ ما العَطاءُ الَّذي وَصَلَ إِلَيْه؛
كما لَوْ أنَّ نُحاساً وَقَعَ على الإكْسِيْر، كما لَوْ أنَّ مُفْلِساً وَقَعَ على كَنْزٍ وَفِيْر؛
كَسَمَكَةٍ ذابِلَةٍ سَقَطَتْ في البَحْر، كقافِلَةٍ تائِهَةٍ وَجَدَتِ الرَّشاد؛
تِلْكَ الخِطاباتِ الَّتي قالَها النَّبِيُّ تِلْكَ اللَّحْظَةَ، لَوْ وَقَعَتْ على اللَّيْلِ ما بَقِيَ لَيْلاً؛
كانَ اللَّيْلَ صارَ النَّهارَ المُضِيْءَ كالصَّباح،لا أَقْدِرُ أُعِيْدُ قَوْلَ ذلِكَ الاِصْطِلاح؛
أنتَ نَفْسُكَ تَعْرِفُ عَنِ الشَّمْسِ في الحَمَل، ما تَقُولُ للنَّباتِ وما تَقُولُ للدَّقَل؛
وَأَنْتَ نَفْسَكَ تَعْرِفُ عَنْ ذاكَ الماءِ الزُّلال، ما يَقُولُ للرَّياحِيْنِ والأفْنانِ مِنْ مَقال؛
صُنْعُ الحَقِّ مَعَ جَمِيْعِ أَجْزاءِ الدُّنيا، كأَنَّهُ أنْفاسُ وحُرُوفُ السَّاحِرِيْن؛
جَذْبُ الإلهِ مَعَ الآثارِ والأَسْباب، قالَ مِئَةَ حَديثٍ خَفِيٍّ بلا حَرْفٍ ولا شَفَة؛
لَيْسَ أنَّ التَّأْثِيْرَ مِنَ القَدَرِ غَيْرُ مَعْمُول، لكِنَّ تَأْثِيْرَهُ مِنْهُ غَيْرُ مَعْقُول؛
إذا كانَ العَقْلُ مُقَلِّداً في الأُصُول، اعْرِفْهُ مُقَلِّداً في الفُرُوعِ أَيْ فَضُول؛
إذا سَأَلَ العَقْلُ كَيْفَ يَكُونُ المَرام ، قُلْ على الشَّكْلِ الَّذي أنتَ لا تَعْلَمُ والسَّلام؛

مُعاتَبَةُ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ للصِّدِّيْق أنْ أوْصَيْتُكَ أنِ اشْتَرِ بِشِرْكَتي فَلِماذا اشْتَرَيْتَ مِنْ أجْلِ نَفْسِكَ فَقَط وَعُذْرُ الصِّدِّيْق

قالَ أَيْ صِدِّيْقُ أخيْراً أَلَمْ أَقُلْ لَكَ، أنْ اجْعَلْني شَريكاً لَكَ في هذهِ المَكْرُمَة؛
قالَ نَحْنُ كِلانا عَبيدُ حِماك، لَقَدْ جَعَلْتُهُ حُرَّاً لِوَجْهِك؛
اجْعَلْنِيْ عَبْداً دائِماً لَكَ وَصَدِيْقَ غار، أنا لا أُريدُ الحُرِّيَّةَ حَذار؛

فإنَّ حُرِّيَّتِي مِنْ عُبُودِيَّتي لَك، مِنْ دُونِكَ أنا تَحْتَ المِحْنَةِ وفي الظُّلْم؛
أيْ جاعِلَ العالَمَ حَيَّاً مِنَ الاِصْطِفاء، جَعَلْتَني خاصَّةً، جَعَلْتَ العامِّيَّ خاصَّةً؛
كَمْ رَأَتْ رُوحِيْ في الشَّبابِ مِنْ أحْلام، وَأنَّ قُرْصَ الشَّمْسِ يُلْقِيْ عَلَيَّ السَّلام؛
وَأنَّهُ يَسْحَبُني مِنَ الأرْضِ إلى السَّماء، وَأنَّني أَصِيْرُ رَفِيْقَهُ مِنَ الاِرْتِقاء؛
قُلْتُ هذا ماخُوليا وَهذا مُحال، أَبَداً لَمْ يَصِرِ المُسْتَحِيْلُ وَصْفَ حال؛
عِنْدَما رَأَيْتُكَ رَأَيْتُ فِيْكَ نَفْسي، مَرْحى لِتِلْكَ المِرْآةِ حَسَنَةِ المَذْهَب؛
رَأَيْتُكَ فَصارَ حالاً المُحال، صَارَ رُوحِيْ مُسْتَغْرِقَ الإجْلال؛
عِنْدَما رَأَيْتُكَ أَيْ رُوحَ البِلاد، سَقَطَ مِنْ عَيْني حُبُّ هذِهِ الشَّمْس؛
عَيْني صارَتْ مِنْكَ عالِيَةَ الهِمَّةِ، فهِيَ لا تَنْظُرُ للرَّوضِ إلَّا باحْتِقار؛
كُنْتُ أَطْلُبُ النُّورَ فرَأَيْتُ نُورَ النُّور، كُنْتُ أَطْلُبُ الحُوْرَ فَرَأَيْتُ مَحْسُودَ الحُور؛
كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ يُوسُفِيٍّ لَطِيْفٍ وَفِضِّيِّ بَدَن، فَرَأَيْتُ فِيْك بَلَداً مِنَ اليُوسُفِيِّيْن؛
كُنْتُ في البَحْثِ والتَّفْتيشِ في طَلَبِ الجَنَّة، مِنْ كُلِّ جُزْءٍ مِنْكَ ظَهَرَتْ لِيْ جَنَّة؛
هذا نِسْبَةً لِيْ مَدْحٌ وثناء، هذا نِسْبَةً لَكَ قَدْحٌ وَهِجاء؛
مِثْلَ ذاكَ الرَّجُلِ الرَّاعِيْ السَّلِيْم، وَمَدْحِهِ اللهَ أمامَ مُوسى الكَليم؛
أنْ أُقَدِّمُ لَكَ اللَّبَنَ أُفَلِّيْكَ مِنَ القَمْل، أخْصِفُ لَكَ النَّعْلَ وَأَضَعُهُ قُدَّامَك؛
الحَقُّ قَبِلَ قَدْحَهُ واعْتَبَرَهُ مَدْحاً، فإذا أنتَ رَحِمْتَ لا يَكُونُ عَجَباً؛
فَكُنْ راحِماً لِقُصُورِ الأفْهام، أَيْ وَراءَ العُقُولِ والأوهام؛
أَيُّها العُشَّاقُ إقْبالٌ جَدِيْد، وَصَلَ مِنَ العالَمِ القَدِيْمِ مِنْ جَدِيْد؛
جاءَ مِنْ ذلِكَ العالَمِ يَطْلُبُ المَساكِيْن، مِئَةُ أَلْفِ نادِرَةٍ مِنْ نَوادِرِ الدُّنيا فِيْه؛
أَبْشِرُوا يا قَومُ قَدْ جاءَ الفَرَج اِفْرَحُوا يا قَوْمُ قَدْ زالَ الحَرَج
شَمْسٌ ذَهَبَتْ إلى مَنْزِلِ الهِلال، بالطَّلَبِ أنْ أَرِحْنا يا بلال؛
كُنْتَ تَقُولُها بالهَمْسِ مِنْ خَوْفِ العَدُوّ، ارْتَقِ المَنارَةَ وَقُلْ مُنادِياً بِها وَأَرْغِمْه؛

يَقُولُ في أُذُنِ كُلِّ مَغْمُومِ البَشِيْر، اِنْهَضْ أَيْ مُدْبِرُ وَخُذْ طَرِيقَ الإِقْبال؛
أَيْ مَنْ أَنْتَ في الحَبْسِ وَفي النَّتَنِ والقَمْل،هَيَّا كَيْ لا يَسْمَعَ أَحَدٌ نَجَوت اسْكُت؛
كَيْفَ تَجْعَلُني الآنَ صامِتاً أَيْ حَبيبي، وَمِنْ أَصْلِ كُلِّ شَعْرَةٍ طَلَعَ قارِعٌ لِطَبْل؛
صارَ العَدُوُّ حاسِدُ الطَّبْعِ في صَمَمٍ، يَقُولُ مِنْ أَيْنَ صَوْتُ هذِهِ الطُّبُولِ الكَثِيْرَة؛
يُلامِسُ الوَجْهَ مِنْهُ كالرَّيْحانِ الطَّرِيّ، وَهُوَ مِنَ العَمى يَقُولُ ما هذا الأذى؛
تَأْخُذُ الحُوْرُ بِيَدِهِ وَهُوَ يَتَأَذَّى، أَعْمىً وَحَيْرانُ أنْ لِمَ تُؤذُونَني؛
ما هذا الشَّدُّ بِيْ مِنْ يَدِيْ وَمِنْ بَدَنِي، أنا نائِمٌ اتْرُكُوني لِكَيْ أَحْلُم؛
ذاكَ الَّذي يَظَلُّ باحِثاً عَنْهُ في الحُلُم، اِفْتَحِ العَيْنَ هُوَ ذا القَمَرُ حَسَنُ الخُطى؛
مِنْ أنواعِ ذاكَ البلاءِ زِيادَةٌ للأعِزَّاء، فإنَّ الحَبيبَ يَزيدُ ذاكَ التَّجَشُّمَ للطَّيِّبِيْن؛
لَهُ مَعَ الحِسانِ لَعِبٌ في كُلِّ طَرِيق، كما أَنَّهُ يُهِيْجُ العُمْيانَ أَحْياناً أَيْضاً؛
يَعْرِضُ النَّفْسَ لَحْظَةً لِهؤلاءِ العُمْيان ، حَتَّى يَرْتَفِعَ الصِّياحُ مِنْ دِيارِ العُمْيان؛

قِصَّةُ هِلال الَّذي كانَ عَبْداً مُخْلِصاً لله وَصاحِبَ بَصِيْرَةٍ بلا تَقْليدٍ اخْتَفى في عُبُودِيَّةِ المَخْلُوقِيْن جِهَةَ مَصْلَحَةٍ لا لِعَجْز ، مِثْلَ لُقْمانَ وَيُوسُفَ مِنْ وَجْهِ الظَّاهِر وَغَيْرِهِم ، فَقَدْ كانَ عَبْداً سائِساً لِأَمِيْر، وذاكَ الأمِيْرُ كانَ مُسْلِماً لكِنَّهُ كانَ أَعْمى.

الأعْمى يَعْلَمُ أنَّ لَهُ أُمّاً، لكِنَّهُ لا يَعْلَم كَيْفَ تَكُونُ ؛ فَإذا كانَ بِهذا العِلْمِ يُعَظِّمُ هذِهِ الأُمّ فَمِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَجِدَ الخلاصَ مِنَ العَمى أنْ

إذا أرادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَتَحَ عَيْنَـي قَلْبِهِ لِيُبَصِّرَهُ بِهِما الغَيْب

ما دُمْتَ سَمِعْتَ بَعْضَ أَوْصافِ بلال، فاسْتَمِعْ الآنَ إلى قِصَّةِ ضَعْفِ هِلال؛
كانَ مُتَقَدِّماً على بِلالَ في المَسْلَك، كانَ أَكْثَرَ قَتْلاً لِطِباعِ السُّوءِ فيهِ مِنْه؛
لا مِثْلَكَ تَسِيْرُ للخَلْفِ كُلَّ لَحْظَةٍ تَتَقَهْقَر، تَسيْرُ نَحْوَ الحَجَرِ وَتَتْرُكُ الجَوْهَر؛

مِثْلَ ذاكَ السَّيّدِ الَّذي نَزَلَ عَلَيْهِ ضَيْف، فقامَ السَّيّدُ بِسُؤالِهِ عَنْ أَيَّامِهِ وأعوامِه؛
قالَ كَمْ عَدَدُ سِنِيِّ عُمْرِكَ أَيْ وَلَد، أَعِدِ القَوْلَ واحْسِبْ ولا تُنْقِصْ في العَدَد؛
قالَ ثَمانِيَةَ عَشَرَ سَبْعَةَ عَشَرَ أو سِتَّةَ عَشَر، أَوْ خَمْسَةَ عَشَرَ أي أخِي المُعْتَبَر؛
قالَ تَراجَعْ تَراجَعْ أَيْ حائِرَ الرَّأْسِ ، ظَلَّ في التَّراجُعِ حَتَّى تَصِلَ إلى كُسِّ أُمّك؛

حِكايَةٌ في تَقْرِيرِ عَيْنِ هذا الكلام

ذاكَ واحِدٌ طَلَبَ جَواداً مِنَ الأمِيْر، قالَ اذْهَبْ وَخُذْ ذاكَ الجَوادَ الأَشْهَب؛
قالَ أنا لا أُريدُ ذاكَ قالَ لِماذا، قالَ هُوَ يَرْجِعُ في السَّيْرِ للوراءِ وَهُوَ حَرُونٌ جِدّاً؛
يرْجِعُ في السَّيْرِ للخَلْفِ نَحْوَ المُنْطَلَق، قالَ إِذَنْ فَوَجِّهْ ذَنَبَهُ إلى جِهَةِ البَيْت؛
ذَنَبُ مَطِيَّةِ نَفْسِكَ هذِهِ هُوَ الشَّهْوَة، مِنْ هذا السَّبَبِ تَتَراجَعُ تِلْكَ العابِدَةُ للنَّفْس؛
مِنَ الأَصْلِ لها الشَّهْوَةُ الَّتي هِيَ كالذَّنَب، يا مُبَدِّلُ اجْعَلْ لها شَهْوَةَ العُقْبى؛
إذا قَيَّدْتَ شَهْوَتَها عَنِ الرَّغِيْف، رَفَعَتِ الرَّأْسَ شَهْوَةُ العَقْلِ الشَّريف؛
كما لَوْ قَطَعْتَ غُصْناً مِنَ الشَّجَرَةِ، تَرْفَعُ الرَّأْسَ قُوَّةُ الغُصْنِ حَسَنِ البَخْتِ؛
فإذا أَنْتَ جَعَلْتَ ذَنَبَها إلى ذلِكَ الطَّرَف، وَتَراجَعَتْ إلى الوراءِ تَعُوْدُ للمُكْتَنَف؛
حَبَّذا الجِيادُ المُطِيْعَةُ السَّائِرَةُ للأمام،لا تَتَراجَعُ في السَّيْرِ وليسَتْ رَهِيْنَةَ الحُرُون؛
تَسِيْرُ في نَشاطٍ كَجِسْمِ مُوسى الكليم، حَتَّى *بَحْرَيْنِها* سَيْرَ سَجَّادَةٍ في خَفاء؛
فإنَّ طَرِيقَ تِلْكَ الحُقُبِ سَبْعُمائةِ عامٍ، وَقَدْ عَزَمَ على قَطْعِها في مَسِيْرِ الحُبّ؛
بِما أنَّ هِمَّةَ سَيْرِ بَدَنِهِ كانَتْ هذِهِ، فإنَّ سَيْرَ رُوحِهِ يكُونُ حَتَّى عِلِّيِّيْن؛
مُلُوكُ الفُرسانِ تسابَقُوا في المَيْدان ، فَأوقَعُوا الحَمْقى العاجِزِيْنَ تَحْتَ الأقدام؛

مَثَل

وَمِثْلُ ذلِكَ أنَّ قافِلَةً كانَتْ تَصِلُ، دَخَلَتْ في قَرْيَةٍ فَرَأَتْ باباً مَفْتُوحاً؛
ذاكَ واحِدٌ قالَ هذا بَرْدُ العَجُوز، فلْنُلْقِ الرِّحالَ ها هُنا بِضْعَةَ أَيَّام؛
فَجاءَ صَوتٌ أنْ كلَّا ألقِهِ في الخارِج، ثُمَّ آنَذاكَ أُدْخُلْ إلى الدَّاخِل؛
وَكُلُّ ما يُلْقى فأَلْقِهِ في الخارِجِ أَيْضاً، ولا تَدْخُلْ بِذاكَ فذا مَجْلِسٌ سَنِيّ؛
كانَ هِلالُ أُسْتاذاً مُضِيْءَ قَلْبٍ ورُوح، كانَ سائِساً وَعَبْداً لأَمِيْرٍ مُؤْمِن؛
كانَ غُلاماً يَعْمَلُ سائساً في الإِسْطَبْل ، كانَ سُلْطاناً للسَّلاطِيْنِ وَعَبْداً بالاِسْم؛
الأمِيْرُ ذاكَ كانَ جاهِلاً بِحالِ هذا العَبْد، لَمْ يكُنْ لَهُ مِنَ النَّظَرِ إلَّا نَظَرُ إبليس؛
يرى الماءَ والطِّيْنَ لا يرى بِهِ الكَنْز، يرى الخَمْسَ والسِّتَّ لا يرى أَصْلَ الخَمْس؛
لَونُ الطِّيْنِ ظاهِرٌ وَنُورُ الدِّيْنِ مَخْفِيّ، كُلُّ رَسُولٍ كانَ هكذا في الدُّنيا؛
ذاكَ رأى المَنارَةَ وَلَمْ يَرَ بِها الطَّيْر، وعلى المَنارَةِ بازٌ مَلَكِيٌّ مَمْلُوءٌ بالفَضْل؛
وذاكَ الثَّاني يرى الطَّيْرَ خَفَّاقَ الجَناح، لكِنْ لا يرى الشَّعْرَةَ في فَمِ ذلِكَ الطَّيْر؛
وَذاكَ الَّذي كانَ مِصْداقَ يَنْظُرُ بِنُورِ الله، مُدْرِكٌ للطَّيْرِ وَمُدْرِكٌ للشَّعْرَةِ أَيْضاً؛
قالَ أَخِيراً اجْعَلِ النَّظَرَ جِهَةَ الشَّعْرَة، ما لَمْ تَرَ الشَّعْرَةَ لَنْ تَحُلَّ العُقْدَة؛
واحِدٌ رأى الطِّيْنَ المَنْقُوشَ في الوَحَل، وَواحِدٌ رأى الطِّيْنَ المَمْلُوءَ بالعِلْمِ والعَمَل؛
البَدَنُ المَنارَةُ والعِلْمُ والطَّاعَةُ كالطَّائِر، أكانا طائرينِ أمْ كانا ثلاثمائةَ طائر؛
الرَّجُلُ الأوسَطُ ناظِرٌ إلى الطَّائرِ فَحَسْب، غَيْرَ الطَّائِرِ لا يرى مِنْ أمامٍ وَخَلْف؛
والشَّعْرَةُ ذلِكَ النُّورُ الخَفِيُّ في ذلِكَ الطَّائر، فَبِذاكَ تَكُونُ رُوحُ الطَّائرِ ثابِتَة؛
الطَّائِرُ الَّذي تَكُونُ تِلْكَ الشَّعْرَةُ في مِنْقارِهِ، لا يكُونُ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عارِيَة؛
عِلْمُهُ مِنْ رُوحِهِ يَجِيْشُ على الدَّوام ، لا هُوَ عِنْدَهُ بالمُسْتَعارِ ولا هُوَ بالقَرْض؛

مَرَضُ هِلال هذا وَعَدَمُ مَعْرِفَةِ سَيِّدِهِ بِمَرَضِهِ مِنَ التَّحْقِيْرِ والجَهْل ، وَوُقُوفُ قَلْبِ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ على مَرَضِهِ وَحالِهِ، وافتِقادُ وَعِيادَةُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلام لِهِلال هذا

مِنَ القَضاءِ صارَ مَرِيضاً وناقِصاً هِلال، أوحِيَ للمُصْطَفى صارَ عالِماً بالحال؛

كانَ سَيِّدُهُ عَنْ مَرَضِهِ بلا خَبَر، فَقَدْ كانَ عِنْدَهُ كاسِداً وبلا خَطَر؛

تِسْعَةَ أَيَّامٍ ذاكَ المُحْسِنُ ينامُ في الإسْطَبْل، وما لِشَخْصٍ قَطُّ عَنْ حالِهِ خَبَر؛

ذاكَ الَّذي كانَ إنساناً وَمَلِكَ كُلِّ إنسان ، عَقْلُهُ قَدْرَ مِئَةِ قُلْزُمٍ واصِلٌ لِكُلِّ مكان؛

جاءَ الوَحْيُ لِمَنْ هُوَ رَحْمَةُ الحَقِّ فاغْتَمَّ، أنْ مُشْتاقُكَ فُلانُ صارَ مَرِيضاً؛

مِنْ أَجْلِ عِيادَةِ هِلال صاحِبِ الشَّرَف، ذَهَبَ المُصْطَفى إلى ذلِكَ الطَّرَف؛

ذاكَ القَمَرُ يَجْري في إثْرِ شَمْسِ الوَحْي، وأولئكَ الصَّحابَةُ في إثْرِهِ كالنُّجُوم؛

القَمَرُ يَقُولُ أنْ أَصْحابي نُجُوم، للسُّراةِ قُدْوَةٌ وللطُّغاةِ رُجُوم؛

قالُوا للأمِيْرِ وَصَلَ ذاكَ السُّلْطان، فانتَفَضَ مِنَ السُّرُور سَلِيْبَ قَلْبٍ وَرُوح؛

ضَرَبَ كِلْتا يَدَيْهِ على ذلِكَ الظَّنّ، أنْ مَلِكُ المُلُوكِ ذاكَ جاءَ لأجْلِ ذاكَ الأمِيْر؛

حِيْنَ نَزَلَ مِنَ الغُرْفَةِ ذاكَ الأمِيْر، راحَ يَنْثُرُ الرُّوحَ أجْرَ البَشِيْر؛

ثُمَّ قَبَّلَ الأرْضَ وَجاءَ بالسَّلام، وَجَعَلَ الوَجْهَ مِنَ الطَّرَبِ كأنَّهُ الوَرْد؛

قالَ بِسْمِ اللهِ اِجْعَلِ الوَطَنَ مُشَرَّفاً، حَتَّى يَصِيْرَ هذا المَحْفَلُ فِرْدَوساً؛

لِيَصِيْرَ قَصْري زائداً على أَسْمان، فَقَدْ رَأَيْتُ قُطْبَ دَورانِ الزَّمان؛

قالَ مِنْ أَجْلِ عِتابِ ذلِكَ المُحْتَرَم، أنا لَسْتُ آتِياً مِنْ أَجْلِ رُؤْيَتِك؛

قالَ رُوحِيْ فِداكَ وما تَكُونُ الرُّوح، هَيَّا قُلْ هذا التَّجَشُّمُ مِنْ أَجْلِ مَنْ؛

حَتَّى أَصِيْرَ تُرابَ قَدَمِ ذلِكَ الشَّخْص، إذْ لَهُ في بُسْتانِ لُطْفِكَ مَغْرَس؛

فقالَ لَهُ أَيْنَ ذاكَ الهِلالُ للعَرْش، أَيْنَ مَنْ هُوَ كنُورِ القَمَرِ وَمِنَ التَّواضُع فَرْش؛

أَيْنَ ذاكَ المَلِكُ المُخْتَفِيْ في العُبُودِيَّةِ، وَجاءَ إلى هذِهِ الدُّنيا لأجْلِ المُراقَبَة؛
لا تَقُلْ هُوَ عَبْدٌ لنا وَيَعْمَلُ في الإسْطَبْل، اِعْلَمْ أَنَّ الكُنُوزَ تَكُونُ في الخرابات؛
أي عَجَباً كَيْفَ هُوَ مِنَ السُّقْمِ ذاكَ الهِلال، الَّذي تَحْتَ أَقْدامِهِ آلافٌ مِنَ البُدُور؛
قالَ أنا لَسْتُ على عِلْمٍ بِمَرَضِه، لكِنَّهُ لَيْسَ بالبابِ مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّام؛
إنَّ صُحْبَتَهُ مَعَ المَطايا والبِغال، إنَّهُ سائِسٌ وَمَنْزِلُهُ هُوَ الإسْطَبْل؛

دُخُولُ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في إسْطَبْل ذاكَ الأمِيْر مِنْ أَجْلِ عِيادَةِ هِلال ، وَمُواساةُ المُصْطَفى لِهِلال

ذَهَبَ النَّبِيُّ عَنْ رَغْبَةٍ مِنْ أجْلِه، دَخَلَ في الإسْطَبْل وراحَ في البَحْثِ والتَّفْتيش؛
كانَ الإسْطَبْل مُظْلِماً وَقَبيحاً وَنَجِساً، وكُلُّ هذا ارْتَفَعَ عَنْهُ إذْ وَصَلَتِ الأُلْفَة؛
ذاكَ الأَسَدُ الفَحْلُ وَجَدَ عَبيرَ النَّبِيّ، مِثْلَما وَجَدَ الأَبُ عَبيرَ يُوسُف؛
مُوجِبُ الإيمانِ لَيْسَ في المُعْجِزات، عَبيرُ الجِنْسِيَّةِ قائِمٌ بِجَذْبِ الصِّفات؛
المُعْجِزاتُ مِنْ أَجْلِ قَهْرِ العَدُوّ، عَبيرُ الجِنْسِيَّةِ مِنْ أجْلِ جَذْبِ القَلْب؛
يَصِيْرُ العَدُوُّ مَقْهُوراً وَلَيْسَ الصَّدِيْقُ ، مَتى صارَ الصَّدِيْقُ مَغْلُولاً مِنَ العُنُق؛
لَقَدِ اسْتَيْقَظَ مِنَ النَّوْمِ مِنْ عَبيرِه، قالَ أهكذا عَبيرُ وَجْهٍ يَكُونُ في مَوضِعِ البَعْر؛
رأى مِنْ بَيْنِ أرْجُلِ الدَّوابِ ، الثَّوبَ الطَّاهِرَ للرَّسُولِ بلا نَدِيْد؛
فَأَقْبَلَ يَزْحَفُ مِنْ زاوِيَةِ الإسْطَبْلِ، وَوَضَعَ الوَجْهَ على قَدَمِ الرَّسُولِ ذاكَ البَطَل؛
ثُمَّ وَضَعَ الرَّسُولُ وَجْهَهُ على وَجْهِهِ، وَقَبَّلَهُ على الرَّأْسِ والعَيْنِ والوَجْه؛
قالَ يا ربِّ أَيُّ جَوْهَرٍ مَخْفِيّ، أيْ غَريبَ العَرْشِ كَيْفَ أنتَ؟. أَأَنْتَ أحْسَن؛
قالَ كَيْفَ يكُونُ ذلِكَ المُضْطَرِبُ النَّوم، الَّذي تَدْخُلُ في فَمِهِ الشَّمْس؛
أم كَيْفَ يكُونُ ظامِئٌ كانَ يَأكُلُ الطِّيْن، فَوضَعوا الماءَ على رَأْسِهِ فَأَخَذَهُ سعيداً؛

في بيان أَنَّ المُصْطَفى صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ قالَ حِيْنَ قِيْلَ لَهُ أَنْ عِيسى عَلَيْهِ السَّلام مشى على وَجْهِ الماء : لَو ازدادَ يقينُهُ لَمَشى على الهواء

مِثْلَ عيسى يَحْمِلُهُ على الرَّأْسِ الفُرات، إذ هُوَ آمِنٌ مِنَ الغَرَقِ في ماءِ الحياة؛
قالَ أَحْمَدُ لَو كانَ يَقينُهُ زائداً، لَكانَ لَهُ الهَواءُ مَرْكَباً ولكانَ مأمُوناً؛
مِثْلي أنا الَّذي صِرْتُ راكِباً على الهَواءِ، في لَيْلَةِ المِعْراجِ وَصِرْتُ مُسْتَصْحَباً؛
قالَ هِلالُ كَيْفَ يَكُونُ كَلْبٌ أَعْمى نَجِسٌ، نَهَضَ مِنَ النَّومِ فرأى النَّفْسَ أَسَداً؛
لا مِثْلَ أَسَدٍ يَرْمي عَلَيْهِ شَخْصٌ السَّهْم، بَلْ مِنْ خَوْفِهِ يَنْكَسِرُ السَّيْفُ والنَّصْل؛
أعْمىً تَسِيرُ على بَطْنِهِ حَيَّةٌ، فَتَحَ العُيُونَ فإذا هُوَ في البُسْتانِ والرَّبيع؛
كَيْفَ يَكُونُ ذاكَ الَّذي تَحَرَّرَ مِنْ الكَيْف، وَوَصَلَ إلى مَوْطِنِ الحياةِ بلا كَيْف؛
صارَ واهِباً للكَيْفِ في اللّامَكان، حَوْلَ سُفْرَتِهِ جُمْلَةُ الكَيْفِيَّاتِ كالكِلاب؛
هُوَ مِنْ حَيْثُ لا كَيْفَ يُعْطِيْهِمُ العَظْم، تَوَقَّفْ لا تَقْرَأْ هذِهِ السُّورَةَ في الجَنابَة؛
قَبْلَ أنْ تَغْتَسِلَ مِنَ الكَيْفِ على التَّمام، لا تَمُدَّ لِهذا المُصْحَفِ الكَفَّ أَي غُلام؛
أَكُنْتُ نَجِساً أَمْ كُنْتُ نَظِيْفاً أيْ مُلُوك، لا أَقْرَأُ هذا إذَنْ ما أَقْرَأُ في العالَم؛
أنتَ تَقُولُ لي أنْ مِنْ أَجْلِ الثَّواب، ما لَمْ تَغْتَسِلْ لا تَذْهَبْ إلى حَوضِ الماء؛
وَخارِجَ الحَوْضِ لا شَيْءَ غَيْرُ التُّراب، وكُلُّ مَنْ لا يَدْخُلُ الحَوْضَ لَيْسَ طاهِراً؛
لَو لَمْ يَكُنْ للماءِ هذا الكَرَم، فَهُوَ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ يَقْبَلُ الخَبَث؛
واهاً على المُشْتاقِ وَعلى أَمَلِه، حَسْرتا على حَسْرَتِهِ الخالِدَة؛
الماءُ يَمْلِكُ مِئَةَ كَرَمٍ وَمِئَةَ احْتِشام، حَتَّى يَقْبَلَ المُلَوَّثينَ والسَّلام؛
أيْ ضِياءَ الحَقّ حُسامَ الدِّيْنِ أَيْ مَنِ النُّور، حارِسُكَ يَحْرِسُكَ مِنْ شَرِّ الطُّيُور؛
حارِسُكَ النُّورُ وارتِقاءُ النُّور، أَيْ أنتَ شَمْسٌ عَنِ الخَفَّاشِ مَسْتُور؛
ما يَفْعَلُ الحِجابُ أمامَ وَجْهِ الشَّمْس، غَيْرَ أنْ يَزْدادَ الإشعاعِ وَشِدَّةِ الحَرّ؛

حِجابُ الشَّمْسِ نُورُ الرَّبِّ أَيْضاً، الخَفاشُّ واللَّيْلُ مِنْهُ بلا نَصِيْب؛
كلا الاِثْنَيْنِ إذْ بَقِيا في البُعْدِ والحِجاب، بَقِيا في سَوادِ الوَجْهِ أو بقِيا مُتَجَمِّدَيْن؛
بِما أَنَّكَ كَتَبْتَ بَعْضَ قِصَّةِ هِلال، آتِ بِقِصَّةِ البَدْرِ في المقال؛
فإنَّ ذلِكَ الهِلالَ والبَدْرَ في اتِّحاد، بَعِيْدانِ عَنِ الإثْنَيْنِيَّةِ وَعَنِ النَّقْصِ والفَساد؛
هِلالُ ذاكَ في الباطِنِ بَرِيءٌ مِنَ النَّقْصِ، هُوَ يَجِيْءُ بالنَّقْصِ بالتَّدْريجِ بالظَّاهِرِ؛
التَّدْريسُ ليلَةً بِلَيْلَةٍ بالتَّدْريج، التَّأَنِّيْ واهِبٌ للتَّفْريج؛
قُلْ بالتَّأَنّي أَيُّها العَجُولُ الخام، الصُّعُودُ للسَّطْحِ يكُونُ دَرَجَةً دَرَجَة؛
اِغْلِ القِدْرَ بالتَّدْريجِ فِعْلَ الأُسْتاذ، قَلْيَةُ الغَلْيِ بِجُنُونٍ لا تَنْجَح؛
أمَا كانَ الحَقُّ قادِراً على خَلْقِ الفَلَك، في لَحْظَةٍ واحِدَةٍ بِأَمْرِ كُنْ بلا أَيّ شَكّ؛
فَلِمَ ظَلَّ في خَلْقِ ذاكَ سِتَّةَ أَيَّام، كُلُّ يومٍ أَيْ مُسْتَفيدُ أَلْفُ عام؛
خَلْقُ الطِّفْلِ لِمَ كانَ في تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، لأنَّ التَّدريجَ مِنْ شِعارِ ذاكَ المَلِك؛
خَلْقُ آدَمَ لِمَ كانَ في أَرْبَعِيْنَ صَباحاً، قليلاً قليلاً يَزِيدُ في ذلِكَ الطِّيْن؛
لا مِثْلَكَ أَيُّها الخامُ تهْجِمُ في الغارَةِ الآنَ، أنتَ طِفْلٌ وَتَجْعَلُ مِنَ النَّفْسِ شَيْخاً؛
تُسْرِعُ في السَّيْرِ كالقَرْعِ فَوْقَ الجَمِيْع، مِنْ أَيْنَ لَكَ قَدَمُ الجِهادِ والمَلْحَمَة؛
تَتَّكِئُ على الأَشْجارِ وعلى الجِدار، أَيُّها الأَقْرَعُ الصَّغِيْرُ صِرْتَ كالقَرْع؛
في الأَوَّلِ كانَ مَرْكَبُكَ السَّرْوَ القَويمَ، لكِنَّكَ في الآخِرِ يابِسٌ بلا لُبٍّ وفارِغ؛
لَونُكَ الأَخْضَرُ صارَ أَصْفَرَ مُسْرِعاً أَيْ قَرْع، لأَنَّهُ كانَ صِباغاً وَلَمْ يَكُنْ أَصْلِيَّاً؛

قِصَّةُ تِلْكَ المَرْأةِ العَجُوزِ الَّتي كانَتْ تَخْضِبُ وَجْهَها القَبيحَ بالقِماشِ الخَشِنِ والخِضابِ بِلَوْنِ الوَرْد ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَجِيْبُ أو يَصِيْرُ قابِلاً

كانَ ثَمَّةَ عَجُوزٌ عُمْرُها تِسْعُونَ سَنَةً، وَجْهُها مَمْلُوءٌ بالطَّيَّاتِ وَبِلَونِ الزَّعْفَران؛
كانَ وَجْهُها مِثْلَ قِماشِ السُّفْرَةِ مُجَعَّداً، لكِنَّ عِشْقَ الزَّوجِ كانَ عِنْدَها باقِياً؛

أَسْنانُها سَقَطَتْ وَشَعْرُها كاللَّبَن، وَقَدُّها انْحَنى كالقَوْسِ وَكُلُّ حِسٍّ لَها تَغَيَّر؛
عِشْقُها للزَّوْجِ تامٌ وَشَهْوَتُها وَحِرْصُها تامَّان، هِيَ عاشِقَةٌ للصَّيْدِ وَشَبَكَتُها مُمَزَّقَةٌ؛
طائِرٌ بلا وَقْتٍ وَطَرِيقٌ بلا سالِكٍ، وَنارٌ قَوِيَّةٌ تَحْتَ قِدْرٍ فارِغ؛
كعاشِقٍ للمَيْدانِ بلا جَوادٍ ولا قَدَم، وَعاشِقٍ للزَّمْرِ بلا شَفَةٍ ولا مِزْمار؛
لا كانَ الحِرْصُ في كِبَرِ العُمْرِ لليَهُود، يا شَقاوَةَ مَنْ أعطاهُ اللهُ هذا الحِرْص؛
حِيْنَ يَشِيْخُ الكَلْبُ وَأَسْنانُهُ تَسْقُطُ، يَتْرُكُ النَّاسَ وَيَصِيْرُ آخِذاً للبَعْر؛
وانْظُرْ لِهذِهِ الكِلابِ بَلَغَتْ سِتِّيْنَ عاماً، وكُلَّ لَحْظَةٍ أَسْنانُها الكَلْبِيَّةُ تَصِيْرُ أَحَدَّ؛
الكَلْبُ العَجُوزُ سَقَطَ شَعْرُهُ عَنِ الجِلْد، انْظُرْ هذِهِ الكِلابَ المُسِنَّةَ تَلْبَسُ الأطْلَس؛
أُنْظُرْ حِرْصَهِمْ وَعِشْقَهِمْ للفَرْجِ والذَّهَب، يَزِيْدانِ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ كَنَسْلِ الكِلاب؛
مِثْلُ هذا العُمُرِ الَّذي هُوَ رَأْسمالٍ لِجَهَنَّمَ، هُوَ مَسْلَخٌ لِقَصَّابي الغَضَب؛
إذا قِيْلَ لَهُ طالَ عُمُرُكَ، سَعِدَ قَلْبُهُ وانْفَتَحَ فَمُهُ مِنَ الضَّحِك؛
مِثْلَ هذا اللَّعْنِ يَحْسَبُ دُعاءً، ولا يَفْتَحُ العَيْنَ لِيرى ولا يَرْفَعُ الرَّأْس؛
لَوْ أَنَّهُ كانَ يرى مِنَ المَعادِ شَعْرَةً واحِدَةً، كانَ قالَ لَهُ مِثْلُ هذا العُمرِ فَلْيَكُنْ لَك؛

قَصَّةُ ذلِكَ الدَّرْويشِ الَّذي دَعا لِذلِكَ الجِيلانِيّ أنْ أعادَكَ اللهُ بالسَّلامَةِ إلى أَهْلِكَ وَوَطَنِكَ

شَحَّاذٌ عابِدٌ للخُبْزِ ذُو قَرْطَلٍ، دعا يَوماً لِسَيِّدٍ جِيلانِيّ؛
حِيْنَ أَخَذَ مِنْهُ الخُبْزَ أَيْ مُسْتَعان، أَعِدْهُ إلى أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ مَسْرُوراً؛
قالَ إذا كانَ الأهْلُ ما رَأَيْتُ، أوصَلَكَ الحَقُّ إلى هُناكَ أَيْ سَيِّئ؛
الأخِسَّاءُ يُسِيئُونَ لِقَلْبِ كُلِّ مُحَدِّث، يَجْعَلُونَ كلامَهُ نازِلاً وَلَوْ كانَ عالِياً؛
ذلِكَ أنَّ النَّبَأَ يَأْتي على قَدْرِ المُسْتَمِع، الحائِكُ يَقُدُّ القَباءَ على قَدِّ السَّيِّد؛

صِفَةُ تِلْكَ العَجُوز

بِما أنَّ المَجْلِسَ لَيْسَ خالِياً مِنَ الطَّعْن، فلا مناصَ مِنَ الحَديثِ النَّازِلِ إِذَنْ؛
ألا فاسْتَرْجِعْ هذا الحَدِيْثَ النَّازِلَ مِنَ الرَّهْن،وَعُدْ مُجَدَّداً إلى حِكايَةِ تِلْكَ العَجُوز؛
شاخَتْ وَلَيْسَ لها الرَّجُلُ في هذا الطَّريق، سَمِّها العَجُوزَ في أَرْذَلِ العُمُر؛
فلا ثَرْوَةَ لها ولا ثَباتَ، ولا قَبُولَ عِنْدَها لِمِقْدار؛
لا هِيَ بالمُعْطِيَةِ ولا بالقابِلَةِ للجَمال، لا مَعنى بِها وَلَيْسَتْ آخِذَةً للمَعْنى؛
لا لِسانَ ولا أُذُنَ ولا عَقْلَ ولا بَصَر، ولا وَعْيَ ولا دَهْشَةَ ولا فِكَر؛
لا تُحْفَةَ ولا جَمالَ مِنْ أَجْلِ الدَّلال، مُجَعَّدَةً مُتَعَفِّنَةً كأَنَّها البَصَل؛
لَمْ تَسْلُكِ الطَّريقَ ولا قَدَمَ لها للطَّريق، ولا حَرارَةَ لِتِلْكَ القَحْبَةِ ولا حُرْقَةَ وآه؛

قِصَّةُ الدَّرْويش الَّذي عَنْ كُلِّ ما سَأَلَ مِنْ
تِلْكَ الدَّارِ مِنْ شَيْءٍ قِيْلَ لَهُ لا يُوْجَد

سائِلٌ أَقْبَلَ إلى جِهَةِ مَنْزِل، يَطْلُبُ الخُبْزَ اليابِسَ أو الخُبْزَ الطَّرِيّ؛
قالَ صاحِبُ المَنْزِلِ مِنْ أَيْنَ هُنا الخُبْز، أتائِهٌ أنتَ مَتى كانَ هذا دُكَّانَ خُبْز؛
قالَ فَرُبَّما تَجِدُ لي قَليلاً مِنَ الشَّحْم، قالَ أخيراً هذا لَيْسَ دُكَّانَ قَصَّاب؛
قالَ أعْطِني مِقْداراً مِنَ الدَّقيقِ أَيْ سَيِّدَ البَيْت، قالَ أَتَظُنُّ أنَّ هاهُنا طاحُوناً؛
قالَ فَأَعْطِني الماءَ مِنَ المَكْرَعَه، قالَ ما مِنْ جَدْوَلٍ هُنا ولا مَشْرَعَة؛
وكُلَّ ما طَلَبَ مِنَ الخُبْزِ حتَّى النَّخالَة، رَدَّهُ خائباً واسْتَهْزَأَ بِه؛
دَخَلَ ذلِكَ الشَّحَّاذُ وَهُوَ يَرْفَعُ الرِّداء، يُريدُ أنْ يُحْدِثَ في تِلْكَ الدَّار؛
قالَ انْتَبِهْ تماسَكْ أَيُّها الرَّديءُ، حَتَّى أَحُطَّ في هذِهِ الخَرابَة؛

بِما أَنَّهُ لا وَجْهَ للحَياةِ هاهُنا، ففي مِثْلِ هذا المَنْزِلِ يَجِبُ التَّبَرُّز؛
بِما أَنَّكَ لَسْتَ بازاً ولا تَقُومُ بالصَّيْد، وَلَسْتَ مُعَلَّماً مِنَ المَلِكِ على الصَّيْد؛
وَلَسْتَ طاووساً بِمِئاتِ النُّقُوشِ الآسِرَة، حتَّى يَقُوموا بإسْعادِ العُيُونِ بِنُقُوشِك؛
وَلَسْتَ بَبَّغاءَ بِحَيْثُ إذا أُعْطِيْتَ السُّكَّر، جُعِلَتِ الأَسْماعُ جِهَةَ صَوْتِكَ العَذْب؛
وَلَسْتَ بُلْبُلاً تَقُومُ بالنَّحِيْبِ العَذْب،كَعاشِقٍ مُضْنىً في الرَّوضِ أو حَقْلِ الشَّقائق؛
كما لَسْتَ هُدْهُداً تُوصِلُ المكاتيب، وَلَسْتَ كاللَّقْلَقِ تَبْني الوَطَنَ في الأعالي؛
أنتَ في أَيِّ عَمَلٍ وَمِنْ أَجْلِ ماذا شُريت، أَنتَ أيُّ طائرٍ وَبِماذا تُوكَل؛
أُعْلُ عَنْ هذا الدُّكَّانِ ذي المَكَّاسِيْن، إلى دُكَّانِ فَضْلِ *إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى*؛
البِضاعَةُ الَّتي لَمْ يَنْظُرْ بِها الخَلْقُ أَبَداً، مِنْ خلاقَتِها ذلِكَ الكَريمُ اشْتراها؛
ولا زَيْفَ عِنْدَهُ يكُونُ مَرْدُوداً أَبَداً، إذْ لَيْسَ قَصْدُهُ مِنَ الشِّراءِ النَّفع؛

رُجُوع إلى قِصَّةِ تِلْكَ العَجُوز

لَمَّا أرادَتِ الذَّهابَ إلى العُرْسِ تِلْكَ الخَرِفَة، أزالَتْ شَعْرَ الحاجِبِ تِلْكَ السَّخِيْفَة؛
أَمْسَكَتْ بالمِرآةِ أمامَ الوَجْهِ تِلْكَ العَجُوز، حَتَّى تُزَيِّنَ الوَجْهَ والمَبْسِمَ والخَدّ؛
قامَتْ بِمَسْحِ بِضْعَةِ أَصْباغٍ مِنَ البَطَر، على سُفْرَةِ الوَجْهِ الَّتي لَمْ تَصِرْ مَخْفِيَّةً؛
تقطَعُ أعشارَ المصاحِفِ تُزيلُها مِنَ المكان، وَتُلْصِقُها على الوَجْهِ تِلْكَ النَّجِسَة؛
حتَّى تَصيرَ سُفْرَةُ وَجْهِها مَخْفِيَّةً، حتَّى تَصِيْرَ فَصَّ حَلْقَةِ خاتَمِ الحِسان؛
وكُلَّما وَضَعَتِ الأعْشارَ على الوَجْه، كانَتْ تَسْقُطُ عِنْدَما كانَتْ تَعْقِدُ النِّقاب؛
فَتُعِيْدُ لَصْقَ تِلْكَ الأعشارِ مِنْ جَدِيْد، على أَطْرافِ الوَجْهِ باللُّعابِ مِنَ الفَمّ؛
ثُمَّ تُسَوِّي المُلاءَةَ تِلْكَ المُمَيَّزَة،فَتَقَعُ الأعشارُ مِنْ جَديدٍ عَنِ الوَجْهِ على الأرض؛
حينَ أَلْصَقَتْ ذاكَ كَثيراً وسَقَطَ كُلَّ مَرَّةٍ، قالَتْ مِئَةُ لَعْنَةٍ على ذاكَ الإبليس؛

فَتَصَوَّرَ لها إبليسُ آنَذاكَ في الحال، قالَ لَها أَيَّتُها القَحْبَةُ اليابِسَةُ عَدِيْمَةُ القَدْر؛
أنا في طُولِ العُمْرِ لَمْ أُفَكِّرْ بِهذا، ولا رَأَيْتُ هذا مِنْ سِواكِ مِنْ قَحْبَة؛
لَقَدْ زَرَعْتِ في الفَضِيْحَةِ البِذْرَةَ النَّادِرَة، لَمْ يَسْلَمْ مِنْكِ حَتَّى المَصْحَفُ في العالَم؛
أنتِ مِئَةُ إبليس بَلْ خَمِيْسٌ في خَمِيْس، فاتْرُكِيْني أَيَّتُها العَجُوزُ الدَّرْدَبيس؛
كَمْ عُشْراً سَرَقْتِ مِنْ عِلْمِ الكِتاب، حَتَّى يَصِيْرَ وَجْهُكِ مُلَوَّناً كالتُّفَّاح؛
كَمْ تَسْرقينَ حَرْفَ رِجالِ الله، حَتَّى تَبيعي وَتَشْتَري التِّرْحاب؛
اللَّونُ المَعْقُودُ لَمْ يَجْعَلْكِ وَرْدِيَّةَ اللَّون، الفَنُّ لَمْ يَجْعَلِ العُرْجُونَ غُصْناً ذا عُقَد؛
في العاقِبَةِ حِيْنَ تَصِلُكِ ملاءَةُ المَوْت، تَقَعُ عَنْ وَجْهِكَ هذِهِ الأَعْشار؛
حِيْنَ تَجِيْءُ هيَّا انْهَضُوا هُوَ الرَّحِيْل، تَضِيْعُ مِنْ ذاكَ فُنُونُ القالِ والقِيْل؛
عالَمُ الصَّمْتِ يَجِيْءُ مِنْ أمامٍ قِفْ، وَيْلٌ لِذاكَ الَّذي لَيْسَ لَهُ في الدَّاخِلِ أُنْس؛
فَقُمْ بِصَقْلِ النَّفْسِ يوماً وَيَوْمَيْن، واجْعَلْ دَفْتَرَ النَّفْسِ تِلْكَ المِرْآة؛
فَمِنْ ظِلِّ يُوسُفَ صاحِبِ القِران، صارَتْ زَليخا العَجُوزُ شابَّةً مِنَ الأَصْل؛
وَيَصِيْرُ مُبْدَلاً بِشَمْسِ تَمُّوز، ذاكَ المِزاجُ البارِدُ بَرْدَ العَجُوز؛
وَالغُصْنُ يابِسُ الشَّفَة يَصِيْرُ مُبْدَلاً، بالحَريقِ المَرْيَمِيّ إلى نَخْلٍ بَهِيْجٍ؛
أَيْ عَجُوزُ كَمْ تُعانِدِيْنَ القَضا، أُطْلُبِيْ الحاضِرَ واتْرُكِيْ ما مَضى؛
بِما أَنَّهُ لا أَمَلَ لِوَجْهِكِ في الجَمال، سَواءٌ وَضَعْتِ عَلَيْهِ الخِضابَ أَمْ المِداد؛

حِكايَةُ ذاكَ المَريضِ الَّذي لَمْ يَرَ فِيْهِ الطَّبيبُ أَمَلَ الصِّحَّة

ذاكَ مَريضٌ ذَهَبَ إلى الطَّبيب، قالَ افْحَصْ نَبْضِي أَيْ لَبيب؛
فَمِنَ النَّبْضِ تُدْرَكُ حالَةُ القَلْب، فإِنَّ عِرْقَ اليَدِ مُتَّصِلٌ بالقَلْب؛
بِما أَنَّ القَلْبَ غَيْبٌ اطْلُبْ لَهُ المِثال، وابْحَثْ فِيْهِ فَلَهُ بالقَلْبِ اتِّصال؛
الرِّيْحُ مَخْفِيَّةٌ عَنِ العَيْنِ أَيْ أَمِيْن، فَلْتَرَها في الغُبارِ وَحَرَكَةِ الوَرَق؛

أَهِيَ تَهُبُّ مِنَ الشِّمالِ أَمْ مِنَ اليَمِيْن، حَرَكَةُ الوَرَقِ تَقُولُ لَكَ وَصْفَ الحال؛
سُكْرُ القَلْبِ لا تَعْلَمُ أَيْنَ يَكُونُ، اِبْحَثْ عَنْ وَصْفِهِ مِنَ النَّرْجِسِ المَخْمُور؛
بَعِيْدٌ عَنْ ذاتِ الحَقِّ وَصْفُ الذَّات، اِعْرِفْهُ مِنَ الرَّسُولِ والمُعْجِزات؛
المُعْجِزاتُ والكراماتُ الخَفِيَّةُ، تَقَعُ على القَلْبِ مِنَ الشُّيُوخِ الأَصْفِياء؛
فإنَّ في داخِلِهِمْ مِئَةَ قِيامَةٍ حاضِرَةٍ، أَقَلُّ شَيْءٍ أَنْ يَصِيْرَ الجارُ سَكْرانَ مِنْها؛
فَحَسَنُ البَخْتِ ذاكَ صارَ جَلِيْسَ الله، فَهُوَ نَقَلَ المَتاعَ إلى جِوارِ سَعِيْد؛
المُعْجِزَةُ الَّتي أَلْقَتْ على الجَمادِ الأَثَر، مِنَ العَصا أَمِ البَحْرِ أَمْ شَقُّ القَمَر؛
إذا أَثَّرَتْ على الرُّوحِ بلا واسِطَة، تَصِيْرُ مُتَّصِلَةً بِرابِطَةٍ خَفِيَّة؛
تِلْكَ الآثارُ على الجَماداتِ عارِيَة، تِلْكَ في طَلَبِ رُوحٍ جَمِيْلَةٍ مُتَوارِيَة؛
حتَّى مِنْ ذلِكَ الجامِدِ يَأْخُذُ الأَثَرَ الضَّمِيْر، حَبَّذا الخُبْزُ بلا هَيُولى الخَمير؛
حَبَّذا مائِدَةُ المَسِيْحِ بلا نَقْص، حَبَّذا فاكِهَةُ مَرْيَمَ بلا بُسْتان؛
مِنَ الرُّوحِ الكامِلِ تَقَعُ المُعْجِزات، على ضَمِيْرِ رُوْحِ الطَّالِبِ كالحَياة؛
المُعْجِزَةُ بَحْرٌ والنَّاقِصُ طائرُ التُّراب، طائرُ الماءِ فيهِ آمِنٌ مِنَ الهلاك؛
عطاءُ رُوحِ كُلِّ غَيْرِ مُحرمٍ العَجْز، عَطاءُ رُوحِ كُلِّ رَفِيْقِ سِرِّ القُدْرَة؛
إذا لَمْ تَجِدْ هذِهِ السَّعادَةَ في الضَّمِيْر، خُذِ الإِسْتِدْلالَ كُلَّ لَحْظَةٍ مِنَ الظَّاهِر؛
فإنَّ الآثارَ على المَشاعِرِ ظاهِرَة، وهذِهِ الآثارُ عَنِ المُؤَثِّر مُخْبِرَة؛
إنَّ مَعْنى كُلِّ دَواءٍ يَكُونُ خَفِيّاً، مِثْلَ السِّحْرِ وَصَنْعَةِ كُلِّ ساحِر؛
إذا قُمْتَ بالنَّظَرِ في فِعْلِهِ وآثارِهِ، رَغْمَ أَنَّهُ خَفِيٌّ تَقُومُ بإِظْهارِهِ؛
القُوَّةُ الَّتي تَكُونُ في داخِلِهِ مُضْمَرَة، حِيْنَ تَقُومُ بالفِعْلِ تَصِيْرُ عِياناً وَمُظْهَرَة؛
إذا كانَتْ هذِهِ كُلُّها تَظْهَرُ لَكَ بالآثار، كَيْفَ لا يَصِيْرُ اللهُ ظاهِراً لَكَ مِنَ التَّأْثير؛
أَلَيْسَتِ الأَسْبابُ والآثارُ كاللُّبِّ والقِشْر، إذا بَحَثْتَ فَهِيَ جُمْلَةً آثارُه؛
أنتَ تَأْخُذُ حَبَّ الأَشْياءِ مِنَ الأَثَر، إذَنْ لِمَ أَنْتَ عَنْ واهِبِ الآثارِ بلا خَبَر؛

تَأْخُذُ مِنَ الخَيالِ حُبَّ الخَلْق، كَيْفَ لا تَأْخُذُ حُبَّ مَلِكِ الغَرْبِ والشَّرْق؛
هذا الحَديثُ ليْسَ لَهُ نِهايَةٌ أَيْ حَكيم ، حِرْصُنا لا كانَ في هذِهِ النِّهايَة؛

رُجُوع إلى قِصَّةِ المَريض

ارْجِعْ وَقُلْ قِصَّةَ ذاكَ المَريض، مَعَ الطَّبيبِ الخَبيرِ سَتَّارِ الطَّبْع؛
جَسَّ مِنْهُ النَّبْضَ وَصارَ مُدْرِكاً للحال، وَأَنَّ أَمَلَهُ بالصِّحَّةِ مُحال؛
قالَ لَهُ كُلَّ ما يَطْلبُ قَلْبُكَ افْعَلْ، حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ جِسْمِكَ هذا المَرَضُ القَدِيْم؛
وكُلَّ ما طَلَبَ خاطِرُكَ لا تُعانِدْ، حَتَّى لا تصِيْبُكَ المَشَقَّةُ مِنَ الصَّبْرِ والحِمْيَة؛
اعْلَمْ أنَّ الصَّبْرَ والحِمْيَةَ لِهذا المَرَضِ مُضِرَّان، كُلَّ ما طَلَبَ القَلْبُ أَعِطِهِ إيَّاه؛
لِمِثْلِ هذا المَريضِ أَيْ عَمّ، الحَقُّ تعالى قالَ *اعْمَلُوا ما شِئْتُم*؛
قالَ اذْهَبْ كانَ لَكَ الخَيْرُ أَيْ رُوحَ عَمِّك، أنا ذاهِبٌ أَتَمَشَّى على ضفَّةِ النَّهْر؛
على مُرادِ القَلْبِ صارَ إلى الماء، كَيْ يَجِدَ للصِّحَّةِ مِنْ ذاكَ فَتْحَ باب؛
كانَ صُوفِيٌّ جالِساً على ضَفَّةِ النَّهْر، يَغْسِلُ اليَدَ والوَجْهَ، يَزيدُ في الطَّهارَة؛
رأى قَفاهُ وَلَمَّا كانَ رَجُلَ تَخْييل، اشْتَهى لَهُ صَفْعَةً على القَفا؛
راحَ يَسْتَعِدُّ مِنْ أَجْلِ صَفْعَةٍ باليَد، على قفا الصُّوفِيّ ذاكَ العابِدُ للفُكاهَة؛
تِلْكَ الأُمْنِيَةُ إنْ لَمْ أَقُمْ بِتَحْقِيْقِها وَضاعَت، يكُونُ مِنْ ذاكَ كما قالَ الطَّبيبُ عِلَّة؛
سَأُجْرِيْ عَلَيْهِ صَفْعَةً في المَعْرَكَه، أنْ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيْكُمْ إلى التَّهْلُكَة؛
التَّهْلُكَةُ هُنا الصَّبْرُ والاِحْتِرازُ أَيْ فُلان، اضْرُبْهُ حَسَناً ولا تَأْبَهْ كالآخَرين؛
عِنْدَما ضَرَبَهُ ضَرْبَةً جاءَ صَوتُ طُراق، قالَ الصُّوفِيُّ ها ها أَيُّها القَوَّادُ العاقّ؛
أرادَ الصُّوفِيُّ لَكْمَهُ لَكْمَتَيْنِ أو ثلاثاً، واقْتِلاعَ شارِبِهِ وَلِحْيَتِهِ شَعْرَةً شَعْرَة؛
الخَلْقُ مَرْضى بالدِّقِّ ومساكِيْن، وَمِنْ خِداعِ الشَّيْطانِ راغِبُونَ بِصَفْعِ الآخَرين؛
جَمِيْعُهُم على إيْذاءِ الأبرياءِ حَريص، كُلٌّ في قفا الآخَرِ يَطْلُبُ النَّقِيْصَة؛

أَيُّها الضَّارِبُ الأبرياءِ على القفا، في قفا نَفْسِكَ لا تُبْصِرُ الجَزا؛
أيْ مَنْ ظَنَنْتَ الهَوى لِنَفْسِكَ طِبّاً، وَقُمْتَ باخْتِيارِ الصَّفْعِ للضُّعَفاء؛
ضَحِكَ عَلَيْكَ مَنْ قالَ لَكَ هذا دَواء، إنَّهُ ذاكَ الَّذي دَلَّ آدَمَ على القَمْح؛
أنْ كُلا هذِهِ الحَبَّةَ أَيْ مُسْتَعِيْنَيْن، مِنْ أَجْلِ العِلاجِ لِتَكُونا خالِدَيْن؛
لَقَدْ أَزْلَقَهُ وَضَرَبَهُ على القَفا، وَصارَتْ صَفْعَةُ القفا تِلْكَ الجَزاءَ لِهذا؛
لَقَدْ أَزْلَقَهُ بِعُنْفٍ في الزَّلَق، لكِنَّ الحَقَّ كانَ ظَهِيْرَهُ والآخِذَ بِيَدِه؛
كانَ آدَمُ جَبلاً ولو امْتَلأَ بالحَيَّات، هُوَ مَنْجَمُ تِرياقٍ ولا ينالُهُ الإضْرار؛
وَأَنْتَ الَّذي لا تَمْلِكُ مِنَ التِّرياقِ ذَرَّةً، لِماذا مِنْ خلاصِ النَّفْسِ بِكَ غِرَّة؛
وَأَيْنَ ذاكَ التَّوَكُّلُ لَكَ كالخَلِيْل، وَمِنْ أَيْنَ لَكَ تِلْكَ الكَرامَةُ كالكَليم؛
كَيْ لا يَكُونَ حَدُّ سِكِّيْنِكَ قاطِعاً لإسْماعِيْل، كَيْ تَجْعَلَ الطَّرِيقَ في قَعْرِ النِّيْل؛
لَوْ أَنَّ سَعِيداً وَقَعَ عَنْ مَنارَةٍ، لَجاءَتِ الرِّيْحُ في ثَوْبِهِ وَنَجا؛
ما دامَ لَيْسَ لَكَ اليَقِيْنُ بِذلِكَ البَخْتِ أَيْ حَسَن، لِماذا تَقُومُ بِإعْطاءِ النَّفْسِ للرِّيْح؛
مِئاتُ الأُلُوفِ عَنْ هذِهِ المَنارَةِ سَقَطُوا، كَعادٍ وأَسْلَمُوا الرَّأْسَ والسِّرَّ للرِّيْح؛
وانْظُرِ الواقِعِيْنَ مَنْكُوسِيْنَ مِنْ هذا المَنار، هُمْ مِئاتُ الأُلُوفِ في مِئاتِ الأُلُوف؛
أَنْتَ لا تَعْرِفُ اللَّعِبَ على الحِبالِ يَقِيْناً، اشْكُرِ الأَقْدامَ وامْشِ على وَجْهِ الأرْض؛
لا تَعَمَلْ الجَناحَ مِنْ وَرَقٍ وَقَشٍّ لا تَطِرْ، كَمْ رَأْساً ذَهَبَ في ذلِكَ الخيالِ الباطِلْ؛
رَغْمَ أَنَّ ذلِكَ الصُّوفِيَّ امْتَلأَ ناراً مِنَ الغَضَب، لكِنَّهُ أَلقى بالنَّظَرِ إلى العاقِبَة؛
الشَّخْصُ الَّذي عانَدَ هواهُ لَهُ أَوَّلُ الصَّفّ، رأى حَبْلَ الشِّباكِ فَلَمْ يَأْخُذِ الحَبَّة؛
حَبَّذا عَينانِ عَظِيْمَتانِ ناظِرَتانِ للنِّهايَة، إنَّهُما تَحْفَظانِ البَدَنَ مِنَ الفَساد؛
كانَ أَحْمَدُ مِنَ النَّاظِرِينَ للنِّهايَة، لَقَدْ رأى جَهَنَّمَ هُنا شَعْرَةً بِشَعْرَة؛
رأى العَرْشَ والكُرْسِيَّ والجَنَّات، حتَّى مَزَّقَ حِجابَ الغَفَلات؛
إذا كُنْتَ طالِبَ السَّلامَةِ مِنَ الضَّرَر، أَغْلِقِ العَيْنَ عَنِ البدايَةِ وانْظُرْ للنِّهايَة؛

حَتَّى تَرى كُلَّ عَدَمٍ جُمْلَةً وُجُوداً، وَترى وَضِيْعَةً كُلَّ أَنْواعِ الوُجُودِ المَحْسُوس؛
فانْظُرْ هذا مَرَّةً فَكُلُّ مَنْ لَهُ عَقْلٌ، هُوَ في بَحْثٍ عَنِ العَدَمِ اللَّيْلَ والنَّهار؛
في الإِسْتِجداءِ لَيْسَ طالِباً للجُود، في الدَّكاكينِ لَيْسَ طالِباً للرِّبْح؛
في المَزارِعِ لَيْسَ طالِباً للدَّخْل، في المَغارِسِ لَيْسَ طالِباً للنَّخْل؛
في المَدارِسِ لَيْسَ طالِباً للعِلْم، في الصَّوامِعِ لَيْسَ طالِباً للحِلْم؛
لَقَدْ أَلقَوا بِكُلِّ وُجُودٍ إلى الخَلْف، هُمْ طالِبُو العَدَمِ وَفي قَيْدِ العَدَم؛
ذلِكَ لأنَّ مَنْجَمَ وَمَخْزَنَ صُنْعِ الله، لا يكُونُ غَيْرَ العَدَمِ في الإِنْجِلاء؛
كُنَّا ذَكَرْنا رَمْزاً عَنْ هذا مِنْ قَبْل، فَلْتَرَ هذا وَذاكَ واحِداً لا تَرَ اثْنَيْن؛
قِيْلَ أَنَّ كُلَّ صانِعٍ كانَ ماهِراً، كانَ طالِباً في الصِّناعَةِ لِمَوْضِعِ العَدَم؛
البَنَّاءُ يَطْلُبُ مَوْضِعاً غَيْرَ مَبْنِيّ، تَهاوَتْ سُقُوفُهُ وَصارَ خَراباً؛
السَّقَّاءُ يَطْلبُ أباريقَ لا ماءَ فيها، وَيَبْحَثُ النَّجَّارُ عَنْ بَيْتٍ لا بابَ لَه؛
وَقْتَ الصَّيْدِ تَكُونُ حَمْلَتُهُمْ في العَدَم، وَكُلُّهُمْ آنَذاكَ هارِبُونَ مِنَ العَدَم؛
ما دامَ العَدَمُ أَمَلَكَ لِمَ تَحْتَرِزُ مِنْه، مَعَ أنيسِ طَمَعِكَ ما العِنادُ مِنْك؛
بِما أَنَّ أَنيسَ طَمَعِكَ ذلِكَ العَدَم، ما هذا الإِحْتِرازُ مِنْكَ مِنَ الفَناءِ والعَدَم؛
إذا لَمْ تَكُنْ أَنيسَ العَدَمِ أَيْ عَزيزُ في السِّرّ، فَلِماذا أنتَ في كَمِيْنِ العَدَمِ مُنْتَظِر؛
نَزَعْتَ القَلْبَ مِنْ ذلِكَ الَّذي تَمْلِكُ جُمْلَةً، وَأَلْقَيْتَ صِنَّارَةَ القَلْبِ في بَحْرِ العَدَم؛
إذَنْ لِماذا الهَرَبُ مِنْ بَحْرِ المُرادِ هذا، وَقَدْ أَعْطاكَ بالصِّنَّارَةِ مِئَةَ أَلْفِ صَيْد؛
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ جَعَلْتَ اِسْمَ الزَّادِ مَوتاً، فَلْتَرَ السِّحْرَ الَّذي أَظْهَرَ لَكَ المَوْتَ زاداً؛
أَغْلَقَ كِلْتا عَيْنَيْكَ سِحْرُ صَنْعَتِه، حَتَّى تَصِيْرَ رَغْبَةُ العَيْنِ في النُّزُولِ في البِئر؛
في خَيالِهِ مِنْ مَكْرِ الفَعَّال، جُمْلَةُ الصَّحْراءِ فَوْقَ البِئْرِ سُمٌّ وَأَفْعى؛
لا جَرَمَ اتَّخَذَ مِنَ البِئْرِ مَلْجَأً، حَتَّى أَلْقى بِهِ المَوتُ في البِئْر؛
ذاكَ الَّذي قُلْتُ مِنْ أَغلاطِكَ أَيْ عَزيز، اِسْمَعْ لِهذا حَديثاً مِنَ العَطَّارِ أَيْضاً؛

قِصَّةُ السُّلْطان مَحْمُود والغُلامَ الهُنْدِي

قالَ العَطَّارُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه، في ذِكْرِ الشَّاه مَحْمُود دُرَّاً نَضِيداً؛
فَمِنْ غزاةِ الهِنْدِ أمامَ ذاكَ الهُمام، وَقَعَ في الغَنيمَةِ غُلام؛
فَجَعَلَ مِنْهُ خَليفَةً وَأَجْلَسَهُ على التَّخْتِ، وَجَعَلَهُ مُخْتارَهُ على الجَيْشِ وَدَعاهُ ابْنَهُ؛
وَصْفَ القِصَّةِ ثَنْيَةً ثَنْيَةً وبالطُّولِ والعَرْض، أُطْلُبْ في كلامِ عَظِيْمِ الدِّيْنِ ذاك؛
الخُلاصَةُ ذلِكَ الوَلَدُ كانَ جالِساً، على التَّخْتِ النُّضارِ بِجِوارِ المَلِكِ العَظِيْم؛
وَهُوَ يَبْكِيْ وَيَذْرفُ الدَّمْعَ باحْتِراق، قالَ لَهُ المَلِكُ أَيْ مُظَفَّرَ اليَوم؛
مِمَّ تَبكِيْ أَصارَتِ الدَّوْلَةُ لَكَ غَيْرَ مُسْتَساغَةٍ، وَأَنْتَ فَوْقَ الأملاكِ قَرِينُ المَلِك؛
أنتَ فَوْقَ هذا التَّخْتِ وَأَمامَ التَّخْتِ،صُفَّ لَكَ الجَيْشُ وَالوُزَراءُ كالنُّجُومِ والأَقْمار؛
قالَ الطِّفْلُ بُكائي مِنْ ذاكَ أنا عاجِزٌ، ولي أُمٌّ في تِلْكَ المَدِيْنَةِ والدِّيار؛
كانَتْ تُهَدِّدُني بِكَ في كُلِّ لَحْظَة، أنْ أراكَ في يَدِ السُّلْطان مَحْمُود أَرْسَلان؛
فكانَ أَبي يَقُولُ لأُمِّي في الجَواب، مُخاصِماً أَيُّ غَضَبٍ وَعَذاب؛
ألا تَجِدِيْنَ أَيَّ لَعْنٍ آخَرَ، يَكُونُ أَسْهَلَ مِنْ مِثْلِ هذا اللَّعْنِ المُهْلِك؛
أنتِ قاسِيَةٌ بلا رَحْمَةٍ وَقَلْبُكِ مِنْ صَخْرٍ، أَنْتِ قاتِلَةٌ لَهُ بِمِئَةِ سَيْف؛
أنا مِنْ قَولِ كِلَيْهِما صِرْتُ حَيْراناً، الخَوْفُ والغَمُّ وَقَعا في قَلْبي؛
ما الطَّبْعُ الجَهَنَّمِيُّ لِمَحْمُود أَيْ عَجَب، حَتَّى صارَ مَثَلاً في الوَيْلِ والكُرَب؛
كُنْتُ دوماً أرْتَجِفُ مِنَ الخَوْفِ مِنْكَ، كُنْتُ غافِلاً عَنْ إكْرامِكَ وَتَعْظِيْمِك؛
فَأَيْنَ أُمِّي كَيْ تراني الآنَ، وَأَنا على التَّخْتِ أي شاهَ العالَم؛
الفَقْرُ لَكَ هُوَ مَحْمُودُ ذاكَ أَيْ بلا سَعَة، الطَّبْعُ مِنْهُ دائماً يُخِيْفُك؛
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ رَحْمَةَ مَحْمُود العَظيم، كُنْتَ أَحْسَنْتَ القَوْلَ كانَتِ العاقِبَةُ مَحْمُودَة؛

الفَقْرُ لَكَ ذاكَ المَحْمُودُ أَيْ وَجِلَ القَلْب، أَقِلَّ الإسْتِماعَ إلى أُمِّ الطَّبْعِ المُضِلَّة؛

إذا صِرْتَ صَيْدَ الفَقْرِ فإنَّكَ على اليَقِيْن، تَذْرِفُ الدَّمْعَ كالطِّفْلِ يَوْمَ الدِّيْن؛

رَغْمَ أنَّ البَدَنَ في النَّماءِ أُمٌّ، فإنَّهُ أَعْدى لَكَ مِنْ مِئَةِ عَدُوّ؛

البَدَنُ إذا مَرِضَ جَعَلَكَ باحِثاً عَنِ الدَّواء، وإذا صارَ قَوِيَّاً جَعَلَكَ طاغُوتاً؛

اعْرِفْ كالدِّرْعِ هذا البَدَنَ المَمْلُوْءَ بالحَيْف، لا يَصْلُحُ للشِّتاءِ ولا يَصْلُحُ للصَّيْف؛

رَفِيْقُ السُّوءِ جَمِيْلٌ لأجْلِ الصَّبْر، فإنَّ القِيامَ بالصَّبْرِ يَشْرَحُ الصَّدْر؛

صَبْرُ القَمَرِ على اللَّيْلِ جَعَلَهُ مُنَوَّراً، صَبْرُ الوَرْدِ على الشَّوْكِ جَعَلَهُ مُعَطَّراً؛

الصَّبْرُ لَبَنٌ ما بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ، جَعَلَهُ دارَّاً اِبْنُ اللَّبُون؛

صَبْرُ جَمِيْعِ الأنبياءِ على المُنْكِرِيْنَ ، جَعَلَهُمْ خاصَّةَ الحَقِّ وَأَصْحابَ القِران؛

وَكُلُّ مَنْ تَراهُ يَلْبَسُ جَمِيْلَ الثِّياب، اعْلَمْ نالَ ذاكَ بالصَّبْرِ والاِكْتِساب؛

وكُلَّ مَنْ رَأَيْتَ عارِياً مُعْدِماً، فَذاكَ شاهِدٌ على انْعِدامِ صَبْرِه؛

وَكُلُّ مَنْ كانَ مُسْتَوْحِشاً مِلْؤُهُ غُصَّةُ الرُّوح، فإنَّهُ يَكُونُ قَدْ اقْتَرَنَ مَعَ مَكَّار؛

لَوْ كانَ صَبَرَ وكانَ الوِلْفُ ذا وَفاء، ما كانَ نالَ مِنْ فِراقِهِ صَفْعَةَ القَفا؛

كانَ جَعَلَ الطَّبْعَ مَعَ الحَقِّ كالعَسَلِ واللَّبَن، ذلِكَ وِفاقَ لا أُحِبُّ الآفِلِيْن؛

لا جَرَمَ ما كانَ بَقِيَ وَحِيْداً، كنارٍ مِنَ القافِلَةِ بَقِيَتْ على الطَّرِيق؛

حِيْنَ مِنْ فَقْدِ الصَّبْرِ صارَ قَرِينَ الغَيْر، صارَ مِنْ فِراقِهِ مَمْلُوءاً بالغَمِّ وبلا خَيْر؛

ما دامَ في صُحْبَتِكَ الذَّهَبُ الخالِصُ، كَيْفَ تَضَعُهُ عِنْدَ الخائِنِ أمانَةً،

اِجْعَلِ الطَّبْعَ مَعَهُ فَأَماناتُكَ مَعَهُ، تَكُونُ آمِنَةً مِنَ الأُفُولِ وَمِنَ العُتُوّ؛

اِجْعَلِ الطَّبْعَ مَعَهُ فَهُوَ خالِقُ الطَّبْعِ، وَهُوَ الَّذي رَبَّى طَبائِعَ الأنبياء؛

تُعْطِيْهِ شاةً فَيُعِيْدُها لَكَ قَطِيْعاً، هُوَ مُرَبِّي كُلِّ صِفَةٍ فَهُوَ الرَّبّ؛

لا تَضَعِ الشَّاةَ أمانَةً عِنْدَ الذِّئْب، لا تَأْمُرْ بالرِّفْقَةِ بَيْنَ يُوسُفَ والذِّئْب؛

الذِّئْبُ إذا أَظْهَرَ لَكَ أَنَّهُ ثَعْلَبٌ، انْتَبِهْ لا تُصَدِّقْهُ فلا يَجِيْءُ مِنْهُ خَيْر؛

الجاهِلُ وإنْ أَظْهَرَ لَكَ الوُدَّ، في العاقِبَةِ يُسَبِّبُ لَكَ الجُرْحَ مِنَ الجَهْل؛
هُوَ خُنْثى وَيَمْلِكُ آلَتَيْن، بلا شَكٍّ يَظْهَرُ مِنْهُ فِعْلُ الاِثْنَيْن؛
هُوَ يُخْفي عَنِ النِّساءِ الذَّكَر، لِيَجْعَلَ مِنَ النَّفْسِ أُخْتاً لَهُنّ؛
وَيُخْفي فَرْجَ المَرْأَةِ عَنِ الرِّجالِ بالكَفّ، لِيَجْعَلَ النَّفْسَ مِنْ جِنْسِ أولئكَ الرِّجال؛
قالَ الحَقُّ عَنْ فَرْجِهِ المَكْتُوم، سَنَسِمُهُ على الخُرْطُوم؛
حَتَّى لا يَقَعَ المُبْصِرُونَ مِنَّا في الجَوال، مِنْ فَنِّ ذاكَ المُحْتالِ ذِيْ الدَّلال؛
خُلاصَةً ما كُلُّ ذِيْ ذَكَرٍ يَكُونُ رَجُلاً، انْتَبِهْ خَفْ مِنَ الجاهِلِ إنْ كُنْتَ ذا عِلْم؛
صَداقَةُ الجاهِلِ حُلْوِ الحَديث، أَقِلَّ مِنْها فَهِيَ كالسُّمِّ القَدِيْم؛
يَقُولُ لَكَ أَيْ رُوحَ أُمِّكَ وَعَيْنِيْ المُضِيْئَة، ولا يَزِيدُكَ مِنْ ذاكَ غَيْرَ غَمٍّ وَحَسْرَة؛
الأُمُّ تِلْكَ تَقُولُ للأبِ جهاراً، أنْ طِفْلي عادَ مِنَ المَكْتَبِ ضَعِيْفاً جِدّاً؛
لَو كُنْتَ جِئْتَ بِهِ مِنْ امْرَأَةٍ أُخْرى، لَكانَ جَوْرُكَ وَجفاكَ عَلَيْهِ أَقَلَّ؛
اِنْتَبِهْ فِرَّ مِنْ هذِهِ الأُمِّ وَغَوغائها، صَفْعَةُ الأبِ خَيْرٌ مِنْ حَلْوائِها؛
الأُمُّ النَّفْسُ والأبُ العَقْلُ العَظِيْم، أَوَّلُهُ ضيقٌ وآخِرُهُ مِئَةُ فَتْح؛
أَيْ واهِبَ العُقُولِ لَبِّ اسْتِغاثَتي، إذا لَمْ تَشأْ لا يَشاءُ أَيُّ شَخْص؛
الطَّلَبُ مِنْكَ أَيْضاً وَأَيْضاً مِنْكَ الجَمِيْل، نَحْنُ ما نَكُونُ أنتَ الأَوَّلُ وَأَنْتَ الآخِر؛
أنتَ قُلْ وَأَنْتَ اسْمَعْ وَأَنْتَ لَبِّ، نَحْنُ جَمِيعاً لا شَيْءَ بِنُقُوشٍ كَثيرَةٍ؛
مِنْ هذِهِ الحَوالَةِ زِدْ رَغْبَتَنا في السُّجُود، لا تُقَرِّرْ لنا عَجْزَ الجَبْرِ والخُمُود؛
الجَبْرُ هُوَ الجَناحُ والرِّيْشُ للكامِلِيْن، والجَبْرُ هُوَ السِّجْنُ والقَيْدُ للعاجِزِيْن؛
اِعْرِفْ هذا الجَبْرَ مِثْلَ ماءِ النِّيْل، ماءً للمُؤْمِنِ وَدَماً للكافِر؛
جَناحُ البُزاةِ يَطِيْرُ نَحْوَ السُّلْطان، وَجَناحُ الغِرْبانِ يَطِيْرُ نَحْوَ المَقْبَرَة؛
فارْجِعِ الآنَ إلى شَرْحِ العَدَم، فَهُوَ كالتِّرْياقِ وَأَنْتَ تَظُنُّهُ السُّمّ؛
مِثْلَ الطِّفْلِ الهِنْدِيّ انْتَبِهْ أَيْ رَفيق، امْضِ لا تَكُنْ خائفاً مِنْ مَحْمُودَ العَدَم؛

اخْشَ مِنَ الوُجُودِ الَّذي أنتَ فِيْه، خَيالُكَ ذاكَ لا شَيْءٌ وَأنتَ لا شَيْء؛
صِرْتَ لا شَيْءَ عاشِقاً لِلاشَيْء، هَباءٌ قَطَعَ الطَّرِيقَ على هَباء؛
إذا خَرَجَتْ هذِهِ الخَيالاتُ مِنَ الوَسَط، صارَ *لامَعْقُولُكَ* لَكَ عِياناً؛

لَيْسَ للماضِيْنَ هَمُّ المَوْتِ إنَّما لَهُمْ حَسْرَةُ الفَوْت

قائِدُ البَشَرِ ذاكَ قالَ صِدْقاً، أنَّ كُلَّ مَنْ عَبَرَ مِنْ هذِهِ الدُّنيا؛
لا يَكُونُ لَهُ أَلَمُ وَأَسَفُ وَغَبْنُ المَوت، بَلْ يَكُونُ لَهُ مِئَةُ حَسْرَةٍ مِنْ أجْلِ الفَوْت؛
أنْ لِماذا لَمْ أَجْعَلِ المَوْتَ قِبْلَة، والمَوْتُ مَخْزَنُ كُلِّ زادٍ وَكُلِّ دَوْلَة؛
جَعَلْتُ القِبْلَةَ طَوالَ العُمْرِ مِنَ الحَوَل، تِلْكَ الخَيالاتِ الَّتي ضاعَتْ في الأجَل؛
حَسْرَةُ أولئكَ المَوتى لَيْسَتْ مِنَ المَوْت، بَلْ مِنْ كَونِنا تَوَقَّفْنا في النُّقُوش؛
نَحْنُ لَمْ نُدْرِكْ أنَّ ذاكَ نَقْشٌ وَزَبَد، الزَّبَدُ مِنَ البَحْرِ يَتَحَرَّكُ وَيَجِدُ المَدَد؛
ما دامَ البَحْرُ يُلْقِيْ بالزَّبَدِ على البَرّ، اِذْهَبْ إلى المَقابِرِ وانْظُرْ ذلِكَ الزَّبَد؛
ثُمَّ قُلْ أَيْنَ حَرَكاتُكُمْ والجَوَلان، البَحْرُ أَلْقى بِكُمْ في البُحْران؛
حَتَّى يَقُولُوا لَكَ لا بِشَفَةٍ بَلْ بالحال، أنِ اسْأَلِ البَحْرَ لا تَسْأَلْنا هذا السُّؤال؛
النَّقْشُ كالزَّبَدِ مَتى تَحَرَّكَ بلا مَوْج، الغُبارُ بلا ريحٍ مَتى علا للأوْج؛
ما دُمْتَ رَأَيْتَ غُبارَ النَّقْشِ فَلْتَرَ الرِّيْح، ما دُمْتَ رَأَيْتَ الزَّبَدِ فَلْتَرَ قِلْزِمَ الإيجاد؛
هيَّا انْظُرْ فالنَّظَرُ مِنْكَ يَعْمَلُ العَمَل، وما بَقِيَ مِنْكَ فَشَحْمٌ وَلَحْمٌ وَلُحْمَةٌ وَخُيُوط؛
شَحْمُكَ لا يَزِيْدُ الضِّياءَ في الشُّمُوع، لَحْمُكَ لا يَجِيْءُ كَباباً لِمَخْمُور؛
فاصْهَرْ كُلَّ البَدَنِ في البَصَر، سِرْ في النَّظَرِ سِرْ في النَّظَرِ سِرْ في النَّظَر؛
فَنَظَرٌ يرى مِنَ الطَّرِيقِ ذِراعَيْن، وَنَظَرٌ يرى وَجْهَ الشَّاهِ والكَوْنَيْن؛
ما بَيْنَ هذَيْنِ فَرْقٌ بلا حَدّ، اُطْلُبِ الكُحْلَ واللهُ أَعْلَمُ بالسِّرار؛

ما دُمْتَ سَمِعْتَ شَرْحَ بَحْرِ العَدَم، اِسْعَ دائماً حَتَّى تَقِفَ على ذلِكَ البَحْر؛
بِما أنَّ أَصْلَ المَعْمَلِ ذاكَ العَدَم، إنَّهُ خَلاءٌ وَبلا علامَةٍ وَفَناء؛
جَمِيْعُ الأساتِذَةِ لإظْهارِ العَمَل، يَطْلَبُونَ العَدَمَ وَمَوْضِعَ الانكِسار؛
لا جَرَمَ أُسْتاذُ الأساتِذَةِ الصَّمَد، مَصْنَعُهُ يَكُونُ في العَدَمِ وَفي الفَناء؛
حَيْثُما يَكُونُ هذا العَدَمُ أزْيَدَ، يَكُونُ مَكاناً لِعَمَلِ الحَقِّ وَفِعْلِه؛
ما دامَ العَدَمُ هُوَ الطَّبَقُ الأعْلى، فَقَدْ حازَ الدَّراويشُ السَّبَقَ على الجَمِيْع؛
خاصَّةً دَرْويشٌ كانَ بلا جِسْمٍ وَمال، وَكانَ عِنْدَهُ شُغْلُ فَقْرِ الجِسْمِ لا السُّؤال؛
السَّائِلُ يَكُونُ ذاكَ الَّذي أَذابَ مالَهُ، القانِعُ يَكُونُ ذاكَ الَّذي قامَرَ بِجِسْمِه؛
فَمِنَ الأَلَمِ الآنَ لا تَقُمْ بالشِّكايَة، فإنَّهُ نَحْوَ العَدَمِ جَوادٌ قاصِد؛
هذا القَدْرَ قُلْنا وبالباقِيْ فَكِّرْ، إذا كانَ الفِكْرُ جامِداً اِذْهَبْ واذْكُرْ؛
الذِّكْرُ يَجْعَلُ الفِكْرَ في اهْتِزاز، اِجْعَلِ الذِّكْرَ شَمْساً لِهذا الجامِد؛
الأَصْلُ هُوَ الجَذْبُ لكِنْ أَيْ رَفيق، اِذْهَبْ لا تَكُنْ مَوقُوفَ تِلْكَ الجَذْبَة؛
ذلِكَ لأنَّ تَرْكَ العَمَلِ شَبيهٌ بالدَّلال، مَتى كانَ ذُو الدَّلالِ أهْلاً للمُقامَرَةِ بالرُّوح؛
لا تُفَكِّرْ بالقَبُولِ ولا بالرَّدِّ أَيْ غُلام، كُنْ ناظِرَ الأمْرِ والنَّهْيِ على الدَّوام؛
طائِرُ الجَذْبَةِ يَطِيْرُ فَجْأَةً مِنَ العُشّ، إذا رَأَيْتَ الصُّبْحَ آنَذاكَ أَطْفِئِ الشَّمْع؛
إذا صارَتِ العُيُونُ نافِذَةً بِنُورِه، تَرى اللُّبابَ في عَيْنِ القِشْر؛
ترى شَمْسَ البَقاءِ في الذَّرَّة، تَرى كُلَّ البَحْرِ في القَطْرَة؛

الرُّجُوعُ مَرَّةً أُخْرى إلى قَصَّةِ الصُّوفِيِّ والقاضِي

قالَ الصُّوفِيُّ في قصاصِ صَفْعَةِ القفا، لا يَجُوزُ المُقامَرَةُ بالرَّأْسِ مِنَ العَمى؛
خِرْقَةُ التَّسْليمِ في عُنُقي ، سَهَّلَتْ عَلَيَّ احْتِمالَ صَفْعَة؛

الصُّوفِيُّ رأى الخَصْمَ ناحِلاً جِدّاً، قالَ لَو لَكَمْتُهُ كما يَلْكِمُ الخَصْمُ الخَصْم؛
لَذابَ مِنْ لَكْمَةٍ واحِدَةٍ كالرَّصاص، وَسَيَأمُرُ المَلِكُ بالزَّجْرِ لي والقصاص؛
خَيْمَةٌ خرابٌ وَمَكْسُورَةُ الوَتَد، إنَّها تَبْحَثُ عَنِ الوَسِيْلَةِ لِتَسْقُط؛
مِنْ أجْلِ هذا المَيِّتِ إنَّهُ لأَسَفٌ وَأَسَفٌ، أنْ يَقَعَ عَلَيِّ قصاصٌ تَحْتَ حَدِّ السَّيْف؛
وَحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ ضَرْبَ الخَصْمِ بالكَفّ، صارَ عازِماً على حَمْلِهِ إلى القاضِي؛
فَهُوَ مِيْزانُ الحَقِّ وَكَيْلُهُ، وَهُوَ المَخْلَصُ مِنْ مَكْرِ الشَّيْطانِ وَحِيَلِه؛
وَهُوَ مِقْراضُ الأحْقادِ والجِدال، قاطِعُ حَرْبِ الخُصُومِ والقِيْلِ والقال؛
فِكْرُهُ يَحْبِسُ الشَّيْطانَ في زُجاجَة، قانُونُهُ يَجْعَلُ الفِتَنَ ساكِنَة؛
إذا رأى المِيْزانَ الخَصْمُ المَمْلُوءُ طَمَعاً، تَرَكَ العِنادَ وَصارَ تَبَعاً؛
مِنْ غَيْرِ مِيْزانٍ وَلَو أعْطَيْتَهُ زِيادَةً، إدراكُهُ لا يَصِيْرُ راضِياً مِنَ القِسَم؛
القاضِي رَحْمَةٌ وَدَفْعٌ للخِصام، إنَّهُ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ عَدْلِ القِيامَة؛
القَطْرَةُ رَغْمَ أنَّها صَغِيْرَةٌ وَقَصِيْرَةُ الخُطى، لُطْفُ ماءِ البَحْرِ ظاهِرٌ مِنْها؛
إذا طَهَّرْتَ الرَّأْسَ مِنَ الغُبارَ، ترى دِجْلَةَ مِنْ قَطْرَةٍ واحِدَة؛
فالأجْزاءُ على حالِ الكُلِّيّاتِ شَاهِدَة، حَتَّى أنَّ الشَّفَقَ مُخْبِرٌ عَنِ الشَّمْس؛
هُوَ قَسَمٌ بِجِسْمِ أَحْمَدَ ذاكَ الَّذي أَقْسَمَ الحَقّ، ذاكَ الَّذي قالَ في *كَلَّا وَالشَّفَق*؛
النَّمْلَةُ لِمَ تَصِيْرُ مُرْتَجِفَةً مِنْ أَجْلِ حَبَّةٍ، لَو كانَتْ مِنْ تِلْكَ الحَبَّةِ عَرِفَتِ البَيْدَر؛
انْتَبِهْ لأصْلِ الحَدِيثِ فالصُّوفِيُّ الوالِهُ، مُسْتَعْجِلٌ في المُجازاةِ للأذى؛
أيْ أنتَ الَّذي تَحْمِلُ المَظاليمَ كَيْفَ تَهْنَأُ، كَيْفَ أَنْتَ غافِلٌ عَنِ القَضاءِ والجَزاء؛
أَنَسِيْتَ ما قُمْتَ بِهِ مِنْ أفْعالٍ، أمْ أَسْدَلَتْ عَلَيْكَ الغَفْلَةُ الحُجُب؛
لَو كُنْتَ بلا خُصُومٍ لَكَ في قفاك، لَغارَ مِنْكَ جُرْمُ الفَلَكِ على صَفاك؛
لكِنَّكَ مَحْبُوسٌ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الحُقُوق، أُطْلُبِ العُذْرَ شَيْئاً فَشَيْئاً مِنَ العُقُوق؛
حَتَّى لا يَأْخُذَكَ أَخْذَةً واحِدَةً المُحْتَسِب، اِجْعَلِ الماءَ صافِياً الآنَ يا مُحِبّ؛

ذَهَبَ الصُّوفِيُّ جِهَةَ صافِعِهِ ذاكَ، أَمْسَكَ بِثَوْبِهِ باليَدِ كما يَفْعَلُ المُدَّعِي؛
وَجاءَ بِهِ يَسْحَبُهُ إلى القاضي، أَنْ شَهِّرْ هذا الحِمارَ المُدْبِرَ على الحِمار؛
أو اضْرِبْهُ بالدُّرَّةِ في الجَزاء، على ذلِكَ الشَّكْلِ الَّذي يرى رَأْيُكَ في الجَزاء؛
فذاكَ الَّذي يَمُوتُ مِنْ زَجْرِكَ في الدَّمار، لا غَرامَةَ عَلَيْكَ فِيْهِ ذاكَ جُبار؛
في حَدٍّ وَتَعْزيرِ القاضي كُلُّ مَنْ مات، لا ضَمانَ على القاضِي فَلَيْسَ بصغير؛
إنَّهُ نائبُ الحَقِّ وَظِلُّ عَدْلِ الحَقّ، مِرآةُ كُلِّ مُسْتَحِقٍّ وَمُسْتَحَقّ؛
هُوَ يَقُومُ بالعِقابِ مِنْ أَجْلِ المَظْلُوم، لا مِنْ أَجْلِ عِرْضِهِ وَغَضَبِهِ وَنَفْعِه؛
ما دامَ مِنْ أَجْلِ الحَقِّ وَيَومِ الآجِلَه، إنْ حَدَثَ خَطَأٌ، الدِّيَّةُ على العاقِلَه؛
ذاكَ الَّذي ضَرَبَ لأجْلِ النَّفْسِ ضامِن، وذاكَ الَّذي ضَرَبَ لأجْلِ الحَقِّ آمِن؛
لَوْ أنَّ الأبَ ضَرَبَ الاِبْنَ فَماتَ، يَجِبُ أنْ يُطالَبَ ذلِكَ الأبُ بالفِدْيَة؛
ذاكَ لأنَّهُ ضَرَبَهُ مِنْ أَجْلِ عَمَلِ نَفْسِهِ، فإنَّ خِدْمَتَهُ على الوَلَدِ واجِبَة؛
وإذا ضَرَبَ المُعَلِّمُ الصَّبِيَّ فَأَصابَهُ التَّلَف، ما على المُعَلِّمِ مِنْ شَيءٍ فلا تَخَفْ؛
فَقَدْ جاءَ ذاكَ المُعَلِّمُ نائباً وَأَمِيْناً، وَكُلُّ أَمِيْنٍ هكذا يَكُونُ حُكْمُه؛
خِدْمَةُ الأُسْتاذِ لَيْسَتْ عَلَيْهِ واجِبَة، فالأُسْتاذُ لا يَزْجُرُهُ طَلَباً لِخِدْمَة؛
وإنْ كانَ الأَبُ ضَرَبَهُ فَمِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ ضَرَبَهُ، لا جَرَمَ لا يَنْجُو مِنْ دَفْعِ الدِّيَّة؛
فإذا صِرْتَ بلا أنانِيَةٍ فَكُلَّ ما فَعَلْت، أنتَ آمِنٌ *بِما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْت*؛
ذاكَ الضَّمانُ على الحَقِّ لا على الأمين، وَتَفْصِيْلُهُ في الفِقْهِ ظاهِرٌ وَمُبين؛
كُلُّ دُكَّانٍ لَهُ نَفْعٌ مُخْتَلِف، والمَثْنَوِيُّ دُكَّانُ الفَقْرِ أَيْ وَلَد؛
في دُكَّانِ الحَذَّاءِ جِلْدٌ جَمِيْل، وَقالَبٌ للحِذاءِ لَوْ نَظَرْتَ مِنْ خَشَب؛
وَعِنْدَ البَزَّازِيْنَ يُوْجَدُ القَزُّ والأَدْكَنُ، وإنْ وُجِدَ حَديدٌ فَمِنْ أَجْلِ القِياس؛
مَثْنَوِيُّنا دُكَّانُ الوَحْدَة، غَيْرَ الواحِدِ كُلَّ ما رَأَيْتَ صَنَم؛
مَدْحُ الصَّنَمِ مِنْ أَجْلِ صَيْدِ العامَّةِ، هكذا اعْرِفْ *كالغَرانيقِ العُلى*؛

قَرَأَها مُسْرِعاً في سُورَةِ *والنَّجم*، لكِنْ تِلْكَ كانَتْ فِتْنَةً لَمْ تَكُنْ مِنَ الصُّورَة؛

جُمْلَةُ الكُفَّارِ آنَذاكَ سَجَدُوا، شُرَكاءُ السِّرِّ أولئكَ دَقُّوا الرَّأْسَ بالباب؛

بَعْدَ هذا هُناكَ حَرْفٌ مُعَقَّدٌ وناءٍ، كُنْ مَعَ سُلَيْمانَ ولا تُثِرِ الشَّياطِيْن؛

وَقَدِّمْ حَدِيْثَ الصُّوفِيِّ والقاضِيْ، وذاكَ الظَّالِمَ الضَّعِيْفَ النَّحِيْفَ النَّحِيْل؛

قالَ القاضِيْ ثَبِّتِ العَرْشَ أَيْ وَلَد، حتَّى أَنْقِشَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ؛

مَنْ الضَّارِبُ مَنْ مَحَلُّ الاِنْتِقام، أهذا الَّذي صارَ خَيالاً مِنَ السِّقام؛

الشَّرْعُ مِنْ أَجْلِ الأحْياءِ والأغْنياء، أيْنَ هُوَ الشَّرْعُ مِنْ أَجْلِ أَصْحابِ القُبُور؛

أولئِكَ قَومٌ ذَهَبَتْ رُؤوسُهُمْ مِنَ الفَقْر، هُمْ أكثَرُ فناءً مِنْ المَوتى مِنْ مِئَةِ جِهَة؛

المَيْتُ فانٍ وفي الضَّرَرِ مِنْ وَجْهٍ واحِدٍ، وَصارَ الصُّوفِيُّونَ فانِيْنَ مِنْ مِئَةِ جِهَة؛

المَوتُ قَتْلٌ واحِدٌ وهذا ثلاثُمائَةِ أَلْف، ولِكُلِّ واحِدٍ مِنْها دِيَّاتٌ بلا حَصْر؛

رَغْمَ أنَّ الحَقَّ قَتَلَ هؤلاءِ القَومَ مَرَّاتٍ، فَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِمُ الخَزائِنَ دِيَّةً للدَّمّ؛

هُمْ مِثْلَ جرجيسَ كُلُّ واحِدٍ في السِّرار، صارَ مَقْتُولاً وَصارَ حَيَّاً سِتِّيْنَ مَرَّةً؛

مَقْتُولٌ مِنْ ذَوقِ سِنانِ العادِلِ، وَيَحْتَرِقُ أنِ اضْرِبْ ضَرْبَةً أُخْرى؛

واللهِ مِنْ عِشْقِ وُجُودِ عابِدِ الحَبيب، المَقْتُولُ أَكْثَرُ عِشْقاً للقَتْلِ الثَّانِي؛

قالَ القاضي أنا قاضيْ الأحْياء، متى كُنْتُ حاكِماً على أَصْحابِ القُبُور؛

هذا إذا لَمْ يَكُنْ بالصُّوْرَةِ في حُفْرَةِ القَبْر، فإنَّ القُبُورَ مَوجُوْدَةٌ في كُلِّ ما فِيْه؛

كَمْ مِنْ مَيِّتٍ رَأَيْتَ في القَبْر، فانْظُرْ إلى القَبْرِ في المَيِّتِ أَيُّها الأعْمى؛

لَوْ سَقَطَتْ عَلَيْكَ آجُرَّةٌ مِنْ قَبْر، متى يَطْلُبُ العاقِلُونَ القصاصَ مِنَ القَبْر؛

اكْظِمِ الغَيْظَ ولا تَصِرْ حاقِداً على المَيْت، اِنْتَبِهْ لا تُقاتِلْ صُورَةً على حَمَّام؛

وَكُنْ شاكِراً أنْ لَمْ يَضْرِبْكَ حَيٌّ، فإنَّ مَنْ رَدَّهُ الحَيُّ رَدَّهُ الحَقّ؛

غَضَبُ الأحْياءِ غَضَبُ وَطَعْنُ الحَقّ، فإنَّ ذاكَ الطَّاهِرَ الجِلْدِ حَيٌّ بالحَقّ؛

الحَقُّ قَتَلَهُ وَنَفَخَ في كِراعِه، وَسَلَخَ الجِلْدَ عَنْهُ مُسْرِعاً كالقَصَّابين؛

النَّفْخُ فيهِ باقٍ حَتَّى المآب، نَفْخُ الحَقِّ لَيْسَ مِثْلَ نَفْخَةِ القَصَّاب؛
إنَّ فَرْقاً كَبيراً ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْن، هذِهِ كُلُّها زَيْنٌ وَتِلْكَ كُلُّها شَيْن؛
هذِهِ قَطَعَتْ حَياتَهُ وَصارَتْ مُضِرَّة، وِتِلْكَ مِنْ نَفْخِ الحَقِّ أَعْطَتْ حَياةً مُسْتَمِرَّة؛
هذِهِ النَّفْخَةُ نَفْخَةٌ لا تَجِيْءُ بالشَّرْح، هيَّا اصْعَدْ مِنْ قَعْرِ الجُبِّ لأعلى الصَّرْح؛
لا اجْتِهادَ لِأَجْلِ تَشْهِيْرِهِ على حِمار، هَلْ وَضَعَ أَحَدٌ صُورَةَ حَطَبٍ على حِمار؛
ظَهْرُ الحِمارِ لَيْسَ مُلائماً لِيَجْلِسَ عَلَيْه ، ظَهْرُ التَّابُوْتِ أولى بِهِ وَأَنْسَب؛
الظُّلْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِه، ألا انْتَبِهْ لا تُضِعْهُ في غَيْرِ مَوضِعِه؛
قالَ الصُّوفِيُّ أَترى جائزاً إذَن، قِيامَهُ بِصَفْعِيْ صَفْعَةً بلا قصاصٍ ولا غَرامَة؛
أَيَكُونُ جائِزاً أنَّ دُبَّاً أَحْمَقَ قَلَّاشاً، يَقُومُ بِصَفْعِ الصُّوفِيِّيْنَ بِحَقارَة؛
قالَ القاضِي فما تَمْلكُ مِنَ القَليلِ والكَثير، قالَ أملكُ مِنَ الدُّنيا سِتَّةَ دراهِم؛
قالَ القاضِي فَأَخْرِجْ مِنْها ثلاثَةَ دراهِمَ، وأعْطِ تِلْكَ الثَّلاثَةَ مِنْها لَهُ بلا كلام؛
فَهُوَ نَحِيْلٌ وَمَرِيضٌ وَدَرْويشٌ وَضَعيف، وَيَحْتاجُ ثلاثَةَ دراهِمَ للفِجْلِ والرَّغِيْف؛
فَوَقَعَ مِنْهُ نَظَرٌ على قفا القاضي، وَكانَ ذاكَ أجْمَلَ مِنْ قفا الصُّوفِيّ؛
فَراحَ يَتَهَيَّأُ مِنْ أَجْلِ صَفْعِهِ باليَد، أنْ إنَّ قصاصَ صَفْعَتِي رَخِيْصٌ جِدَّاً؛
تَقَدَّمَ نَحْوَ أُذُنِ القاضِيْ كَمَنْ يُسارُّهُ، وَصَفَعَ القاضِيْ صَفْعَةً قَوِيَّةً؛
وقالَ أَيُّها الخَصْمانِ خُذا الدَّراهِمَ السِّتَّةَ، وأنا أَصِيْرُ حُرَّاً بلا نِزاعٍ وَوَصْم؛

غَضَبُ القاضي مِنْ صَفْعَةِ الدَّرويش وَتَوبيخُ الصُّوفِيّ للقاضي

صارَ القاضِي غاضِباً قالَ الصُّوفِيُّ: حُكْمُكَ عَدْلٌ لا شَكَّ فِيْهِ ولا غَيّ؛
ذاكَ الَّذي لا تَقْبَلُ للنَّفْسِ أَيْ شَيْخَ الدِّيْن، كَيْفَ تَقْبَلُهُ لأخِيْكَ أَيْ أمِيْن؛
ألا تَعْلَمُ وَأنتَ تَحْفِرُ البِئْرَ لأجْلي، أنَّكَ في العاقِبَةِ أوقَعْتَ النَّفْسَ في تِلْكَ البِئْر؛

أَلَمْ تَقْرَأْ في الخَبَرِ *مَنْ حَفَرَ بِئْراً*، اِعْمَلْ بِذاكَ الَّذي قَرَأْتَ أَيْ رُوحَ الأب؛
مِثْلُ حُكْمِكَ الفَريدِ هذا في صَفْعَةِ القفا، هُوَ الَّذي جاءَكَ بالصَّفْعَةِ على القفا؛
واهٍ على أحْكامِكَ الأُخْرى، وما سَيَجِيْءُ مِنْها لِرَأْسِكَ وَقَدَمِك؛
تَجِيْءُ بالرَّحْمَةِ للظَّالِمِ مِنَ الكَرَم، أنْ فَلْتَكُنْ لَكَ للنَّفَقَةِ ثلاثَةُ دراهِم؛
اِقْطَعْ يَدَ الظَّالِمِ فَأَيُّ مَحَلٍّ، كَيْ تَضَعَ في يَدِهِ الحُكْمَ والعِنان؛
أَنْتَ أَيْ مَجْهُولَ العَدْلِ شَبيهُ تِلْكَ المِعْزاة ، الَّتي أَرْضَعَتْ مَولُودَ الذِّئْبِ اللَّبَن؛

جَوابُ القاضِيْ للصُّوفِيّ

قالَ القاضي واجِبٌ عَلَينا الرِّضا بالقَضا، مِنْ كُلِّ صَفْعَةٍ على القفا وَكُلِّ جَفا؛
أنا سَعِيْدُ القَلْبِ في الباطِنِ مِنْ حُكْمِ الزُّبُر، وإنْ صِرْتُ عابِسَ الوَجْهِ فالحَقُّ مُرّ؛
قَلْبي هذا رَوْضٌ وَعَيْني غَيْمُهُ، إذا بكى الغَيْمُ ضَحِكَ الرَّوضُ سَعِيداً وَمَسْرُوراً؛
سَنَةَ القُحْطِ مِنَ الشَّمْسِ الضَّاحِكَةِ اللَّجُوج، تَكُونُ الرِّياضُ في مَوْتٍ وَنَزْعٍ للرُّوح؛
قَرَأْتَ مِنْ أَمْرِ الحَقِّ وابكُوا كَثيراً، فَلِماذا بَقِيتَ ضاحِكاً كَرَأْسِ جَدْيٍ مَشْوِيّ؛
تَصِيْرُ ضِياءَ الدَّارِ كَأَنَّكَ الشَّمْعَ، إذا سَكَبْتَ الدَّمْعَ كالشَّمْع؛
عُبُوسُ الوَجْهِ مِنَ الأُمِّ أو الأب، صارَ حافِظاً للوَلَدِ مِنْ كُلِّ ضَيْر؛
رَأَيْتَ لَذَّةَ الضَّحِكِ أَيْ ضاحِكاً سَفَهاً، فانْظُرْ لَذَّةَ البُكاءِ فذاكَ مَنْجَمُ شَهْد؛
إذا كانَ ذِكْرُ جَهَنَّمَ يَجِيْءُ بالبُكاء، فإنَّ جَهَنَّمَ تَصِيْرُ أحْلى مِنَ الجِنان؛
في البُكاءِ تَجِيْءُ في كَتْمٍ الضَّحِكات، أَيْ سَليمُ اطْلُبِ الكَنْزَ في الخَرابات؛
مُحِيَ أَثَرُ الطَّرِيقِ للَّذَّةِ في الغُمُوم، وَجُعِلَ ماءُ الحَياةِ في الظُّلُمات؛
النَّعْلُ مَعْكُوسَةٌ في الطَّرِيقِ حَتَّى الرِّباط، اِفْتَحِ العُيُونَ واسِعَةً في الاِحْتِياط؛
اِفْتَحِ العُيُونَ واسِعَةً في الاِعْتِبار، واجْعَلْ عَيْنَي الصَّدِيْقِ لِعَيْنَيْكَ عَوناً؛
وَأَمْرُهُمْ شُورى اقْرَأْ في الصُّحُف، كُنْ للصَّدِيْقِ ولا تَقُلْ لَهُ مِنَ الدَّلالِ أُفّ؛

الصَّديقُ يكُونُ للطَّريقِ مَلْجَأً وَظِهِيْراً، الصَّديقُ هُوَ الطَّريقُ لَوْ نَظَرْتَ حَسَناً؛
حِيْنَ تَصِلُ للأَصْدِقاءِ اجْلِسْ بِصَمْت، لِتِلْكَ الحَلَقَةِ لا تَجْعَلْ نَفْسَكَ فَصَّ الخاتَم؛
أُنْظُرْ جَيّداً بالفِكْرِ في صَلاةِ الجُمُعَة، الكُلُّ مُجْتَمِعُونَ وَبِفِكْرٍ واحِدٍ وَصامِتُون؛
اِحْمِلِ المَتاعَ إلى جِهَةِ الصَّمْت، ما دُمْتَ تَطْلُبُ الهَدَفَ لا تَجْعَلِ النَّفْسَ هَدَفاً؛
قالَ النَّبِيُّ أَنَّهُ في بَحْرِ الهُموم، اعْرِفِ الأَصْدِقاءَ أَدِلَّاءَ كالنُّجُوم؛
خَلِّ العَيْنَ على النُّجُومِ واطْلُبِ الطَّريق، النُّطْقُ تَشْويشٌ للنَّظَرِ فلا تَنْطِقْ؛
لَوْ قُلْتَ حَرْفَيْ صِدْقٍ أي فُلان، يجِيْءُ الكلامُ العَكِرُ في التَّبَعِ جارِياً؛
أما قَرَأتَ الكلامُ أَيْ مُسْتَهام، في شُجُونٍ جَرَّهُ جَرُّ الكلام؛
ألا لا تَكُنْ شارِعاً في ذلِكَ الحَرْفِ للرَّشَد، فإنَّ الحَديثَ يَجُرُّ مِنْهُ مُرَّ الحَديْث؛
لا يَكُونُ في ضَبْطِكَ إذا فَتَحْتَ الفَم، تَطْلُبُ الصَّافي فَيَجْري العَكِر؛
ذلِكَ لأَنَّهُ ما يَنْطِقُ رَسُولٌ بالهَوى، مِنْ مَعْصُومِ اللهِ متى وُلِدَ الهَوى؛
فاجْعَلْ مِنْ نَفسِكَ مَنْطيقاً مِنَ الحال، كَيْ لا تَصِيْرَ مِثْلِيْ سِخْرِيَّ المَقال؛

سُؤال ذلِكَ الصُّوفِيّ للقاضي

قالَ الصُّوفِيُّ ما دامَ الذَّهَبُ مِنْ مَنْجَمٍ واحِد، لِماذا هذا نَفْعٌ وذاكَ الآخَرُ ضَرَر؛
ما دامَ الجَميعُ جاؤوا مِنْ يَدٍ واحِدَة، لِماذا هذا واعٍ وذاكَ سَكْران؛
هذِهِ الجَداوِلُ تَجْري مِنْ بَحْرٍ واحِدٍ، لِماذا هذا عَذْبٌ وذاكَ سُمٌّ في الفَمّ؛
بِما أنَّ جَمِيْعَ الأنوارِ مِنْ شَمْسِ البقاء، مِمَّ طَلَعَ صُبْحٌ صادِقٌ وَصُبْحٌ كاذِبٌ؛
بِما أنَّ الوَسْمَةَ وَحْدَها للنَّاظِرِ كَحَل، مِمَّ جاءَتِ الرُّؤيَةُ الصَّحِيْحَةُ والحَوَل؛
بِما أنَّ دارَ ضَرْبِ النَّقْدِ سُلْطانُ الله، لِمَ ضُرِبَ النَّقْدُ صَحِيحاً وَغَيْرَ صَحِيْح؛

الحُرُّ والسَّفيْهُ كَيْفَ جاءا مِنْ بَطْنٍ واحِدٍ، ما دامَ صارَ يَقِيْناً الوَلَدُ سِرُّ أَبيه؛
مَنْ رأى الوَحْدَةَ في الآلافِ الكَثيرَةِ ، ومِئاتِ آلافِ الحَرَكاتِ مِنْ عَيْنِ القرار؛

جوابُ ذلِكَ القاضي للصُّوفِيّ

قالَ القاضي أَيْ صُوفِيُّ لا تَكُنْ حائراً، واسْمَعْ مِثالاً في بيانِ هذا؛
مِثْلَما يَكُونُ اضْطِرابُ العاشِقِيْن، حاصِلٌ مِنْ قرارِ المَعْشُوق؛
المَعْشُوقُ ثابِتٌ في الدَّلالِ كالجَبَل، والعاشِقُونَ في ارْتِعاشٍ مِثْلَ الوَرَق؛
ضُحْكَتُهُ أَثارَتِ البُكاء، ماءُ وَجْهِهِ أراقَ ماءَ الوُجُوه؛
هذا الجِدالُ كُلُّهُ كالزَّبَد، يَضْطَرِبُ على سَطْحِ بَحْرٍ بلا كَيْف؛
لا ضِدَّ لَهُ في الذَّاتِ والعَمَلِ ولا نِدَّ، مِنْ ذاكَ تُكْسى المَوجُوداتُ الحُلَل؛
متى يُعْطي الضِّدُّ ضِدَّهُ الكِيانَ والوُجُود، بَلْ إنَّهُ مِنْهُ يَفِرُّ خارِجاً وَيَنْفِر؛
والنِّدُّ ما دامَ مِثْلَ المِثْلِ في الخَيْرِ والشَّرّ، متى يَعْمَلُ المِثْلُ مِثْلاً لِنَفْسِه؛
لو كانا جاءا مِثْلَيْنِ أَيْ مُتَّقِي، كَيْفَ كانَ هذا أولى مِنْ ذاكَ في الخَلْق؛
عَديدُ أوراقِ البُسْتانِ مِنْ ضِدٍّ وَنِدّ، كَزَبَدٍ على بَحْرٍ بلا ضِدٍّ ولا نِدّ؛
فَلْتَرَ رَفْعَ وَخَفْضَ البَحْرِ بلا كَيْف، كَيْفَ لِذاتِ البَحْرِ أنْ تُسْتَوْعَبَ في الكَيْف؛
إذَنْ فَمِثْلُ هذا البَحْرِ الَّذي مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مِنْه، العَقْلُ والرُّوحُ أنْمى مِنَ البَدَن؛
متى اسْتَوْعَبَهُ مَضِيقُ الكَمِّ والكَيْف، والعَقْلُ الكُلِّيُّ هُناكَ مِنَ *الَّذينَ لا يَعْلَمُون*؛
العَقْلُ يَقُولُ للجَسَدِ أنْ أَيْ جَماد، لَمْ تَجِدِ العَبيرَ أَبَداً مِنْ بَحْرِ المعاد؛
الجِسْمُ يَقُولُ أنا ظِلُّكَ يَقِيْناً، مَنْ ذا الَّذي يَطْلُبُ العَوْنَ مِنَ الظِّلِّ أَيْ رُوحَ العَمّ؛
العَقْلُ يَقُولُ هذا لَيْسَ نِهايَةَ تِلْكَ الحَيْرَة، المُسْتَحِقُّ أَجْرَأُ مِنْ غَيْرِ المُسْتَحِقّ؛
الشَّمْسُ ذاتُ النُّورِ الأنْوَرِ هاهُنا، تَقُومُ بِخِدْمَةِ الذَّرَّةِ كالغُلام؛
الأَسَدُ هذِهِ الجِهَةَ يَضَعُ الرَّأْسَ للغَزال، والبازُ هُنا يَخْفِضُ الجَناحَ لِطائِرِ الدَّرَّاج؛

أَلا يَجِيْئُكَ التَّصْديقُ أنَّ المُصْطَفى، كانَ يَطْلُبُ الدُّعاءَ مِنَ المساكين؛
فإنْ قُلْتَ أنَّهُ كانَ طالِبَ التَّعْليم، مِنْ أَيّ وَجْهٍ كانَ التَّجْهِيْلُ عَيْنَ التَّفْهِيْم؛
بَلْ كانَ يَعْلَمُ أنَّ ذاكَ المَلِك، وَضَعَ كَنْزَ المُلُوكِ في الخَرابات؛
سُوءُ الظَّنِّ نَعْلُهُ المَعْكُوس، رَغْمَ أنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنْهُ بِهِ واشٍ؛
سَأَتَحَدَّثُ مَعَكَ حَديثَ *قُلْ ما شِئْت*، انتَبِهْ صُوفيُّ افْتَحْ أُذُنَ الرُّوحِ واسِعَة؛
كُلَّ ضَرْبَةٍ تَأتيكَ مِنَ السَّماء، كُنْ مُنْتَظِراً بَعْدَها الخَلْعَة؛
هُوَ لَيْسَ بالمَلِكِ الَّذي يَصْفَعُكَ الصَّفْعَةَ، ثُمَّ لا يَهَبُكَ التَّاجَ والتَّخْتَ المُسْتَنَد؛
الدُّنيا كُلُّها ثَمَنُها جَناحُ بَعُوْضَةٍ، وَعَطاءُ الصَّفْعَةِ عَطاءٌ بلا مُنْتَهى؛
عُنُقُكَ في طَوْقِ الدُّنيا الذَّهَبِيّ، اخْطِفْهُ مُسْرِعاً وَخُذِ الصَّفْعَةَ مِنَ الحَقّ؛
تِلْكَ الصَّفَعاتِ الَّتي احْتَمَلَ الأنبياء، مِنْ ذلِكَ البلاءِ رَفَعُوا الرُّؤوس؛
لكِنْ كُنْ حاضِراً بِنَفْسِكَ أَيْ فَتى، حَتَّى يَجِدَكَ حاضِراً في البَيْت؛
وإلَّا حَمَلَ الخلْعَةَ وَرَجَعَ بِها، أنْ لَمْ أجِدْ في البَيْتِ مِنْ شَخْص؛

استِفْسار الصُّوفيّ ثانِيَةً مِنْ ذلِكَ القاضي

قالَ الصُّوفِيُّ ماذا لَو كانَتِ الدُّنيا هذِهِ، وَجْهَ رَحْمَةٍ في بَشاشَةٍ على الدَّوام؛
فلا تُهيجُ كُلَّ لَحْظَةٍ فِتْنَةً مِنْ أمام، ولا تَجِيْءُ مِنْ تَلْويناتِها بالإبَر؛
لا اللَّيْلُ يَسْرُقُ سِراجَ النَّهار، ولا كانُوْنُ يَذْهَبُ بالرَّوْضِ باعِثِ السُّرُور؛
جامُ الصِّحَّةِ بلا حَجَرِ الحُمَّى، والأَمْنُ بلا خَوْفٍ يَجِيْءُ بالكُرَب؛
ما يَنْقُصُ مِنْ جُودِهِ وَرَحْمَتِه، لَوْ لَمْ تَكُنْ هُناكَ غُصَّةٌ في نِعْمَتِه؛

جوابُ القاضِيْ على سُؤالِ الصُّوفِيّ
وإيرادُهُ مَثَلاً قِصَّةَ التُّرْكِيّ والسَّارِق

قالَ القاضِي أنتَ صُوفِيٌّ بلا حَياء، خالٍ مِنَ الفِطْنَةِ كالكافِ الكُوفِيّ؛
أنتَ لَمْ تَسْمَعْ مَمْلُوءَ الشَّفَةِ سُكَّراً، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ غَدْرِ الخَيَّاطِيْنَ باللَّيْل؛
يَروي للخَلْقِ عَنْ تِلْكَ الطَّائِفَة، قِصَصَ السَّرِقاتِ السَّالِفَة؛
قِصَّةَ سَرِقَةِ القِطَعِ في التَّفصِيْل، يَرْوي الحِكايَةَ لِهذا وَذاك؛
يَقْرَأُ كِتابَ الخَيَّاطِ في السَّمَر، اجْتَمَعَ حَوْلَهُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ نَفَر؛
عِنْدَما وَجَدَ المُسْتَمِعَ الجاذِبَ مِنْ تِلْكَ الوُفُود، صارَتْ جَمِيْعُ أَجْزائِهِ حِكايَةً؛

قالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلام إنَّ اللهَ يُلَقِّنُ الحِكْمَةَ
على لِسانِ الواعِظِيْن بِقَدْرِ هَمِّ المُسْتَمِعِيْن

السَّمْعُ جاذِبُ حَديثِ شَخْصٍ كانَ عَذْبَ شَفَةٍ، نَشاطُ وَجِدُّ المُعَلِّمِ مِنَ الصَّبِيّ؛
عازِفُ القَيْثارَةِ على الأرْبَعِ وَعِشْرين، إذا لَمْ يَجِدِ المُسْتَمِعَ صارَ حامِلَ قَيْثارَة؛
لا حرارَةَ تَجِيْءُ إلى ذاكِرَتِهِ ولا غَزَل، ولا أنامِلُهُ العَشَرَةُ تَتَحَرَّكُ بالعَمَل؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ هُناكَ آذانٌ تَسْتَقْبِلُ الغَيْب، ما جاءَ الوَحْيُ مِنَ الفَلَكِ بِبُشْرى واحِدَة؛
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هُناكَ عُيُونٌ ترى الصُّنْع، ما دارَ الفَلَكُ و لا ضَحِكَتْ الأرْض؛
نَفَسُ *لَولاكَ* ذاكَ يَعْني أنَّ العَمَل، مِنْ أجْلِ العَيْنِ حادَّةِ النَّظَرِ والنِّظار؛
العامِيُّ مِنْ عِشْقِ الضَّجِيْعِ والطَّبَق، متى كانَ مُجازاً لَهُ عِشْقُ صُنْعِ الحَقّ؛
أنتَ لا تَصُبُّ حِساءَ السُّمَّاق في الوِعاء، ما لَمْ تُوْجَدْ عِدَّةُ كِلابٍ للاِغْتِذاء؛

اِذْهَبْ وَكُنْ كَلْبَ كَهْفِهِ الإلهِيّ حَتَّى، يُحَرِّرَكَ اصْطِفاؤهُ مِنْ وِعاءِ الحِساء؛
عِنْدَما ذَكَرَ تِلْكَ السَّرِقاتِ بلا رَحْمَةٍ، الَّتي يَقُومُ بِها أولئِكَ الخَيَّاطُونَ في الخَفاء؛
كانَ في ذلِكَ المَجْمَعِ تُرْكِيٌّ مِنْ خَطا، غَضِبَ بِشِدَّةٍ مِنْ كَشْفِ ذاكَ الغِطاء؛
إذْ كانَ يَكْشِفُ مِنْ أَجْلِ أَهْلِ النُّهى، تِلْكَ الأَسْرارَ لَيْلاً كَيَوْمِ القِيامَة؛
حَيْثُما جِئْتَ إلى مَعْرَكَةِ كلام، وَرَأَيْتَ هُناكَ عَدُوَّيْنِ في كَشْفِ السِّرّ؛
اعْرِفْ ذاكَ الزَّمانَ المَحْشَرَ المَذْكُور،واعْرِفْ ذاكَ الحَلْقَ النَّاطِقَ بالسِّرِّ الصُّور؛
فإنَّ اللهَ هَيَّأَ أَسْبابَ الغَضَب، وَأَلْقى بِتِلْكَ الفَضائحِ في الدِّيار؛
عِنْدَما أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ غَدْرِ الخَيَّاطِيْن، أَلَمَّ الحَيْفُ والغَضَبُ والأَلَمُ بالتُّرْكِيّ؛
قالَ يا أَيُّها القَصَّاصُ قُلْ مَنْ هُوَ الأَمْهَرُ، في هذا المَكْرِ والدَّغَل في مَدِيْنَتِكُم؛

ادِّعاءُ التُّرْكِيّ وَمُراهَنَتُهُ على أنَّ الخَيَّاطُ لا يَقْدِرُ أنْ يَسْلُبَنِيْ شَيْئاً

قالَ خَيَّاطٌ اِسْمُهُ بورشُشْ، قاتِلٌ للخَلْقِ في المَهارَةِ والسَّرِقَة؛
قالَ أنا ضامِنٌ أَنَّهُ بِمِئَةِ اضْطِراب، سَوْفَ لَنْ يَسْلُبَني خَيْطاً واحِداً مِنَ القِماش؛
قالَ إنَّ مَنْ هُمْ أَمْهَرُ مِنْكَ ، صارُوا ضَحاياهُ لا تَطِرْ بِدَعْواك؛
اِذْهَبْ لا تَصِرْ مَغْرُوراً بِعَقْلِكَ هكذا، فَتَصِيْرَ ضائعاً في أنواعِ التَّزْويرِ مِنْه؛
فازْدادَ حَماسُ التُّرْكِيّ وَراهَنَ هُناكَ، أنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ مِنِّي قَديماً ولا جَديداً؛
والمُطَمِّعُونَ جَعَلُوهُ أَكْثَرَ حَماساً سَريعاً، وَعَقَدَ الرَّهْنَ وافْتَتَحَ الرِّهان؛
أنِ الرَّهْنُ مَرْكَبي هذا الجَوادُ العَرَبِيّ، أَدْفَعُهُ إنْ سَرَقَ مِنّي القِماشَ بِفَنِّه؛
وإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ آخُذُ جَواداً مِنْكُمْ، وذلِكَ مِنْ أَجْلِ ما بَدَأْتُ بِهِ مِنْ رَهْن؛
تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ القَلَقِ لَمْ يَنَمِ التُّرْكِيّ، كانَ في قِتالٍ مَعَ خيالِ السَّارِق؛
مَعَ الصَّباحِ تَأَبَّطَ قِماشاً مِنَ الأَطْلَس، وَذَهَبَ للبازارِ لِدُكَّانِ ذاكَ الدَّغِل؛
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِحَرارَةٍ والأُسْتاذُ ذاكَ، نَهَضَ مِنَ المَكانِ مُسْرِعاً تَرْحيباً بِهِ؛

وَسَأَلَهُ بِحَرارَةٍ تَزيدُ عَنْ حَدِّ التُّرْكِيّ، حَتَّى أَلْقى بِمَحَبَّتِهِ في قَلْبِه؛
حِيْنَ رأى مِنْهُ الغِناءَ البُلْبُلِيّ، ألقى أمامَهُ الأطْلَسَ الإِسْتَنْبُلِيّ؛
أنْ فَصِّلْ هذا قَباءً لِيَومِ الحَرْب، واسِعاً تَحْتَ سُرَّتي ضَيّقاً مِنْ أعْلى؛
ضَيّقاً مِنْ أَعْلى لِتَزْيينِ الجِسْم، واسِعاً مِنْ أَسْفَلَ لِئَلّا يُعيْقَ القَدَم؛
قالَ أَقُومُ بِمِئَةِ خِدْمَةٍ أَيْ ذا الوِداد، وَوَضَعَ اليَدَ على العَيْنِ إشارَةَ القَبُول؛
ثُمَّ قاسَهُ وَنَظَرَ في وَجْهِ العَمَل، وَبَعْدَ ذلِكَ فَتَحَ الشَّفَةَ بالحَديثِ الباطِل؛
بِحكايا الأُمَراءِ الآخَرين، وَعَطايا أولئِكَ النَّفَرِ والكَرَم؛
وَعَنِ البُخَلاءِ وَعَنْ تَقتيرِهِم، وأعْطى الإشارَةَ أَيْضاً لأجْلِ الضَّحِك؛
وَأَخْرَجَ القِماشَ مُسْرِعاً كالنَّار، وراحَ يقْطَعُ القِماشَ وَمِلْءُ شَفَتِهِ الخُرافَةُ والفُتُون؛

قَوْلُ الخَيَّاطِ للأَضاحِيْك وإغْلاقُ التُّرْكِيّ لِعَيْنَيْهِ الصَّغِيْرَتَيْنِ مِنَ الضَّحِكِ وَوُجْدانُ الخَيَّاطِ الفُرْصَة

أَخَذَ التُّرْكِيَّ الضَّحِكُ مِنَ الحِكايَة، عَيْنُهُ الصَّغِيْرَةُ صارَتْ في اللَّحْظَةِ مُغْلَقَة؛
سَرَقَ قِطْعَةً مِنَ القِماشِ وَجَعَلَها تَحْتَ الفَخِذ، وأخْفاها عَنْ كُلِّ حَيٍّ خلا الحَقّ؛
الحَقُّ كانَ يرى ذاكَ لكِنَّهُ سَتَّارٌ، إلّا أنَّهُ إذا جازَ الأَمْرُ الحَدَّ فَضَح؛
التُّرْكِيُّ مِنْ لَذَّةِ الحِكايَةِ، ذَهَبَتْ مِنْ قَلْبِهِ دَعْواهُ السَّابِقَة؛
أَيُّ أَطْلَسٍ أَيَّةُ دَعْوى وَأَيُّ رَهْن، التُّرْكِيُّ سَكْرانُ الرَّأْسِ وفي اللَّعِبِ والمُزاح؛
وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أنْ مِنْ أَجْلِ الله، داوِمْ على حَديثِكَ المُضْحِكِ فإنَّهُ لي مُغْتَذى؛
فقالَ ذاكَ الدَّغِلُ نُكْتَةً مُضْحِكَةً، فَوَقَعَ التُّرْكِيُّ مِنَ القَهْقَهَةِ على قفاه؛
فَوَضَعَ قِطْعَةً خِلْسَةً تَحْتَ حِزامِ السِّرْوال،والتُّرْكِيُّ الغافِلُ في لَذَّةِ حلاوَةِ الضَّحِك؛
للمَرَّةِ الثَّالِثَةِ تُرْكِيُّ خطا ذاكَ، قالَ قُلْ نُكْتَةً أُخْرى مِنْ أَجْلِ الله؛
فقالَ نُكْتَةً أَكْثَرَ إِضْحاكاً مِنَ السَّابِقَتَيْن، وَجَعَلَ هذا التُّرْكِيَّ صَيْداً بِكُلِّيَّتِه؛

صارَ التُّرْكِيُّ المُدَّعِيْ مِنَ القَهْقَهَهْ، مُغْلَقَ العَيْنِ نافِرَ العَقْلِ سَكْرانَ في وَلَهْ؛
فَسَرَقَ فَرْعاً مِنَ القباءِ للمَرَّةِ الثَّالِثَة، فَقَدْ وَجَدَ المَيْدانَ واسِعاً مِنْ ضَحِكِه؛
حِيْنَ تُرْكِيٌّ خَطا ذاكَ للمَرَّةِ الرَّابِعَة، قامَ بِطَلَبِ نُكْتَةٍ مِنْ ذلِكَ الأُسْتاذ؛
جاءَتْ ذلِكَ الأُسْتاذَ رَحْمَةٌ عَلَيْه، لِئَلَّا يَقُومَ بِمَزيدٍ مِنَ الاِحْتيالِ والظُّلْم؛
قالَ للنَّفْسِ: هذا المَفْتُونُ صارَ مُوْلَعاً بِهذا، غافِلاً عَنْ أَيَّةِ خَسارَةٍ وَأَيِّ غَبْن؛
وَراحَ ذاكَ يَنْثُرُ القُبَلَ على الأُسْتاذ، أنْ مِنْ أَجْلِ اللهِ ارْوِ لي نُكْتَةً؛
أيْ مَنْ صِرْتَ خُرافَةً وَمَحْواً مِنَ الوُجُود، كم خُرافَةً تُريدُ أنْ تُجَرِّب؛
ولا خُرافَةَ أَكْثَرُ إثارَةً للضَّحِكِ مِنْكَ، فَلْتَقِفْ على شَفِيْر قَبْرِكَ الخَراب؛
أيُّها النَّازِلُ في قَبْرِ الجَهْلِ والشَّكِّ، كم تَبْحَثُ عَنِ السُّخْرِيَةِ وَقِصَصِ الفَلَك؛
إلامَ شُرْبُكَ خِداعَ هذِهِ الدُّنيا، فلا عَقْلُكَ بَقِيَ على القانُونِ ولا الرُّوح؛
لَغْوُ هذا الفَلَكِ نَديمُ الحَمْقى، أَخَذَ ماءَ وَجْهِ مِئاتِ الألوفِ مِنْ أمثالِك؛
يُمَزِّقُ وَيَخِيْطُ هذا الخَيَّاطُ العامّ، ثَوْبَ كُلِّ طِفْلٍ خامٍ عُمْرُهُ مِئَةُ عام؛
اللَّغْوُ وَإِنْ أعطى العَطاءَ للبساتين، حِيْنَ يَجِيْءُ الشِّتاءُ يُعْطي عَطاءَهُ للرِّيْح؛
الشُّيُوخُ والأَطْفالُ جالِسُونَ أمامَهُ للكَدّ، لِيَتَحَدَّثَ هازِلاً بالنَّحْسِ والسَّعْد؛

قَوْلُ الخَيَّاطِ للتُّرْكِيِّ أنِ اصْمتْ فإنَّني إذا
قُلْتُ أَضاحِيْكَ أُخْرى يَصِيْرُ قباءُكَ ضَيِّقاً

قالَ الخَيَّاطُ أَيْ خَصِيُّ دَعْ هذا ، الوَيْلُ لَكَ إذا قُلْتُ أُضْحُوكَةً أُخْرى؛
فإنَّ قَباءَكَ إذَنْ يَصِيْرُ ضَيِّقاً كَثيراً، وما مِنْ شَخْصٍ يَفْعَلُ بالنَّفْسِ مِثْلَ هذا؛
لَو كُنْتَ تَعْلَمُ ما هُوَ الرَّمْزُ في الضَّحِك ، لَكُنْتَ إذَنْ بَكَيْتَ دَماً بَدَلَ الضَّحِك؛

بيانُ أنَّ العاطِلِيْنَ وَطالِبي الخُرافاتِ مِثْلُ ذلِكَ التُّرْكِيّ ، والعالَمَ الغَرَّارَ الغَدَّارَ مِثْالُ ذاكَ الخَيَّاط ، والشَّهَواتُ والنِّساءُ حَديثُ الأضاحِيْكِ مِنْ هذِهِ الدُّنيا، والعُمُرُ مِثْلَ ذاكَ الأَطْلَسِ أمامَ هذا الخَيَّاطِ لأجْلِ صُنْعِ قباءِ البقاء وَلِباسِ التَّقْوى

أَطْلَسَ عُمُرِكَ بِمِقْراضِ الشُّهُور، قِطْعَةً قِطْعَةً أَخَذَ خَيَّاطُ الغُرُور؛
وَأنتَ تَتَمَنَّى أنَّ النَّجْمَ على الدَّوام، يَكُونُ مُهازِلَكَ وَمُسْعِدَكَ على الدَّوام؛
وَأَنتَ في هَلَعٍ شَديدٍ مِنْ تَربيعاتِه، وَمِنْ دلالِهِ وَبُغْضِهِ وآفاتِه؛
وَتَأْلَمُ الأَلَمَ الشَّدِيْدَ مِنْ صَمْتِه، وَمِنْ نُحُوسِهِ وَقَبْضِهِ وَحِقْدِهِ في سَعْيِه؛
أنْ لِمَ زُهُرَةُ الطَّرَبِ لَيْسَتْ راقِصَة، فَلْتَكُنْ بلا تَوَقُّفٍ عَنِ السُّعُودِ وَرَقْصِ السَّعْد؛
فَيَقُولُ لَكَ نَجْمُكَ لَوْ زِدْتُ في المُزاحِ لَكَ، لَجَعَلْتُكَ مَغْبُوناً بِكُلِّيَّتِكَ إِذَن؛
فلا تَنْظُرْ إلى زَيْفِ هذِهِ النُّجُوم، وانْظُرْ لِعِشْقِكَ للزَّيْفِ أَيُّها المُهان؛

مَثَل

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَسِيْرُ في الطَّريقِ للدُّكَّان، فَرَأى الطَّريقَ أمامَهُ مُغْلَقاً مِنَ النِّساء؛
كانَ يَحْرِقُ القَدَمَ مِنَ العَجَلَةِ وكانَ الطَّريقُ، مُغْلَقَاً مِنْ جَوْقِ النِّساءِ كالأقْمار؛
وَجَّهَ الوَجْهَ لامْرَأَةٍ وَقالَ أَيْ مُسْتَهانَة، كَمْ أنتُنَّ كَثيراتٌ أَيَّتُها البَناتُ الجَمِيْلات؛
فَوَجَّهَتْ تِلْكَ المَرْأَةُ لَهُ الوَجْهَ وَقالَتْ أَيْ أَمِيْن، لا تَرَ كَثْرَتَنا مُنْكَراً أَبَداً؛
أُنْظُرْ إلى كَمْ نَحْنُ كَثيراتٌ على البِساط، وَضاقَ عَلَيْكُمْ رَغْمَ كَثْرَتِنا الانْبِساط؛
وَقَعْتُمْ في اللِّواطِ مِنْ قُحْطِ النِّساء، والفاعِلُ والمَفْعُولُ فَضِيْحَةُ الزَّمَن؛
أنتَ لا تَنْظُرْ إلى واقِعاتِ الدَّهْرِ هذِه، الَّتي تَصيرُ مِنَ الفَلَكِ هاهُنا مَريرَةً؛

ولا تَنْظُرْ إلى ضِيْقِ الرِّزْقِ والمَعاش، ولا تَنْظُرْ لِهذا القُحْطِ والخَوْفِ والارْتِعاش؛

أُنْظُرْ أنَّكُمْ مَعَ كُلِّ مَرارَتِهِ هذِه، أنتُمْ مَيِّتُونَ فِيْهِ وَفِيْ تَمَنُّعِهِ وَعَدَمِ مَيْلِه؛

اعْرِفِ امْتِحانَ المَرارَةِ رَحْمَةً، واعْرِفْ مُلْكَ مَرْوَ وَبَلْخَ نِقْمَةً؛

إبْراهِيمُ ذاكَ أقامَ وَلَمْ يَفِرَّ مِنَ التَّلَف، وهذا الإبراهيمُ فَرَّ هارِباً مِنَ الشَّرَف؛

ذاكَ لَمْ يَحْتَرِقْ وهذا احْتَرَقَ أَيْ عَجَب ، اِعْلَمِ النَّعْلُ مَعْكُوسَةٌ في طَرِيقِ الطَّلَب؛

تِكْرارُ الصُّوفِيّ للسُّؤال

قالَ الصُّوفِيُّ فذلِكَ المُسْتَعانُ قادِرٌ ، على أنْ يَجْعَلَ نَفْعَنا خالِصاً بلا ضَرَر؛

ذاكَ الَّذي جَعَلَ مِنَ النَّارِ الوَرْدَ والشَّجَر، يَقْدِرُ أنْ يَجْعَلَ هذا أَيْضاً بلا ضَرَر؛

ذاكَ الَّذي أطْلَعَ الوَرْدَ مِنْ عَيْنِ الشَّوك، يَقْدِرُ أنْ يَجْعَلَ هذا الشِّتاءَ رَبيعاً أَيْضاً؛

ذاكَ الَّذي جَعَلَ كُلَّ سَرْوٍ حُرّاً مِنْهُ، قادِرٌ على أنْ يَجْعَلَ مِنَ الغُصَّةِ سعادَةً؛

ذاكَ الَّذي كُلُّ عَدَمٍ صارَ مَوْجُوداً مِنْهُ، ما كانَ يَنْقُصُ مِنْهُ لَوْ جَعَلَهُ باقِياً؛

ذاكَ الَّذي أعطى البَدَنَ الرُّوحَ فَصارَ حَيَّاً، أَيُّ ضَرَرٍ يُصيبُهُ لَوْ لَمْ يُمِتْهُ؛

ما الَّذي يَكُونُ لَوْ وَهَبَ ذاكَ الجَواد، مَقْصُودَ الرُّوحِ لِعَبْدِهِ بِغَيْرِ اجْتِهاد؛

وَأَبْعَدَ بَعِيْداً عَنِ الضُّعَفاءِ في الكَمِيْن ، المَكْرَ مِنَ النَّفْسِ وَفِتْنَةَ الشَّيْطانِ اللَّعِيْن؛

جَوابُ القاضِي للصُّوفِيّ

قالَ القاضي لَوْ لَمْ يَكُنِ الأمْرُ المُرّ، وَلَمْ يَكُنِ الجَميلُ والقَبيحُ والحَجَرُ والدُّرّ؛

وَلَوْ لَمْ تَكُنِ النَّفْسُ والشَّيْطانُ والهَوى، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الظُّلْمُ والأذى والوَغى؛

بِأَيِّ اِسْمٍ وَلَقَبٍ إذَنْ يَدْعُو المَلِكُ ، عَبِيْدَ نَفْسِهِ أيْ مُنْتَهِك؛

كَيْفَ كانَ يَقُولُ أَيْ صَبُورُ وَأَيْ حَلِيْم، كَيْفَ كانَ يَقُولُ أَيْ شُجاعُ وَأَيْ حَكِيم؛

دُونَ قَطْعِ الطَّرِيقِ مِنْ إبليسَ اللَّعِيْن، لا تَعْرِفُ الصَّابِرِينَ والصَّادِقِيْنَ والمُنْفِقِيْن؛

لَمْ يكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ رُسْتَمَ وَحَمْزَةَ والمُخَنَّث، وكانَ العِلْمُ والحِكْمَةُ باطِلَيْنِ وَدَكّاً؛
العِلْمُ والحِكْمَةُ للتَّفْريقِ بَيْنَ الطَّريقِ وَغَيْرِها، إذا كَانَ الكُلُّ طَرِيقاً فالحِكْمَةُ فارِغَة؛
مِنْ أَجْلِ دُكّانِ الطَّبْعِ مالِحِ الماءِ هذا، أَتُجِيْزُ أنْ تَجْعَلَ كِلا العالَمَيْنِ خَراباً؛
أنا أَعْلَمُ أَنَّكَ طاهِرٌ لا خام، وَأَنَّ سُؤالَكَ هذا مِنْ أَجْلِ العَوام؛
إنَّ جَوْرَ الدَّوَرانِ وَكُلَّ أَلَمٍ كان، أَسْهَلُ مِنْ بُعْدٍ عَنِ الحَقِّ وغَفْلَةٍ ونِسْيان؛
ذلِكَ أنَّ هذا يَمُرُّ وذاكَ لا يَمُرّ، يَمْلِكُ الدَّوْلَةَ مَنْ مَلَكَ رُوحاً واعِيَةً؛

حِكايَةٌ في أنَّ الصَّبْرَ على العَذاب
أَسْهَلُ مِنَ الصَّبْرِ على فِراقِ الحَبيب

تِلْكَ امْرَأَةٌ قالَتْ لِزَوْجِها أَيْ أنتَ، أَيْ مَنْ طَوَيْتَ المُرُوءَةَ طَيّاً دُفْعَةً واحِدَة؛
لِماذا أنتَ لا تَقُومُ أبَداً بِرِعايَتي، إلى متى أَظَلُّ في هذا الهَوانِ وَلِماذا؛
قالَ أَيْ زَوْجَةُ أنا أَعْمَلُ الحِيْلَةَ للنَّفَقة، رَغْمَ أَنِّيْ عَوِرٌ أنا أَسْعى باليَدِ والقَدَم؛
النَّفَقةُ والكِسْوَةُ واجِبَتانِ أي ذاتَ الجَمال، هُما لَكِ مِنّي كِلْتاهُما بلا إقْلال؛
فقامَتِ المَرْأَةُ بِعَرْضِ كُمِّ الثَّوب، وكانَ الثَّوْبُ خَشِناً جِدّاً وَمَمْلُوءاً بالقَذَر؛
قالَتْ إنَّهُ يَأكُلُ بَدَني مِنَ الخَشُونَة، ما مِنْ شَخْصٍ كَسا شَخْصاً هكذا كِساءً؛
قالَ أَيْ امْرَأَةُ أَسْأَلُكِ سُؤالاً، أنا رَجُلٌ دَرويشٌ وَهذا مَبْلَغُ جَهْدي؛
هذا خَشِنٌ وَغَليظٌ وَغَيْرُ مَقْبُول، لكِنْ فَكِّري أَيَّتُها المَرْأَةُ العاقِلَة؛
أهذا أَخْشَنُ وَأَقْبَحُ أمِ الطَّلاق، أهذا مَكْرُوهٌ لَكِ أَكْثَرَ أمِ الفِراق؛
كذلِكَ تَشْنيعُكَ أَيْ صاحِبَ التَّشْنيع، مِنَ البلاءِ والفَقْرِ وَمِنَ الأَلَمِ والمِحَن؛
تَرْكُ الهَوى يُعْطي المَرارَةَ بلا شَكّ، لكِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ مَرارَةِ البُعْدِ عَنِ الحَقّ؛
كِلا الجِهادِ والصَّومِ قاسٍ وَخَشِن، لكِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ بُعْدِ المُمْتَحِن؛

الأَلَمُ متى يبقى لَحْظَةَ ذُو المِنَن، يَقُولُ لَكَ كَيْفَ حالُكَ أَيْ مُرْتَضى؛
وإنْ لَمْ يَقُلْ إذْ لَيْسَ لَكَ ذلِكَ الفَهْمُ والفَنّ، فإنَّ لَذَّتَكَ تِلْكَ هِيَ ذاكَ السُّؤال؛
المِلاحُ الَّذينَ هُمْ أَطِبَّاءُ القُلُوبِ أولئك، مائلُونَ إلى جِهَةَ ذَوي الآلامِ بالسُّؤال؛
وإنْ كانُوا على حَذَرٍ مِنَ الشُّهْرَةِ وَمِنَ الإسْمِ، هَيَّأوا الوَسائِلَ وَأَرْسَلُوا الرَّسائل؛
وإنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَهُوَ في قَلْبِهِمْ مُفْتَكَر، ما مِنْ مَعْشُوقٍ هُوَ عَنِ العاشِقِ بلا خَبَر؛
أَيْ أنتَ الباحِثُ عَنْ نَوادِرِ القِصَص، اِقْرَأْ أُسْطُورَةَ العاشِقِيْنَ المُقامِرين؛
كَمْ غَلَيْتَ في هذا العَهْدِ المَديد، لَمْ تَصِرْ غَلْياً بِغَلْيِ التُّرْكِ أَيْ قَدِيْد؛
رَأَيْتَ الحُكْمَ والعَدْلَ عُمْراً، وَأَنْتَ مُبْتَدِئٌ أَكْثَرَ مِمَّنْ لَمْ يَرَ؛
كُلُّ مَنْ تَتَلْمَذَ صارَ أُسْتاذاً، وَأَنتَ تَسِيْرُ للخَلْفِ أَيُّها الأعْمى اللُّدّ؛
لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنَ الوالِدَيْنِ اخْتيار، كما لَمْ تَكُنْ لَكَ عِبْرَةٌ مِنَ اللَّيْلِ والنَّهار؛

مَثَل

عارِفٌ سَأَلَ ذلِكَ القِسّيْسَ الشَّيْخ، أنْ أَيْ سَيّدُ أَأَنْتَ أَكْبَرُ سِنّاً أَمْ لِحْيَتُك؛
قالَ بَلْ أنا أَكْبَرُ مِنْها فَأنا جِئْتُ قَبْلَها، لَقَدْ جِئْتُ للعالَمِ مِنْ غَيْرِ لِحْيَة؛
قالَ لِحْيَتُكَ ابْيَضَّتْ وَتَغَيَّرَتْ عَنِ الحال، وَطَبْعُكَ القَبيحُ لَمْ يَتَغَيَّر عَنِ الحال؛
هِيَ وُلِدَتْ بَعْدَكَ وَسَبَقَتْكَ، وَأَنتَ يابِسٌ هكذا في اشْتِهاءِ الثَّريد؛
أنتَ على اللَّونِ الَّذي وُلِدْتَ عَلَيْهِ أَوَّلاً، وَلَمْ تَخْطُ عَنْ ذاكَ للأمامِ قَدَماً واحِدَة؛
أنتَ في المَعْدِنِ مِثْلَ المَخِيْضِ الحامِضِ، وَلَمْ تَقُمْ بِتَخْلِيْصِهِ مِنَ الزَّيْت؛
أنتَ خَمِيْرٌ وَطِيْنَةٌ في التَّخْمِيْر، رَغْمَ أَنَّكَ عُمُراً في تَنُّورِ النَّار؛
أَنْتَ عالِقُ القَدَمِ بِالطِّيْنِ كالعُشْبَةِ على هَضَبَةٍ، وَتَمايَلُ بالرَّأْسِ مِنْ ريحِ الهَوَس؛
مِثْلَ قَومِ مُوسى في حَرِّ التِّيْه، بَقِيْتَ في المَكانِ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً أَيْ سَفِيْه؛
تَمْشي مِنَ النَّهارِ إلى اللَّيْلِ هَرْوَلَه، فَتَرى نَفْسَكَ في أَوَّلِ مَرْحَلَه؛

لَنْ تَعْبُرَ مِنْ هذا بَعْدَ ثلاثِمائةِ عام، ما دُمْتَ تَمْلِكُ عِشْقَ ذلِكِ العِجْل؛
ما لَمْ يَذْهَبْ خَيالُ العِجْلِ مِنْ أرواحِهِم، يَظَلُّ لَهُمُ التِّيْهُ كاللُّجَّةِ العَظِيْمَة؛
غَيْرَ هذا العِجْلِ الَّذي وَجَدْتَهُ مِنْهُ، رَأَيْتَ لُطْفاً وَنِعْمَةً بلا نِهايَة؛
أنتَ بِطَبْعِ البَقَرِ فالمَحاسِنُ العَظِيْمَةُ، ذَهَبَتْ مِنْ قَلْبِكَ في عِشْقِ هذا العِجْل؛
مَرَّةً الآنَ سَلْ كُلَّ جُزْءٍ مِنْك، هذِهِ الأجْزاءُ الخَرْساءُ تَملِكُ مِئَةَ لِسان؛
ذِكْرَ نِعَمِ رَزَّاقِ العالَم، ذاكَ صارَ مَخْفِيَّاً في أوراقِ الزَّمان؛
أنتَ ماهِرٌ في طَلَبِ الخُرافَةِ اللَّيْلَ والنَّهار، أنتَ جُزْءاً جُزْءاً مُتَحَدِّثٌ بالخُرافَة؛
إلى أنْ طَلَعَتْ أَجْزاؤكَ جُزْءاً جُزْءاً مِنَ العَدَم، كَمْ مِنْ سُرُورٍ رَأَتْ وَكَمْ مِنْ غَم؛
ذلِكَ أنَّ كُلَّ جُزْءٍ لا يَنْمُو بلا لَذَّة، بَلْ إنَّ الجُزْءَ يَنحُلُ مِنْ كُلِّ عائِق؛
بَقِيَ الجُزْءُ واللَّذَّةُ ذَهَبَتْ مِنَ الفِكْر، لَمْ تَذْهَبْ بَقِيَتْ مَخْفِيَّةً عَنِ الخَمْسِ والسَّبْع؛
مِثْلَ فَصْلِ الصَّيْفِ وُلِدَ مِنْهُ القِطْنُ، وَبَقِيَ القِطْنُ وَذَهَبَ الصَّيْفُ مِنَ الذَّاكِرَة؛
أو مِثالَ الثَّلْجِ الَّذي وُلِدَ مِنَ الشِّتاء، وَصارَ الشِّتاءُ مُخْتَفِياً وَبَقِيَ الثَّلْجُ أمامَنا؛
هذا الثَّلْجُ عَنْ تِلْكَ الصُّعُوبَةِ تِذْكار، وَتِذْكارُ الصَّيْفِ في الشِّتاءِ هذِهِ الثِّمار؛
وَهَكَذا كُلُّ جُزْءٍ جُزْءٍ مِنْكَ أَيْ فَتى، في بَدَنِكَ مُتَحَدِّثٌ عَنْ نِعْمَة؛
مِثْلَ امْرَأَةٍ كانَ لها عِشْرُونَ وَلَداً، كُلُّ واحِدٍ حاكٍ عَنْ حالَةٍ مِنَ اللَّذَّة؛
الحَمْلُ لَمْ يَكُنْ بلا نَشْوَةٍ وَغَزَلٍ، بلا رَبيعٍ مَتى يُثْمِرُ البُسْتان؛
الحَوامِلُ وأطْفالُهُنَّ في جِوارِهِنَّ، دَليلٌ على لَعِبِ العِشْقِ في الرَّبيع؛
كُلُّ شَجَرَةٍ في رِضاعِ الأطْفال، مِثْلَ مَرْيَمَ حامِلٌ مِنْ مَلَكٍ خَفِيّ؛
رَغْمَ أنَّ النَّارَ في الماءِ أُخْفِيَتْ، مِئَةُ ألْفِ زَبَدٍ عَلَيْهِ يَجِيْش؛
وإنْ كانَتِ النَّارُ تَسْعى في خَفاءٍ شَدِيْد، الزَّبَدُ يُشِيْرُ إِلَيْها بالأصابِعِ العَشْر؛
وهكذا أجْزاءُ سَكارى الوِصال، حامِلٌ مِنْ تَماثيلِ الحالِ والقال؛
في جَمالِ الحالِ الفَمُ عاجِزٌ، والعَيْنُ صارَتْ غائِبَةً عَنْ رَسْمِ الوُجُود؛

تِلْكَ المَواليدُ لَيْسَتْ مِنْ طَريقِ تِلْكَ الأَرْبَعَة، لا جَرَمَ لَيْسَتْ مَرْئِيَّةً بِهذِهِ الأَبْصار؛
تِلْكَ المَواليدُ مَولُودَةٌ مِنَ التَّجَلِّي، لا جَرَمَ هِيَ مَسْتُورَةٌ بِحجابٍ لَطِيْف؛
قُلنا المَواليدَ ولا ولادَةَ في الحَقيقَة، هذِهِ العِبارةُ لَيْسَتْ لِغَيْرِ الإرشاد؛
هَيَّا اصْمُتْ كَيْ يَقُولَ مَلِكُ قُلْ، لا تَبعْ تَغْريْدَ البُلْبُلِ لِجِنْسِ الوَرْدِ هذا؛
هذا الوَرْدُ النَّاطِقُ مِلْؤُهُ النَّحِيْبُ والنَّشيْج، بُلْبُلا أُتْرُكِ اللِّسانَ وَكُنْ أُذُناً؛
الكَونانِ كِلاهُما تِمْثالُ طاهِرِ المِثال، شاهِدا عَدْلٍ على سِرِّ الوِصال؛
كِلا الكَوْنَيْنِ مِنَ الحُسْنِ اللَّطِيْفِ للمُرْتَضى، شاهِدُ أَحْبالِ وَحَشْرِ ما مَضى؛
مِثْلَ الثَّلْجِ في تَمُّوزَ مُسْتَجَدّ، كُلَّ لَحْظَةٍ يَرْوي قِصَّةَ الشِّتاء؛
ذِكْرَ تِلْكَ الرِّياحِ البارِدَةِ والزَّمْهَرير، في تِلْكَ الأَيَّامِ والزَّمَنِ العَسِيْر؛
وَمِثْلَ تِلْكَ الثِّمارِ في وَقْتِ الشِّتاء، تَرْوي حِكايَةَ لُطْفِ الله؛
قِصَّةَ دَوْرِ ابتِساماتِ الشَّمْس، وما كانَ مِنْ أَعْراسِ الرِّياضِ مِنْ لَمْسٍ وَطَمْس؛
الحالُ مَضى وَجُزْءُكَ ظَلَّ تِذْكاراً، أو قُمْ بالإسْتِفْسارِ مِنْهُ أو أنتَ نَفْسُكَ تَذَكَّر؛
إذا سَكَنَ غَمُّكَ إنْ كُنْتَ ماهِراً، قُمْ بالبَحْثِ عَنْ لَحْظَةِ اليَأْسِ تِلْك؛
قُلْ لَهُ أَيْ غَمَّاً مُنْكَراً بالحال، أنتَ رَواتِبُ الإنعامِ مِنْ ذلِكَ الكَمال؛
وَإِنْ لَمْ يَجْعَلْ لَكَ كُلَّ لَحْظَةٍ رَبيعاً وَنُضْرَةً، بَدَنُكَ كالوَرْدِ المُتَراكِمِ مَخْزَنٌ لِماذا؛
الوَرْدُ بَدَنُكَ وَفِكْرُكَ مِثْلُ ماءِ الوَرْد، أَصارَ ماءُ الوَرْدِ مُنْكِراً للوَرْدِ هذا عُجاب؛
التِّبْنُ على قُرُوْدِ طِباعِ الكُفْرانِ حَرام، والشَّمْسُ والغَيْمُ لِذَوي طِباعِ الأنبياءِ نِثار؛
ذاكَ اللَّجاجُ كُفْرٌ وَهُوَ قانُونُ القُرُود، وذانِكَ الحَمْدُ والشُّكْرُ مِنْهاجُ النَّبِيّ؛
ما فَعَلَ مَعَ ذَوي طِباعِ القُرُودِ التَّهَتُّك، وما فَعَلَ مَعَ ذَوي وُجُوهِ الأنبياءِ التَّنَسُّك؛
في العَماراتِ الكِلابُ والعُقُور، في الخراباتِ كَنْزُ العِزِّ والنُّور؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ هذا البُزُوغُ في الخُسُوف، ما أضاعَ الطَّريقَ الكَثيرُ مِنْ فَيْلَسُوف؛

الأذْكِياءُ والعُقَلاءُ مِنْ ضَلالِ الطَّريق، رَأَوا رَسْمَ البلاهَةِ على الخُرْطُوم؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ الفَقِيْرِ طالِبِ الرِّزْقِ بلا واسِطَةِ الكَسْب

ذاكَ واحِدٌ مِسْكِيْنٌ وَمُفْلِسٌ مُعْدِمٌ، تَجَرَّعَ مِنَ الأَلَمِ مِنَ الإفلاسِ آلافَ السُّمُوم؛
راحَ مُتَضَرِّعاً في الصَّلاةِ وفي الدُّعاء، أنْ أَيْ مَليكاً وحارِساً للرِّعاء؛
أنتَ الَّذي خَلَقْتَني بلا جَهْد، أعْطِني الرِّزْقَ مِنْ هذِهِ الدَّارِ بلا عَمَل؛
خَمْسَ جَواهِرَ أَعْطِيْتَني في دُرْجِ الرَّأْس، وأعْطَيْتَني خَمْسَ جَواهِرَ أُخْرى مُسْتَتِرَة؛
هذا العَطاءُ مِنْكَ لا يُعَدُّ ولا يُحْصى، أنا كَلِيْلٌ عَنْ بيانِهِ وَفي خَجَل؛
بِما أَنَّكَ كُنْتَ وَحِيْداً في خَلْقي، اِجْعَلْ مُسْتَوِياً أَمْرَ رِزْقِي؛
طالَ مِنْهُ هذا الدُّعاءُ لِسِنِين، في العاقِبَةِ ضراعَتُهُ صارَتْ فاعِلَة؛
مِثْلَ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ يَسْأَلُ اللهَ، الرِّزْقَ الحلالَ بلا كَسْبٍ ولا كلال؛
فَجاءَ لَهُ بالسَّعادَةِ في العاقِبَة، ثَوْرٌ في عَهْدِ داؤود ذي العَدْلِ الإلهِيّ؛
هذا المُتَيَّمُ أَيْضاً عَرَضَ الضَّراعات، واخْتَطَفَ مِنْ مَيْدانِ الإجابَةِ الكُرَة؛
حِيْناً كانَ يَصِيْرُ سَيِّئَ الظَّنِّ بالدُّعاء، بِسَبَبِ تأخيرِ المُكافاةِ والجَزاء؛
ثُمَّ يَرْجِعُ الرَّجاءُ مِنَ الإلهِ الكَرِيم، فَيَصِيْرَ البَشِيْرَ في قَلْبِهِ والزَّعِيْم؛
إذا صارَ يائساً في الجُهْدِ مِنَ الكلال، سَمِعَ مِنْ جَنابِ الحَقِّ أنْ تعال؛
هذا الإلهُ خافِضٌ ورافِعٌ، بلا هذَيْنِ الاِثْنَيْنِ لا يَطْلَعُ أَيُّ عَمَل؛
خَفْضُ وَرَفْعُ هذِهِ الأَرْضِ شَيْءٌ آخَرٌ، فَنِصْفُ العامِ بلا زَرْعٍ وَنِصْفٌ خَضراء؛
خَفْضُ وَرَفْعُ الدَّهْرِ ذو الكُرَب، نَوعٌ آخَرُ فَنِصْفٌ نَهارٌ وَنِصْفٌ لَيْل؛
خَفْضُ وَرَفْعُ هذا المِزاجِ المُمْتَزِج، حِيْناً صِحَّةٌ وَحِيْناً مَرَضٌ مُضِجّ؛
وهكذا اعْرِفْ جَمِيْعَ أَحْوالِ الدُّنيا، قُحْطٌ وَجَذْبٌ وَسِلْمٌ وَحَرْبٌ مِنَ الاِفْتِتان؛

العالَمُ بِهذينِ الجَناحَيْنِ يطيرُ في الهَواء، مِنْهُما يكونُ الخَوْفُ والرَّجاءُ بالأرواح؛
حَتَّى أنَّ الدُّنيا لَتَرْتَجِفُ مِثْلَ وَرَقَةٍ، في سَمُومٍ وفي شِمالِ المَوْتِ والبَعْث؛
حَتَّى يَقُومَ الدَّنُّ العِيْسَوِيُّ واحِدُ اللَّون، بِكَسْرِ سِعْرِ الدَّنِّ ذي المِئَةِ لَون؛
فذاكَ العالَمُ جاءَ شَبيهاً بأرْضِ المِلْح، وَكُلُّ ما ذَهَبَ إلى هُناكَ صارَ بلا تَلْوين؛
أُنْظُرِ التُّرابَ يَجْعَلُ الخَلْقَ المُلَوَّنينَ ، ألواناً على لَوْنٍ واحِدٍ في القُبُور؛
مِلْحُ الجُسُومِ شَيْءٌ ظاهِرٌ، مِلْحُ المَعاني شَيْءٌ آخَر؛
مِلْحُ المعاني ذاكَ مَعْنَوِيٌّ، في تَجَدُّدٍ مِنَ الأزَلِ إلى الأبَد؛
هذا التَّجَدُّدُ ضِدُّهُ القِدَم، ذاكَ التَّجَدُّدُ بلا نِدٍّ ولا ضِدٍّ ولا عَدَد؛
هكذا مِنْ صَقْلِ نُورِ المُصْطَفى، مِئَةُ أَلْفِ ظُلْمَةٍ صارَتْ ضِياءً؛
مِنْ يَهُودٍ ومَجُوسٍ وَنَصارى وَمُشْرِكِيْن، الكُلُّ صارَ بِلَونٍ واحِدٍ مِنْ ذلِكَ العظيمِ؛
مِئَةُ أَلْفِ ظِلٍّ قصيرٍ وَطَويل، صارَ واحِداً في نُورِ شَمْسِ المَعْنى تِلْك؛
لا الطُّولُ بَقِيَ ولا القِصَرُ ولا العَرْض، الظِّلالُ المُخْتَلِفَةُ رَهْنٌ بالشَّمْس؛
لكِنَّ وَحِيْدَ اللَّونِ الَّذي يكُونُ في المَحْشَر، كَشْفٌ وَظاهِرٌ للسَّيِّئِ والحَسَن؛
فَمعاني ذلِكَ العالَمِ تَصِيْرُ صُوَراً، تَصِيْرُ صُوَرُنا مُناسِبَةً لِخِصالِنا؛
يَصِيْرُ الفِكْرُ آنذاكَ صُوَرَ الكُتُب، وهذِهِ البِطانَةُ تَصِيْرُ وَجْهَ الثِّياب؛
هذا الزَّمانَ الأسْرارُ مِثْلَ الثَّورِ الأبلَق، مِغْزَلُ النُّطْقِ في الأُمَمِ غازِلٌ بِمِئَةِ لَون؛
إنَّها نَوْبَةُ مِئَةِ لَوْنٍ وَمِئَةِ قَلْبٍ، متى يَصِيْرُ عالَمُ اللَّونِ الواحِدِ جَلِيّاً؛
نَوْبَةُ الزِّنْجِيِّ فالرُّومِيُّ مُخْتَفٍ، إنَّهُ اللَّيْلُ والشَّمْسُ في الرِّهان؛
نَوْبَةُ الذِّئْبِ وَيُوسُفُ في قَعْرِ الجُبّ، نَوْبَةُ القِبْطِ وَفِرْعَوْنُ هُوَ الشّاه؛
حَتَّى تَضْحَكَ حَمامَةٌ مِنْ رِزْقٍ لا يَنْقَطِع، لهذِهِ الكلابُ مِنْهُ حِصَّةٌ لِبِضْعَةِ أيَّام؛
إنَّ الأُسُودَ في هذِهِ الغابَةِ مُنْتَظِرَه، حَتَّى يَجِيْءَ أَمْرُ تعالَيْ مُنْتَشِرَه؛
فَتَخْرُجَ تِلْكَ الأُسُودُ مِنَ المَرْج، يُظْهِرُ الحَقُّ بلا حِجابٍ الدَّخْلَ والخَرْج؛

جَوْهَرُ الإنسانِ اسْتَولى على البَرِّ والبَحْر، والثِّيْرانُ البُلْقُ للذَّبْحِ يَومْ النَّحْر؛
يَومُ النَّحْرِ قِيامَةٌ مَهُولَةٌ، للمُؤمِنينَ عِيْدٌ وللثِّيرانِ هلاك؛
طُيُورُ الماءِ في يَومِ النَّحْرِ ذاكَ جَمِيْعاً، تَجْرِي على سَطْحِ البَحْرِ كالسُّفُن؛
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيّنَه ، وَيَنْجُو مَنْ نجا واسْتَيْقَنَه؛
لِتَذْهَبَ طُيُورُ البازِ نَحْوَ السُّلْطان، وَتَذْهَبَ الغِرْبانُ نَحْوَ المَقْبَرَة؛
فالعِظامُ وَأَجْزاءُ البَعْرِ كأنَّها الخُبْزُ، هِيَ في الدُّنيا للغِربانِ كالنُّقْل؛
سُكَّرُ الحِكْمَةِ مِنْ أَيْنَ والغُرابُ مِنْ أَيْن، دُودَةُ البَعْرِ مِنْ أَيْنَ والرَّوْضُ مِنْ أَيْن؛
لا يليقُ غَزْوُ النَّفْسِ بالرَّجُلِ الغُرّ، لا يليقُ العُوْدُ والمِسْكُ بِمُؤَخَّرَةِ الحِمار؛
لَيْسَ في مَقْدُورِ النِّساءِ الجِهادُ الأصْغَر، متى يكونُ مَقْدُوراً لَهُنَّ الجِهادُ الأكْبَر؛
إلَّا في النَّادِرِ وَأَنْ يَكُونَ رُسْتَم، صارَ مَخْفِيَّاً في بَدَنِ امْرَأَةٍ كَمَرْيَم؛
كما تكُونُ النِّساءُ في أَبْدانِ الرِّجال، مَخْفِيَّاتٍ فَهُمْ مِنْ ضَعْفِ الجَنانِ إناث؛
وفي ذلِكَ العالَمِ تَتَصَوَّرُ الأُنُوثَة، لِكُلِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُهَيَّأً للرُّجُولَة؛
العَدْلُ عَطاءُ ما يليقُ يَوْمَ العَدْل، للرَّأْسِ القُبَّعَةُ وَلِلْقَدَمِ النَّعْل؛
حَتَّى يَصِلَ كُلُّ طالِبٍ إلى ما يَطْلُب، حَتَّى كُلُّ غارِبٍ في غَرْبِ نَفْسِهِ يَغْرُب؛
ما طالِبٌ مِنَ المَطْلُوبِ مَحْرُوم، الحرارَةُ تَطْلُبُ الشَّمْسَ والماءُ يَطْلُبُ الغُيُوم؛
هذِهِ الدُّنيا مَنْزِلُ قَهْرِ الله، فَلْتَرَ القَهْرَ ما دُمْتَ قُمْتَ باخْتِيارِ القَهْر؛
أُنْظُرْ إلى عِظامِ وَشُعُورِ المَقْهُورِين، سَيْفُ القَهْرِ عامِلٌ في البَرِّ والبَحْر؛
أُنْظُرْ إلى قَدَمِ وَجَناحِ الطَّائِرِ في الفَخّ، فَهُما شارِحانِ لِقَهْرِ الحَقّ بلا كلام؛
لَقَدْ ماتَ وَجَعَلُوا مَوضِعَ قَبْرِهِ مُرْتَفِعاً، وذاكَ الَّذي صارَ قَديماً لَمْ يَبْقَ لَهُ المُرْتَفَع؛

عَدْلُ الحَقّ جَعَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ شَفِيْعاً، الفِيْلُ مَعَ الفِيْلِ والبَقُّ مَعَ جِنْسِ البَقّ؛
مُؤنِسُ أَحْمَدَ في المَجْلِسِ الأرْبَعَةُ أَصْحاب، مُؤْنِسُ أَبي جَهْلٍ عُتْبَةُ وَذُو الخِمار؛

كَعْبَةُ جِبْريلَ والأرْواحِ السِّدْرَةُ ، وَقِبْلَةُ عَبيدِ البُطُونِ السُّفْرَةُ؛
قِبْلَةُ العارِفِ نُورُ الوِصال، قِبْلَةُ العَقْلِ المُفَلْسِفِ الخَيال؛
قِبْلَةُ الزَّاهِدِ الرَّحْمنُ البَرّ، قِبْلَةُ الطَّامِعِ كِيْسُ التِّبْر؛
قِبْلَةُ أَهْلِ المَعْنى التَّأْخِيْرُ والصَّبْر، قِبْلَةُ عُبَّادِ الصُّوْرَةِ التَّصْويرُ والصَّخْر؛
جَليسُو الباطِنِ قِبْلَتُهُمْ ذُو المِنَن، عُبَّادُ الظَّاهِرِ قِبْلَتُهُمْ وُجُوهُ النِّساء؛
وهكذا عُدَّ مِنْ جَدِيْدٍ وَقَدِيْمٍ، وإنْ كُنْتَ مَلُولاً فاذْهَبْ في شُغْلِ نَفْسِك؛
رِزْقُنا العقارُ في كَأْسِ النُّضار، وِلِتِلْكَ الكِلابِ الحِساءُ في وِعاءِ الفَخَّار؛
لَقَدْ أَعْطَيْنا لِكُلِّ الطَّبْعَ المُناسِب، لَقَدْ أَرْسَلْنا لِكُلِّ الرِّزْقَ المُناسِب؛
جَعَلْنا طَبْعَ ذاكَ عاشِقاً للخُبْز، وَجَعَلْنا طَبْعَ هذا سَكْرانَ الحَبيب؛
ما دُمْتَ سَعِيداً بِطَبْعِ نَفْسِكَ وَمَسْرُوراً، لِماذا تَنْفِرُ مِمَّا هُوَ لائِقٌ بِطَبْعِك؛
إنْ كُنْتَ تَسْعَدُ بالأُنُوثَةِ البِسِ الجِلْباب، إنْ كُنْتَ تَسْعَدُ بالرُّجُولَةِ احْمِلِ الخَنْجَر؛
هذا الكلامُ لا نِهايَةَ لَهُ وذلِكَ الفَقِيْر، صارَ مَجْرُوحاً مِنْ طَعْنَةِ الفَقْر؛

قِصَّةُ رِسالَةِ الكَنْز أنْ قِفْ بِجِوارِ القُبَّة وَوَجِّهِ الوَجْهَ للقِبْلَة واقْصِدْ ، هُناكَ حَيْثُ يَقَعُ السَّهْمُ يُوجَدُ الكَنْز

رأى في النَّومِ لَيْلَةً وَأَيْنَ النَّوم، الصُّوفِيُّ الصَّادِقُ يرى الواقِعَةَ بلا نَوْم؛
قالَ لَهُ هاتِفٌ أَيْ مَنْ عانَيْتَ العَناء، قُمْ بِطَلَبِ رُقْعَةٍ مِنْ خُطُوطِ الخَطَّاطِيْن؛
خِفْيَةً عَنْ ذلِكَ الوَرَّاقِ الَّذي هُوَ جارُك، مُدَّ اليَدَ إلى قِطَعِ أوراقِه؛
إلى رُقْعَةٍ شَكْلُها كذا لَوْنُها كَذا، اِقْرَأْ تِلْكَ الرُّقْعَةَ في خَلْوَةٍ أَيْ حَزِين؛
إذا سَرَقْتَ تِلْكَ مِنَ الوَرَّاقِ أَيْ وَلَد، أُخْرُجْ مِنَ الزِّحامِ والاِضْطِرابِ والشَّرّ؛
واقْرَأْ تِلْكَ في خَلْوَةٍ بِنَفْسِك، واحْذَرْ لا تُشْرِكْ في قِراءَةِ تِلْكَ أَحَداً؛

وإنْ صارَ ذاكَ فاشِياً لا تَصِرْ مَغْمُوماً، فَلَنْ يَجِدَ غَيْرُكَ مِنْ ذاكَ نِصْفَ نَقِيْر؛
حَتَّى وَلَوْ طالَ ذاكَ طَوِيْلاً انْتَبِهْ، اِجْعَلْ وِرْدَكَ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ لا تَقْنَطُوا؛
قالَ هذا وَوَضَعَ ذاكَ البَشِيْرُ يَدَهُ، على قَلْبِهِ أنِ اذْهَبْ واحْتَمِلِ العناء؛
حِيْنَ عادَ مِنَ الغَيْبَةِ للنَّفْسِ ذلِكَ الشَّابّ، لَمْ تَعُدْ تَتَّسِعُ لَهُ الدُّنيا مِنَ الفَرَح؛
كادَتْ مَرارَتُهُ تَتَمَزَّقُ مِنَ القَلَق، لَوْ لَمْ يَكُنْ رِفْقُ وَحِفْظُ وَلُطْفُ الحَقّ؛
كانَ لَهُ فَرَحٌ أنْ مِنْ خَلْفِ سِتّمائةِ حِجاب، أُذُنُهُ سَمِعَتْ مِنَ الحَضْرَةِ الجَواب؛
حِيْنَ سَمْعُهُ عَبَرَ مِنْ حُجُبِ الحِسّ، صارَ رَأْسُهُ مَرْفُوعاً وَخَرَقَ الفَلَك؛
أنْ رُبَّما حِسُّ نَظَرِهِ ذاكَ مِنَ الإعْتِبار، يَجِدُ النَّفاذَ مِنْ حِجابِ الغَيْبِ ذاكَ أَيْضاً؛
فإذا صارَتْ حَواسُّهُ خارِقَةً للحِجاب، تَحْصَلُ لَهُ الرُّؤيَةُ دائماً والخِطاب؛
جاءَ إلى جِهَةِ دُكَّانِ الوَرَّاق، وَراحَ يُفَتِّشُ في أوراقِ تَخْطِيْطِهِ مِنْ جِهَةٍ لِأُخْرى؛
وَجاءَ قُدَّامَ عَيْنِهِ ذلِكَ المَكْتُوبُ، بالعلاماتِ الَّتي كانَ قالَها ذلِكَ الهاتِف؛
وَضَعَهُ تَحْتَ إبْطِهِ وَقالَ أَيْ سَيِّدُ لَكَ الخَيْر، سَوْفَ أَعُودُ اللَّحْظَةَ أَيُّها الأُسْتاذ؛
راحَ إلى رُكْنِ خَلْوَةٍ وَقَرَأَ ذاكَ، وَبَقِيَ مِنَ التَّحَيُّرِ والِهاً وَحَيْراناً؛
أنْ رِسالَةُ كَنْزٍ لا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ هكذا، كَيْفَ بَقِيَتْ مُلْقاةً بَيْنَ أَوراقِ الوَرَّاق؛
ثُمَّ لَمَعَتْ في داخِلِهِ هذِهِ الفِكْرَة، أنْ في إثْرِ كُلِّ شَيْءٍ *اللهُ حافِظ*؛
أنْ مَتى يَسْمَحُ الحافِظُ في الإكْتِناف، أنْ يَخْطِفَ شَخْصٌ شَيْئاً مِنَ الجُزاف؛
لَو كانَتِ الصَّحْراءُ مَمْلُوءَةً ذَهَباً وَنُقُوداً، بلا رِضا الحَقِّ لا يُمْكِنُ خَطْفُ شَعِيْرَة؛
لَوْ قَرَأْتَ مِئَةَ صَحِيْفَةٍ بلا وُقُوف، لا تَبْقى في ذاكِرَتِكَ نُكْتَةٌ بلا قَدَر؛
وَلَوْ قُمْتَ بالخِدْمَةِ دُونَ أنْ تَقْرَأَ كِتاباً، تَجِدُ مِنَ الجَيْبِ العُلُومَ النَّادِرَة؛
كَفُّ مُوسى تَنْشُرُ الضَّوْءَ مِنَ الجَيْب، وكانَ ذاكَ زائِداً عَنْ ضَوْءِ قَمَرِ السَّماء؛
أنْ ما كُنْتَ تَبْحَثُ عَنْهُ مِنَ الفَلَكِ في رُعْب،أَطَلَّ بالرَّأْسِ أَيْ مُوسى مِنَ الجَيْب؛
لِتَعْلَمَ أَنَّ السَّمواتِ السَّمِيَّةَ، هِيَ عَكْسٌ لِمُدْرَكاتِ الآدَمِيّ؛

أَلَمْ تَخْلُقْ يَدُ اللهِ المَجِيْدِ العَقْل، أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَ العالَمَيْن؛
هذا الحَدِيْثُ ظاهِرٌ وَخَفِيٌّ جِدَّاً، الذُّبابَةُ لا تَكُونُ مَحْرَماً للعَنْقاء؛
فَعُدْ جِهَةَ القِصَّةِ أَيْ وَلَدُ مِنْ جَدِيْد، هاتِ قِصَّةَ الكَنْزِ والفَقِيْرِ للنِّهايَة؛

تَمامُ قِصَّةِ ذاكَ الفَقِيْرِ وَعلامَةُ مَوْضِعِ ذاكَ الكَنْز

في تِلْكَ الرُّقْعَةِ كانَ مَكْتُوباً هذا: اِعْلَمْ أَنَّ خارِجَ المَدينَةِ كَنْزاً دَفِيْناً؛
رُحْ للقُبَّةِ الفُلانِيَّةِ الَّتي بِها مَشْهَد، وَظَهْرُها إلى المَدِيْنَةِ وَبابُها للفَدْفَد؛
اِجْعَلْ ظَهْرَكَ إِلَيْها واجْعَلْ وَجْهَكَ قِبْلَةً، وآنذاكَ ضَعْ في القَوْسِ سَهْماً؛
إذا سَقَطَ السَّهْمُ مِنَ القَوْسِ أَيْ مَسْعُود، احْفِرْ في المَوْضِعِ الَّذي وَقَعَ بِهِ سَهمُك؛
فجاءَ ذاكَ الفَتى بِقَوْسٍ قَوِيَّةٍ، وَأَطْلَقَ السَّهْمَ طائراً في صَحْنِ الفَضاء؛
وَجاءَ بِمِعْوَلٍ وَرَفْشٍ سَعيداً وَمَسْرُوراً، وَحَفَرَ في ذلِكَ المَوْضِعِ حَيْثُ وَقَعَ سَهْمُه؛
وَكَلَّ عَزْمُهُ وَفَلَّ المِعْوَلُ والرَّفْشُ، وَلَمْ يَرَ مِنَ الكَنْزِ الخَفِيِّ مِنْ أَثَر؛
وهكذا راحَ يُطْلِقُ السَّهْمَ كُلَّ يَوْم، لكِنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّفْ على مَوْضِعِ الكَنْز؛
لَمَّا صارَ هذا شُغْلاً لَهُ على الدَّوام ، وَقَعَ الهَمْسُ في المَدِيْنَةِ وَبَيْنَ العَوامّ؛

شُيُوعُ خَبَرِ هذا الكَنْزِ وَوُصولُهُ إلى أُذُنِ الشَّاه

فَقامَتْ بإخْبارِ السُّلْطانِ عَنْ هذا، تِلْكَ الجَماعَةُ الَّتي كانَتْ في الكَمين؛
أَظْهَرَ المَحْكُومونَ ذاكَ الحَدِيْث، أَنْ فُلانٌ وَجَدَ رِسالَةَ كَنْز؛
حِيْنَ عَلِمَ ذلِكَ الشَّخْصُ أَنَّ هذا وَصَلَ للشَّاه، لَمْ يَرَ غَيْرَ التَّسْليمِ والرِّضا حِيْلَةً؛
مِنْ قَبْلِ أَنْ يرى العَذابَ مِنْ ذلِكَ المَلِك، وَضَعَ ذلِكَ الشَّخْصُ أَمامَهُ الرُّقْعَة؛
قالَ مُنْذُ أَنْ وَجَدْتُ هذِهِ الرُّقْعَة، لَمْ أَرَ الكَنْزَ وَوَجْدْتُ أَلَماً بلا حَدّ؛

وَلَمْ تَصِرْ حَبَّةٌ واحِدَةٌ مِنَ الكَنْزِ ظاهِرَة، وَكَمْ تَلَوَّيْتُ كما يَتَلَوَّى الثُّعْبان؛
مُدَّةَ شَهْرٍ هكذا أنا مَريرُ الفَمّ، أنْ نَفْعُ وَضُرُّ هذا عَلَيَّ حَرام؛
رُبَّما بَخْتُكَ يَرْفَعُ الغِطاءَ عَنْ هذا المَنْجَم، يا أَيُّها المَلِكُ المُظَفَّرُ وفاتِحُ القِلاع؛
مُدَّةَ سِتَّةِ شُهُورٍ وَأَكْثَرَ والمَلِك، يُطْلِقُ السَّهْمَ وَيَحْفِرُ البِئْر؛
وَحَيْثُما كانَتْ هُناكَ قَوْسٌ قَوِيَّةٌ ، أَطْلَقَ مِنْها السَّهْمَ وَبَحَثَ عَنِ الكَنْزِ كُلَّ جِهَة؛
ولا شَيْءَ غَيْرُ التَّشْويشِ والغَمّ والطَّامات، مِثْلَ العَنْقاءِ فاشِيَةُ الاِسْمِ وبلا ذات؛

يَأْسُ ذلِكَ المَلِكِ مِنَ العُثُورِ على ذلِكَ الكَنْزِ وَمَلَلُهُ مِنْ طَلَبِ ذاك

لَمَّا جاءَ التَّعْويقُ في العَرْضِ والطُّول، مَلَّ المَلِكُ مِنْ ذلِكَ الكَنْزِ وَصارَ مُشْبَعاً؛
بَعْدَ أنْ حَفَرَ الصَّحْراءَ آباراً ذِراعاً ذِراعاً، ألقى المَلِكُ الرُّقْعَةَ أمامَهُ مِنَ الغَضَب؛
قالَ خُذْ هذِهِ الرُّقْعَةَ الَّتي هِيَ بلا آثار، أنتَ أولى بِها إذْ أَنْتَ بلا عَمَل؛
لَيْسَ هذا عَمَلاً لِشَخْصٍ عِنْدَهُ عَمَل، أنْ يَحْرِقَ الوَرْدَ وَيَدُورَ حَوْلَ الشَّوك؛
هذا نادِرٌ وَأَهْلُ هذِهِ الأَفْكارِ السَّوداء، مُنْتَظِرُونَ أنْ يَطْلُعَ النَّباتُ مِنَ الحَدِيْد؛
تَجِبُ رُوحٌ ثَقِيْلَةٌ مِثْلُكَ لِهذا الفَنّ، أنتَ الَّذي تَمْلِكُ الرُّوحَ الثَّقِيْلَةَ ابْحَثْ عَنْ هذا؛
إنْ لَمْ تَجِدْ لا يَكُونُ لَكَ أَبَداً مَلال، وإنْ وَجَدْتَ ذاكَ فَهُوَ لَكَ حَلال؛
العَقْلُ مَتى يَسْلِكُ طَرِيقاً بلا أَمَل، يَجِبُ العِشْقُ لِيَجْرِيَ على الرَّأْسِ ذاكَ الطَّرَف؛
العَقْلُ يَبْحَثُ عَنْ ذلِكَ الَّذي يَنْتَفِعُ مِنْهُ ، *لا أُبالي* تَكُونُ لِلْعِشْقِ لا لِلْعَقْل؛
يُغِيْرُ كالتُّرْكِيّ وَيَصْهَرُ البَدَنَ وبلا حَياء،كَأَنَّهُ الحَجَرُ تَحْتَ الطَّاحُونِ في البلاء؛
جَرِيءٌ جَسُورٌ لا يُدِيْرُ أَبَداً الظَّهْر، قَتَلَ طَلَبَ النَّفْعِ داخِلَ النَّفْس؛
يَلْعَبُ في طُهْرٍ وَلَيْسَ طالِبَ أَجْر، يأْخُذُ بِطُهْرٍ يأخُذُ مِنْهُ هُوَ؛
يُعْطِيْهِ الحَقُّ الوُجُودَ بلا عِلَّةٍ، فَيُسْلِمَهُ الفَتى إِلَيْهِ مُجَدَّداً بلا عِلَّة؛

فالفُتُوَّةُ العَطاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَّة، واللَّعِبُ طاهِراً خارِجَ كُلِّ مِلَّة؛
ذلِكَ أنَّ المِلَّةَ تَبْحَثُ عَنِ الفَضْلِ أو الخلاص، واللّاعِبُونَ بِطُهْرٍ قُرْبانٌ خاصّ؛
هؤلاءِ لا يَقُومُونَ بامْتِحانِ الحَقّ، ولا يَقْرَعُونَ بابَ الضُّرِّ والنَّفْع؛

إرجاعُ المَلِك رِسالَةَ الكَنْزِ إلى الفَقير
أنْ خُذْها نَحْنُ تَخَلَّينا عَنْ هذا كُلِّيّاً

حِيْنَ أعطى رُقْعَةَ الكَنْزِ المَليئَةَ بالكُرُوب، وَسَلَّمَها ذلِكَ المَلِكُ لِذلِكَ المَكْرُوب؛
صارَ آمِناً مِنَ الخُصُومِ وَمِنَ الحِراب، راحَ وَهُوَ يَنْطَوِي على نَفْعِ نَفْسِه؛
أعانَهُ العِشْقُ ذو فِكْرِ الأَلَم، الكَلْبُ يَلْحَسُ جُرْحَ نَفْسِهِ بِنَفْسِه؛
ما لِلْعِشْقِ في عُقَدِ نَفْسِهِ مُعِيْنٌ مُساعِد، ولا مُحْرِمَ لَهُ في القَرْيَةِ مِنْ دَيَّارٍ واحِد؛
ما مِنْ شَخْصٍ أَكْثَرُ جُنُوناً مِنَ العاشِق، العَقْلُ عَنْ تِجارَتِهِ أعْمى وَأَصَمّ؛
ذاكَ أنَّ هذا الجُنُونَ لَيْسَ بِعامّ، الطِّبُّ بلا إرْشادٍ لِهذِهِ الأحْكام؛
لَوْ وَصَلَ جُنُونٌ مِنْ هذا النَّوْعِ لِطَبيبٍ، لَغَسَلَ وَمَحا بالدَّمِ كُتُبَ الطِّبّ؛
طِبُّ جُمْلَةِ العُقُولِ مَنْقُوشٌ مِنْه، وُجُوهُ جُمْلَةِ الحِسانِ قِناعٌ لِوَجْهِه؛
وَجِّهِ الوَجْهَ لِوَجْهِكَ أَيْ ذا مَذْهَبِ العِشْق، ما لَكَ أَيْ مَفْتُونُ غَيْرَ نَفْسِكَ نَسيب؛
جَعَلَ مِنَ القَلْبِ قِبْلَةً وراحَ في الدُّعا، *لَيْسَ للإنسانِ إلّا ما سَعى*؛
وَقَبْلَ أنْ يَسْمَعَ جَواباً مِنْ ذاك، ظَلَّ مُتَمَسِّكاً بالدُّعاءِ لِسِنِيْن؛
يَدعو وما مِنْ إجابَةٍ على الدُّعاء، يَسْمَعُ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ في الخَفاء؛
حِيْنَ قامَ بالرَّقْصِ بلا دَفٍّ ذلِكَ العَلِيْل، مِنَ الاِعْتِمادِ على جُودِ الخَلّاقِ الجَليل؛
وَلَمْ يَجِئْ إلَيْهِ هاتِفٌ أو رَسُول، وكانَتْ أُذُنُ رَجائِهِ مَمْلُوءَةً مِنْ *لَبَّيْك*؛
يَقُولُ لَهُ الرَّجاءُ بلا لِسانٍ تَعال، فَتَكْنِسُ تِلْكَ الدَّعْوَةُ مِنْ قَلْبِهِ المَلال؛

تِلْكَ الحَمامَةُ المُعْتادَةُ على السَّطْح ، لا تَدْعُها وازْجُرْها فَهِيَ مَخِيْطَةُ الجَناح؛
أي ضِياءَ الحَقِّ حُسَامَ الدِّيْنِ ازْجُرْها، فَمِنْ مُلاقاتِكَ نَمَتْ لَها الرُّوح؛
إذا زَجَرْتَ طائِرَ الرُّوحِ مِنَ الجُزاف، قامَ أَيْضاً حَوْلَ سَطْحِكَ بالطَّواف؛
فَحَبُّهُ وَنُقْلُهُ حَوْلَ سَطْحِكَ جَميعاً، يَضْرِبُ بالجَناحِ على الأوْجِ سَكْرانَ لِشِباكِك؛
إذا صارَتِ الرُّوحُ مُنْكِرَةً لِلَحْظَةٍ، أداءَ شُكْرِكَ كالسَّارِقِ أَيُّها الفَتْحُ والفُتُوح؛
فإنَّ مَأْمُورَ العِشْقِ يُكَرِّرُ لَهُ العِقاب، وَيَضَعُ طَسْتاً مِنَ النَّارِ على صَدْرِه؛
أنْ تعالَ نَحْوَ القَمَرِ واتْرُكِ التُّراب، شاهُ العِشْقِ يَدْعُوكَ عُدْ سَرِيعاً؛
أنا مِنْ حَوْلِ هذا السَّطْحِ وَبَيْتِ الحَمام، أَضْرِبُ بالجَناحِ سَكْرانَ مِثْلَ حَمامَة؛
أنا جَبرائيلُ عِشْقٍ وَأَنتَ سِدْرَتي، أنا سَقِيْمٌ وَأَنْتَ عِيْسى مَرْيَمِي؛
خَلِّ ذلِكَ البَحْرَ حامِلَ الجَوْهَرِ يَجِيْش،اِسْأَلِ اليَومَ حَسَناً عَنْ حالِ هذا المَرِيض؛
ما دُمْتَ صِرْتَ لَهُ فالبَحْرُ ذاكَ لَه، رَغْمَ أَنَّ هذِهِ اللَّحْظَةَ نَوْبَةُ بُحْرانِه؛
فذاكَ الأنينُ هُوَ الَّذي جَعَلَ ظاهِراً، ذاكَ الَّذي هُوَ خَفِيٌّ الأمانَ يا رَبّ؛
عِنْدَنا فَمانِ كالنَّاي واحِدٌ ناطِقٌ، وَفَمٌ واحِدٌ مُخْتَفٍ في شِفاهِه؛
فَمٌ واحِدٌ صارَ شاكِياً إلى جِهَتِك، يُرْسِلُ الصَّيْحاتِ يُلْقِيْ بِها في الهَواء؛
لكِنْ يَعْلَمُ كُلُّ مَنْ كانَ ذا نَظَر، أنَّ الصُّراخَ في هذا المَنْزِلِ مِنْ ذلِكَ المَنْزِل؛
إنَّ أنِيْنَ هذِهِ النَّايِ مِنْ أنفاسِه، وإنَّ صِياحَ هذِهِ الرُّوحِ مِنْ صَيْحاتِه؛
لَو لَمْ يَكُنْ للنَّاي مَعَ شَفَتِهِ سمَر، ما مَلأَتِ النَّايُ الدُّنيا مِنَ السُّكَّر؛
مَعَ مَنْ نِمْتَ وَعَنْ أَيِّ جَنْبٍ قُمْتَ، فَأَنْتَ مَمْلُوءٌ بالجَيَشانِ هكذا كالبَحْر؛
أو أنَّكَ قَرَأْتَ أَبيتُ عِنْدَ رَبِّي، فَأَخْرَجْتَ النَّارَ في قَلْبِ البَحْر؛
صَرْخَةُ يا نارُ كُوني بارِدا، صارَتْ عِصْمَةَ رُوحِكَ أَيْ مُقْتَدى؛
أي ضِياءَ الحَقِّ حُسامَ القَلْبِ والدِّيْن، متى يُمْكِنُ طِلاءُ الشَّمْسِ بالطِّيْن؛
لَقَدْ جَعَلُوا هذا الطِّيْنَ قِطَعاً قَصْداً، لِيَقُومُوا بِها بإِخْفاءِ شَمْسِك؛

واليواقِيْتُ في قَلْبِ الجَبَلِ دَلّالُك، والرِّياضُ الضّاحِكَةُ مَمْلُوءَةٌ بِك؛
أَيْنَ رُسْتَمُ مِنْ حَرَمِ رُجُولَتِك، حَتَّى أَتَحَدَّثَ عَنْ حَبَّةٍ مِنْ مِئاتِ بيادِرِك؛
حِيْنَ أُرِيدُ أنْ أُطْلِقَ النَّفَسَ عَنْ سِرّك، أَخْفِضُ الرَّأْسَ في البِئْرِ مِثْلَ عَلِيّ؛
ما دامَ للإِخْوانِ قُلُوبٌ حاقِدَةٌ عَلَيْه، فَأَولى بِيُوسُفي أنْ يَكُونَ في قَعْرِ البِئْر؛
صِرْتُ سَكْرانَ سَأُلْقِي بالنَّفْسِ في الغَوغاء، ما البِئْرُ أَنْصِبُ خَيْمَةً في الصَّحْراء؛
فَلْتَضَعْ في كَفِّيَ الشَّرابَ النَّارِيَّ، وآنَذاكَ انْظُرْ كَرَّ وَفَرَّ السَّكْران؛
قُلْ بالاِنْتِظارِ كُنْ بلا كَنْزِ ذاكَ الفَقِيْر، فَإِنَّنا غارِقُونَ هذِهِ اللَّحْظَةَ في العَصِيْر؛
أُطْلُبْ مِنَ اللهِ هذِهِ اللَّحْظَةَ الحِفْظَ أَيْ فَقِيْر، أنا صِرْتُ غارِقاً لا تَطْلُبْ عَوني؛
فإنَّ ذاكِ الإسْنادَ لَيْسَ لي مُجازاً، ولا أَذْكُرُ شَيْئاً عَنْ نَفْسي وَعَنْ لِحْيَتي؛
ريحُ الشَّهامَةِ وماءُ الوَجْهِ مَتى اسْتُوْعِبا، في شَرابٍ لا يَسَعُ مِنْهُما خَيْطَ شَعْرَة؛
فَأَعْطِ أَيْ ساقِيْ رَطْلاً واحِداً ثَقِيْلاً، لِذلِكَ السَّيِّدِ وَحَرِّرْهُ مِنَ اللِّحْيَةِ والشّارِب؛
فإنَّ نَخْوَتَهُ تَضْرِبُنا بالسِّبال، لكِنَّهُ يَقْتَلِعُ لِحْيَتَهُ مِنَ الحَسَدِ لَنا؛
فَلْيَكُنْ مَيّتاً وَمَيّتاً وَمَيّتاً، فَنَحْنُ عالِمُونَ بِتَزْويراتِه؛
ما يَجِيْءُ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ مِئَةِ عام، يراهُ الشَّيْخُ مُعَيَّناً شَعْرَةً بِشَعْرَة؛
ما الَّذي يرى في المِرْآةِ رَجُلُ العَوام، ولا يَراهُ الشَّيْخُ في آجُرَّةٍ خام؛
ذاكَ الَّذي لَمْ يَرَ ذُو اللِّحْيَةِ في مَنْزِلِه، ظاهِرٌ بالتَّفْصِيْلِ لِمَنْ هُوَ بلا لِحْيَة؛
اِذْهَبْ في البَحْرِ فَأَنتَ مَولُودُ سَمَكَة، كَيْفَ وَقَعْتَ مِثْلَ قَشَّةٍ في اللِّحْيَة؛
لَسْتَ قَشَّةً بَعُدَتْ عَنْكَ والجَوْهَرُ يَحْسِدُكَ، أولى بِكَ تَكُونُ وَسَطَ البَحْرِ والمَوْج؛
بَحْرُ الوَحْدانِيَّةِ بلا شَفيعٍ وَزَوج، جَوْهَرُهُ وَسَمَكُهُ لَيْسا غَيْرَ المَوْج؛
إِشْراكُهُ مُحالٌ وَمُحالٌ فَلْيَكُنِ الإِشْراكُ، بَعِيْداً عَنْ ذلِكَ البَحْرِ وَمَوْجِهِ الطّاهِر؛
لَيْسَ في البَحْرِ شِرْكٌ ولا عِوَج، لكِنْ ما أَقُولُ للأَحْوَلِ، لا شَيْء؛
ما دُمْنا مَعَ الحُوْلِ أَيُّها المُلْحِدُ، يَصِيْرُ لازِماً الحَديثُ كالمُشْرِكِيْن؛

الوَحْدانِيَّةُ مِنْ ذلِكَ الصَّوْبِ وَصْفٌ وَحال، غَيْرُ الاثْنَيْنِيَّةِ لا يَأتي لِمَيْدانِ المقال؛
أو اشْرَبْ هذِهِ الإِثْنَيْنِيَّةَ كالأَحْوَل، أو خَيِّطِ الفَمَ وَكُنْ صامِتاً تَماماً؛
أو كُنْ مُتناوِباً حِيْناً سُكُوتٌ وَحِيْناً كلام، داوِمْ على قَرْعِ الطَّبْلِ كالحُوْلِ والسَّلام؛
إذا رَأَيْتَ مُحْرِماً قُلْ سِرَّ الرُّوح، إذا رَأَيْتَ الوَرْدَ قُمْ بالصُّراخِ كالبَلابِل؛
إذا رَأَيْتَ القِرْبَةَ المَمْلُوءَةَ بالمَكْرِ والمُجاز، أَغْلِقِ الشَّفَةَ واجْعَلْ مِنَ النَّفْسِ دَنّاً؛
هُوَ عَدُوٌّ للماءِ لا تَتَحَرَّكْ أمامَه، وَإِلّا فإنَّ حَجَرَ الجَهْلِ مِنْهُ يَكْسِرُ الدَّنّ؛
على عُقُوباتِ الجاهِلِ اصْبِرْ، قُمْ بالمُداراةِ بِعَقْلٍ مِنْ لَدُنّ؛
الصَّبْرُ مَعَ غَيْرِ الأَهْلِ جلاءٌ للأهْل، الصَّبْرُ يُصَفِّيْ كُلَّ قَلْبٍ مِنَ الكَدَر؛
نارُ نَمْرُودَ لإِبْراهِيْم، تَجِيْءُ في الجلاءِ بِصَفاءِ المِرْآة؛
جَوْرُ كُفْرِ قَوْمِ نُوحٍ وَصَبْرُ نُوح، صارا لِنُوحٍ صَيْقَلاً لِمِرْآةِ الرُّوح؛

حِكايَةُ مُرِيدِ الشَّيْخ حَسَنْ خَرَقاني قَدَّسَ اللهُ سِرَّه

ذَهَبَ دَرْوِيْشٌ مِنْ مَدِيْنَةِ طالِقان، على صِيْتِ أَبي حَسَنْ الخَرَقانِيِّ إلى خارِقان؛
قَطَعَ الجِبالَ والأَوْدِيَةَ الطِّوال، مِنْ أَجْلِ رُؤْيَةِ الشَّيْخِ ذي الصِّدْقِ والاِفتِقار؛
ذاكَ الَّذي رأى في الطَّريقِ مِنْ أَلَمٍ وَظُلْمٍ، رَغْمَ أَنَّهُ يَليقُ ذِكْرُهُ ، أنا أَخْتَصِر؛
حِيْنَ بَلَغَ المَقْصَدَ مِنَ الطَّريقِ ذلِكَ الشّابّ، بَحَثَ عَنْ علامَةِ مَنْزِلِ ذلِكَ الشّاه؛
وَحِيْنَ قَرَعَ حَلْقَةَ بابِهِ بِمِئَةِ احْتِرام، أَخْرَجَتْ امْرَأَةٌ رَأْسَها مِنْ بابِ المَنْزِل؛
أَنْ ماذا تُرِيْدُ قُلْ أَيْ ذا الكَرَمْ، قالَ لَقَدْ جِئْتُ بِقَصْدِ الزِّيارَة؛
ضَحِكَتِ المَرْأَةُ قائِلَةً انْظُرِ اللِّحْيَةَ، قُمْتَ بِهذا السَّفَرِ وَرَأَيْتَ هذا التَّشْويش؛
أَلَمْ يَكُنْ لَكَ في ذلِكَ المَكانِ مِنْ شُغْل، حَتَّى عَزَمْتَ هذا السَّفَرَ بلا فائِدَة؛
أو جاءَكَ اشْتِهاءُ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلَ الحَمقى،أو صارَ غالِباً لَكَ المَلالُ مِنَ الوَطَن؛

أو أنَّ مَكْرَ الدَّيُّوثِ وَضَعَ لَكَ فَرْعَيِ الاِخْتِيار، وَفَتَحَ لَكَ بابَ وَسْواسِ السَّفَر؛
قالَتِ القَوْلَ غَيْرَ اللَّائِقَ والفَحْشَ والسَّبَّ، أنا لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيْدَ قَوْلَ ذاكَ جَمِيْعا؛
مِنَ المَثَلِ وَمِنَ الاِسْتِهْزاءِ بلا حِساب ، وَقَعَ ذاكَ المُريدُ مِنَ الغَمِّ في النَّحِيْب؛

سُؤالُ ذاكَ الوارِدِ لِحَرَمِ الشَّيْخِ أَيْنَ الشَّيْخ، أَيْنَ أَبْحَثُ عَنْهُ ، وَقَولُ الحَرَمِ للجَوابِ غَيْرِ اللَّائق

انْبَجَسَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِهِ وَقال، مَعَ هذا أَيْنَ هُوَ ذاكَ المَلِكُ حَسَنُ الصِّيْت؛
قالَتْ ذلِكَ المُزَوِّرُ المُرائي الفارِغ، مَصْيَدَةُ الحَمْقى وَشَبَكَةُ الضَّالِّيْن؛
مِئاتُ أُلُوفِ البُسَطاءِ الأَخْوامِ أَمْثالُكَ، وَقَعُوا مِنْهُ في مِئَةِ عُتُوّ؛
أَنْ لا تَراهُ وَتَعُودَ راجِعاً بالسَّلامَةِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تراهُ وَتَقَعَ مِنْهُ في الغِوايَة؛
مَذْهَبُهُ الدَّعْوى، لاحِسٌ للصُّحُونِ خَوَّار، صَوْتُ طَبْلِهِ وَصَلَ إلى أَطْرافِ الدِّيار؛
هؤلاءِ القَوْمُ أَسْباطٌ وَعَبَدَةٌ للعِجْل، لِمَ يَمْسَحُونَ اليَدَ بِمِثْلِ هذا الثَّور؛
جِيْفَةُ اللَّيْلِ وَبَطَّالُ النَّهار، كُلُّ مَنْ لَهُ بِهذا الفارِغِ اغْتِرار؛
هؤلاءِ قَوْمٌ تَرَكُوا مِئَةَ عِلْمٍ وَكَمال، وَتَعَلَّقُوا بالمَكْرِ والتَّزْوِيرِ، أَعْداءُ الحال؛
أَسَفاً أَيْنَ آلُ مُوسى الآنَ، حَتَّى يُرِيقُوا دِماءَ عابِدِي العِجْل؛
الشَّرْعُ والتَّقْوى أُلْقِيا جِهَةَ الظَّهْر،أَيْنَ عُمَرُ أَيْنَ الآمِرُ بالمَعْرُوفِ الصَّارِمُ بالأَمْر؛
فَهذِهِ الإباحَةُ مِنْ هذِهِ الجَماعَةِ فَشَتْ، وَصارَتْ رُخْصَةً لِكُلِّ مُفْسِدٍ قلَّاش؛
أَيْنَ طَرِيقُ الرَّسُولِ وأَصْحابِه، أَيْنَ صَلاتُهُ وَتَسْبيحُهُ وآدابَه؛

جَوابُ المُريد وَزَجْرُهُ لِتِلْكَ الطَّعَّانَةِ عَنِ الكُفْرِ واللَّغْو

صَرَخَ بِها الشَّابُّ قالَ كَفى، النَّهارُ مُضِيْءٌ مِنْ أَيْنَ جاءَ العَسَس؛
نُورُ الرَّجُلِ اسْتَولى على المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، السَّمواتُ سَجَدْنَ مِنَ العَجَب؛
شَمْسُ الحَقِّ طَلَعَتْ مِنَ الحَمَل، فاحْتَجَبَتِ الشَّمْسُ مِنَ الخَجَل؛
تُرَّهاتُ مِثْلِكِ إبليسِيَّةً، مَتى تُرْجِعُني عَنْ تُرابِ هذا المَنْزِل؛
أنا لَمْ أَجِئْ بالرِّيْحِ مِثْلَ السَّحاب، لأعُودَ مِنْ غُبارٍ على هذا الجَناب؛
العِجْلُ بِذلِكَ النُّورِ صارَ قِبْلَةَ الكَرَم، القِبْلَةُ بلا ذلِكَ النُّوْرِ كُفْرٌ وَصَنَم؛
الإباحَةُ مِنَ الهَوى ضلال، الإباحَةُ مِنَ اللهِ كَمال؛
صارَ الكُفْرُ إيماناً وَأَسْلَمَ الشَّيْطان، في تِلْكَ الجِهَةِ إذْ شَعَّ نُورٌ بلا حَدّ؛
مَظْهَرُ العِزِّ والمَحْبُوبُ بِحَقّ، إنَّهُ سابِقٌ لِجَمِيْعِ الكَرُوبِيِّيْن؛
السُّجُودُ لآدَمَ بيانٌ على سَبْقِهِ، القِشْرُ يَسْجُدُ لِلُّبِّ على الدَّوام؛
تَنْفِخينَ لِتُطْفِئِيْ شَمْعَ الحَقِّ أَيْ عَجُوز، تَحْتَرِقِيْنَ وَتَحْتَرِقُ رَأْسُكِ أَيْ نَتِنَةَ الفَم؛
مَتى صارَ البَحْرُ مِنْ فَمِ الكَلْبِ نَجِسا، متى صارَ الشَّمْسُ مِنْ نَفْخَةٍ مُنْطَمِسا؛
كذلِكَ إذا كُنْتَ تَحْكُمِيْنَ على الظَّاهِر، أَيُّ شَيْءٍ أَظْهَرُ مِنْ هذا الضِّياءِ قُولي؛
وَكُلُّ ظاهِرٍ أمامَ هذا الظُّهُور، يَكُونُ في غايَةِ النَّقْصِ والقُصُور؛
كُلُّ مَنْ نَفَخَ لِيُطْفِئَ شَمْعَ الله، يَحْرِقُ فَمَهُ ولا يَنْطَفِئُ الشَّمْع؛
كَمْ مِنَ الخَفافِيْشِ مِثْلِكِ رَأَتْ في النَّوم، أَنَّ هذا العالَمَ صارَ يَتيماً مِنَ الشَّمْس؛
الأمواجُ العاتِيَةُ لِبِحارِ الرُّوح، مِئاتُ أَمْثالِ طُوفانِ نُوح؛
لكِنَّ الشَّعْرَ نَبَتَ في عَيْنِ كَنْعان، فَتَرَكَ نُوحاً والسَّفِيْنَةَ وَطَلَبَ الجَبَل؛
القَمَرُ يَنْشُرُ النُّورَ والكَلْبُ يَعْوِي، الكَلْبُ مَتى يَتَّخِذُ مِنْ نُوْرِ القَمَرِ مَرْتَعاً؛
سُراةُ اللَّيْلِ والسَّالِكُونَ في الضَّباب، مَتى يَتْرُكُونَ السَّيْرَ مِنْ نُباحِ الكِلاب؛
الجُزْءُ يَجْري مُسْرِعاً إلى الكُلِّ كالسَّهْم، مَتى يَتَوَقَّفُ مِنْ أَجْلِ كُلِّ امْرَأَةٍ عَجُوز؛
رُوحُ الشَّرْعِ وَرُوحُ التَّقْوى العارِف، المَعْرِفَةُ مَحْصُولُ الزُّهْدِ السَّالِف؛

الزُّهْدُ هُوَ السَّعْيُ في الزَّرْعِ، المَعْرِفَةُ هِيَ طُلُوعُ ذلِكَ الزَّرْعِ؛
إنَّما البَدَنُ كالجِهادِ والاِعْتِقاد، وَرُوحُ هذا الزَّرْعِ النَّباتُ والحَصاد؛
هُوَ الأَمْرُ بالمَعْرُوفِ كما هُوَ المَعْرُوف، هُوَ كاشِفُ الأَسْرارِ كما هُوَ المَكشُوف؛
إنَّهُ مَلِكُنا اليَومَ وَغَداً أَيْضاً، القِشْرُ عَبْدٌ لِلُبِّهِ الجَمِيْلِ أَبَداً؛
حِيْنَ قالَ الشَّيْخُ أنا الحَقُّ وَأَبْرَمَ الأَمْر، كَمْ ضَغَطَ على حُلُوْقِ كُلِّ العُمْيان؛
إذا صارَتْ ذاتُ العَبْدِ فناءً مِنَ الوُجُود، ماذا يَبْقى مِنْهُ ؟، فَكِّرْ أَيْ جَحُود؛
إذا كانَ لَكَ عَيْنٌ افْتَحْها وانْظُرْ، بَعْدَ لا هَلْ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ يَبْقى؛
قُطِعَتْ تِلْكَ الشَّفَةُ والحَلْقُ والفَمُ، الَّتي تَبْصِقُ نَحْوَ القَمَرِ أوِ السَّماء؛
يَعُودُ إلى وَجْهِهِ البُصاقُ لا شَكّ، البُصاقُ ما لَهُ إلى الفَلَكِ مَسْلَك؛
لِلْبُصاقِ عَلَيْهِ إلى القِيامَةِ زَرَب، مِثْلَ *تَبَّتْ* على رُوحِ أَبي لَهَب؛
الطَّبْلُ والرَّايَةُ مُلْكٌ للسُّلْطان، والكَلْبُ شَخْصٌ دَعاهُ فارِغاً ذليلاً؛
السَّمواتُ عَبيدٌ لِقَمَرِه، الشَّرْقُ والمَغْرِبُ كِلاهُما يَسْتَجْدِيانِه؛
ذاكَ أنَّ *لَولاكَ* على تَوْقِيْعِه، والجَمِيْعُ في إنعامِهِ وَفِيْ تَوزيعِه؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوجُوداً لَما دارَ الفَلَك، وما وَجَدَ النُّورَ والمَكانَ المَلَك؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوجُوداً ما وَجَدَتِ البِحار، الهَيْبَةَ والسَّمَكَ والدُّرَّ المَلَكِيّ؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوجُوداً ما وَجَدَتِ الأَرْضُ، في داخِلِها الكَنْزَ وفي الخارِجِ الياسَمِيْن؛
الأرزاقُ أَيْضاً تَطْلُبُ الرِّزْقَ مِنْه، الأَثْمارُ عَطْشى يابِسَةُ الشِّفاهِ لِمَطَرِه؛
انْتَبِهِ فَهذِهِ عُقْدَةٌ مَعْكُوسَةٌ في الأَمْر، *أَعْطِ الصَّدَقَةَ* لِمَنْ يُعْطِيْ الصَّدَقَة؛
إنَّ لَكَ مِنَ الفَقْرِ كُلَّ ذَهَبٍ وَحَرير، هَيَّا ادْفَعِ الزَّكاةَ للغَنِيِّ أَيْ فَقِيْر؛
زَوْجَةٌ مَعِيْبَةٌ مِثْلُكِ لِذاكَ المَقْبُولِ الرُّوح، مِثْلُ تِلْكَ الزَّوْجَةِ الكافِرَةِ في عَقْدِ نُوح؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ لَكِ نِسْبَةٌ إلى هذا البَيْت، كُنْتُ مَزَّقْتُكِ تَمْزيقاً هذِهِ اللَّحْظَة؛
وَكُنْتُ أعْطَيْتُ نُوحَ ذاكَ مِنْكِ الخلاص، حَتَّى أَصِيْرَ مُشَرَّفاً بالقَصاص؛

لكِنَّني مَعَ مَنْزِلِ مَلِكِ مُلُوكِ الزَّمَن، لا أقْدِرُ على مِثْلِ هذِهِ الجَسارَة؛
اِذْهَبي وادْعِي فَأَنْتِ كَلْبُ هذا المَوْطِن ، أو أفْعَلُ الآنَ ما يَجِبُ عَلَيَّ فِعْلُه؛

عَوْدَةُ المُريدِ مِنْ مَنْزِلِ الشَّيْخِ وَسُؤالُهُ النَّاسَ وإشارَةُ النَّاسِ إلَيْهِ أنِ الشَّيْخُ ذَهَبَ إلى الغابَةِ الفُلانِيَّة

بَعْدَ ذاكَ راحَ سائِلاً كُلَّ شَخْص، يُكْثِرُ البَحْثَ عَنِ الشَّيْخِ في كُلِّ صَوب؛
فقالَ لَهُ شَخْصٌ أنْ قُطْبُ الدِّيارِ ذاكَ، ذَهَبَ يَحْتَطِبُ في مَنْطقَةٍ جَبَلِيَّة؛
ذاكَ المُريدُ ذُو فِكْرٍ *ذي الفَقار* أَسْرَعَ، سائراً في هَوى الشَّيْخِ نَحْوَ الغابَة؛
الشَّيْطانُ يَجِيْءُ مِنْ أمامِ وَعْيِ الرَّجُل، بالوَسْوَسَةِ حَتَّى يُخْفِيَ القَمَرَ مِنَ الغُبار؛
أنْ مِثْلُ هذِهِ المَرْأَةِ كَيْفَ شَيْخُ الدِّيْنِ هذا ، يَحْتَفِظُ بِها في البَيْتِ أَليفاً وَجَليساً؛
إيناسُ الضِّدِّ للضِّدِّ مِنْ أَيْن، النَّسْناسُ مَعَ إمامِ النَّاسِ مِنْ أَيْن؛
وَمَعَهُ *لا حَول* يَقُولُها كالنَّار، أنِ اعْتِراضِيْ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَحِقْد؛
أنا ما أكُونُ مَعَ تَصاريفِ الحَقّ، حَتَّى تُورِدَ نَفْسي الإشْكالَ والدَّقّ؛
ثُمَّ تَعُودُ نَفْسُهُ تَحْمِلُ عَلَيْهِ مُسْرِعَةً،مِنْ هذا التَّعَرُّفِ صارَ في قَلْبِهِ كدُخانِ القَشّ؛
أنْ أَيَّةُ نِسْبَةٍ للشَّيْطانِ مَعَ جَبرائيل، حَتَّى يَكُونَ لَهُ الصَّاحِبَ في المَقِيْل؛
كَيْفَ يَتَواءَمُ مَعَ آذَرَ الخَلِيْل، كَيْفَ يَتَواءَمُ مَعَ قاطِعِ الطَّريقِ الدَّلِيْل؛

وُجْدانُ المُريدِ المُرادَ وَمُلاقاتُهُ الشَّيْخَ قُرْبَ تِلْكَ الأَجَمَة

كانَ في هذا إذْ ظَهَرَ الشَّيْخُ الشَّهِيْر، ظَهَرَ مُسْرِعاً أمامَهُ راكِباً على أَسَد؛
على أَسَدٍ هَصُورٍ يَحْمِلُ لَهُ الحَطَب، وَقَدْ جَلَسَ ذلِكَ السَّعِيْدُ فَوْقَ الحَطَب؛
وَسَوْطُهُ ثُعْبانٌ ذَكَرٌ مِنَ الشَّرَف، وَقَدْ أَمْسَكَ بالثُّعْبانِ كالعَصا بالكَفّ؛

اِعْلَمْ يَقِيْناً أنَّ كُلَّ شَيْخٍ يَكُون، يَمْتَطِيْ أَيْضاً الأَسَدَ الهَصُور؛
رَغْمَ أنَّ ذاكَ مَحْسُوسٌ وهذا غَيْرُ مَحْسُوس، ذاكَ على عَيْنِ الرُّوحِ غَيْرُ مُلْتَبِس؛
مِئاتُ أُلُوفِ الأُسُودِ تَحْتَ أَفْخاذِهِمْ، تَحْمِلُ الحَطَبَ أمامَ عَيْنٍ تَرى الغَيْب؛
لكِنَّ اللّهَ جَعَلَ ذاكَ مَحْسُوساً للآحاد، لِيَراهُ مَنْ لَيْسَ بِرَجُلِ الطَّرِيقِ أيْضاً؛
رآهُ ذلِكَ المَلِكُ مِنْ بَعِيْدٍ وَضَحِكَ، قالَ لا تَسْمَعْ لِذاكَ أَيْ مَفْتُوناً مِنَ الشَّيْطان؛
لَقَدْ عَلِمَ مِنْ ضَمِيْرِهِ ذلِكَ الجَلِيْل، وَمِنْ نُورِ القَلْبِ *يا نِعْمَ الدَّلِيْل*؛
قَصَّ عَلَيْهِ ذُو الفُنُونِ ذاكَ واحِداً واحِداً، ما جَرى عَلَيْهِ في الطَّرِيقِ إلى الآن؛
بَعْدَ ذلِكَ في مُشْكِلِ إنكارِ المَرْأَة، فَتَحَ ذلِكَ العَذْبُ الحَدِيْثِ الفَمّ؛
أنْ ذاكَ التَّحَمُّلُ لَيْسَ مِنْ هَوى النَّفْس، ذاكَ خيالُ نَفْسِكَ لا تَقِفْ هُناك؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ صَبْرِيْ يَحْتَمِلُ حِمْلَ امْرَأَة، متى كانَ الأَسَدُ الذَّكَرُ مُسَخَّراً لِحَمْلِي؛
نَحْنُ جِمالٌ مُزَمْجِرَةٌ في السَّبَق، سَكْرى وَوَلْهى تَحْتَ أَحْمالِ الحَقّ؛
أنا لَسْتُ بِمَأْمُورٍ ولا مَحْكُومٍ ولا خام، حَتَّى أُفَكِّرَ بالتَّشْنيعِ مِنَ العَوامّ؛
عامُّنا وَخاصُّنا قَرارُه، رُوحُنا على الوَجْهِ جارِيَةٌ تَطْلُبُه؛
انْفِرادُنا وازدِواجُنا لَيْسَ مِنَ الهَوى، رُوْحُنا كالخَرْزَةِ في يَدِ الله؛
دلالَ تِلْكَ المَرْأَةِ نَحْمِلُ ومِئَةً مِثْلَهُ، لَيْسَ مِنْ عِشْقِ اللَّونِ ولا وَلَهاً للعَبير؛
هذا بِقَدَرِ الدَّرْسِ لِتلاميذِنا، وإلّا فَأَيّانَ كَرٌّ وَفَرٌّ مَلْحَمَتِنا؛
إلى أيْنَ ، إلى هُناكَ حَيْثُ لا طَرِيق، وما هُناكَ غَيْرُ سنا بَرْقِ قَمَرِ الله؛
بعيدٌ عَنْ كُلِّ وَهْمٍ وَتَصْوير، نُورُ نُوْرِ نُورِ نُورِ نُورِ النُّور؛
إذا كُنْتُ جَعَلْتُ المَقالَ مِنْ أجْلِكَ خَفيضاً، فذاكَ لِتَأْتَلِفَ مَعَ الرَّفيقِ سَيِّئِ الطَّبْع؛
لِتَحْمِلَ ضاحِكاً وَسَعِيْداً حِمْلَ الحَرَج، طالِباً *الصَّبْرُ مِفْتاحُ الفَرَج*؛
إذا احْتَمَلْتَ لُؤمَ هؤلاءِ اللِّئام، صِرْتَ في نُورِ السُّنَنِ واصِلاً؛
فَكَمْ رأى الأنبياءُ مِنْ أذى الأخِسّاء، كَمْ رَأَوا مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الأفاعي مِنَ العَناء؛

بِما أنَّ مُرادَ وَحُكْمَ اللهِ الغَفُور، كانا مِنَ القِدَمِ التَّجَلِّي والظُّهُور؛
مِنْ غَيْرِ ضِدٍّ لا يُمْكِنُ إظْهارُ الضِّدّ ، وَذاكَ المَلِكُ بلا مِثْلٍ ما لَهُ مِنْ ضِدّ؛

الحِكْمَةُ مِنْ إنِّي جاعِلٌ في الأرْضِ خَليفَةً

ثُمَّ أوْجَدَ خَلِيْفَةً وَجيهاً، لِيَكُونَ مِرْآةً لِسُلْطانِه؛
ثُمَّ أَعْطاهُ صَفاءً لا حُدُودَ لَهُ، وآنَذاكَ جَعَلَ لَهُ ضِدّاً مِنَ الظُّلْمَة؛
ثُمَّ نَصَبَ عَلَمَيْنِ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ، واحِدٌ طريقُ آدَمَ والآخَرُ طَريقُ إبليس؛
ما بَيْنَ ذَيْنِكَ المُعَسْكَرَيْنِ العَظِيْمَيْن، خِصامٌ وَحَرْبٌ وما مَضى مَضى؛
وهكذا أتى في الدَّوْرِ الثَّاني هابيل، وَجاءَ ضِدّاً لِنُورِهِ الطَّاهِرِ قابيل؛
هذانِ العَلَمانِ للعَدْلِ والجَوْر، وَصَلا إلى نَمْرُودَ في دَوْرٍ دَوْر؛
صارَ ضِدّاً لإبْراهِيْمَ وَخَصْماً لَه، والمُعَسْكَرانِ مُتَنازِعانِ وَطالِبانِ للحَرْب؛
حِيْنَ طالَتْ الحَرْبُ وَلَمْ يَرْضَ أنْ تَطُولَ أَكْثَر، صارَتْ نارُهُ فَيْصَلاً بَيْنَ الإثْنَيْن؛
دَوراً دَوراً وَقَرْناً قَرْناً جاءَ كُلُّ فَريق، إلى فِرْعَونَ وإلى مُوسى الشَّفيق؛
اسْتَمَرَّتِ الحَرْبُ بَيْنَهُما لِسِنين، وَحِيْنَ جاوَزَتِ الحَدَّ وَصارَ المَلَلُ زائِداً؛
جَعَلَ الحَقُّ مِنْ ماءِ البَحْرِ حَكَماً، لِيَبْقى مَنْ سَبَقَ مِنْ هذَيْنِ الإثْنَيْن؛
وهكذا إلى دَوْرِ وَطَوْرِ المُصْطَفى، مَعَ أَبي جَهْلٍ ذاكَ قائِدِ جَيْشِ الجَفا؛
كما جَعَلَ نُكْراً مِنْ أَجْلِ ثَمُود، صَيْحَةً خَطَفَتْ مِنْهُمُ الأرواح؛
كما جَعَلَ نُكْراً مِنْ أجْلِ قَوْمِ عاد، سَريعَةَ النُّهُوضِ حادَّةَ السَّيْرِ أَعني الرِّيْح؛
وَجَعَلَ نُكْراً لِقارُونَ الغَضَبَ، لَقَدْ أخْفى الغَضَبَ في حِلْمِ هذِهِ الأرْض؛
حِيْنَ تَحَوَّلَ حِلْمُ الأرْضِ كُلُّهُ إلى قَهْر، وَحَمَلَ قارُونَ وَكَنْزَهُ إلى القَعْر؛
اللُّقْمَةُ الَّتي هِيَ عِمادُ هذا البَدَن، في دَفْعِ سَيْفِ الجُوعِ الخُبْزُ كالجَوْشَن؛
إذا وَضَعَ الحَقُّ القَهْرَ في خُبْزِكَ، يأخُذُ ذلِكَ الخُبْزُ بالحَلْقِ كالخُناق؛

هذا اللِّباسُ الَّذي هُوَ مِنَ البَرْدِ مُجِيْر، يُعْطِيْهِ الحَقُّ مِزاجَ الزَّمْهَرير؛
حَتَّى تَصِيْرَ هذِهِ الجُبَّةُ العَظِيْمَةُ على بَدَنِك، بارِدَةً كالجَلِيْدِ واخِزَةً كالثَّلْج؛
حَتَّى تَفِرَّ مِنْ فِراءِ الوَشَقِ وَمِنَ الحَرير، وَتَلْجَأَ مِنْهُما إلى جِهَةِ الزَّمْهَرير؛
أنتَ لَسْتَ جَبَلَيْنِ عَظِيْمَيْنِ أنتَ قُلَّه، غافِلٌ عَنْ قِصَّةِ عذابِ الظُّلَّه؛
جاءَ أَمْرُ الحَقِّ إلى المُدُنِ والقُرى، إلى البُيُوتِ والجُدْرانِ لا تَمُدِّيْ الظِّلّ؛
لا تَكُوني مانِعاً لِلْمَطَرِ والشَّمْس، حَتَّى صارَتِ الأُمَّةُ مُسْرِعَةً إلى ذلِكَ المُرْسَل؛
أنْ ماتَ أَغْلَبُنا أَيْ عَظِيْمُ الأمان، واقْرَأْ بَقِيَّتَها مِنْ كِتابِ التَّفْسير؛
كَيْفَ عَمِلَ ماهِرُ اليَدِ ذاكَ مِنَ العَصا حَيَّةً، إنْ كانَ لَكَ عَقْلٌ تِلْكَ النُّكْتَةُ كافِيَة؛
أنتَ تَمْلِكُ النَّظَرَ لكِنَّهُ بلا إمْعان، العَيْنُ مُتَجَمِّدَةٌ وَمُتَوَقِّفَة؛
مِنْ هذا يَقُوْلُ مُبْدِعُ الفِكَر، أَيُّها العَبْدُ أَمْعِنِ النَّظَر؛
لا يَقُولُ لَكَ أَنْ دُقَّ الحَديدَ بارِداً، لكِنْ أَيُّها البُولادُ طُفْ على داؤود؛
ماتَ بَدَنُكَ سُقْ إلى إسْرافيل، جَمُدَ قَلْبُكَ اِمْضِ إلى شَمْسِ الرُّوح؛
مِنْ كَثْرَةِ ما صِرْتَ مُكْتَسِياً مِنَ الخَيال، وَصَلْتَ إلى السُّوفسطائيِّ سَيِّئِ الظَّنّ؛
هُوَ كانَ مَعْزُولاً عَنْ لُبِّ العَقْل، صارَ مَعْزُولاً عَنِ الحِسِّ وَمَحْرُوماً مِنَ الوُجُود؛
نَوْبَةُ الشِّفاهِ لِتَلُوكَ الكلامَ فَتَكَلَّمْ، إنْ تَحَدَّثْتَ لِلْخَلْقِ فَهِيَ فَضِيْحَة؛
ما الإمْعانُ هُوَ جَعْلُ العَيْنِ جارِيَة، الرُّوحُ إذا تَرَكَتِ البَدَنَ سُمِّيَتْ جارِيَة؛
ذاكَ الحَكِيمُ الَّذي رُوحُهُ تَحَرَّرَتْ، مِنْ حَبْسِ البَدَنِ وَصارَتْ جارِيَةً في الرِّياض؛
وَضَعَ هذينِ اللَّقَبَيْنِ لِتِلْكُما الاِثْنَتَيْن، مِنْ أجْلِ التَّفْريقِ فَعلى رُوْحِهِ الثَّناء؛
في بيانِ أنَّ السَّائِرَ مُمْتَثِلاً لِلأَمْر ، لَوْ طَلَبَ مِنَ الشَّوْكِ أنْ يَصِيْرَ وَرْداً لَصار؛

مُعْجِزَةُ هُود عَلَيْهِ السَّلام في تَخْلِيْصِ
مُؤمِني الأُمَّة وَقْتَ نُزُولِ الرِّيح

المُؤمِنُونَ مِنْ يَدِ الرِّيْحِ الضَّائِرَه، جَلَسُوا أَجْمَعِيْنَ في دائِرَه؛
كانَتِ الرِّيْحُ طُوفاناً والسَّفِيْنَةُ لُطْفُهُ، كَمْ لَهُ مِثْلَ هذِهِ السَّفِيْنَةِ والطُّوفان؛
اللهُ جَعَلَ مِنَ المَلِكِ سَفِيْنَةً، حَتَّى مِنْ حِرْصِ نَفْسِهِ يَصفُّ الصُّفُوف؛
قَصْدُ المَلِكِ لَيْسَ أَنْ يَكُونَ آمِناً الخَلْق، قَصْدُهُ أَنْ يَصِيْرَ ثابِتاً المُلْك؛
حِمارُ الطَّاحُونِ ذاكَ مُسْرِعٌ بِقَصْدِ الخَلاص، لِيَجِدَ مِنَ الضَّرْبِ آنذاكَ المَناص؛
قَصْدُهُ لَيْسَ أَنْ يَسْحَبَ الماء، أو أَنْ يَجْعَلَ مِنَ السِّمْسِمِ زَيْتاً؛
الثَّورُ أَسْرَعَ خَوْفاً مِنَ الضَّرْبِ الشَّدِيْد، لا مِنْ أَجْلِ نَقْلِ الدُّولابِ والمَتاع؛
الحَقُّ أَعْطاهُ خَوْفَ الوَجَع، حَتَّى تَحْصَلَ المَصالِحُ في التَّبَع؛
وهكذا كُلُّ كاسِبٍ في دُكَّان، مِنْ أَجْلِ النَّفْسِ يَسْعى لا لإصْلاحِ العالَم؛
كُلُّ واحِدٍ باحِثٌ لِجُرْحِهِ عَنْ مَرْهَم، تَبَعاً لِهذا صارَ قائِماً العالَم؛
الحَقُّ جَعَلَ عِمادَ هذا العالَمِ مِنَ الخَوْف، كُلٌّ راحَ في العَمَلِ مِنْ خَوفِ الرُّوح؛
الحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَ مِنَ الخَوْف، مِعْمارَ إِصْلاحٍ للأَرْضِ هكذا؛
هؤلاءِ جَميعاً يخافُونَ مِنَ الحَسَنِ والقَبيح، ما مِنْ خائِفٍ خائِفٌ مِنْ نَفْسِه؛
الحَقِيْقَةُ أَنَّ شَخْصاً حاكِمٌ على الجَمِيْع، وَأَنَّهُ قَرِيبٌ رَغْمَ أَنَّهُ غَيْرُ مَحْسُوس؛
إنَّهُ مَحْسُوسٌ في الخَفاءِ في مَكْمَن، لَيْسَ مَحْسُوساً بِحِسِّ هذا المَسْكَن؛
ذلِكَ الحِسُّ الَّذي لَهُ الحَقُّ يَظْهَر، لَيْسَ حِسَّ هذِهِ الدُّنيا ذاكَ حِسٌّ آخَر؛
لَو كانَ حِسُّ الحَيَوانِ يَرى تِلْكَ الصُّوَر، كانَ الحِمارُ والثَّوْرُ صارا بايَزِيدَ الوَقْت؛
ذاكَ الَّذي جَعَلَ مِنَ البَدَنِ مَظْهَرَ كُلِّ رُوح، وذاكَ الَّذي جَعَلَ السَّفِيْنَةَ بُراقَ نُوح؛
لَو شاءَ جَعَلَ السَّفِيْنَةَ عَيْنَها عَنْ طَبْع، طُوفاناً لَكَ أَيْ باحِثاً عَنِ النُّور؛
كُلَّ لَحْظَةٍ لَكَ طُوفانٌ وَسَفِيْنَةٌ أَيْ مُقِلّ، جَعَلَهُما بِغَمِّكَ وسُرُورِكَ مُتَّصِلَيْن؛
إنْ كُنْتَ لا ترى السَّفِيْنَةَ والبَحْرَ أمامِك،لِتَرَ الاِرْتِعاشاتِ في جَمِيْعِ أَجْزاءِ نَفْسِك؛
ما دامَتْ لا ترى أَصْلَ خَوْفِهِ العُيُون، فَهِيَ تَخافُ مِنْ أنواعِ الخَيال؛

جِلْفٌ سَكْرانٌ لَكَمَ أَعْمىً لَكْمَةً، فَظَنَّها الأعْمى رَفْسَةً مِنْ جَمَل؛
فإنَّهُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ سَمِعَ صَوْتَ جَمَل، السَّمْعُ مِرآةُ الأعْمى وَلَيْسَ البَصَر؛
وَعادَ الأعْمى فَقالَ لا هذا كانَ حَجَراً، أو رُبَّما كانَ مِنْ قُبَّةٍ صَدِئَة؛
لَمْ يكُنْ هذا ولَمْ يكُنْ هذا وَلَمْ يَكُنْ ذاك، ذاكَ الَّذي خَلَقَ الخَوْفَ أَظْهَرَها كُلَّها؛
الخَوْفُ والرُّعْبُ يَكُونانِ مِنَ الغَيْرِ باليَقِيْن، لا أَحَدَ يَخافُ مِنْ نَفْسِهِ أي حَزِين؛
ذاكَ الحُكَّيْمُ سَمَّى الخَوْفَ وَهْماً، لَقَدْ فَهِمَ هذا الدَّرْسَ فَهْماً مُنْحَرِفاً؛
متى يَسيرُ زَيْفٌ ولا صَحِيْحَ مَعَه، ما كانَ قَطُّ وهْمٌ ولا حَقِيْقَةَ مَعَه؛
لولا الصِّدْقُ متى كانَ للكَذِبِ قِيْمَة، كُلُّ كَذِبٍ في العالَمَيْنِ نَهَضَ مِنَ الصِّدْق؛
فإنَّهُ إنَّما رأى الصِّدْقَ رائجاً وَمُضِيْئاً، وَمِنْ طَمَعٍ بِذاكَ راحَ جارياً الكَذِب؛
أيْ كَذِبُ لَكَ مِنَ الصِّدْقِ هذا الغِذاء، كُنْ شاكِرَ النِّعْمَةِ لا تُنْكِرِ الصِّدْق؛
أَأَتَحَدَّثُ عَنِ المُفَلْسِفِ وَتِجارَتِه، أمْ أتَحَدَّثُ عَنْ سُفُنِهِ وَبِحارِهِ؛
بَلْ عَنْ سُفُنِهِ فَتِلْكَ مَوْعِظَةٌ للقَلْب، أَتَحَدَّثُ عَنِ الكُلِّ فالجُزْءُ داخِلٌ في الكُلّ؛
اعْرِفْ كُلَّ وَلِيٍّ نُوحاً وَرُبَّاناً، واعْرِفْ صُحْبَةَ هذا الخَلْقِ طُوفاناً؛
أَقِلَّ الهَرَبَ مِنَ الأُسُودِ وَكُلِّ ثُعْبانٍ ذَكَر، وَكُنْ مِنْ مَعارِفِكَ وَأَقْرِبائِكَ على حَذَر؛
فإنَّهُمْ يَأْخُذُونَ عُمْرَكَ في التَّلاقي، وَيَتَحَدَّثُونَ عَنْكَ بالظَّنِّ في غِيابِك؛
خيالُ كُلِّ واحِدٍ كالحِمارِ الظَّمْآن، مِنْ قُفِّ البَدَنِ يَشْرَبُ الفِكْر؛
نَشَّفَ الخَيالُ مِنْ أولئكَ الوُشاة، مالَكَ مِنْ قَطْرِ النَّدى مِنْ بَحْرِ الحَياة؛
فَعلامَةُ نَشْفِ الماءِ مِنَ الغُصُون، أنْ لا تَتَحَرَّكَ وَتَكُونَ في رُكُون؛
العُضْوُ الحُرُّ غُصْنُهُ طَرِيٌّ نَضِر، إلى أَيَّةِ جِهَةٍ تَجْذِبُهُ يَنْجَذِب؛
تَقْدِرُ أنْ تَصْنَعَ مِنْهُ سَلَّةً إنْ أَرَدْت، وإنْ أَرَدْتَ أنْ تَصْنَعَ مِنْهُ حَلْقَةً قَدِرْت؛
فإذا صارَ ذاكَ ناشِفاً مِنْ نَشْفِ الجَذْر، لا يَجِيْءُ للجِهَةِ الَّتي يَشُدُّهُ لها الأمْر؛
فاقْرَأْ قامُوا كُسالى مِنَ القُرْآن، حِيْنَ لا يَجِدُ الغُصْنُ مِنْ جَذْرِهِ عِلاجاً؛

هذِهِ الإشارَةُ نارِيَّةٌ فلأُقْصِرْ، ولأنْتَقِلْ إلى الفَقِيْرِ وَكَنْزِهِ وَأَحْوالِه؛
أَرَأَيْتَ النَّارَ الَّتي تَحْرِقُ الأغْصانَ جَميعاً، فَلْتَرَ نارَ الرُّوحِ الَّتي تَحْرِقُ الخَيال؛
ما للخيالِ ولا للحَقِيْقَةِ مِنْ أمانٍ، مِنْ مِثْلِ تِلْكَ النَّارِ الَّتي اشْتَعَلَتْ مِنَ الرُّوح؛
هِيَ خَصْمُ كُلِّ أَسَدٍ وَكُلِّ ثَعْلَبٍ، *كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَه*؛
رُحْ وَصِرْ مُسْتَهْلَكاً في الوُجُوهِ وَوَجْهِه، صِرْ مُدْرَجاً كما الأَلِفُ مُدْرَجٌ في *بِسْمِ*؛
الأَلِفُ ذاكَ صارَ مَخْفِيَّاً في بِسْمِ، هُوَ في *بِسْمِ* كما أَنَّهُ لَيْسَ في *بِسْمِ*؛
هكذا جُمْلَةُ الحُروفِ صارَتْ حائرَة، عِنْدَما حُذِفِ الألِفُ مِنْ أجْلِ الوَصْل؛
إنَّهُ صِلَةٌ والباءُ والسِّيْنُ مْنْهُ وَجَدا الوَصْل، وَصْلَ الباءِ والسِّيْنِ لَمْ يَحْتَمِلْ الألِف؛
إذا كانَ حَرْفٌ لَمْ يَحْتَمِلْ هذا الوِصال، مِنَ الواجِبِ أنْ أَجْعَلَ قَصِيْراً المَقال؛
بِما أنَّ فِراقَ الباءِ والسِّيْنِ حَرْفٌ واحِد، فالصَّمْتُ هاهُنا أَهَمُّ واجِب؛
الألِفُ فَنِيَ والفناءُ لَهُ مُكْتَنِف، *الباءُ والسِّيْنُ* مِنْ دُونِهِ يَقُولانِ *أَلِف*؛
ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ لَيْسَ بِها *هُوَ*، لكِنَّ *قالَ اللهُ* تَنْبَجِسُ مِنْ صَمْتِها؛
الدَّواءُ ما دامَ على حالِهِ فَهُوَ بلا عَمَل، فإذا صارَ فانِياً دَفَعَ العِلَل؛
لَوْ صارَتِ الأَجَمَةُ أَقْلاماً والبَحْرُ مِداداً، لا أَمَلَ بالوُصُولِ لِنِهايَةِ المَثْنَوي؛
ضارِبُ الآجُرِّ يَعْمَلُ الآجُرَّ ما وُجِدَ التُّراب، وكذلِكَ تَقْطيعُ الشِّعْرِ في المَثْنوي؛
فإذا لَمْ يَبْقَ التُّرابُ وَجَفَّ مِنْهُ الوُجُود، فإنَّ بَحْرَهُ يَصْنَعُ التُّرابَ كما يَصْنَعُ الزَّبَد؛
إذا لَمْ تَبْقَ الأجَمَةُ وامَّحَتْ كُلُّها، تَطْلَعُ الأَجَمُ وَتَرْفَعُ الرَّأْسَ مِنْ عَيْنِ البَحْر؛
مِنْ أَجْلِ هذا قالَ مَليكُ الفَرَج، حَدِّثُوا عَنْ بَحْرِنا إِذْ لا حَرَج؛
اِرْجِعْ مِنَ البَحْرِ واتَّجِهْ للبَرّ، وَتَحَدَّثْ عَنِ اللُّعْبَةِ فهذا أَفْضَلُ للطِّفْل؛
حَتَّى في الصَّبا مِنَ اللُّعْبَةِ قليلاً قليلاً، تَصِيْرُ رُوحُهُ عارِفَةً بِيَمِّ العَقْل؛
فالصَّبِيُّ يَجِدُ العَقْلَ مِنْ ذلِكَ اللَّعِب، رَغْمَ أَنَّ اللَّعِبَ في الظَّاهِرِ خالٍ مِنَ العَقْل؛

الطِّفْلُ المَجْنُونُ متى يَقُومُ باللَّعِب، يَجِبُ أنْ يُوجَدَ الجُزْءُ كَيْ يفيءَ للكُلّ؛

رُجُوع إلى قِصَّةِ القُبَّةِ والكَنْز

الخيالُ الجَميلُ لِذاكَ الفَقِيْرِ بلا رياء، جَعَلَني عاجَزاً مِنْ تَعالَ وَتَعال؛
أنتَ لا تَسْمَعُ نِداءَهُ لكِنْ أنا أَسْمَعُهُ، ذلِكَ لأنَّني في الأسْرارِ نَجِيُّهُ؛
لا تَرَهُ طالِبَ كَنْزٍ فإنَّهُ هُوَ الكَنْز، متى كانَ المُحِبُّ بالمَعْنى غَيْرَ الحَبيب؛
إنَّهُ يَقُومُ بالسُّجُودِ لِنَفْسِهِ في كُلِّ لَحْظَة، السَّجْدَةُ أمامَ المِرْآةِ مِنْ أجْلِ الوَجْه؛
لَوْ رأى مِنَ المِرْآةِ مِقْدارَ فِلْسٍ، بلا خَيالٍ ما بَقِيَ مِنْهُ أَيُّ شَيْءٍ؛
خيالاتُهُ تَفْنى وَهُوَ أَيْضاً يَفْنى، وَعِلْمُهُ يَصِيْرُ مَحْواً في الجَهْل؛
عِلْمٌ آخَرُ يُطِلُّ مِنْ جَهْلِنا، رافِعاً الرَّأْسَ أنْ *إِنِّـيْ أنا*؛
اسْجُدُوا لآدَمَ نِداءٌ يَجِيْءُ أَبَداً، وأنتُمْ آدَمِيُّونَ وَسَتَرَونَهُ لَحْظَةً بأنْفُسِكُم؛
لَقَدْ طَرَدَ الحَوَلَ عَنْ عُيُونِهِم حَتَّى، صارَتِ الأَرْضُ عَيْنَ الفَلَكِ اللَّازَوَرْدِيّ؛
قالَ *لا إلهَ* وقالَ *إلَّا الله*، فصارَتْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وتَفَتَّحَتِ الوَحْدَة؛
ذاكَ الحَبيبُ والخَلِيْلُ ذُو الرَّشَد، أتى وَقْتٌ يَسْحَبُنا فِيْهِ مِنْ آذانِنا؛
إلى العَيْنِ أنِ اغْسِلِ الفَمَ مِنْ هذا، ذاكَ الَّذي أَخْفَيْنا عَنِ الخَلْقِ لا تَقُلْ؛
وَلَوْ قُلْتَ فَلَنْ يَصِيْرَ ظاهِراً، وأنتَ بِقَصْدِ الكَشْفِ صِرْتَ مُجْرِماً؛
لكِنْ هاأنذا أطُوفُ حولَها، أنا قائلُ هذا وأنا سامِعُ هذا أَيْضاً؛
حَدِّثْ عَنْ صُورَةِ الدَّرْويشِ وَرَسْمِ الكَنْز، أُذْكُرِ الألَمَ فَمَذْهَبُ هذِهِ الجَماعَةِ الألَم؛
عَيْنُ الرَّحْمَةِ صارَتْ عَلَيْهِمْ حراماً، يَجْرَعُونَ السُّمَّ القاتِلَ جاماً جاماً؛
يَحْمِلُونَ التُّرابَ بالثِّياب، لِيَجْعَلُوا هَذِهِ العُيُونَ مَسْدُودَةً يابِسَة؛
متى تَصِيْرُ العَيْنُ آخِذَةُ المَدَدِ مِنَ البَحْر ، مَكْبُوسَةً مِن هذِهِ الحَفْنَةِ مِنَ التُّراب؛

لكِنْ تَقُولُ أنا مَعَكُمْ مَسْدُودَةٌ، وَمِنْ دُونِكُمْ جارِيَةٌ للأبَدِ بلا انقِطاع؛
القَوْمُ مَعْكُوسُونَ في المُشْتَهى، آكِلُونُ للتُّرابِ وتارِكُونَ للماء؛
الخَلْقُ لَهُمْ طَبْعٌ ضِدُّ طَبْعِ الأنبياء، الخَلْقُ يَتَّخِذُونَ مِنَ الأفاعي مُتَّكَأً؛
ما دُمْتَ عَلِمْتَ أنَّ رِباطَ العَيْنِ الخَتْمُ، هَلْ تَعْلَمُ مِمَّ عَيْنُكَ سُدَّتْ؛
على أَيِّ شَيْءٍ فَتَحْتَ هذِهِ العُيُونَ بَدَلا، اِعْلَمْ أنَّهُ بِئْسَ ذاكَ لَكَ بَدَلا؛
لكِنَّ شَمْسَ العِنايَةِ طَلَعَتْ، وَصَلَتْ إلى اليائسينَ مِنَ الكَرَم؛
لَعِبَتِ النَّرْدَ النَّادِرَ جِدّاً مِنَ الرَّحْمَة، جَعَلَتْ مِنْ عَيْنِ الكُفْرانِ إنابَة؛
كما فَجَّرَ مائتَيْ عَيْنِ وِداد، مِنْ تعاسَةِ الخَلْقِ ذاكَ الجَواد؛
لِيُعْطِيَ البُرْعُمَ المَدَدَ مِنَ الشَّوك، وَيُعْطِيَ الخَرْزَةَ الزِّيْنَةَ مِنَ الحَيَّة؛
مِنْ سَوادِ اللَّيْلِ يُخْرِجُ النَّهار، مِنْ كَفِّ المُعْسِرِ يُطْلِعُ اليَسار؛
يَجْعَلُ الرَّمْلَ طَحِيناً مِنْ أجْلِ الخَليل، وَيَجْعَلُ مِنَ الجَبَلِ رَسُولاً مُوافِقاً لِداؤود؛
الجَبَلُ ذُو الوَحْشَةِ في غَيْمِ الظُّلَم، يُرَدِّدُ صَوتَ الرَّبابِ والزِّيْرِ والبَمّ؛
أي داؤودُ النَّافِرُ مِنَ الخَلْقِ انْهَضْ، تَرَكْتَ أولئكَ خُذْ مِنَّا العِوَض؛

إنابَةُ طالِبِ الكَنْزِ ذاكَ إلى الحَقّ تَعالى بَعْدَ الطَّلَبِ الكَثيرِ والعَجْزِ والاِضْطِرار ، أنْ أَيْ وَلِيَّ الإظْهار اِجْعَلْ هذا الخَفِيَّ ظاهِراً عِياناً

قالَ ذلِكَ الدَّرْويشُ أَيْ عالِمَ السِّرّ، طالَما جَرَيْتُ في طَلَبِ هذا الكَنْزِ عَبَثاً؛
شَيْطانُ الحِرْصِ والطَّمَعِ والعَجَل، لا هُوَ باحِثٌ عَنِ التَّأَنِّيْ ولا هُوَ في مَهَل؛
أنا لَمْ أنَلْ مِنَ القِدْرِ لُقْمَةً واحِدَةً، وَسَوَّدْتُ كَفِّي وأَحْرَقْتُ فَمِي؛
أنا لا أَقُولُ أنِّيْ غَيْرُ مُوقِنٍ بِهذا، مِنْ عاقِدِ العُقْدَةِ ذاكَ سَأَحُلُّ هذِهِ العُقْدَة؛

تِلْكَ العُقْدَةُ الَّتي هُوَ عَقَدَها هُوَ يَحُلُّها، تِلْكَ الخَرْزَةُ الَّتي هُوَ رماها هُوَ يَخْطَفُها؛
رَغْمَ أَنَّ هذا الكلامَ بدا لَكَ سَهْلاً، متى كانَتْ سَهْلَةً الرُّمُوزُ مِنْ *لَدُنْ*؛
قالَ يا رَبِّ لَقَدْ تُبْتُ مِنْ هذِهِ السُّرْعَة، أَنْتَ أَغْلَقْتَ فاجْعَلْ أنتَ أَيْضاً فَتْحَ باب؛
أنا صِرْتُ للخِرْقَةِ مَرَّةً أُخْرى، فَقَدْ كُنْتُ في الدُّعاءِ أَيْضاً بلا فَضْل؛
أَيْنَ الفَضْلُ أَيْنَ أنا أَيْنَ صفاءُ القَلْب، هذا كُلُّهُ انعِكاسٌ مِنْكَ بَلْ هُوَ أنت؛
تَدبيري وَعِلْمِي كُلَّ لَيْلَةٍ في النَّوم، مِثْلَ سَفِيْنَةٍ صارَتْ غارِقَةً في الماء؛
لا أنا أبقى في النَّومِ ولا ذلِكَ الفَضْل، وَقَعَ البَدَنُ مِثْلَ مَيْتَةٍ بلا خَبَر؛
جُمْلَةَ اللَّيْلِ إلى السَّحَرِ شاهُ *عُلى*، يَظَلُّ قائلاً *أَلَسْتُ وَبَلى*؛
أَيْنَ القائلُ *بلى* أَخَذَ السَّيْلُ كُلَّ شَيْء، أو أَنَّ تِمساحاً أَكَلَ الكُلَّ مِنْ حَيٍّ وَمَيِّت؛
وَمَعَ نَفَسِ الصُّبْحِ إِذْ يَرْفَعُ سَيْفَ الجَوهَر، يَسْحَبُهُ مِنْ غِلافِ ظُلْمَةِ اللَّيْل؛
وَشَمْسُ الشَّرْقِ تِلْكَ تَطْوِي الظَّلام، وهذا التِّمْساحُ يَقِيْءُ ما أَكَل؛
نَتَحَرَّرُ مِنْ مَعِدَةِ ذاكَ التِّمْساحِ كَيُونُس، وَنَصِيْرُ مُنْتَشِرينَ في العِطْرِ واللَّون؛
والخَلْقُ مِثْلَ يُونُسَ يُسَبِّحُون، صارُوا مُمْتَلِئينَ بالرَّاحَةِ في تِلْكُمُ الظُّلُمات؛
وَكُلُّ واحِدٍ يَقُولُ وَقْتَ السَّحَر، حِيْنَ يَصِلُ مِنْ بَطْنِ حُوْتِ اللَّيْلِ إلى الباب؛
أَنْ يا كَرِيمُ الَّذي في هذا اللَّيْلِ المُوحِشْ، جَعَلَ كَنْزَ الرَّحْمَةِ وَكَثيراً مِنَ اللَّذَّات؛
فالعَيْنُ حادَّةٌ والأُذُنُ غَضَّةٌ والبَدَنُ خَفيفٌ، مِنْ لَيْلٍ هُوَ كالتِّمْساحِ ذي الحُبُك؛
بِوُجُودِ شَخْصٍ مِثْلِكَ سَوفَ لَنْ نَهْرُبَ أَبَداً، مِنَ المَقاماتِ وَحِشَةِ الوَجْهِ بَعْدَ هذا؛
فَمُوسى رأى تِلْكَ ناراً وكانَتْ نُوراً، وَرَأَيْنا اللَّيْلَ زِنْجِيّاً وَكانَ حُوراً؛
بَعْدَ هذا نَطْلُبُ النَّظَرَ مِنْكَ فَحِسْب، كَيْ لا يُغَطِّيَ التِّبْنُ والقَشُّ البَحْر؛
السَّحَرَةُ حِيْنَ نَجَتْ عُيُونُهُمْ مِنَ العَمى،صاروا يُصَفِّقُونَ بلا هذِهِ الأَيْدي والأَقْدام؛
حِجابُ عَيْنِ الخَلْقِ لَيْسَ غَيْرَ الأسباب، مَنْ يهابُ السَّبَبَ لَيْسَ مِنَ الأَصْحاب؛
لكِنَّ الحَقَّ فَتَحَ البابَ للأَصْحاب، وَلِغَيْرِ الأَصْحابِ وأَخَذَهُمْ لِصَدْرِ المَنْزِل؛

مَعَ كَفِّهِ المُسْتَحِقُّ وَغَيْرُ المُسْتَحِقّ، عُتَقاءُ الرَّحْمَةِ مِنْ قَيْدِ الرِّقّ؛
في العَدَمِ مَتى كُنَّا مُسْتَحِقِّيْن، حتَّى وَقَعْنا على هذِهِ الرُّوحِ وعلى هذا العِلْم؛
أَيْ مَنْ جَعَلْتَ كُلَّ الأغْيارِ مُرِيدِيْن، وَأَيْ مَنْ أَعْطَيْتَ خِلْعَةَ الوَرْدِ للأشْواك؛
اِجْعَلْ تُرابَنا مُجَدَّداً بُسْتاناً، واجْعَلْ كُلَّ لا شَيْءٍ مُجَدَّداً شَيْئاً؛
بِهذا الدُّعاءِ أنتَ أَمَرْتَ مِنَ الابْتِداء، وإلَّا مَتى كانَتْ للتُّرابِ هذِهِ الجُرْأة؛
ما دُمْتَ أمَرْتَ بِدُعائنا أي مُجاب، اِجْعَلْ دُعاءَ نَفْسِكَ هذا مُسْتَجاباً؛
اللَّيْلُ كَسَرَ سَفينَةَ الفَهْمِ والحَواسّ، لَمْ يَبْقَ أَمَلٌ ولا خَوْفٌ ولا يأس؛
اللهُ حَمَلَني في بَحْرِ الرَّحْمَة، لِيَمْلأني مِنْ كُلِّ فَنٍّ وَيُرْسِلَني؛
ذاكَ واحِدٌ امْتَلأَ مِنْ نُورِ الجَلال، وَذاكَ آخَرُ امْتَلأَ مِنَ الوَهْمِ والخَيال؛
لَو كانَ لي مِنْ نَفْسي أَيُّ رَأْيٍ وَفَنّ، لكانَ رَأْيي وَتَدْبيري في حُكْمي؛
فَلَمْ يَذْهَبْ وَعْيي في اللَّيْلِ بلا أَمْري، وكانَ طائري ظَلَّ تَحْتَ شِباكي؛
كُنْتُ عالِماً بِمَنازِلِ الرُّوح، وَقْتَ النَّومِ وَفَقْدِ الوَعْيِ والاِمْتِحان؛
بِما أنَّ كَفِّي مِنْ هذا الحَلِّ والعَقْدِ فارِغَة، فَعُجْبي مِمَّنْ يكُونُ أَيْ عَجَبي؛
لَقَدْ اعْتَبَرْتُ عَيْني عَمْياء، حَمَلْتُ مِنْ جَدِيْدٍ زَنبيلَ الدُّعاء؛
أنا *كالألِفِ* لا أمْلِكُ شَيْئاً أَيْ كَريم، غَيْرَ قَلْبٍ أَضْيَقَ مِنْ عَيْنِ *المِيْم*؛
هذِهِ الألِفُ وَهذِهِ المِيْمُ أُمُّ وُجُودِنا، المِيْمُ أُمٌّ ضَيِّقَةٌ والألِفُ شَحَّاذٌ مِنْها؛
تِلْكَ الألِفُ الَّتي لا تَمْلِكُ شَيْئاً هِيَ الغَفْلَةُ، والمِيْمُ الضَّيِّقَةُ تِلْكَ زَمانُ العَقْل؛
في زَمانِ فَقْدِ الوَعْيِ أنا لا شَيْء، في زمانِ الوَعْيِ أنا في التِواء؛
لا تَضَعْ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ على هكذا هباء، لا تُعْطِ اسْمَ الدَّولَةِ لِمْثْلِ هذا الاِلْتِواء؛
أنا لا أمْلِكُ أَيَّ شَيْءٍ يَجْعَلُني حَسَناً، فأنا مِنْ هذا الوَهْمِ في مِئَةِ عناء؛
في كَوني لا أَمْلِكُ اجْعَلْني أَيْضاً مالِكاً، عانَيْتُ التَّعَبَ فَزِدْ لِيَ الرَّاحَة؛
في ماءِ عَيْنِي وَقَفْتُ عُرْيانَ أَيْضاً، على بابِكَ إذْ لا أَمْلِكُ العَيْن؛

ماءَ عَيْنِ عَبْدٍ بلا عَيْن، اِمْنَحِ الخُضْرَةَ والنَّباتَ مِنْ هذا المَرْعى؛
وإنْ لَمْ يَبْقَ لي ماءٌ أَعْطِني الماءَ مِنَ العَيْن، مِثْلَ عَيْنَيْنِ لِنَبِيٍّ هَطَّالَتَيْن؛
والنَّبِيُّ طَلَبَ ماءَ العَيْنِ مِنْ جُودِ الحَقّ، مَعَ مِثْلِ ذاكَ الإقْبالِ والإجْلالِ والسَّبْق؛
كَيْفَ لا أكُونُ مِنْ دَمْعِ الدَّمِ ناحِلاً كَخَيْط،أنا فارِغُ اليَدِ المُقَصِّرُ لاحِسُ القِصاع؛
بِما أنَّ مِثْلَ تِلْكَ العَيْنِ مَفْتُونَةً بالدَّمْع، يَجِبُ أنْ يكُونَ دِمْعِيْ مِئَةَ نَهْرِ جَيْحُون؛
قَطْرَةٌ مِنْ ذاكَ أفْضَلُ مِنْ مائتَيْ جَيْحُون، فَمِنْ تِلْكَ القَطْرَةِ نَجا الإنْسُ والجِنّ؛
رَوْضَةُ الجَنَّةِ تِلْكَ تَطْلِبُ المَطَر، فَكَيْف لا تَطْلِبُ الماءَ الأَرْضُ البُورُ القَبيحَة؛
يا أخي لا تَكُفَّ عَنْ رَفْعِ اليَدِ بالدُّعاء، أَيُّ شُغْلٍ لَكَ بالإجابَةِ أوِ الرَّدِّ مِنْه؛
الخُبْزُ الَّذي كانَ سَدَّاً ومانِعاً لِهذا الماء، يَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَغْسِلَ اليَدَ مُسْرِعاً مِنْه؛
اِجْعَلْ مِنَ النَّفْسِ مَوزوناً وماهِراً وراسِخاً، اطبخْ خُبْزَكَ مِنْ ماءِ عَيْنِك؛

نِداءُ هاتِفٌ لِصاحِبِ الكَنْز والإعلان عن حَقيقَةِ أَسْرار ذاك

كانَ في هذا إذْ جاءَهُ الإلهام، صارَتْ هذِهِ المُشْكِلاتُ مَكْشُوفَةً لَهُ مِنَ الله؛
أنْ هُوَ قالَ لَكَ ضَعْ سَهْماً في القَوْس، لَمْ يَقُلْ لَكَ أنْ شُدَّ وَتَرَ القَوْس؛
لَمْ يَقُلْ لَكَ شُدَّ القَوْسَ بِقُوَّة، قالَ ضَعْهُ في القَوْسِ لَمْ يَقُلْ أَطْلِقْهُ؛
أنتَ مِنَ الفُضُولِ رَفَعْتَ القَوْس، وَقُمْتَ بِعَمَلِ صَنْعَةِ القَوَّاس؛
فَقُلْ بِتَرْكِ هذا الشَّدِّ للقَوْسِ واذْهَبْ، ضَعِ السَّهْمَ في القَوْسِ ولا تُطْلِقْ؛
إذا سَقَطَ احْفِرْ هُناكَ في الطَّلَبْ، أُتْرُكِ القُوَّةَ وابْحَثْ بالفاقَةِ عَنِ الذَّهَب؛
ذاكَ الَّذي هُوَ حَقٌّ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الوَريد، وَأَنتَ أَلْقَيْتَ بِسَهْمِ فِكْرِكَ للبَعِيْد؛
أنتَ هَيَّأْتَ القَوْسَ والسِّهام، الصَّيْدُ قَرِيبٌ وَأَنْتَ أَطْلَقْتَ للبَعِيْد؛
وَكُلُّ مَنْ رَمى لأبْعَدَ كانَ أَبْعَد، وصارَ عَنْ مِثْلِ هذا الكَنْزِ أَشَدَّ بُعْداً؛

الفَلْسَفِيُّ قَتَلَ النَّفْسَ مِنَ الفِكْر، قُلْ لَهُ أَنَّهُ جَعَلَ إلى جِهَةِ الكَنْزِ الظَّهْر؛
قُلْ لَهُ أنَّهُ كُلَّما جَرى أَسْرَعَ، فَإِنَّهُ يَصِيْرُ عَنْ مُرادِ القَلْبِ أَبْعَد؛
جاهِدُوا فينا قالَ ذلِكَ السُّلْطان، لَمْ يَقُلْ جاهِدُوا عَنَّا أَيْ بلا اطْمِئنان؛
مِثْلَ كَنْعانَ الَّذي مِنْ حَياءِ نُوح، صَعَدَ إلى أعلى قِمَّةِ ذاكَ الجَبَلِ العَظيم؛
كُلُّ مَنْ سَارَ أَسْرَعَ لِلجَبَلِ في طَلَبِ الخلاص، صارَ بِذاكَ أَبْعَدَ عَنِ المَناص؛
مِثْلَ هذا الدَّرْويشِ مِنْ أَجْلِ الكَنْزِ والمَنْجَم، كُلَّ صَباحٍ كانَ يَطْلبُ قَوْساً أَشَدّ؛
وَكُلُّ قَوْسٍ كانَتْ أَقْوى أمْسَكَ بِها، كانَ بِها أَسْوَأَ بَخْتاً في العُثُورِ على الكَنْز؛
هذا المَثَلُ في الزَّمانِ رُوح، رُوحُ الجاهِلِ تَتْعَبُ رَخِيْصاً؛
ذاكَ أنَّ الجاهِلَ يَشْعُرُ بالعارِ مِنَ الأُسْتاذ، لا جَرَمَ ذَهَبَ وَفَتَحَ دُكَّاناً جَدِيْداً؛
وهذا الدُّكَّانُ أَعْلى مِنَ الأُسْتاذِ أَيْ جَمِيْل، إنَّهُ مُنْتِنٌ وَمَمْلُوءٌ عَقارِبَ وَحَيَّات؛
عَجِّلْ واجْعَلِ الدُّكَّانَ خَراباً وارْجِعْ، نَحْوَ الخُضْرَةِ وَأَشْجارِ الوَرْدِ وَشُرْبِ الماء؛
لا مِثْلَ كَنْعانَ الَّذي مِنَ الكِبْرِ والجَهْل، اتَّخَذَ مِنَ الجَبَلِ العاصِمِ سَفِيْنَةَ فَوز؛
عِلْمُ إطلاقِ السِّهامِ صارَ حِجابَهُ، وَمُرادُهُ ذاكَ كانَ حاضِراً مَعَهُ في الجَيْب؛
أَيْ كَمْ مِنَ العِلْمِ والذَّكاءِ والفِطَن، صارَتْ للسَّالِكِ كالغُولِ وَقاطِعِ الطَّريق؛
أَكْثَرُ أَصْحابِ الجَنَّةِ البُلْه، لأَنَّهُمْ أَحْرارٌ مِنْ شَرِّ الفَلْسَفَة؛
اِجْعَلْ نَفْسَكَ عُرْياناً مِنَ الفَضْلِ والفُضُول، لِيَكُونَ للرَّحْمَةِ عَلَيْكَ كُلَّ نَفَسٍ نُزُول؛
الذَّكاءُ ضِدٌّ للآنكِسارِ والفاقَة، فاتْرُكِ الذَّكاءِ وتعامَلْ بالبلاهَة؛
الذَّكاءُ شِباكُ الكَسْبِ والطَّمَعِ والجَذْب، فَمتى يَطلبُ الذَّكاءَ اللَّاعِبُ بِطُهْر؛
الأذْكِياءُ قانِعُونَ بِصَنْعَةٍ، االبُلْهُ صارُوا مِنَ الصُّنْعِ إلى الصَّانِع؛
ذلِكَ الطِّفْلُ الصَّغِيْرُ لَهُ في النَّهارِ أُمٌّ، تَضَعُهُ في حِضْنِها وَتَصيرُ لهُ يَداً وَقَدَماً؛

حِكايَةُ أولئِكَ المُسافِرينَ الثَّلاثَةِ ، المُسْلِم والنَّصْراني واليَهُودِيّ الَّذينَ وَجَدُوا قُوتاً في مَنْزِل ، وكانَ النَّصْرانِيُّ واليَهُوْدِيُّ شَبِعَيْنِ فقالا نَأْكُلُ هذا في الغَد وكانَ المُسْلِمُ صائماً وَظَلَّ جائعاً مِنْ كَوْنِهِ كانَ مَغْلُوباً

اِسْمَعْ حِكايَةً واحِدَةً هُنا أَيْ وَلَد، حَتَّى لا تَصِيْرَ مُمْتَحَناً في الفَضْل؛
اليَهُودِيُّ والمُؤمِنُ والمَسِيْحِيُّ أولئك، ترافَقُوا مَعَ بَعْضِهِم في السَّفَر؛
صارَ المُؤمِنُ رَفيقَ سَفَرٍ للضَّالِّيْن، كما يكُونُ العَقْلُ رَفيقاً مَعَ النَّفْسِ والشَّيْطان؛
كما تَصادَفَ أنَّ مَروزيَّاً ورازِيَّاً، ترافَقا في السَّفَرِ مَعاً وَأكَلا مَعاً؛
وَوَقَعَ في القَفَصِ غُرابٌ وَبُومٌ وباز، واجْتَمَعَ في الحَبْسِ طاهِرٌ وتارِكٌ للصَّلاة؛
وَنَزَلَ في مَنْزِلٍ للقَوافِلِ في لَيْلَةٍ، أهْلُ الشَّرْقِ وَأَهْلُ الغَرْبِ وما وراءَهُما؛
وَبَقَوا في ذلِكَ المَنْزِلِ الصَّغيرِ والعَظِيْم، مَعَ بَعْضِهِمْ أَيَّاماً مِنَ البَرْدِ والثَّلْج؛
وَعِنْدَما صارَ مَفْتُوحاً الطَّريقُ وانْفَتَحَ القَيْد، تَحَرَّرُوا وَكُلُّ واحِدٍ ذَهَبَ إلى مَكان؛
وَعِنْدَما كَسَرَ القَفَصَ مَلِكُ العَقْل، طارَ جَمْعُ الطُّيُورِ كُلُّ طَيْرٍ إلى جِهَة؛
فَتَحَ الجَناحَ وَمِنْ قَبْلِهِ الشَّوقَ والهَوى، في هَوى جِنْسِ نَفْسِهِ إلى جِهَةِ المَعاد؛
يَفْتَحُ الجَناحَ كُلَّ لَحْظَةٍ بالدَّمْعِ والآه، لكِنْ بِطَيَرانٍ لا يَعْرِفُ الوَجْهَ والطَّريق؛
انْفَتَحَ الطَّريقُ فَكُلُّ واحِدٍ يَطِيْرُ كالرِّيْح، جِهَةَ ذلِكَ الَّذي على ذِكْرِهِ يَفْتَحُ الجَناح؛
عِنْدَما يَجِدُ الفُرْصَةَ تَكُونُ طَريقُهُ، إلى ذلِكَ الطَّرَفِ الَّذي لَهُ دَمْعُهُ وآهُه؛
أُنْظُرْ في بَدَنِكَ إلى أجْزاءِ البَدَن، مِنْ أَيِّ الأماكِنِ أتَتْ واجْتَمَعَتْ في البَدَن؛
ماءٌ وَتُرابٌ وريحٌ ونارٌ، وَعَرْشِيٌّ وَأَرْضِيٌّ وَرُومِيٌّ وَتُرْكِيّ؛
بِأَمَلِ العَوْدَةِ كُلُّ واحِدٍ مُقَيَّدُ الطَّرَف، في مَنْزِلِ القَوافِلِ هذا خَوْفاً مِنَ الثَّلْج؛

أنواعٌ مِنَ الثَّلْجِ جُمُودُ كُلِّ جَماد، في شِتاءِ البُعْدِ عَنْ شَمْسِ العَطاءِ تِلْك؛
حِيْنَ تُشِعُّ حرارَةُ شَمْسِ الغَضَبِ تِلْك، يَصِيْرُ الجَبَلُ حِيناً رَمْلاً وَحِيْناً صُوفاً؛
وَتَبْدَأُ الجَماداتُ الثِّقالُ بالذَّوَبان، كما يَذُوبُ البَدَنُ وَقْتَ نَقْلِ الرُّوح؛
حِيْنَ وَصَلَ هؤلاءِ الرِّفاقُ الثَّلاثَةُ مَنْزِلاً، جاءَهُمْ مُقْبِلٌ بِهَدِيَّةٍ مِنَ الحَلْوى؛
حَمَلَ الحَلْوى إلى أمامِ هؤلاءِ الثَّلاثَةِ الغُرَباء، مُحْسِنٌ مِنْ مَطْبَخِ *إِنِّي قَرِيب*؛
خُبْزاً ساخِناً وَصَحْناً مِنْ حَلْوى العَسَل، حَمَلَ ذاكَ الَّذي كانَ لَهُ في الثَّوابِ أَمَل؛
الكِياسَةُ والأَدَبُ لأهْلِ المَدَر، الضِّيافَةُ والقِرى لأهْلِ الوَبَر؛
الضِّيافَةَ للغَرِيبِ والقِرى أَوْدَعَ الرَّحْمنُ في أَهْلِ القُرى
كُلَّ يَومٍ في القُرى ضَيْفٌ حَديث ما لَهُ غَيْرَ الإلهِ مِنْ مُغِيْث
كُلَّ لَيْلٍ في القُرى وَفْدٌ جَديد ما لَهُمْ ثَمَّ سِوى اللهُ المَجِيْد
ذانِكَ الغَرِيبانِ كانا مُتْخَمَيْنِ مِنَ الأكْل، وَلَعَلَّ ذاكَ المُؤمِنَ كانَ صائماً يومَذاك؛
أَتَتْ تِلْكَ الحَلْوى وَقْتَ صلاةِ المَغْرِب، وكانَ المُؤمِنُ قَدْ بَقِيَ في الجُوعِ الشَّديد؛
قالَ ذانِكَ الشَّخْصانِ نَحْنُ مُتْخَمانِ مِنَ الأكْل، لِندَعْ هذا اللَّيْلَةَ وَلْنَأْكُلْهُ في الغَد؛
نَصْبِرُ اللَّيْلَةَ نَمْتَنِعُ عَنْ طَعامِ البَدَنِ، وَلْنُخَبِّئْ هذا الطَّعامَ اللَّذيذَ مِنْ أَجْلِ الغَد؛
قالَ المُؤمِنُ فَلْنَأْكُلْ هذا هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَلْنَقُمْ بِتَأْخِيْرِ الصَّبْرِ إلى الغَد؛
قالا لَهُ إنَّ قَصْدَكَ مِنْ هذِهِ الحِكْمَة، الَّتي تَكِيْلُ هُوَ أَنْ تَأْكُلَ وَحْدَك؛
قالَ أَيْ رِفاقُ أَلَسْنا ثلاثَةَ أشْخاص، ما دامَ وَقَعَ الخِلافُ بَيْنَنا فَلْنَقْتَسِمْ؛
وَمَنْ أرادَ قِسْمَ نَفْسِهِ مَأكُولاً أَكَل، وَمَنْ أرادَ قِسْمَ نَفْسِهِ مُدَّخَراً فَعَل؛
قالَ لَهُ الإثْنانِ دَعْكَ مِنَ القِسْمَة، أما سَمِعْتَ في الخَبَرِ القَسَّامُ في النَّار؛
قالَ ذاكَ هُوَ القَسَّامُ الَّذي قَسَمَ نَفْسَهُ ، قِسْماً للهَوى وَقِسْماً لله؛
المُلْكُ للحَقِّ والكُلُّ قِسْمُهُ، إذا أَعْطَيْتَ قِسْماً لآخَرَ فَأَنْتَ قائلٌ باثْنَيْن؛
وكانَ لِهذا الأَسَدِ أَنْ يَغْلِبَ الكِلاب، لَوْ لَمْ تَكُنِ النَّوْبَةُ نَوْبَةَ رَدِيْئي العِرْق؛

كانَ قَصْدُهُما أَنْ يَغْتَمَّ ذلِكَ المُسْلِمِ، وَأَنْ يَمُرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَهُوَ بلا غِذاء؛
كانَ مَغْلُوباً وبالتَّسْلِيْمِ والرِّضا، قالَ سَمْعاً وَطاعَةً أَصْحابَنا؛
فَنامُوا تِلْكَ اللَّيْلَةِ وفي الصَّباح، نَهَضُوا مِنَ النَّومِ وَزَيَّنُوا أَنْفُسَهُم؛
غَسَلُوا الوُجُوهَ والأفْواهَ وَكُلُّ واحِدٍ، كانَ لَهُ في وِرْدِهِ طَريقٌ وَمَسْلَك؛
وَكُلُّ واحِدٍ وَجَّهَ الوَجْهَ زَمَناً، جِهَةَ وِرْدِهِ طالِباً فَضْلَ الحَقّ؛
لِذاكَ السُّلْطانِ القَديرِ تَوَجَّهَ المُؤمِنُ والمَسِيْحِيُّ واليَهُودِيُّ والمَجُوسِيُّ والزَّرَدَشْتِيُّ؛
بَلِ الحِجارَةُ والتُّرابُ والجَبَلُ والماء، لها إلى اللهِ إيابٌ خَفِيّ؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ والرِّفاقُ الثَّلاثَة، جَعَلُوا الوُجُوهَ الواحِدَ للآخَرِ آنذاك؛
قالَ واحِدٌ مِنْهُمْ فَلْيَقُصَّ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا، ما رأى في المَنامِ هذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَيْنا؛
وَكُلُّ مَنْ كانَ مَنامُهُ أَفْضَلَ أَكَلَ هذا، وَلْيَأْخُذِ الأَفْضَلُ قِسْمَ كُلِّ مَفْضُول؛
ذلِكَ الَّذي يَذْهَبُ في العَقْلِ عالِياً أَكْثَرَ، يَكُونُ طَعامُ الجَمِيْعِ طَعاماً لَه؛
رُوحُهُ المَلِيْئَةُ بالأنوارِ فاقَتِ الباقِيْن، فَلْيَكُنِ الباقُونَ في خِدْمَتِه؛
بِما أَنَّ البَقاءَ أَبَداً للعُقَلاء، فَإِنَّ هذا العالَمَ يَكُونُ باقِياً بالمَعْنى؛
فَجاءَ اليَهُوْدِيُّ بِكُلِّ ما كانَ رأى ، وإلى أيِّ مَكانٍ كانَ طَوافُ رُوحِهِ في اللَّيْل؛
قالَ لَقَدْ سارَ مُوسى في الطَّريقِ مِنْ أمامي، والقِطَّةُ رأتْ في مَنامِها الأُلْيَة؛
سِرْتُ في إِثْرِ مُوسى إلى جَبَلِ الطُّور، وَصِرْنا نَحْنُ الثَّلاثَةَ مُخْتَفِيْنَ في النُّور؛
الظِّلالُ الثَّلاثَةُ مُحِيَتْ مِنْ تِلْكَ الشَّمْس، بَعْدَ ذلِكَ كانَ مِنْ ذلِكَ النُّورِ فَتْحُ باب؛
وَنُورٌ آخَرُ طَلَعَ مِنْ قَلْبِ ذلِكَ النُّور، وَأَرادَ ذلِكَ النُّورُ الثَّاني التَّرَقِّيَ سَريعاً؛
أنا أَيْضاً وَمُوسى أَيْضاً وَجَبَلُ الطُّورِ أَيْضاً،ضِعْنا الثَّلاثَةُ مِنْ إِشْراقِ ذلِكَ النُّور؛
بَعْدَ ذاكَ رَأَيْتُ الجَبَلَ صارَ ثلاثَ شُعَبٍ، عِنْدَما نُورُ الحَقِّ نَفَخَ فِيْه؛
وَصْفُ الهَيْبَةِ وَقَعَ عَلَيْهِ حِيْنَ التَّجَلّي، فَتَقَطَّعَ أَجْزاءً اتَّجَهَتْ كُلَّ جِهَة؛
فَذاكَ فَرْعٌ مِنَ الجَبَلِ جاءَ لليَمّ، فَصارَ عَذْباً الماءُ المالِحُ كالسُّمّ؛

وَذاكَ فَرْعٌ مِنْهُ غاصَ في الأرْض، فانَفَجَرَتْ مِنْهُ للخَارِجِ عَيْنُ دواءٍ مَعِيْن؛
فَصارَ الماءُ شِفاءً لِكُلِّ ذي أَلَم، مِنْ بَرَكَةٍ مِنَ الوَحْيِ المُسْتَطاب؛
وذاكَ فَرْعٌ ثالِثٌ طارَ مُسْرِعاً، إلى جِوارِ الكَعْبَةِ فكانَ عَرَفات؛
ثُمَّ عُدْتُ للنَّفْسِ مِنْ هذِهِ الصَّعْقَة، كانَ الطُّورُ في المكانِ بلا زِيادَةٍ ولا نُقْصان؛
لكِنْ كانَ يَذُوبُ تَحْتَ قَدَمِ مُوسى، كأَنَّهُ الثَّلْجُ فَلَمْ تَبْقَ مِنْهُ قِمَّةٌ ولا فَرْع؛
صارَ الجَبَلُ مُسَوَّىً مَعَ الأرْضِ مِنَ الرُّعْب، صارَ أعلاهُ مِنْ تِلْكَ الهَيْبَةِ أسْفَلَه؛
ثُمَّ عُدْتُ للنَّفْسِ مُجَدَّداً مِنْ ذلِكَ الإنْتِشار،فَرَأَيْتُ مُجَدَّداً الطُّورَ وَمُوسى في قرار؛
وَتِلْكَ الصَّحْراءَ كُلَّها في ذَيْلِ الجَبَلِ، مُلِئَتْ بالخلائقِ على شَكْلِ مُوسى بالوجوه؛
وكُلٌّ بِعَصاً كعصاهُ وَخِرْقَةٍ كَخِرْقَتِه، والكُلُّ مُتَّجِهُونَ إلى الطُّورِ يَجرُّونَ الذُّيُول؛
رافِعِيْنَ الأكُفَّ بالدُّعاءِ جَميعاً، يُرَدِّدُونَ مَعاً على النَّغَمِ *أَرِنِي*؛
ثُمَّ راحَ عَنِّي ذلِكَ الغَشَيانُ سَريعاً، وَظَهَرَتْ لي صُورَةُ كُلِّ واحِدٍ بِشَكْلٍ مُخْتَلِف؛
لَقَدْ كانُوا أنبياءَ وَأَهْلَ وُدٍّ، فَصارَ اتِّحادُ الأنبياءِ لِيْ مَفْهُوماً؛
ثُمَّ صِرْتُ أرى ملائِكَةً عِظاماً، صُوَرُهُمْ كانَتْ مِنْ أجْرامِ الثَّلْج؛
وفي حَلْقَةٍ أُخْرى ملائِكَةً تَسْتَعِيْن، كانَتْ صُوَرُهُمْ جَميعاً مِنَ النَّار؛
وعلى هذا النَّسَقِ راحَ يَقُولُ ذاكَ الشَّخْصُ اليَهُودِيُّ، كانَ يَهُودِيّاً مَحْمُودَ الآخِرَة؛
لا تَنْظُرْ إلى أَيِّ كافِرٍ باحْتِقار، ما دامَ هُناكَ أَمَلٌ بِمَوْتِهِ مُسْلِماً؛
أَيُّ خَبَرٍ لَكَ عَنْ خَتْمِ عُمرِه، لِتُدِيْرَ عَنْهُ الوَجْهَ دُفْعَةً واحِدَة؛
بَعْدَ ذلِكَ دَخَلَ المَسِيْحِيُّ في الكلام، أنِ المَسِيْحُ أَظْهَرَ لِيَ الوَجْهَ في المَنام؛
ذَهَبْتُ بِرِفْقَتِهِ إلى السَّماءِ الرَّابِعَة، إلى مَرْكَزِ وَمَثْوى شَمْسِ الدُّنيا؛
كُلُّ شَخْصٍ يَعْرِفُ أَيْ فَخْرَ البَنين، أنَّ فَنَّ الفَلَكِ زائدٌ على فَنِّ الأرْض؛

حِكايَةُ الجَمَلِ والثَّوْرِ والكَبْش الَّتي وَجَدَتْ رُزْمَةً مِنَ العُشْب وَقَولُ كُلِّ واحِدٍ أنا آكُلُه

سار جَمَلٌ وَثَورٌ وَكَبْشٌ معاً في طَريق، فَوَجدُوا في الطَّريقِ رُزْمَةً مِنَ العُشْب؛
قالَ الكَبْشُ إذا قُمْنا بِقِسْمَةِ هذا بَيْننا، فَلَنْ يَشْبَعَ أَيُّ واحِدٍ مِنَّا مِنْ هذا يَقِيْناً؛
لكِنْ مَنْ كانَ مِنْ بَيْنِنا أَكْبَرَ سِنَّاً، فَهُوَ أولى بِهذا العَلَفِ فَلْيأكُلْه؛
فإنَّ الأكابِرَ هُمُ المُقَدَّمُون، هكذا جاءَ عَنِ المُصْطَفى في السُّنَن؛
مَعَ أنَّ الشُّيُوخَ الآنَ في دَوْرِ اللِّئام، يُقَدِّمُهُمْ في مَوْضِعَيْنِ العَوام؛
إمَّا على طعامٍ كانَ ساخِناً جِدَّاً، أو على جِسْرٍ كانَ خَرِباً مِنَ الخَلَل؛
فلا يقُومُ بِخِدْمَةِ الشَّيْخِ العَظيمِ القائِد، واحِدُ العَوامِّ إلَّا بِدَليلٍ فاسِد؛
هذا خَيْرُهُمْ فَكَيْفَ يَكُونُ شَرُّهُم، اعْرِفْ قُبْحَهُمْ مِنْ حَسْنِهِم؛

مَثَل

ذاكَ المَلِكُ كانَ ذاهِباً إلى الجامِع، وكانَ الآمِرُ والنَّقيبُ يَضْرِبانِ الخَلْق؛
ذاكَ واحِدٌ شُجَّ رَأْسُهُ مِنَ الضَّرْب، وذاكَ واحِدٌ آخَرُ تَمَزَّقَ قَميصُه؛
كانَ في الخَلْقِ والِهٌ ضُرِبَ عَشْرَ عِصِيّ، بلا ذَنْبٍ أنِ ابْتَعِدْ عَنِ الطَّريق؛
وَجَّهَ الوَجْهَ للمَلِكِ والدَّمُ يسيلُ مِنْهُ، قالَ فَلْتَرَ الظُّلْمَ الظَّاهِرَ لا تَسَلْ عَنِ الخَفيّ؛
وَأَنْتَ ذاهِبٌ للجامِعِ هذا خَيْرُك، أي غَوِيٌّ كَيْفَ يَكُونُ شَرُّكَ وَوِزْرُك؛
ما سَمِعَ الشَّيْخُ مِنْ خَسيسٍ السَّلام، إلَّا وَتَأَذَّى مِنْهُ الأذى الكَثْيْرَ في الخِتام؛
إنَّهُ لَأَولى أنْ يَخْتَطِفَ الذِّئْبُ الوَلِيّ، مِنْ أنْ تَخْتَطِفَ الوَلِيَّ النَّفْسُ السَّيِّئَة؛
ذلِكَ أنَّ الذِّئْبَ رَغْمَ أنَّهُ ظالِمٌ كَثيراً، لا يَمْلِكُ ذلِكَ العِلْمَ والمَكْرَ والكَيْد؛

وإلَّا متى كانَ وَقَعَ في الفَخّ، المَكْرُ عِنْدَ الآدَمِيّ مَكْرٌ تامّ؛
قالَ الكَبْشُ للثَّورِ والجَمَلِ أيْ رِفاق، بما أنَّنا اتَّفَقْنا بَيْننا هذا الاِتِّفاق؛
فَلْيَقُمْ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا بإبداءِ تاريخِ عُمرِهِ، والأعْمَرُ مِنَّا أولى وَلْيَرْضَ الباقُون؛
قالَ الكَبْشُ إنَّ مَرْجِي في تِلْكَ العُهُود، كانَ عَيْنَ مَرْجِ الكَبْشِ قُرْبانِ إسْماعيل؛
قالَ الثَّوْرُ أنا عَجُوزٌ قَديم، أنا زَوْجُ بَقَرَةِ آدَمَ تِلْكَ هُوَ زَوَّجَنيها؛
أنا زَوْجُ تِلْكَ البَقَرَةِ الَّتي كانَ آدَمُ جَدُّ الخَلْق، يَفْلِقُ بِها الأرْضَ في الزِّراعَةِ فَلْقاً؛
لَمَّا سَمِعَ الجَمَلُ ذاكَ مِنَ الكَبْشِ والثَّوْر، تَعَجَّبَ وَخَفَضَ الرَّأْسَ وَتَناوَلَ العُشْب؛
والجَمَلُ القَوِيُّ الذَّكِيُّ بلا قالٍ وقِيْل، رَفَعَ في الهَواءِ تِلْكَ الحُزْمَةَ مِنَ القَصِيْل؛
قالَ أنا لَسْتُ في حاجَةٍ لِذِكْرِ التَّاريخ، مَعَ مِثْلِ هذا الجِسْمِ والرَّقَبَةِ العالِيَة؛
فإنَّهُ لَمَعْلُومٌ لِكُلِّ مَنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ النُّهى، أنَّني لَسْتُ أَصْغَرَ مِنْكُما؛
كما يَعْلَمُ الجَمِيْعُ أنَّ هذا الفَلَكَ الرَّفيع، هُوَ مِئاتُ أَضْعافِ هذا التُّرابِ الوَضيع؛
أَيْنَ اتِّساعُ رِقاعِ السَّماء، وَأَيْنَ رَسْمُ بِقاعِ هذِهِ الأرْض؛

جَوابُ ذلِكَ المُسْلِمِ وَقَوْلُهُ ذاكَ الَّذي رأى لِصاحِبَيْهِ المَسيحِيّ واليَهُودِيّ وَحَسْرَتُهُما

قالَ المُسْلِمُ أَيْ رِفاقي، لَقَدْ جاءَ إلَيَّ المُصْطَفى سُلْطاني؛
قالَ لي واحِدٌ مِنْ رِفاقِكَ أَسْرَعَ إلى الطُّور، مَعَ كَليمِ الحَقّ وَلَعِبَ نَرْدَ العِشْق؛
وذاكَ الآخَرُ أَخَذَهُ عِيسى ، صاحِبُ القِرانِ إلى أوْجِ السَّماءِ الرَّابِعَة؛
وَأَنتَ بَقِيتَ عاجِزاً تُعاني الضَّرَر، قُمْ كُلْ تِلْكَ الحَلْوى وَذلِكَ الطَّعام؛
فإنَّ ذينِكَ الفاضِلَيْنِ المَمْلُوءَيْنِ فَضْلاً، انطَلَقا وَقَرَآ كِتابَ الإقْبالِ والمَنْصب؛
ذانِكَ الفاضِلانِ حَصَلا على الفَضْل، صارا مِنَ الفَضْلِ شُرَكاءَ الملائكَة؛

أيُّها السَّليمٌ الأبْلَهُ المُؤَخَّرُ هُنا، هيَّا انْهَضْ واجْلِسْ إلى صَحْنِ الحَلْوى؛

فقالا لَهُ والأمْرُ كذلِكَ أي حَريص، عَجَباً أَكْلُكَ مِنْ حَلْوى الخَبيص؛

قالَ وَقَدْ أَمَرَ ذلِكَ المُطاع، أنا مَنْ أَكُونُ لأقُومَ بالإمْتِناع!؛

أَتَعْصِيْ أنتَ أَيْ يَهُودِيُّ أمْرَ مُوسى، إذا دَعاكَ لأمْرٍ حَسَنٍ أوْ غَيْرِ حَسَن؛

وَأَنْتَ هلْ تَرْفُضُ أَمْرَ المَسيح، أي مَسيحِيُّ في الخَيْرِ والقَبيح؛

فَكَيْفَ لي أنْ أعْصِيَ فَخْرَ الأنبياء، أَكَلْتُ الحَلْوى وَأنا الآنَ مَسْرُور؛

فقالا لَهُ واللهِ أنتَ صادِقُ الرُّؤيا، رُؤياكَ صادِقَةٌ وَخَيْرٌ مِنْ مِئَةِ رُؤيا؛

مَنامُكَ يَقَظَةٌ أيْ أبا البَطَر، لَهُ في اليَقَظَةِ عِياناً أَثَر؛

فَدَعِ الفَضْلَ ودَعِ الجَلَدَ والفَنّ، الأمْرُ بالخِدْمَةِ وبالخُلُقِ الحَسَن؛

مِنْ أَجْلِ هذا أتى بِنا اللهُ ظاهِرين، ما خَلَقْتُ الإنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُون؛

ماذا اسْتَفادَ السَّامِرِيُّ مِنْ ذلِكَ الفَضْل، ذلِكَ الفَنُّ جَعَلَهُ مَرْدُوداً عَنْ بابِ الله؛

وماذا اسْتَفادَ قارُونُ مِنَ الكِيْمِياء، أُنْظُر الأرْضَ حَمَلَتْهُ إلى قَعْرِها؛

أبو الحَكَمِ ماذا جَنى أخيراً مِنَ الفَضْل، سَقَطَ مَنْكُوساً مِنَ الكُفْرانِ في سَقَر؛

اعْرِفِ الفَضْلَ رُؤيَةَ النَّارِ بالعِيان، لا أنْ تَقُولَ دَلَّ على النَّارِ الدُّخان؛

أَي مَنْ دَليلُكَ عِنْدَ اللَّبيب، أنتَنُ مِنْ دَليلِ ذاكَ الطَّبيب؛

ما دامَ دَليلُكَ هذا فَحَسْبُ أَيْ وَلَد، كُلِ الخِراءَ وانْظُرْ في البَوْل؛

دَليلُكَ مِثالُ تِلْكَ العَصا، في الكَفِّ تَدُلُّ على عَيْبِ العَمى؛

أَضَجيجٌ وَصُراخٌ وَحَرْبٌ وَضَرْبٌ، وَتَقُولُ اعْذُرني أنا لا أرى؛

نداء السَّيّد مَلِك تِرْمِد أن كُلُّ مَنْ يَذْهَبُ ثلاثَةَ أو أربَعَةَ
أيَّامٍ إلى سَمَرْقَنْد في الأمْرِ الفُلانِيّ المُهِمّ أُعْطِيْهِ خِلْعَةً

وَجَواداً وَغُلاماً وَجارِيَةً وَكَثيراً مِنَ الذَّهَب وَسَماع صاحِبِ

نُكْتَةٍ خَبَرَ هذا النِّداء وَهُوَ في القَرْيَة وَمَجِيْئُهُ إلى الشَّاه

أنْ أنا لا أسْتَطِيْعُ الذَّهاب

سَيِّدُ تِرْمِد الَّذي كانَ مَلِكاً هُناك، كانَ عِنْدَهُ مُهَرِّجٌ مُضْحِكٌ ذُو فِكْر؛
وَقَعَ للسَّيِّدِ عَمَلٌ مُهِمٌّ في سَمَرْقَنْد، طَلَبَ قاصِداً لِيَصِيْرَ بِهِ العَمَلُ مُسْتَتِمَّاً؛
نادى مُنادٍ أنْ كُلُّ مَنْ في خَمْسَةِ أَيَّام، يَأْتيني مِنْ هُناكَ بِخَبَرٍ أُعْطِيْهِ الكُنُوز؛
كانَ المُهَرِّجُ في القَرْيَةِ وَسَمِعَ ذاك، فَرَكِبَ يَجْري مُسْرِعاً إلى تِرْمِد؛
أَسْقَطَ في ذلِكَ الطَّريقِ حِصانَيْنِ اثْنَيْنِ،مِنْ جَعْلِهِ الفَرَسَ تَجْري على ذلِكَ النَّمَط؛
جَرى مُسْرِعاً لِلدِّيْوانِ عَلَيْهِ الغُبار، وَلَمْ يَكُنِ الوَقْتُ مُناسِباً وَطَلَبَ الطَّريقَ لِلْمَلِك؛
وَقَعَ اللَّغَطُ في الدِّيْوانِ كُلِّهِ، وَوَقَعَ الاِضْطِرابُ في وَهْمِ ذاكَ السُّلْطان؛
وَوَقَعَ الهَلَعُ في المَدينَةِ في الخاصِّ والعام، أَيُّ تَشْويشٍ وَأَيُّ بلاءٍ حادِثٍ وَقَع؛
أَعَدُوٌّ قاهِرٌ في قَصْدِنا، أمْ بلاءٌ مُهْلِكٌ نَهَضَ مِنَ الغَيْب؛
لِيَأْتِيَ المُهَرِّجُ مِنَ القَرْيَةِ بِهذا الجهْد، وَيَقْتُلَ في السَّيْرِ في الطَّريقِ بِضْعَ جِياد؛
اجْتَمَعَ الخَلْقُ في قَصْرِ الشَّاه، أنْ لِمَ جاءَ المُهَرِّجُ بِهكذا سُرْعَة؛
مِنَ السُّرْعَةِ مِنْهُ وَفُحْشِ الاِجْتِهاد، وَقَعَ في تِرْمِدَ اللَّغَطُ والهَلَعُ بَيْنَ العِباد؛
فَذاكَ واحِدٌ ضارِبٌ بِيَدَيْهِ على رُكْبَتَيْه، وَذاكَ آخَرُ مِنَ الوَهْمِ صارِخٌ واوَيْلاه؛
مِنَ العَويْلِ والفِتْنَةِ وَخَوْفِ النَّكال، كُلُّ قَلْبٍ ذَهَبَ في مِئَةِ دَرْبِ خَيال؛
وَكُلُّ شَخْصٍ يَتَنَبَّأُ نَبَأً مِنَ القِياس، أنْ أَيَّةُ نارٍ وَقَعَتْ مِنْ سُوءِ الحَظّ؛
طَلَبَ الطَّريقَ وَأَعْطاهُ المَلِكُ الطَّريقَ سَريعاً، وَقَبَّلَ الأرْضَ قالَ لَهُ قُلْ ما هُناك؛
وَكُلُّ مَنْ سُئِلَ عَنْ حالِ ذاكَ العَبُوس، وَضَعَ اليَدَ على الشَّفَةِ أنِ اسْكُتْ؛
وَصارَ الوَهْمُ عَمَّا لَدَيْهِ مِنْ عُلُومٍ يَزيد، وَصارَ الجَميعُ في تَشْويشٍ وَحَيْرَةٍ مِنْه؛

أَشارَ المُهَرِّجُ إشارَةً أَنْ أَيْ شاهَ الكَرَم، أَمْهِلْني لَحْظَةً حَتَّى آخُذَ النَّفَس؛
حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيَّ لَحْظَةً عَقْلي، فَقَدْ وَقَعَ لي عالَمٌ مِنَ العَجائب؛
بَعْدَ ساعَةٍ مِنَ الوَهْمِ والظَّنّ، صارَ بِها المَلِكُ مُرَّ الفَمِ ومُرَّ الحَلْق؛
إذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ رأى المُهَرِّجَ مِنْ قَبْلُ هكذا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَسْعَدَ مِنْهُ مِنْ جَليس؛
كانَ دائماً يَجِيْءُ بالنُّكَتِ والقِصَص، فَيَجْعَلُ المَلِكَ ضاحِكاً مَسْرُوراً؛
كانَ يَجْعَلُ المَلِكَ ضاحِكاً في المَجْلِسِ حَتَّى أَنَّهُ، كانَ يُمْسِكُ بَطْنَهُ بِكِلْتا يَدَيْه؛
كانَ مِنْ تَأْثيرِ الضَّحِكِ على بَدَنِهِ، يَكادُ يَقَعُ على الوَجْهِ مِنَ الضَّحِك؛
وَها هُوَ اليَوْمَ مُصْفَرٌّ وعابِسٌ هكذا، وَيَضَعُ اليَدَ على الشَّفَةِ أَنْ أَيْ شاهُ اسْكُتْ؛
وَهْمٌ بِوَهْمٍ وَخَيالٌ في خَيال، يا تُرى ما يَجِيْءُ للشَّاهِ مِنْ نَكال؛
كانَ قَلْبُ الشَّاهِ في الغَمِّ والحَذَر، ذلِكَ أَنَّ شاهَ خَوارِزْم كانَ سَفَّاكَ دِماء؛
وَكَمْ قَتَلَ مِنَ المُلُوكِ في ذلِكَ الطَّرَف، حِيْلَةً أَوْ سَطْوَةً ذلِكَ العَنُود؛
وَكانَ شاهُ تِرْمِذَ هذا مِنْهُ في الوَهْم، وَوَهْمُهُ ذاكَ زادَ مِنْ فَنِّ المُهَرِّج؛
قالَ أَسْرِعْ وَقُلْ ما هِيَ الحال، مِمَّ يَكُونُ هذا الاِضْطِرابُ مِنْكَ والقَلَق؛
قالَ أنا كُنْتُ في القَرْيَةِ وَسَمِعْتُ أَنَّ الشَّاهَ، أَرْسَلَ مُنادِياً إلى كُلِّ مُفْتَرَقِ طُرُق؛
أَنْ أُريدُ شَخْصاً يسيرُ مُسْرِعاً في ثلاثَةِ أَيَّام،إلى سَمَرْقَنْدَ وَسَوفَ أُعْطِيْهِ الكُنُوز؛
فَجِئْتُ إِلَيْكَ مُسْرِعاً مِنْ أَجْلِ ذلِكَ، حَتَّى أَقُولَ لَكَ أَنِّي لا أَقْدِرُ على ذلِك؛
مِثْلُ هذِهِ المَهارَةِ لا تَجِيْءُ مِنْ مِثْلي، في تَحْقيقِ هذِهِ الأُمْنِيَةِ لا تَحُمْ حَولي؛
قالَ المَلِكُ اللَّعْنَةُ على سُرْعَتِكَ هذِهِ، فَقَدْ وَقَعَ مِنْها في المَدِيْنَةِ مائتا تَشْويش؛
أَمِنْ أَجْلِ هذا القَدْرِ أَيُّها الأحْمَق، أَشْعَلْتَ النَّارَ في هذا الحَشيشِ والمَرْج؛
كَمِثْلِ أولئكَ الأخْوامِ يَقُولُونَ بالطَّبْلِ والعَلَم، أنْ نَحْنُ الرُّسُلُ في الفَقْرِ والعَدَم؛
لَقَدْ أَلْقَوا بِدَعْوى المَشْيَخَةِ في العالَمِ، وَجَعَلُوا مِنَ النَّفْسِ بايزيد؛
صارُوا مِنَ النَّفْسِ سالِكِيْنَ وواصِلِيْن، وافْتَتَحُوا المَحْفَلَ في مَجالِ الدَّعْوى؛

مَنْزِلُ العَريسِ مَمْلُوءٌ بالفِتْنَةِ والشَّرّ، وَقَوْمُ العَرُوسِ ما لَهُمْ بِهذا خَبَر؛
وَوَلْوَلَةٌ أَنِ الأَمْرُ تَمَّ إلى نِصْفِهِ، والشُّرُوطُ الَّتي هِيَ مِنْ جِهَتِنا تَمَّتْ؛
كَنَسْنا الدَّارَ وَزَيَّنَّاها، وَوَقَفْنا سُعَداءَ وَسَكْرى مِنْ هذا الهَوَس؛
لا رِسالَةَ أَتَتْ مِنْ ذلِكَ الطَّرَف، لا طائرَ أتى إلى هذا الطَّرَفِ مِنْ ذلِكَ السَّطْح؛
مِنْ هذِهِ الرِّسالاتِ المَزيدُ في المَزيد، ولا جَوابَ واحِداً وَصَلَ مِنْ تِلْكَ الأنحاء؛
لا ولكِنْ حَبيبُنا عَلى عِلْمٍ بِهذا، لا بُدَّ أَنَّ هُناكَ طَريقاً مِنَ القَلْبِ لِلْقَلْب؛
فَمِنْ هذا الحَبيبِ الَّذي هُوَ أَمَلُكُم، لِماذا يَكُونُ الطَّريقُ خالِياً مِنْ جَوابِ رِسالَة؛
مِئَةُ إشارَةٍ مِنَ الإسْرارِ والجَهْر، لكِنْ كفى لا تَكْشِفْ عَنِ البابِ السِّتْر؛
وَعُدْ إلى قِصَّةِ ذاكَ المُهَرِّجِ الأَحْمَق، فَقَدْ جاءَ للنَّفْسِ بالبَلاءِ مِنَ الفُضُول؛
فَقالَ لَهُ الوَزيرُ أَيْ مَنْ أنتَ عِمادُ الحَقّ، اِسْتَمِعْ مِنْ هذا العَبْدِ الضَّئيلِ لِحَديث؛
المُهَرِّجُ جاءَ مِنَ القَرْيَةِ مِنْ أَجْلِ أَمْر، وَتَغَيَّرَ رَأْيُهُ وَأَصابَهُ النَّدَمُ مِنْه؛
وَهُوَ يَأتي مِنْ حِيَلِهِ القَديمَةِ بالجِديد، لِيَقُومَ بالخُرُوجِ عَنْ طَريقِ التَّهْريج؛
لَقَدْ عَرَضَ الغِمْدَ وَجَعَلَ مَخْفِيَّاً السَّيْف، فَيَجِبُ الضَّغْطُ عَلَيْهِ دُونَما تَوَقُّف؛
ما لَمْ تَقُمْ بِكَسْرِ الفُسْتُقِ والجَوْز، لا يُظْهِرانِ القَلْبَ ولا يُعْطِيانِ الزَّيْت؛
لا تَسْمَعْ إلى دَفْعِهِ هذا وَلُغَتِه، أُنْظُرْ في ارْتِعاشِهِ وَلَوْنِه؛
قالَ الحَقُّ سيماهُمْ في وُجُوهِهِم، ذاكَ أَنَّ السِّيْماءَ غَمَّازٌ وَمُنِمّ؛
إنَّ هذا المُعايَنَ ضِدُّ ذاكَ الخَبَر، إنَّ هؤلاءِ البَشَرِ خُلِطُوا بالشَّرّ؛
فقالَ المُهَرِّجُ بالصُّراخِ والعَويل، صاحِبا لا تَسْعَ في دَمِ هذا المِسْكِيْن؛
كَمْ مِنَ الوَهْمِ والظَّنِّ يَجِيْءُ في الضَّمير، ولا يَكُونُ حَقَّاً وَصادِقاً أَيْ أَمِيْر؛
إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ أَيْ وَزير، لا يَجُوزُ الظُّلْمُ خاصَّةً على الفقير؛
الشَّاهُ لا يُعاقِبُ ذاكَ الَّذي يُؤلِمُه، فَكَيْفَ يُعاقِبُ ذاكَ الَّذي يُضْحِكُه؛
قَوْلُ الصَّاحِبِ كانَ عِنْدَ المَلِكِ ذا تَأْثير،صارَ باعِثاً لِكَشْفِ هذا المَكْرِ والتَّزوير؛

قالَ احْمِلُوا المُهَرِّجَ إلى السِّجْن، ولا تَشْتَرُوا مِنْهُ التَّمَلُّقَ والشُّحُوب؛
واضْرِبُوهُ كُما يُضْرَبُ الطَّبْلُ فارِغُ البَطْن، حَتَّى يُعْطِيَنا الخَبَرَ كما يَفْعَلُ الطَّبْل؛
الطَّبْلُ رَطْباً كانَ أمْ يابِساً أمْ مَليئاً أمْ فارِغاً، صَوْتُهُ يَجْعَلُنا على عِلْمٍ بِذَلِكَ كُلِّه؛
حَتَّى يَقُولَ سِرَّ نَفْسِهِ مِنَ الاِضْطِرار، وَتَجِدَ هذِهِ القُلُوبُ بِذلِكَ القَرار؛
بِما أنَّ الطُّمَأنِيْنَةَ في الصِّدْقِ ذي الضِّياء، القَلْبُ لا يَطْمَئِنُّ بالقَوْلِ الكَذِب؛
الكَذِبُ مِثْلَ قَشَّةٍ والقَلْبُ مِثْلَ الفَم، لا تَصِيْرُ القَشَّةُ في الفَمِ مُخْتَفِيَةً أَبَداً؛
ما دامَتْ في الفَمِ فاللِّسانُ يَتَحَرَّكُ، إلى أَنْ يُخْرِجَها خارِجَ الفَم؛
إذا وَقَعَتْ قَشَّةٌ مِنَ الرِّيْحِ في العَيْنِ خاصَّةً، تَبْدَأُ العَيْنُ بالدَّمْعِ والفَتْحِ والإطْباق؛
نَحْنُ نَقُومُ بِدَفْعِ هذِهِ القَشَّةِ باللَّطْم، حَتَّى يَتَحَرَّرَ الفَمُ والعَيْنُ مِنْ هذِهِ القَشَّة؛
قالَ المُهَرِّجُ أَيْ مَلِكُ تَمَهَّلْ، لا تُخَرِّشْ وَجْهَ الحِلْمِ والمَغْفِرَة؛
ما تَعْجِيْلُ النَّقَمِ إلى هذا الحَدّ، أنا لا أطِيْرُ مِنْكَ أنا في يَدِك؛
وذاكَ العِقابُ الَّذي يكُونُ مِنْ أَجْلِ الله، لا يَكُونُ جائزاً الاِسْتِعْجالُ فيه؛
وذاكَ العِقابُ الَّذي كانَ عَنْ غَضَبٍ عارِضٍ، جَرى سَريعاً فَلَمْ يَكُنْ مُرْتَضىً؛
خَشِيَ أنْ يَجِيْءَ الرِّضا وَيَذْهَبَ غَضَبُهُ، وَيَفُوتَهُ الاِنتِقامُ وَتَفُوتَهُ لَذَّتُه؛
الشَّهْوَةُ الكاذِبَةُ تُسْرِعُ في الطَّعام، خَوْفَ فَوْتِ لَذَّتِهِ وذاكَ سِقام؛
وفي الاِشْتِهاءِ الصَّادِقِ يُفَضَّلُ التَّأخير، لِيَصِيْرَ ذاكَ مَهْضُوماً بلا مُشْكِلَة؛
أَنْتَ تَضْرِبُني طَلَباً لِرَفْعِ البلاء، حَتَّى ترى الصَّدْعَ وَتَقُومَ بِسَدِّه؛
حَتَّى لا يَخْرُجَ البلاءُ مِنْ ذلِكَ الصَّدْع، القَضاءُ يَمْلِكُ الكَثيرَ غَيْرَ ذلِكَ الصَّدْع؛
وَسيلَةُ دَفْعِ البلاءِ لا تَكُونُ في الظُّلْم، وَسِيْلَتُهُ تَكُونُ في الإحْسانِ والعَفْوِ والكَرَم؛
قالَ الصَّدَقَةُ مَرَدٌّ للبلاء، داوِ مَرْضاكَ بالصَّدَقَةِ يا فَتى؛
الصَّدَقَةُ لَيْسَتْ في إحْراقِ الدَّرْويش، وإعْماءِ العَيْنِ النَّاظِرَةِ إلى الحِلْم؛
قالَ المَلِكُ نِعْمَ الخَيْرُ في مَوْقِعِه، لكِنِ اعْمَلِ الخَيْرَ في مَوْضِعِه؛

وَضْعُكَ المَلِكَ مَوْضِعَ القَلْعَةِ خَراب، وَوَضْعُ الحِصانَ مَوْضِعَ المَلِكِ جَهْل؛
في الشَّريعَةِ هُناكَ العَطاءُ وَهُناكَ الزَّجْر، لِلْفَرَسِ العَتَبَةُ ولِلْمَلِكِ الصَّدْر؛
ما هُوَ العَدْلُ وَضْعُ الشَّيْءِ في مَوْضِعِه، ما هُوَ الظُّلْمُ وَضْعُهُ في غَيْرِ مَوقِعِه؛
كُلُّ ما خَلَقَ اللهُ غَيْرُ باطِلٍ، مِنَ الغَضَبِ والحِلْمِ وَمِنَ النُّصْحِ والكَيْد؛
لَيْسَ أَيٌّ مِنْ هذِهِ بِخَيْرٍ مُطْلَق، كما لَيْسَ أَيٌّ مِنْها بِشَرٍّ مُطْلَق؛
النَّفْعُ والضُّرُّ كُلُّ واحِدٍ مِنْ مَوضِع، العِلْمُ مِنْ هذا الوَجْهِ واجِبٌ ونافِع؛
أي كَمْ مِنْ زَجْرٍ على مِسْكِيْنٍ جَرى،كانَ مِنَ الثَّوابِ أَفْضَلُ مِنَ الخُبْزِ والحَلْوى؛
ذلِكَ أنَّ الحَلْوى بِغَيْرِ أوانٍ تُسَبِّبُ الصَّفْراء، وَصَفْعُهُ يَجْعَلُهُ مُسْتَنْقَذاً مِنَ الخُبْث؛
اضْرِبِ المِسْكِيْنَ ضَرْبَةً في الوَقْت، كَيْ تُنْجِيَهُ تِلْكَ مِنْ ضَرْبِ عُنُقِه؛
الضَّرْبُ يَقَعُ على طَبْعِ السُّوءِ بالمَعْنى، العَصا تَقَعُ على الغُبارِ لا على اللُّبَّاد؛
وَكُلُّ مَلِكٍ عِنْدَهُ المَحْفَلُ وَعِنْدَهُ الحَبْسُ، الحَفْلُ للمُخْلِصِ وللخامِ الحَبْس؛
يَجِبُ الشَّقُّ لِتَضَعَ المَرْهَمَ على الجُرْح، أو تَجْعَلَ القَيْحَ في الجُرْحِ مُسْتَحْكماً؛
إلى أنْ يَأْكُلَ اللَّحْمَ مِنْ تَحْتِه، فَفِيْهِ نِصْفُ نَفْعٍ وَخَمْسُونَ ضَرَراً؛
قالَ المُهَرِّجُ أنا لا أَقُولُ تَجاوَزْ، أنا أَقُولُ قُمْ بالتَّحَرِّي؛
ألا لا تُغْلِقْ طَريقَ الصَّبْرِ والتَّأَنِّي، اِصْبِرْ أَعْمِلِ الفِكْرَ بِضْعَةَ أَيَّام؛
إنَّكَ بالتَّأَنِّيْ تُصِيْبُ اليَقِيْن، وَيَكُونُ عِقابي مِنْكَ عَنْ يَقِيْن؛
لِماذا أنتَ في مَذْهَبِ يَمْشي مُكِبّاً، بَيْنَما مِنَ اللاّئِقِ دَوماً الكَوْنُ في الاِسْتِواء؛
قُمْ بالمَشْوَرَةِ مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِيْن، وَتَعَلَّمْ أَمْرَ *شاوِرْهُمْ* مِنَ الرَّسُول؛
أَمْرُهُمْ شُورى كانَ مِنْ أَجْلِ هذا، فَمِنَ التَّشاوُرِ يَقِلُّ السَّهْوُ والاِنْحِراف؛
هذِهِ العُقُولُ مِثْلَ مصابيحِ النُّور، عِشْرُونَ مِصْباحاً أَنْوَرُ مِنْ مِصْباحٍ واحِد؛
رُبَّما حَصَلَ أنَّ مِنْ بَيْنِها مِصْباحاً، يَكُونُ مُشْتَعِلاً مِنْ نُورِ السَّماء؛
غَيْرَةُ الحَقِّ جَعَلَتْ حِجاباً، خَلَطَتْ مَعاً العُلْوِيَّ والسُّفْلِيّ؛

قالَ سِيْرُوا في الطَّلَبِ في الدُّنيا، اِمْتَحِنُوا البَخْتَ والرِّزْقَ دائماً؛
كُنْ في المَجالِسِ في البَحْثِ عَنِ العُقُول، عَنْ عَقْلٍ مِنْ ذاكَ الَّذي كانَ لِلرَّسُول؛
فذاكَ كانَ المِيْراثَ مِنَ الرَّسُول، الَّذي كانَ يرى الغُيُوبَ مِنْ أمامٍ وَخَلْف؛
وفي الأبْصارِ كُنْ طالِباً ذلِكَ البَصَر، الَّذي لا يَحْتَمِلُ شَرْحَهُ هذا المُخْتَصَر؛
مِنْ أجْلِ هذا مَنَعَ ذاكَ العَظِيْم، مِنَ التَّرَهُّبِ وَمِنَ الخَلْوَةِ في الجَبَل؛
حَتى لا يَكُونَ فَوْتُ هذا النَّوعِ مِنَ الاِلْتِقاء، فذاكَ نَظَرُ البَخْتِ وإكْسِيْرُ البقاء؛
ما بَيْنَ الصَّالِحِيْنَ هُناكَ واحِدٌ أَصْلَح، على رَأْسِ تَوْقِيْعِهِ تَصْحِيْحُ السُّلْطان؛
دُعاؤُهُ ذاكَ بالإجابَةِ مُقْتَرِن، لَيْسَ كُفُواً لَهُ كِبارُ الإنْسِ والجَنّ؛
مُنازِعُوهُ مِنْ حُلْوٍ وحامِض، قَوْلُهُمْ عِنْدَ الحَقِّ داحِض؛
أنْ ما دُمْنا رَفَعْناهُ لأنْفُسِنا، فَقَدْ رَفَعْنا العُذْرَ والحُجَّةَ مِنَ الوَسَط؛
إذا جَعَلَتْ يَدُ الحَقِّ القِبْلَةَ عِياناً، التَّحَرِّي بَعْدَ هذا يَكُونُ مَرْدُوداً اعْلَمْ؛
هَيَّا حَوِّلِ الوَجْهَ والرَّأْسَ عَنِ التَّحَرِّي، فَقَدْ صارَ ظاهِراً المَعادُ والمُسْتَقَرّ؛
إذا صِرْتَ عَنْ هذِهِ القِبْلَةِ ذاهِلاً لَحْظَةً، صِرْتَ مُسَخَّراً لِكُلِّ قِبْلَةٍ باطِلَة؛
إذا صِرْتَ جاحِداً لِمُعْطِي التَّمْييز، فَرَّ مِنْكَ خاطِرُ مَعْرِفَةِ القِبْلَة؛
إن كُنْتَ تُرِيدُ مِنْ هذا المَخْزَنِ البِرَّ والبُرَّ، لا تَنْفَصِلْ نِصْفَ ساعَةٍ عَنِ مُعينِك؛
ففي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتي تَنْقَطِعُ بِها عَنْ هذا المُعِيْن ، تَصِيْرُ مُبْتَلىً *بِبِئْسَ القَرِين*؛

حِكايَةُ تَعَلُّق الفَأْر بالضِّفْدَع والرَّبْط بينَ رِجْلَي الاِثْنَيْن بِحَبْلٍ طَوِيل وَرَفْعُ الغُرابِ للفَأْر وبقاءُ الضِّفْدَعِ مُعَلَّقاً وَبُكاؤهُ وَنَدَمُهُ على التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ جِنْسِه وعَدَمِ ائتلافِهِ مَعَ جِنْسِ نَفْسِه

مِنَ القَضاءِ فَأْرٌ وَضِفْدَعٌ وَفِيٌّ، حَصَلَ بَيْنَهُما التَّعارُفُ على ضِفَّةِ نَهر؛
صارَ كِلا الإثْنَيْنِ مَرْبُوطَيْنِ بِمِيْقات، يَجِيْئانِ كُلَّ صَباحٍ إلى زاوِيَة؛

يَلْعَبانِ نَرْدَ القَلْبِ كُلٌّ مَعَ الآخَر، يَقُومانِ بِجَلاءِ الصَّدْرِ مِنَ الوَساوِس؛
قَلْبُ كُلٍّ مِنْهُما مِنَ التَّلاقي مُتَّسِع، وَكُلٌّ مِنْهُما قائلٌ للآخَرِ وَمُسْتَمِع؛
يَقُولانِ الأسرارَ باللِّسانِ وبلا لِسان، اِعْرِفْ تَأويلَ *الجَماعَةُ رَحْمَة*؛
ذاكَ الأَشِرُ حِيْنَ صارَ قَرينَ ذاكَ السَّعِيْد، خَمْسَ سِنينَ تَعَلَّمَ مِنْهُ القَصَص؛
جَيْشُ النُّطْقِ مِنَ القَلْبِ دَليلُ المَحَبَّة، انغِلاقُ النُّطْقِ مِنْ انْعِدامِ الأُلْفَة؛
القَلْبُ الَّذي يرى الحَبيبَ لا يَظَلُّ عابِساً، البُلْبُلُ الَّذي يرى الوَرْدَ لا يَظَلُّ ساكِتاً؛
السَّمَكَةُ المَشْوِيَّةُ مِنْ لَمْسَةٍ مِنَ الخِضْر، صارَتْ حَيَّةً وَمُسْتَقِرَّةً وَعادَتْ للبَحْر؛
إذا جَلَسَ الحَبيبُ إلى الحَبيبِ، مِئاتُ أُلُوفِ أَلواحِ الأسْرارِ عُلِمَتْ؛
اللَّوحُ المَحْفُوظُ هُوَ جَبينُ الحَبيب، سِرُّ الكَوْنَيْنِ فِيْهِ ظاهِرٌ عِياناً؛
الحَبيبُ هادي الطَّريقِ في القُدُوم، مِنْ هذا قالَ المُصْطَفى أَصْحابي نُجُوم؛
النَّجْمُ هُوَ الدَّليلُ في الصَّحْراءِ والبَحْر، فاجْعَلِ العَيْنَ على النَّجْمِ فَهُوَ مُقْتَدى؛
اِجْعَلِ العَيْنَ قَرينَةً لِوَجْهِهِ دَوماً، لا تُثِرِ الغُبارَ عَنْ طَريقِ البَحْثِ والقَوْل؛
فإنَّ النَّجْمَ يَخْتَفي مِنْ ذلِكَ الغُبار، العَيْنُ أَفْضَلُ مِنَ اللِّسانِ ذي العِثار؛
حَتَّى يَتَكَلَّمَ ذاكَ الَّذي لَهُ الوَحْيُ شِعار، الَّذي يُسْكِنُ التُّرابَ ولا يُثيرُ الغُبار؛
كَيْفَ صارَ آدَمُ مَظْهَرَ الوَحْيِ والوِداد، فَتَحَ ناطِقَتَهُ بِ*عَلَّمَ الأسْماء*؛
اِسْمُ كُلِّ شَيْءٍ أَيَّاً كانَ ذلِكَ الشَّيْء، صارَ جارِياً على لِسانِهِ مِنْ صَحِيْفَةِ القَلْب؛
يَقُولُهُ لِسانُهُ عِنْدَ رُؤيَتِه، تَماماً بِخاصِّيَّتِهِ وماهِيَّتِه؛
بِتِلْكَ الأسْماءِ الَّتي تَلِيْقُ بالأشياء، لا كما يُسَمَّى المُخَنَّثُ أَسَداً؛
نُوحُ في الطَّرِيقِ السَّوِيِّ تِسْعَمائةِ عام، كُلَّ يَومٍ كانَ لَهُ تَذْكِيْرٌ جَديد؛
لُؤلُؤُهُ النَّاطِقُ مِنْ ياقُوتِ القُلُوب، لا مِنْ كِتابٍ يُقْرَأُ ولا مِنْ قُوْتِ القُلُوب؛
لَمْ يَتَعَلَّمِ الوَعْظَ أَبَداً مِنَ الشُّرُوح، هُوَ مِنْ يَنْبُوعِ الكُشُوفِ وَشَرْحِ الرُّوح؛
مِنْ تِلْكَ الخَمْرِ الَّتي هِيَ خَمْرَةٌ إذا شُرِبَتْ، صارَ ماءُ النُّطْقِ يَجِيْشُ مِنَ الأبْكَم؛

الطِّفْلُ الوَليدُ مِنْها حَبْرٌ فَصِيْح، يَقْرَأُ حِكْمَةَ البالِغِ كالمَسيح؛
صارَ الجَبَلُ مِنْ تِلْكَ الخَمْرِ عَذْبَ الشَّفَة، تَعَلَّمَ داؤودُ النَّبِيُّ مِنْهُ مِئَةَ غَزَل؛
جُمْلَةُ الطُّيُورِ تَرَكَتْ زَقْزَقَتَها، صارَتْ بِلُغَةِ داؤودَ المَليكِ وَرَفيقَةً لَه؛
ما العَجَبُ أَنْ يَصِيْرَ الطَّيْرُ سَكْرانَ بِه، ما دامَ الحَديدُ سَمِعَ نِداءَ يَدِه؛
الرِّيْحُ الصَّرْصَرُ على عادٍ قَتَّال، وَصارَتْ لِسُلَيْمانَ كالحَمَّال؛
تَحْمِلُ تَخْتَ الشَّاهِ على الرَّأْسِ رِيْحٌ عاتِيَةٌ، كُلَّ صَباحٍ وَكُلَّ مَساءٍ مَسِيْرَةَ شَهْر؛
صارَتْ حَمَّالاً لَهُ وَجاسُوسَ طَرِيق، تَجْعَلُ قَوْلَ الغائِبِ لَهُ مَحْسُوساً؛
الرِّيْحُ لَحْظَةَ كانَتْ تَجِدُ قَوْلَ الغائب، كانَتْ تُسْرِعُ بِهِ إلى أُذُنِ ذلِكَ المَلِك؛
أنْ فُلانُ قالَ هذا هذِهِ اللَّحْظَة، أَيْ سُلَيْمانُ العَظِيْمُ صاحِبُ القِران؛

تَدبيرُ الفَأْرِ مَعَ الضِّفْدَع أنْ أنا لا أَقْدِرُ على المَجيءِ إلَيْكَ في الماءِ وَقْتَ الحاجَة، ينبغي أنْ يَكُونَ بَيْنَنا وُصْلَةٌ بِحَيْثُ إذا أنا جِئْتُ إلى ضِفَّةِ النَّهْرِ أَقْدِرُ أنْ أُعْطِيَكَ الخَبَر، وأنتَ حِيْنَ تُريدُ المَجيءَ إلى رَأْسِ فُتْحَةِ جُحْري تَقْدِرُ أنْ تُعْطِيَني الخَبَرَ إلى آخِرْه

هذا الحَديثُ بلا نِهايَةٍ وَذاتَ يَوم، قالَ الفَأْرُ للضِّفْدَعِ أَيْ مِصْباحَ الوَعْي؛
هُناكَ أَوقاتٌ أُريدُ أنْ أَقُولَ لَكَ بها سِرَّاً، وَتَكُونُ أنتَ بِها في الماءِ بِغارَةِ تُرْكِيّ؛
أُنادِيْكَ بالصُّراخِ مِنْ على شَفَةِ النَّهْر، فلا تَسْمَعُ في الماءِ أنينَ العاشِقِيْن؛
وَأَنا بِهذا الوَقْتِ المُعَيَّنِ أَيْ بَطَل، لا أَصِيْرُ مِنْ مُحاكاتِكَ شَبْعان؛
للصَّلاةِ خَمْسَةُ أوقاتٍ تَدُلُّ ومُرْشِدُون، أمَّا العاشِقُونَ فَهُمْ في الصَّلاةِ دائِمُون؛
فالخُمارُ في تِلْكَ الرُّؤوسِ لا يَسْكُنُ بالخَمْس، بَلْ إنَّهُ لا يَسْكُنُ بِخَمْسِمائَةِ أَلْف؛

زُرْ غِبَّاً لَيْسَتْ وَظِيْفَةَ العاشِقين، كَثْرَةُ الإِسْتِسْقاءِ لِرُوحِ الصَّادِقين؛
زُرْ غِبَّاً لَيْسَتْ وَظِيْفَةَ الأسْماك، فَهِيَ لا تَمْلِكُ أُنْسَ الرُّوحِ بلا بَحْر؛
ماءُ هذا البَحْرِ الَّذي هُوَ هائلٌ مِنْ بُقْعَة، عِنْدَ خُمارِ الأَسْماكِ مِثْلَ جُرْعَة؛
لَحْظَةُ الهِجرانِ على العاشِقِ كالسَّنَة، وَوَصْلُ سَنَةٍ مُتَّصِلَةٍ عِنْدَهُ خَيال؛
العِشْقُ مُسْتَسْقٍ يَطْلُبُ المُسْتَسْقى، كُلٌّ يَطْلُبُ الآخَرَ هذا وَذاكَ كاللَّيْلِ والنَّهار؛
النَّهارُ عاشِقٌ لِلَّيْلِ وَمُضْطَرّ، وإذا نَظَرْتَ فاللَّيْلُ لَهُ أَعْشَق؛
ما لَهُما تَوَقُّفٌ عَنِ البَحْثِ والطَّلَبِ لَحْظَةً، يَتْبَعانِ بَعْضَهُما ولا يَتَوَقَّفانِ لَحْظَةً؛
هذا مُمْسِكٌ بِقَدَمِ ذاكَ وَذاكَ بِأُذُنِ هذا، هذا لِذاكَ مَدْهُوشٌ وَذاكَ والِهٌ بِهذا؛
في قَلْبِ المَعْشُوقِ تُوْجَدُ جُمْلَةُ العاشِق، كُلٌّ مِنْهُما بالقَلْبِ للآخَرِ وامِق؛
في قَلْبِ العاشِقِ لا يُوْجَدُ غَيْرُ المَعْشُوق، لَيْسَ بَيْنَهُما فارِقٌ وَفارُوق؛
هذانِ الجَرَسانِ على بَعِيْرٍ واحِدٍ، فَكَيْفَ يَعْمَلُ هذانِ الإثنانِ وِفْقَ *زُرْ غِبَّاً*؛
لا شَخْصَ تَعامَلَ مَعَ النَّفْسِ *بِزُرْ غِبَّاً*، ما مِنْ شَخْصٍ يكُونُ مُحِبَّ نَفْسِهِ نُوَبا؛
هذا الاِتِّحادُ لَيْسَ بالَّذي يَفْهَمُهُ العَقْل، فَهْمُ هذا مَوْقُوفٌ على مَوْتِ المَرْء؛
لَوْ كانَ هذا مُمْكِنَ الإدراكِ بالعَقْل، مِنْ أَجْلِ أَيِّ واجِبٍ يَكُونُ قَهْرُ النَّفْس؛
مَلِكُ الإدراكِ بِمِثْلِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ الَّتي يَمْلِك، كَيْفَ يَقُولُ بلا ضُرُورَةٍ اقْتُلِ النَّفْس؛

مُبالَغَةُ الفَأْرِ في التَّضَرُّعِ والإِفْتِقار
وَطَلَبِ الوُصْلَةِ مِنْ ضِفْدَعِ الماء

قالَ أَيُّها الصَّديقُ العَزيزُ المُحِبّ، أنا لا أَمْلِكُ مِنْ دُونِ وَجْهِكَ القَرارَ لَحْظَةً؛
أَنْتَ في النَّهارِ نُوري وَمَكْسَبي وَقُوَّتي، وَأَنْتَ في اللَّيْلِ قَراري وَنَومي وَسَلْوَتي؛
إنَّهُ لَمِنَ المُرُوءَةِ أنْ تُسْعِدَني، وَتَذْكُرَني في المَوعِدِ وبلا مَوْعِدٍ مِنَ الكَرَم؛
لَقَدْ جَعَلْتَ في اليَومِ واللَّيْلَةِ وَقْتَ الضُّحى، مَوْعِداً للوِصالِ ثابِتاً أَيْ مُخْلِص؛

وَعِنْدِي في الكَبِدِ خَمْسُمائةِ اسْتِسْقاء، كُلُّ اسْتِسْقاءٍ مِنْها قَرينُ جُوعِ البَقَر؛
أنتَ في الغِنى عَنْ غَمِّي أَيْ أمير، اِدْفَعْ زَكاةَ الجاهِ وانْظُرْ لِلْفَقِيْر؛
هذا الفَقيرُ بلا أَدَبٍ غَيْرُ أَهْل، لكِنَّ لُطْفَكَ العامَّ أَعْلى مِنْ ذلِك؛
لُطْفُكَ العامُّ لا يَطْلُبُ السَّنَد، الشَّمْسُ تَقَعُ حَتَّى على الحَدَث؛
ولا يكُونُ لِنُورِها مِنْ ذلِكَ ضَرَر، وَذاكَ الحَدَثُ يَصِيْرُ يابِساً كالحَطَب؛
حَتَّى يَجِدَ الحَطَبُ النُّورَ في مَوقِدِ النَّار، وَتُشِعُّ نارُ الحَمَّامِ على البابِ والجِدار؛
كانَ قَذارَةً فَصارَ زِيْنَةً الآن، حِيْنَ قَرَأَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ تِلْكَ الرُّقْيَة؛
كما أنَّ الشَّمْسَ أَسْخَنَتْ مَعِدَةَ الأرْض، حَتَّى أَكَلَتِ الأرْضُ بَقِيَّةَ الحَدَث؛
فَصارَ جُزْءَ الأَرْضِ وَنما مِنْهُ النَّبات، هكذا يَمْحُو الإلهُ السَّيِّئات؛
تَفْعَلُ هذا مَعَ الحَدَثِ أَسْوَأِ السَّيِّئين، تُطْلِعُ مِنْهُ النَّباتَ والنَّرْجِسَ والنِّسْرين؛
فَماذا يُعْطِي الحَقُّ في الجَزاءِ وفي العَطاء، لِنِسْرينَ المَناسِكِ ذي الوَفاء؛
إذا كانَ يُعْطِي الخَبيثينَ مِثْلَ هذِهِ الخلْعَة، ماذا يُعْطي الطَّيِّبينَ النَّاظِرينَ إِلَيْه؛
يُعْطِيْهِمُ الحَقُّ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا جَرى بِهِ لِسانٌ ولا حَوَتْهُ لُغَة؛
ما لنا وَلِهذا تَعالَ أَيْ حَبيبي، اِجْعَلْ نَهاري مُضِيْئاً مِنَ الخُلُقِ الحَسَن؛
لا تَنْظُرْ إلى قُبْحِي وَكَوني مَكْرُوهاً، وَأَنِّي مَمْلوءٌ مِنَ السُّمِّ كَأَفْعى الجِبال؛
أَي أنا القبيحُ وَكُلُّ خِصالي قَبيحَةٌ، كَيْفَ أَصِيْرُ وَرْداً وَقَدْ زَرَعَني شَوْكاً؛
أَيُّها الرَّبيعُ الجَديدُ أَعْطِ الشَّوكَ حُسْنَ الوَرْد، أَعْطِ زِيْنَةَ الطَّاووسِ لِهذِهِ الحَيَّة؛
في كمالِ القُبْحِ أنا المُنْتَهى، لُطْفُكَ في الفَضْلِ وفي الخَيْرِ المُنْتَهى؛
أَعْطِ حاجَةَ هذا المُنْتَهى مِنْ ذاكَ المُنْتَهى، أَيْ مَنْ تُثِيْرُ حَسْرَةَ السَّرْوِ القَويم؛
إذا مِتُّ سَوْفَ يَبْكِي فَضْلُكَ عَلَيَّ، مِنَ الكَرَمِ مَعَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الحاجَة؛
سَوفَ يَجْلِسُ كَثيراً على رَأْسِ قَبْري، وَيَذْرِفُ مِنْ عَيْنِهِ اللَّطِيْفَةِ الدَّمْع؛
سَيَقُومُ بالنُّواحِ على مَحْرُومِهِ، وَيُغْلِقُ العَيْنَ مِنْ ظُلْمِهِ لِمَظْلُومِهِ؛

القَليلَ مِنْ تِلْكَ الأَلْطافِ اعْمَلِ الآن، اِجْعَلِ الحَلْقَةَ في أُذُني مِنْ ذلِكَ الحَديث؛ ذاكَ الَّذي سَوفَ تَقُولُهُ لِقَبْري، أُنْثُرْهُ على مَدْرَكِي أنا المَغْمُوم؛

تَضَرُّعُ الفَأْر للضِّفْدَع أن لا تُفَكِّرْ بالتَّعَلُّل ولا تُؤَخِّرْ حاجَتي هذِهِ ففي التَّأخيرِ آفات ، والصُّوفِيُّ اِبْنُ الوَقْت والاِبْنُ لا يَرْفَعُ اليَدَ عَنْ ثَوبِ الأب ، والأبُ المُشْفِقُ للصُّوفِيِّ وَهُوَ الوَقْتُ غَيْرُ مُحْتاجٍ لأنْ يَجْعَلَهُ يَنْتَظِرُ للغَد مهما جَعَلَهُ مُسْتَغْرِقاً في رَوْضَةِ *سَريعِ الحِسابِ* مِنْهُ لا *سَريعِ حِسابِ* العَوام فلا يَكُونُ مُنْتَظِرَ المُسْتَقْبَل، إنَّهُ نَهْرِيٌّ لا دَهْرِيّ، إذ لا صَباحَ عِنْدَ اللهِ ولا مَساء، ولا ماضِيَ ولا مُسْتَقْبَل، ولا أزَلَ ولا أَبَدَ هُناكَ ، ولا آدَمَ سابِقاً وَدَجَّالَ مَسْبُوقاً، فهذِهِ رُسُومٌ كائنَةٌ في خطَّةِ العَقْلِ الجُزْئِيّ والرُّوحِ الحَيَوانِيّ. في عالَمِ اللّامَكان واللّازَمان لا تَكُونُ هذِهِ الرُّسُوم، فَهُوَ اِبْنُ الوَقْت ، لا يُفْهَمُ مِنْهُ إلَّا نَفْيُ مَعْرِفَةِ الأزْمِنَة، كما يُفْهَمُ مِن *اللهُ واحِدٌ* نَفْيُ الإثْنَيْنِيَّة لا حَقِيْقَةُ الواحِدِيَّة

قالَ سَيِّدٌ ناثِرٌ للذَّهَبِ لِصُوفيّ، أي مَنْ رُوحِي تُرابٌ لِقَدَمَيْك؛ أَتُرِيدُ دِرْهَماً واحِداً اليَومَ أَي مَلِكِي، أو ثلاثَةَ دراهِمَ في الغَدِ عِنْدَ الضُّحى؛ قالَ أنا بِنِصْفِ دِرْهَمٍ لَيْلَةَ أمْسِ أَكْثَرُ رِضاً، مِنْ دِرْهَمِ اليَومَ وَمِئَةِ دِرْهَمٍ في الغَد؛ الصَّفْعَةُ نَقْداً خَيْرٌ مِنَ العَطاءِ نَسِيْئَةً، دُونَكَ قفايَ هذِهِ أَعْطِني صَفْعَةً نَقْداً؛ خاصَّةً تِلْكَ الصَّفْعَةَ الَّتي تَكُونُ مِنْ يَدِك، فالقَفا وَصَفْعَتُهُ في سُكْرٍ لَك؛ هيَّا تَعالَ أَي رُوحَ الرُّوحِ وَمِئَةِ عالَمٍ، اِحْصَلْ على الغَنيمَةِ نَقْداً هذِهِ اللَّحْظَة؛ لا تَسْرِقْ وَجْهَ القَمَرِ مِنْ سُراةِ اللَّيْل، ولا تَنْسَحِبْ مِنَ النَّهْرِ أَيُّها الماءُ الجاري؛

لِتَضْحَكَ ضَفَّةُ النَّهْرِ مِنَ الماءِ المَعِيْن، وَيَطْلَعَ على شَفَةِ ضَفَّةِ النَّهْرِ الياسَمين؛
إذا رَأَيْتَ مِنْ بَعِيْدٍ على ضَفَّةِ نَهْر، خُضْرَةً سَكْرى اعْلَمْ أَنَّ هُناكَ ماءً؛
قالَ الفَعَّالُ سيماهُمْ في الوُجُوه، فإنَّ المَرْجَ يكُونُ واشِياً بالمَطَر؛
لَو أمْطَرَ لَيْلاً فَلَمْ يَرَ المَطَرَ شَخْصٌ، إذْ كانَتْ كُلُّ نَفْسٍ في النَّومِ وَكُلُّ نَفَس؛
نُضْرَةُ كُلِّ بُسْتانٍ جَميل، هِيَ على المَطَرِ الخَفِيِّ دَليل؛
أَي أخِي أنتَ مائيٌّ وأنا تُرابِيّ، لكِنَّكَ مَلِكُ الرَّحْمَةِ وَوَهَّابِيّ؛
كذلِكَ كُنْ في العَطاءِ وفي القِسَم، لأصِلَ إِلَيْكَ في مَوْعِدٍ وَفي غَيْرِ مَوْعِد؛
أنا على شَفَةِ النَّهْرِ أَدْعُوكَ بالرُّوح، ولا أرى مِنَ الإجابَةِ المَرْحَمَة؛
إنَّ النُّزُولَ في الماءِ عَلَيَّ مُمْتَنِع، ذاكَ لأنَّ تَرْكِيبي طَلَعَ مِنَ التُّراب؛
فَأَعْطِ المَدَدَ إمَّا رَسُولاً وَإمَّا دَلِيْلاً، حَتَّى يُعْطِيَكَ الخَبَرَ عَنْ نِدائي؛
ذانِكَ الصَّديقانِ تباحَثا في الأمْر، وفي آخِرِ ذلِكَ التَّباحُثِ جاءَ القَرار؛
أنْ يَجْعَلا بَيْنَهُما حَبْلاً طَويلاً واصِلاً، فَمِنْ جَذْبِ الحَبْلِ يَصِيْرُ كَشْفاً السِّرّ؛
طَرَفٌ على قَدَمِ هذا العَبْدِ المُنْحَني، يُعْقَدُ والطَّرَفُ الآخَرُ على قَدَمِك؛
حَتَّى يَلْتَقي البَدَنانِ مِنَّا بِهذا الفَنّ، نَمْتَزِجُ كما تَمْتَزِجُ الرُّوحُ بالبَدَن؛
الجَسَدُ كالحَبْلِ على قَدَمِ الرُّوح، يَشُدُّها إلى الأرْضِ مِنَ السَّماء؛
ضِفْدَعُ الرُّوحِ في ماءِ نَوْمِ فَقْدِ الوَعْي، تَحَرَّرَ مِنْ فَأْرِ البَدَنِ وجاءَ للجَمال؛
فَأْرُ البَدَنِ مِنْ ذلِكَ الحَبْلِ شَدَّهُ راجِعاً، كَمْ مِنَ المَرارَةِ مِنْ هذا الشَّدِّ تَطْعَمُ الرُّوح؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ جَذْبُ الفَأْرِ عَفِنِ اللُّبّ، كانَ عاشَ الضِّفْدَعُ سَعِيداً في الماء؛
بَقِيَّتَهُ والنَّهارُ قَدْ نَهَضَ مِنَ النَّوم، سَمِعْتَ مِنَ الشَّمْسِ واهِبَةِ النُّور؛
طَرَفٌ مِنَ الخَيْطِ مَعْقُودٌ على قَدَمي، فاجْعَلْ طَرَفَهُ الآخَرَ مَعْقُوداً على قَدَمِك؛
حَتَّى أَتَمَكَّنَ في هذِهِ اليابِسَةِ أنْ أَشُدَّهُ، فَقَدْ صارَ طَرَفُ الخَيْطِ لَكَ ظاهِراً تَماماً؛
جاءَ مُرَّاً على قَلْبِ الضِّفْدَعِ هذا الحَديث، أنْ جَعَلَني مَربوطاً هذا الخَبيث؛

كُلُّ كراهَةٍ في قَلْبِ الرَّجُلِ البَهِيّ، إذا طَلَعَتْ لا تَكُونُ خالِيَةً مِنْ مَكْر؛
اِعْرِفْ تِلْكَ الفِراسَةَ وَصْفَ الحَقِّ لا الوَهْم، نُورُ القَلْبِ مِنَ اللَّوحِ الكُلّيِّ لَهُ فَهْم؛
امْتِناعُ الفِيْلِ عَنْ جُدْرانِ البَيْت، مَعَ جِدِّ ذاكَ الفَيَّالِ وَصُراخِ هَيْت؛
لَمْ تَسِرْ قَدَمُ الفِيْلِ جِهَةَ الكَعْبَة، مَعَ كُلِّ اللَّطْمِ لا كَثيراً ولا قليلاً؛
كأَنَّ أَقْدامَهُ صارَتْ يابِسَةً، أو أَنَّ رُوْحَهُ زائِدَةَ الصَّوْلِ تِلْكَ ماتَت؛
عِنْدَما وَجَّهُوا رَأْسَهُ جِهَةَ اليَمَن، صارَ الفِيْلُ يَخطُو بِقُوَّةِ مِئَةِ حِصان؛
حِسُّ الفِيْلِ كانَ عالِماً بِعَذابِ الغَيْب، فَكَيْفَ يَكُونُ حِسُّ الوَلِيِّ الواصِل؛
أَلَمْ يَكُنْ يَعْقُوبُ النَّبِيُّ طاهِرُ الطِّيْنَة، نَصِيْباً لِيُوسُفَ مَعَ جَمِيْعِ إخْوَتِه؛
عِنْدَما طَلَبَ الإخْوَةُ يُوسُفَ مِنَ الأب، لِيَأْخُذُوهُ جِهَةَ الصَّحْراءِ فَتْرَةً قَصِيْرَة؛
قالُوا لَهُ جَمِيْعاً لا تَخَفْ مِنَ الضَّرَر، أَعْطِهِ مُهْلَةً يَوماً أو يَوْمَيْنِ أَيْ أب؛
أَنْ لِماذا في الإقامَةِ والظَّعْن، لا تأمَنَّا على يُوسُفَ أخينا؛
حَتَّى نَلْعَبَ مَعَهُ في المُروج ، نَحْنُ في هذِهِ الدَّعْوَةِ أُمَناءُ وَمُحْسِنُون؛
قالَ أَعْلَمُ هذا لكِنَّ نَقْلَهُ عَنِّي، يَزيدُ في أَلَمِ قَلْبي وَسَقَمي؛
قَلْبي هذا لَمْ يَقُلْ لِيَ الكَذِبَ أَبَداً، فَضِياءُ القَلْبِ يَكُونُ مِنْ نُوْرِ العَرْش؛
كانَ ذاكَ دَليلاً قاطِعاً على الفَساد، وَمِنَ القَضاءِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهِ اعْتِداد؛
لَقَدْ ضاعَتْ مِنْهُ علامَةٌ مِثْلُ تِلْك، فالقَضاءُ كانَ في الفَلْسَفَةِ ذلِكَ الزَّمان؛
أَنْ يَقَعَ الأعْمى في البِئْرِ لَيْسَ عَجَباً، أَعْجَبُ العَجَبِ وُقُوعُ مُبْصِرِ الطَّريق؛
لِهذا القَضاءِ أَلْوانٌ مِنَ التَّصاريف، *يَفْعَلُ اللهُ ما يشاءُ* حِجابٌ للنَّظَر؛
لَقَدْ عَلِمَ القَلْبُ كما أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ فَنَّهُ، لَقَدْ صارَ الحَديدُ مِنْهُ شَمْعاً لِتِلْكَ الشَّمْس؛
وَكَأَنَّ القَلْبَ قائلٌ أَنَّهُ ما دامَ مَيْلُهُ، إلى هذا فَقُلْ لِكُلِّ ما كانَ فَلْيَكُنْ؛
فَيَجْعَلُ نَفْسَهُ مُغَفَّلاً مِنْ هذا، وَيَجْعَلُ الرُّوحَ مَعْقُولَةً بِعِقالِه؛
إذا كانَ خاسِراً في هذا أَبُو العلاء، ذاكَ لا يَكُونُ خَسارَةً ذاكَ ابتِلاء؛

بلاءٌ واحِدٌ اشْتراهُ مِنْ مِئَةِ بلاء، هُبُوطٌ واحِدٌ حَمَلَهُ على المعارِج؛
الخامُ المُتَجاسِرُ الَّذي تُحَرِّرُهُ المُدام، مِنْ خُمارِ مِئَةِ أَلْفِ قَبيحٍ خام؛
عاقِبَتُهُ أَنْ يَصِيْرَ ناضِجاً وأُسْتاذاً، قَفَزَ مِنْ رِقِّ العالَمِ وَصارَ حُرَّاً؛
صارَ سَكْرانَ مِنْ شَرابِ الأَزَل، صارَ مُمَيَّزاً عَنِ الخلائِقِ وَنجا مُجَدَّداً؛
مِنْ اعْتِقادِهِم الواهِي المَليءِ بالتَّقْليد، وَمِنْ خيالِ عُيُونِهِمُ الَّتي لا تَرى؛
أي عَجَباً أَيُّ فَنٍّ أَصابَ إدراكَهُم، أمامَ جَزْرٍ وَمَدِّ بَحْرٍ بلا علامَة؛
مِنْ تِلْكَ الصَّحاري وَصَلَتْ هذِهِ العَمارات، وَصَلَ المُلْكُ والسَّلْطَنَةُ والوزارات؛
مِنْ صحارى العَدَمِ تِلْكَ المُشْتاقُونَ شَوقا، يَصِلُونَ إلى عالَمِ الشَّهادَةِ جَوْقاً جَوقا؛
القافِلَةُ بالقافِلَةِ مِنْ هذِهِ البادِيَهْ، تَصِلُ في كُلِّ مساءٍ وَغادِيَهْ؛
تَجِيْءُ وَتَأْخُذُ منازِلَنا رَهْناً، أنْ وَصَلْتُ صارَتْ نَوْبَتُنا اِذْهَبْ أنت؛
عِنْدَما فَتَحَ الوَلَدُ عَيْنَ العَقْل، وَضَعَ الأَبُ مُسْرِعاً مَتاعَهُ على العَرَبَة؛
إنَّها جادَّةُ المَلِكِ هذا يسيرُ مِنْ هذِهِ الجِهَة، وَذاكَ مِنْ تِلْكَ الجَهَةِ صادِرٌ ووارِد؛
أُنْظُرْ جَيِّداً نَحْنُ نَمْضي جالِسِيْن، ألا ترانا للمَكانِ الجَدِيْدِ قاصِدِيْن؛
إنَّكَ لا تَأْخُذُ رَأْسَ المالِ مِنْ أجْلِ الحال، بَلْ مِنْ أَجْلِ الأغْراضِ في المآل؛
هكذا يكُونُ المُسافِرُ أَي عابِدَ الطَّريق، فَمَسِيْرُهُ وَذَهابُهُ إلى المُسْتَقْبَل؛
مِثْلَما مِنْ حِجابِ القَلْبِ بلا كلال، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ تَصِلُ خَيْلُ الخَيال؛
إنْ لَمْ تَكُنِ الأَخْيِلَةُ مِنْ مَغْرَسٍ واحِدٍ، كَيْفَ تَجِيْءُ تَتْبَعُ بَعْضَها جِهَةَ القَلْب؛
جُيُوشُ خيالاتِنا جَوْقاً جَوْقاً، تُسْرِعُ إلى عَيْنِ القَلْبِ مِنَ الظَّمَأ؛
تَمْلأُ الجِرارَ وتَمْضي، دائماً تَظْهَرُ وَتَخْتَفي؛
اِعْرِفِ الأفكارَ كَواكِبَ الفَلَك، دائِرَةً في فَلَكِ سماءٍ أُخْرى؛
إذا رَأَيْتَ السَّعْدَ قُمْ بالشُّكْرِ والإيثار، إذا رَأَيْتَ النَّحْسَ قُمْ بالتَّصَدُّقِ والاِسْتِغْفار؛
نَحْنُ مَنْ نَكُونُ تَعالَ أَي مَلَكِي، اِجْعَلْ طالِعي مُقْبِلاً وازْجُرْ فَلَكِي؛

اِجْعَلِ الرُّوحَ مُضِيئَةً مِنْ أنوارِ القَمَر، فَمِنْ أذى الذَّنْبِ صارَتِ الرُّوحُ مُظْلِمَة؛
حَرِّرْها مِنَ الخَيالِ وَالوَهْمِ والظَّنِّ مُجَدَّداً، وَحَرِّرْها مِنَ البِئْرِ وَجَوْرِ الرَّسَنِ مُجَدَّداً؛
حَتَّى مِنْ عَطْفِكَ الطَّيِّبِ يَطْلُعُ الجَناح، لِذاكَ القَلْبِ وَيَطِيْرُ مِنَ الماءِ والطِّيْن؛
يا عَزيزَ مِصْرَ ويا صادِقاً في العَهْد، إنَّ يُوسُفَ المَظْلُومَ في سِجْنِك؛
فَلْتَرَ في خَلاصِهِ رُؤيا واحِدَة، وَأَسْرِعْ فاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنين؛
سَبْعَ بَقَراتٍ عِجافٍ مُؤذِيات، يَأكُلْنَ سَبْعَ بَقَراتٍ سِمان؛
وَسَبْعَ سنابِلَ يابِساتٍ مَكْرُوهاتٍ قَبيحات، يَأكُلْنَ سَبْعَ سَنابِلَ خُضْر؛
القُحْطُ اسْتَولى على مِصْرَ أَيْ عزيز، لا تَكُنْ لِهذا أَيْ شاهُ بالمُسْتَجِيز؛
أَجْلِسْ يُوسُفي في سِجْنِكَ أَيُّها الشَّاه، هَيَّا وَحَرِّرْني مِنْ أَيْدِي النِّساء؛
مِنْ جِهَةِ العَرْشِ الَّذي كُنْتُ مُرْتَبِطاً بِهِ، أَلْقَتْني شَهْوَةُ الأُمِّ أنِ اهْبِطُوا؛
فَسَقَطْتُ مِنْ ذلِكَ الكَمالِ المُسْتَتِمّ، مِنْ حِيْلَةِ عَجُوزٍ إلى سِجْنِ الرَّحِم؛
حَمَلَتِ الرُّوحَ مِنَ العَرْشِ للحَطِيْم، كَيْدُ النِّساءِ لا جَرَمَ عَظِيْم؛
مِنَ المَرْأَةِ هُبُوطِي الأوَّلُ والآخِرُ، عِنْدَما كُنْتُ رُوحاً وَحِيْنَ صِرْتُ بَدَناً؛
اِسْمَعْ أنينَ يُوسُفَ في العِثار، أو احْمِلِ الرَّحْمَةَ لِيَعْقُوبَ الوالِه؛
أَأَشْكُو مِنَ الإخْوانِ أمْ أَشْكُو مِنَ النِّساء، اللَّائي أَلْقَيْنَني كآدَمَ مِنَ الجِنان؛
ذَبُلْتُ مِنْ ذاكَ كأوراقِ الشِّتاء، فَقَدْ أَكَلْتُ مِنْ جَنَّةِ الوَصْلِ القَمْح؛
حِيْنَ رَأَيْتُ لُطْفَكَ وإكْرامَكَ، وَسلامَ السِّلْمِ ذاكَ مِنْكَ وَكِتابَك؛
أظْهَرْتُ الحَرْمَلَ دَفْعاً لِعَيْنِ السُّوء، وَفي الحَرْمَلِ وَصلَتْ إلَيَّ عَيْنُ السُّوء؛
دافِعُ كُلِّ عَيْنِ سُوءٍ مِنْ أمامٍ وَخَلْف، عَيْناكَ المَمْلُوءتانِ بالخُمارِ وَحَسْب؛
عَيْنُكَ الجَمِيْلَةُ أي مَلِكِي نِعْمَ الدَّواءُ، إنَّها قاتِلٌ وَمُسْتَأْصِلٌ لِعَيْنِ السُّوء؛
بَلْ مِنْ عَيْنِكَ يَصِلُ كُلُّ إكْسيرٍ، يَجْعَلُ مِنْ عَيْنِ السُّوءِ عَيْنَ خَيْر؛
عَيْنُ المَلِكِ وَقَعَتْ على عَيْنِ بازِ القَلْب، فَصارَتْ عَيْنُ بازِهِ قَوِيَّةَ الهِمَّة؛

فَمِنْ عِظَمِ الهِمَّةِ الَّتي وَجَدَ مِنَ النَّظَر، بازُ الشَّاهِ لا يَنْظُرُ إلَّا إلى الأَسَدِ الذَّكَر؛
أَيُّ أَسَدٍ وَذاكَ البازُ المَلَكِيُّ المَعْنَوِيّ، هُوَ لَكَ صَيْدٌ وَأَنْتَ لَهُ صَيْدٌ أَيْضاً؛
صارَ صَفيْرُ بازِ الرُّوحِ في مَرْجِ الدِّيْن، صَرَخاتِ *لا أُحِبُّ الآفِلِيْن*؛
بازُ القَلْبِ الَّذي طارَ في أَثَرِك، وَصَلَتْهُ عَيْنٌ مِنْ عَطائكَ بلا حَدّ؛
وَجَدَ الأنْفُ العَبيرَ والأُذُنُ السَّماع، لِكُلِّ حِسٍّ مِنِّي مِنْكَ قِسْمٌ مُشاع؛
إذا أعْطَيْتَ أيَّ حِسٍّ الطَّريقَ للغَيْب، لا يَنالُ ذاكَ الحِسَّ فُتُورُ المَوْتِ والشَّيْب؛
أَنْتَ مالِكُ المُلْكِ تُعْطِي الحِسَّ شَيْئاً، لِتَجْعَلَ مِنْ ذلِكَ الحِسِّ مَلِكاً على الحَواسّ؛

حِكايَةُ لُصُوصِ اللَّيْلِ الَّذينَ دَخَلَ بَيْنَهُم الشَّاه مَحْمُود أنْ أنا واحِدٌ مِنْكُمْ واطِّلاعُهُ على أحْوالِهِم إلى آخِرِه

عِنْدَما كانَ الشَّاهُ مَحْمود يَطوفُ وَحيداً في اللَّيْل، التقى بِجَماعَةٍ مِنَ اللُّصُوص؛
قالُوا لَهُ مَنْ تَكُونُ أَي أبا الوفاء، قالَ المَلِكُ أنا واحِدٌ مِنْكُم أَيْضاً؛
قالَ واحِدٌ أَيْ جَماعَةً مَذْهَبُها المَكْر، فَلْيُحَدِّثْ كُلُّ واحِدٍ مِنْكُمْ بِما يَعْرِف؛
فَلْيَقُلْ للرِّفاقِ في السَّمَر، ما الَّذي يَمْلِكُ في الجِبِلَّةِ مِنَ الفَنّ؛
ذاكَ واحِدٌ قالَ أَيْ جَماعَةً تُفاخِرُ، أنا خَاصِّيَّتي تكُونُ في أُذُني؛
أنا أَعْرِفُ ما يَقُولُ الكَلْبُ في النُّباح، قالَ لَهُ القَوْمُ دانِقانِ مِنْ دِينار؛
ذاكَ واحِدٌ قالَ أَيْ جَماعَةً تَعْبُدُ الذَّهَب، جُمْلَةُ خاصِّيَّتي تَكُونُ في العَيْن؛
كُلُّ ما أراهُ في القافِلَةِ في اللَّيْل، أعْرِفُهُ في النَّهارِ بِلا ارْتِياب؛
وقالَ واحِدٌ خَاصِّيَّتي في عَضُدي، أنا أُحْدِثُ الثُّقُوبَ بِقُوَّةِ يَدي؛
وَقالَ واحِدٌ خاصِّيَّتي في أَنْفِي، مَزِيَّتي أنْ أَشُمَّ الرَّائِحَةَ في التُّراب؛
سِرُّ *النَّاسُ مَعادِنٌ* مُلْكُ يَدِي، وَمِنْ أَجْلِ أَيِّ شَيْءٍ قالَ الرَّسُولُ ذاك؛
أنا مِنْ تُرابِ البَدَنِ أَعْلَمُ كَمْ مِنَ النَّقْد، يَمْلِكُ ذلِكَ البَدَنُ وَأَيَّ مَنْجَمٍ يَمْتَلِك؛

في واحِدٍ مَنْجَمٌ للذَّهَبِ بِهِ بلا حَدٍّ دَرْج، وذاكَ واحِدٌ دَخْلُهُ أَقَلُّ مِنَ الخَرْج؛
أَشُمُّ مِثْلَ المَجْنُونِ العَبيرَ مِنَ التُّراب، فَأَعْرِفُ تُرابَ ليلى بلا خَطَأ؛
أَشُمُّ عَبيرَ كُلِّ قَميصٍ وَأَعْرِفُه، أكانَ لِيُوسُفَ أمْ كانَ للشَّيْطان؛
مِثْلَ أَحْمَدَ الَّذي وَجَدَ العَبيرَ مِنَ اليَمَن، لَقَدْ وَجَدَ أَنْفي هذا نَصيباً مِنْ ذاك؛
وأَيُّ تُرابٍ كانَ للذَّهَبِ مُجاوِراً ، وَأَيُّ تُرابٍ كانَ صِفْراً وَأَبْتَراً؛
قالَ واحِدٌ في قَبْضَتي خاصِّيَّةٌ جَمِيْلَةٌ، فَأنا أرمي الحِبالَةَ بِطُولِ جَبَل؛
مِثْلَ أَحْمَدَ الَّذي رَمَتْ رُوحُهُ الحِبالَة، فَحَمَلَتْهُ حِبالَتُهُ جِهَةَ السَّماء؛
قالَ لَهُ الحَقُّ أَي رامِيَ حِبالَةِ البَيْت، ذاكَ مِنِّي اعْلَمْ *ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْت*؛
ثُمَّ سَأَلُوا ذلِكَ المَلِكَ أنْ أَيْ سَنَد، أَيْنَ تَكُونُ الخاصِّيَّةُ الَّتي تَمْلِك؛
قالَ إنَّ خاصِّيَّتي تَكُونُ في لِحْيَتي، فأنا بِها أُحَرِّرُ المُجْرِمِيْنَ مِنَ النِّقَم؛
عِنْدَما يُسَلِّمُونَ المُجْرِمِيْنَ للجَلَّادِيْن، إذا قُمْتُ بِتَحْريكِ لِحْيَتي يُطْلِقُونَهُم؛
إذا قُمْتُ بِتَحْريكِ لِحْيَتي للرَّحْمَة، يَطْوُونَ ذلِكَ القَتْلَ وذلِكَ الإيْذاء؛
قالَ لَهُ القَوْمُ أنتَ إذَنْ قُطْبُنا، أنتَ صِرْتَ خلاصَ يَومِ مِحْنَتِنا؛
بَعْدَ ذلِكَ خَرَجُوا جَميعاً مَعاً، واتَّجَهُوا إلى قَصْرِ ذلِكَ المَلِكِ المَيْمُون؛
عِنْدَما نَبَحَ كَلْبٌ مِنْ جِهَةِ اليمين، قالَ ذُو الأُذُنِ إنَّهُ يَقُولُ إنَّ المَلِكَ مَعَكُم؛
ثُمَّ شَمَّ ذاكَ الآخَرُ التُّرابَ مِنْ تَلٍّ، قالَ هذا مِنْ مَنْزِلِ أَرْمَلَة؛
ثُمَّ أَلْقى الحَبْلَ أُسْتاذُ الحَبْل، لِيَتَسَلَّقُوا بِهِ ذاكَ الجِدارَ العالي؛
وَحِيْنَ شَمَّ التُّرابَ مِنْ ذاكَ المكانِ الآخَر، قالَ هذا تُرابُ مَخْزَنِ مَلِكٍ فَريد؛
ثَقَبَ الثَّاقِبُ ثُقْباً وَوَصَلَ للمَخْزَن، وَكُلُّ واحِدٍ حَمَلَ مِنَ المَخْزَنِ أَمْتِعَةً؛
مِنْ ذَهَبٍ وَثِيابٍ مُطَرَّزَةٍ وجواهِرَ عَظيمةٍ، حَمَلَ القَوْمُ الكَثيرَ وأَخْفَوْهُ مُسْرِعِيْن؛
وَقَدْ رأى المَلِكُ منازِلَهُمْ بِالعَيْن، جَلِيَّةً وَعَرِفَ أَسْماءَهُم وَملاجِئَهُمْ وَطُرُقَهُم؛
سَرَقَ النَّفْسَ مِنْهُمْ وعادَ راجِعاً، وفي النَّهارِ في الدِّيْوانِ ذكَرَ ما جَرى؛

فَجرى الأعْوانُ مُسْرِعِيْنَ وهائجين، إلى أنْ أَمْسَكُوا باللُّصُوصِ وَقَيَّدُوهُم؛
وجاؤوا بِهِمْ مُقَيَّدي الأَيْدِي إلى الدِّيوان، يَرْتَعِدُونَ خَوْفاً على أرواحِهِم؛
عِنْدَما وَقَفُوا أمامَ كُرْسِيّ المَلِك، ذلِكَ المَلِكِ كالقَمَرِ الَّذي كانَ نَدِيْمَ لَيْلِهِم؛
ذاكَ الَّذي كُلُّ مَنْ رآهُ في اللَّيْل، ورآهُ في النَّهارِ عَرِفَهُ بلا شَكّ؛
رأى المَلِكَ على التَّخْتِ قالَ إنَّ هذا، كانَ مَعَنا لَيْلَةَ الأمْسِ سارِقاً وَقَريناً؛
إنَّهُ ذاكَ الَّذي لَهُ في اللِّحْيَةِ خَواصُّ عَديدَةٌ، إنَّ الإمساكَ بنا كانَ مِنْ تَجَسُّسِه؛
لَقَدْ عَرِفَتْ عَيْنُهُ الشَّاهَ لا جَرَم، فَتَحَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ الشَّفَةَ مَعَ الحَشَم؛
قالَ وَهُوَ مَعَكُم كانَ هذا المَلِك، كانَ يرى فِعْلَنا وَيَسْمَعُ سِرَّنا؛
عَيني كانَتْ تُراقِبُ لَيْلاً وَعَرِفَتِ الشَّاه، كانَتْ كُلَّ اللَّيْلِ في عِشْقِ وَجْهِهِ كالقَمَر؛
أنا طالِبُ أمني مِنْهُ فإنَّهُ، لا يُدِيْرُ أَبَداً عَنْ عارِفِهِ الوَجْه؛
عَيْنُ العارِفِ اعْلَمْ أمانُ الكَون، بِها وَجَدَ كُلُّ مِقْدامٍ العَون؛
مِنْ ذاكَ كانَ مُحَمَّدُ شافِعَ كُلِّ غَمٍّ شَديد، لا تَزيغُ عَيْنُهُ إلَّا عَمَّا سِوى الحَقّ؛
في لَيْلِ الدُّنيا إذِ الشَّمْسُ مَحَجُوبَةٌ، كانَ ناظِرَ الحَقِّ وكانَ آمِلَه؛
عَيْناهُ وَجَدَتا الكُحْلَ مِنْ *أَلَمْ نَشْرَحْ*، لَقَدْ رأى ذاكَ الَّذي لَمْ يَحْتَمِلْهُ جِبْريل؛
كُحْلُ الحَقِّ لَمَّا كَحَّلَ اليَتيم، صارَ الدُّرَّ الرَّشيْدَ واليتيم؛
صارَ نُورُهُ غالِباً على الدُّرَر، وصارَ طالِباً لِمِثْلِ ذاكَ المَطْلُوب؛
تكونُ مقاماتُ العِبادِ عِنْدَهُ في النَّظَر، لا جَرَمَ وَضَعَ لَهُ اللهُ اِسْمَ *شاهِد*؛
آلَةُ الشَّاهِدِ اللِّسانُ والنَّظَرُ الحادّ، مِنْ قيامِهِ في اللَّيْلِ ما لِسِرٍّ مَهْرَب؛
وَلَو أُلُوفُ المُدَّعِيْنَ رَفَعُوا الرَّأْس، أُذُنُ القاضِي تَتَّجِهُ إلى الشَّاهِد؛
القُضاةُ لَهُمْ في الحُكُومَةِ هذا الفَنّ، الشَّاهِدُ هُوَ العَيْنانِ المُضِيْئَتانِ لَهُم؛
قَولُ الشَّاهِدِ مِنْ ذاكَ في مَحَلِّ النَّظَر، فَهُوَ في النَّظَرِ رأى السِّرَّ بلا غَرَض؛
والمُدَّعِي أَيْضاً رآهُ ولكِنْ بِغَرَض، والغَرَضُ حِجابٌ على عَيْنِ القَلْب؛

الحَقُّ يُرِيدُكَ أنْ تَكُونَ زاهِداً، كَيْ تَتْرُكَ الغَرَضَ وَتَصِيْرَ شاهِداً؛
فإنَّ هذِهِ الأَغْراضَ حُجُبُ النَّظَر، هِيَ مِثْلُ الحُجُبِ المُرْخاةِ على النَّظَر؛
لا يرى الأشْياءَ مِنْ طَمٍّ وَرِمٍّ حُبُّكَ الأَشْياءَ يُعْمِي وَيُصِمّ
عِنْدَما وَضَعَتِ الشَّمْسُ في قَلْبِهِ نُوراً ، لَمْ يَبْقَ للفَلَكِ عِنْدَهُ قِيْمَة؛
فَرَأى مِنْ دُونِ حِجابِ الأَسْرار، وَسَيْرَ أرواحِ المُؤمِنينَ والكُفَّار؛
في أَرْضِ الحَقِّ وفي الفَلَكِ السَّمِيّ، لَيْسَ شَيْءٌ أَخْفى مِنْ رُوحِ الآدَمِيّ؛
دَعِ الرَّطْبَ واليابِسَ فالحَقُّ طَوى الرُّوح، وَخَتَمَ عَلَيْها بِخَتْمِ *مِنْ أَمْرِ رَبِّي*؛
ما دامَتْ عَيْنُ العَزيزِ رَأَتْ تِلْكَ الرُّوحَ، لَمْ يَعُدْ مَخْفِيَّاً لَها أَيُّ شَيْء؛
تَصيرُ الشَّاهِدَ المُطْلَقَ في كُلِّ نِزاع، ويكْسِرُ قَولُها خُمارَ كُلِّ صُداع؛
اِسْمُ الحَقِّ العَدْلُ واسْمُهُ الشَّاهِد، فالشَّاهِدُ العَدْلُ مِنْ هذا عَيْنُ الحَبيب؛
القَلْبُ مَنْظَرُ الحَقِّ في الدَّارَيْن، نَظَرُ المَلِكِ يَجِيْءُ للشَّاهِد؛
عِشْقُ الحَقِّ وَسِرُّ الشَّاهِدِ لُعْبَتُه، هِيَ أَساسُ كُلِّ صِنْعَةِ الحُجُبِ مِنْه؛
إذَنْ *لَولاكَ* تِلْكَ الَّتي قالَ في اللِّقا، في لَيْلَةِ المِعْراجِ هِيَ شاهِدٌ للباز؛
هذا القضاءُ الحاكِمُ على الحَسَنِ والسَّيِّئ، على قَضاءِ الشَّاهِدِ لا الحاكِمِ يَبْني؛
صارَ أميرُ القَضا أَسِيْرَ ذاكَ القَضا، هَنيئاً لَكِ النُّعْمى يا عَيْنَ المُرْتَضى؛
العارِفُ طَلَبَ مِنَ المَعْرُوفِ كثيراً، أنْ أَيْ رَقِيْبَنا في الحَرِّ والقَرّ؛
أي مُشِيْرَنا في الخَيْرِ والشَّرّ، مِنْ إشاراتِكَ قَلْبُنا بلا خَبَر؛
أَيْ *يرانا ولا نراهُ* النَّهارَ واللَّيْل، صارَتْ رُؤْيَةُ السَّبَبِ رِباطاً لِعَيْنِنا؛
لُطْفُ مَعْرُوفِكَ كانَ ذاكَ أَيْ بَهِيّ، فَكَمالُ البِرِّ في إتمامِهِ؛
يا رَبِّ أَتْمِمْ نُورَنا في السَّاهِرَه ، أنْجِنا مِنْ مُفْضِحاتٍ قاهِرَه؛
لا تَجْعَلْ صَدِيْقَ اللَّيْلَ مَهْجُورَ النَّهار، ولا تُبْعِدِ الرُّوحَ الَّتي رَأَتْ قُرْبَك؛
بُعْدُكَ المَوْتُ مَعَ الألَمِ والنَّكال، خاصَّةً بُعْدٌ كانَ بَعْدَ الوِصال؛

ذاكَ الَّذي رآكَ لا تَجْعَلْ غَيْرَ مَنْظُور، اسْقِ بالماءِ خُضْرَتَهُ النَّامِيَة؛
أنا لَمْ أَسِرْ *بلا أُبالي* في المَسير، فلا تَعْمَلْ *بلا أُبالي* عِنْدَ لَسْعَةِ الأَلَم؛
ألا لا تُبْعِدْهُ عَنْ وَجْهِكَ بَعيْداً، ما دامَ رأى وَجْهَكَ ذاكَ مَرَّةً واحِدَة؛
رُؤيَةُ وَجْهِ غَيْرِكَ صارَتْ غُلَّ حَلْق، كُلُّ شَيْءٍ ما سِوى اللهِ باطِل؛
باطِلُونَ وَيُظْهِرُونَ الرَّشَد، ذلِكَ أَنَّ الباطِلَ يَجْذِبُ الباطِلِيْن؛
كُلُّ ما في الأَرْضِ والسَّماءِ ذَرَّةً ذَرَّةً، كُلُّ شَيْءٍ يَجْذِبُ جِنْسَ نَفْسِهِ كالكَهْرَباء؛
المَعِدَةُ تَجْذِبُ الخُبْزَ إلى المُسْتَقَر، وَحَرارَةُ الكَبِدِ تَجْذِبُ الماء؛
العَيْنُ مِنَ الطُّرُقاتِ جَذّابُ الحِسان، والمُخُّ باحِثٌ عَنْ رَوائِحِ البُسْتان؛
ذلِكَ أنَّ حِسَّ العَيْنِ جاءَ جاذِباً لِلَّون، والمُخُّ والأَنْفُ يَجْذِبانِ الرَّوائِحِ الطَّيِّبَة؛
أيْ اللهُ عالِمُ السِّرِّ مِنْ هذِهِ الجاذِبيَّات، أَعْطِنا بِجَذْبِ لُطْفِكَ الأمان؛
أنتَ غالِبٌ على الجاذِبينَ أَيْ مُشْتَري، لائقٌ أنَّكَ العاجِزينَ تَشْتَري؛
ذاكَ الَّذي كانَ في لَيْلَةِ قَدْرِ ذلِكَ البَدْر، وَجَّهَ الوَجْهَ للمَلِكِ كالظَّامِئِ للغَيْم؛
بِما أَنَّهُ كانَ يَمْلِكُ لِسانَهُ وَرُوحَه، ما كانَ يَمْلِكُ كانَ مَعَهُ قائلاً جَسُوراً؛
قالَ نَحْنُ صِرْنا كالرُّوحِ في قَيْدِ الطِّيْن، أنتَ شَمْسُ الرُّوحِ في يَومِ الدِّيْن؛
حانَ الوَقْتُ أَيُّها المَلِكُ مَكْتُومُ السِّرِّ، كَيْ تُحَرِّكَ مِنَ الكَرَمِ اللِّحْيَةَ بالخَيْر؛
لَقَدْ أظْهَرَ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا خاصِّيَّتَهُ، وتِلْكَ الخَواصُّ جَميعاً زادَتِ الشَّقاء؛
خَواصُّنا تِلْكَ قَيَّدَتْ رِقابَنا، مِنْ تِلْكَ المَناصِبِ نَحْنُ مَنْكُوسُونَ وَأَذِلّاء؛
ذاكَ الفَنُّ في جِيْدِنا حَبْلُ مَسَد، يَوْمَ المَوْتِ ما مِنْ تِلْكَ الفُنُونِ مَدَد؛
إلَّا مِنْ خاصِّيَّةِ ذاكَ الحَسَنِ الحَواسّ، الَّذي عَرِفَتْ عَيْنُهُ في اللَّيْلِ السُّلْطان؛
كانَتْ تِلْكَ الفُنُونُ جَميعاً غُولَ طَريق، غَيْرَ عَيْنٍ كانَتْ عارِفَةً بالمَلِك؛
استَحيى المَلِكُ مِنْهُ يَومَ الرُّخْصَة، فَقَدْ كانَ نَظَرَ في اللَّيْلِ إلى وَجْهِ المَلِك؛
ذاكَ الكَلْبُ العارِفُ بِمَلِكِ الوِداد، يَجِبُ أنْ يُعْطى لَقَبَ كَلْبِ الكَهْف؛

وَذو خاصِّيَّةِ الأُذُنِ كانَ حَسَناً أَيْضاً، فَهُوَ مِنْ نُباحِ الكَلْبِ صارَ عارِفاً بالأَسَد؛
الكَلْبُ بِما هُوَ ساهِرٌ في اللَّيْلِ كالحارِس، لا يكُونُ جاهِلاً بِقِيامِ المُلُوكِ لَيْلاً؛
مِنْ سَيّئِي الاِسْمِ لا يَجِبُ الشُّعُورُ بالعار، يَجِبُ تَكْليفُ الوَعْيِ بِفَحْصِ أَسرارِهِم؛
مَنْ صارَ سَيِّئَ السُّمْعَةِ لِمَرَّةٍ واحِدَة، لا ينبغي لَهُ طَلَبُ السُّمْعَةِ والكَونُ خاصَّاً؛
أي كَمْ مِنَ الذَّهَبِ سُوِّدَ بالدُّخان، حَتَّى يَصِيْرَ آمِناً مِنَ السَّلْبِ والضَّرَر؛

قِصَّةُ ذلِكَ الثَّورِ البَحْرِيّ الَّذي أَخْرَجَ جَوْهَرَةً مُضِيْئَةً مِنْ قَعْرِ البَحْرِ في اللَّيْل ، وَوَضَعَها على ساحِلِ البَحْر وصارَ يَرْعى في ضِيائِها وَإِشْعاعِها، والتَّاجِرِ الَّذي خَرَجَ مِنْ مَكْمَنِهِ حِيْنَ كانَ الثَّورُ قَدِ ابتَعَدَ عَنِ الجَوْهَرَة حيثُ غَطَّى التَّاجِرُ الجَوْهَرَةَ بالتُّرابِ والطِّيْنِ الأَسْوَد ، وَهَرَبَ إلى شَجَرَةٍ إلى آخرِ القِصَّةِ

أَخْرَجَ ثَورُ الماءِ جَوْهَرَةً مِنَ البَحْر، وَضَعَها في المَرْجِ وراحَ يَرْعى حَوْلَها؛
ثَورُ الماءِ في شُعاعِ نُورِ الجَوْهَرَة، يَرْعى مُسْرِعاً مِنَ السُّنْبُلِ والسَّوْسَن؛
فُضُلاتُ ثَورِ الماءِ مِنْ ذاكَ عَنْبَرٌ، إذْ غِذاؤُهُ النَّرْجِسُ والنِّيْلُوفر؛
كُلُّ مَنْ كانَ قُوتُهُ مِنْ نُورِ الجَلال، كَيْفَ لا يَطْلُعُ مِنْ شَفَتِهِ السِّحْرُ الحلال؛
كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ كالنَّحْلِ مِنَ الوَحْيِ نَقْل، كَيْفَ لا يَكُونُ بَيْتُهُ مَمْلُوءاً مِنَ العَسَل؛
يَرْعى مِنْ نُورِ الجَوْهَرَةِ ذلِكَ الثَّور، فَجْأَةً صارَ بَعِيْداً عَنِ الجَوْهَرَة؛
وَضَعَ تاجِرٌ على الدُّرِّ طِيْناً أَسْوَداً، فَصارَ مُظْلِماً المَرْجُ والمَرْعى الأَخْضَر؛
ثُمَّ هَرَبَ الرَّجُلُ التَّاجِرُ إلى شَجَرَةٍ، والثَّورُ يَبْحَثُ عَنْهُ بِقَرْنِهِ الصَّلْب؛
عِشْرينَ مَرَّةً دارَ ذلِكَ الثَّوْرُ حَوْلَ المَرْج، لِيُدْرِجَ قَرْنَيْهِ في ذلِكَ الخَصْم؛
حِيْنَ صارَ يائساً مِنْهُ ذلِكَ الثَّور، جاءَ إلى حَيْثُ كانَ وَضَعَ تِلْكَ الجَوْهَرَة؛

فَرأى الطِّيْنَ فَوْقَ ذلِكَ الدُّرِ المَلَكِيّ، فَفَرَّ مِنَ الطِّيْنِ كما يَفِرُّ إبليس؛
إبليسُ عَمًّا في الطِّيْنِ أَعمى وَأَصَمّ، مَتى يَعْرِفُ الثَّورُ أنَّ في الطِّيْنِ جَوهَرَة؛
اهْبِطُوا أَلْقَتِ الرُّوحَ في الحَضِيْض، وَحَرَمَتْ مِنَ الصَّلاةِ ذاتَ المَحِيْض؛
أَيْ رِفاقُ مِنْ هذا القِيْلِ وذاكَ المَقال، اِتَّقُوا إنَّ الهَوى حَيْضُ الرِّجال؛
اهْبِطُوا أَلْقَتِ الرُّوحَ في البَدَن، لِيَصِيْرَ مَخْفِيَّاً في الطِّيْنِ دُرُّ عَدَن؛
يَعْرِفُهُ التَّاجِرُ ولا يَعْرِفُهُ الثَّور، يَعْرِفُهُ أَهْلُ القُلُوبِ لا كُلُّ باحِثٍ في الطِّيْن؛
كُلُّ طِيْنٍ كانَ في داخِلِهِ جَوْهَر، جَوْهَرُهُ يَشِي بِطِيْنٍ آخَر؛
ذاكَ الطِّيْنُ الَّذي لَمْ يَرُشَّهُ الحَقُّ بالنُّور، لَمْ يَحْتَمِلْ صُحْبَةَ الطِّيْنِ المَمْلُوءِ بالدُّرّ؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وَفَأْرُنا، على ضِفَّةَ النَّهْرِ بانتِظارِنا؛

رُجُوع إلى قِصَّةِ طَلَبِ ذلِكَ الفَأْرِ لِذلِكَ الضِّفْدَعِ مِنْ على شَفَةِ النَّهْر وَسَحْبِهِ لِرَأْسِ الخَيْط حَتَّى يَصِيْرَ للضِّفْدَعِ في الماءِ خَبَرٌ بِطَلَبِه

ذاكَ المُخالَطُ بالعِشْقِ يَسْحَبُ الحَبْل، على أَمَلِ وُصُولِ الضِّفْدَعِ الرَّشيد؛
يَدُورُ حَوْلَ خَيْطِ القَلْبِ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ، أنْ رَأْسُ الخَيْطِ في يَدِي أَتَيْتُ بِه؛
القَلْبُ والرُّوحُ في الشُّهُودِ مِثْلُ خَيْط، حَتَّى يُظْهِرَ طَرَفُ الخَيْطِ لِيَ الوَجْه؛
وَجاءَ غُرابُ البَيْنِ فَجْأَةً، لِصَيْدِ الفَأْرِ وَحَمْلِهِ مِنْ ذلِكَ المكان؛
حِيْنَ رَفَعَ الغُرابُ الفَأْرَ في الهَواء، سَحَبَ الضِّفْدَعَ أَيْضاً مِنْ قَعْرِ الماء؛
الفَأْرُ في مِنْقارِ الغُرابِ كما أنَّ الضِّفْدَعَ، مُعَلَّقٌ في الهَواءِ والقَدَمُ في الرَّتَم؛
قالَ الخَلْقُ: الغُرابُ مِنَ المَكْرِ والكَيْد، كَيْفَ صادَ ضِفْدَعَ الماءِ، أَيُّ صَيْد؛
كَيْفَ خَطَفَهُ كَيْفَ نَزَلَ في الماءِ الغُراب، متى كانَ ضِفْدَعُ الماءِ صَيْدَ الغُراب؛

قالَ الضِّفْدَعُ هذا جَزاءُ شَخْصٍ، ارْتَبَطَ بالأخِسَّاءِ فِعْلَ مَنْ هُمْ بلا حياء؛
واغَوثاهُ واغَوثاهُ مِنْ صَديقٍ خَسيس، أَيُّها السَّادَةُ ابْحَثُوا عَنْ جَليسٍ حَسَن؛
العَقْلُ يَصْرُخُ مِنَ النَّفْسِ المَليئَةِ بالعُيُوب،كأنَّها أنْفٌ قَبيحٌ على الوَجْهِ الجَمِيْل؛
يَقُولُ العَقْلُ للنَّفْسِ : الجِنْسِيَّةُ باليَقِيْن، مِنْ طَريقِ المَعْنى لا مِنَ الماءِ والطِّيْن؛
ألا لا تَكُنْ عابِدَ الصُّوْرَةِ ولا تَقُلْ هذا، لا تَبْحَثْ عَنِ سِرِّ الجِنْسِيَّةِ في الصُّورَة؛
الصُّورَةُ تَجِيْءُ كالجَمادِ وكالحَجَر، ما للجامِدِ عَنِ الجِنْسِيَّةِ خَبَر؛
الرُّوحُ كالنَّمْلَةِ والبَدَنُ كالقَمْحَة، تَسْحَبُها مِنْ جِهَةٍ إلى جِهَةٍ كُلَّ لَحْظَة؛
النَّمْلَةُ تَعْلَمُ أنَّ الحَبَّ المُرْتَهَن، سَيَتَحَوَّلُ وَيَصِيْرُ مِنْ جِنْسِ البَدَن؛
نَمْلَةٌ أمْسَكَتْ مِنَ الطَّريقِ بِحَبَّةِ شَعِيْر، وَنَمْلَةٌ أُخْرى أمْسَكَتْ بِحَبَّةِ قَمْحٍ وَجَرَتْ؛
الشَّعِيْرَةُ لا تُسْرِعُ إلى القَمْحَةِ ولكِنْ، النَّمْلَةُ إلى النَّمْلَةِ تَجِيْءُ مُسْرِعَة؛
مَجيءُ الشَّعِيْرِ إلى القَمْحِ تابِع، والنَّمْلُ إلى جِنْسِهِ راجِع؛
لا تَقُلْ لِمَ ذَهَبَتِ القَمْحَةُ إلى الشَّعِيْرَة، ضَعِ العَيْنَ على الخَصْمِ لا على الرَّهِيْنَة؛
النَّمْلَةُ السَّوداءُ على البِساطِ الأَسْوَدِ خافِيَة، تَقَدَّمُ في الطَّريقِ وَهُناكَ حَبَّةٌ ظاهِرَة؛
يَقُولُ العَقْلُ للعَيْنِ انْظُري جَيِّداً، متى كانَ للحَبَّةِ أنْ تَسِيْرَ بلا حامِلٍ يَحْمِلُها؛
لِهذا السَّبَبِ جاءِ للأَصْحابِ الكَلْب، فالحُبُوبُ صُوَرٌ والنَّمْلَةُ هِيَ القَلْب؛
بِذاكَ صارَ عِيْسى إلى مُطَهَّري الفَلَك، أَقْفاصٌ مُخْتَلِفَةٌ والفِراخُ مِنْ جِنْسٍ واحِد؛
هذا القَفَصُ ظاهِرٌ وَفِرْخُهُ خَفِيّ، بلا حامِلٍ للقَفَصِ متى يسيرُ القَفَص؛
سَعِدَ نَظَرٌ العَقْلُ عَلَيْهِ أَمِيْر، ناظِرٌ للعاقِبَةِ وعالِمٌ وَقَرير؛
خُذْ مِنَ العَقْلِ التَّفْريقَ بَيْنَ القَبيحِ والجَميل، لا مِنْ عَيْنٍ تَقُولُ أَسْوَدٌ وأَبْيَض؛
العَيْنُ مَغْرُورَةٌ بِخَضْراءِ الدِّمَن، العَقْلُ يَقُولُ ضَعِيْها على مَحَكِّنا؛
آفَةُ الطَّيْرِ العَيْنُ ناظِرَةُ الرَّغْبَة، مَخْلَصُ الطَّيْرِ العَقْلُ ناظِرُ الشَّبَكَة؛
وهُناكَ شَبَكَةٌ أُخْرى لَمْ يَجِدْها العَقْل، فَلْتَرَ الوَحْيَ الغائِبَ فَمِنْهُ أَسْرَعَ هذِهِ الجِهَة؛

يُفَرّقُ بَيْنَ الجِنْسِ وَغَيْرِ جِنْسِهِ العَقْل، لا يَنْبَغِي الهُجُومُ سَريعاً نَحْوَ الصُّوَر؛
لَيْسَتِ الجِنْسِيَّةُ بالصُّوْرَةِ لي وَلَك، عِيْسى جاءَ بَشَراً وَهُوَ مِنْ جِنْسِ المَلَك؛
سَحَبَهُ فَوْقَ هذا السُّوْرِ النِّيْلِيّ، كالغُرابِ وَضِفْدَعِهِ طائرُ الفَلَك؛

قِصَّةُ عَبْدِ الغَوْث واخْتِطافُ الجِنّ لَهُ وَسَكَنُهُ بَيْنَ الجِنّ لِسِنِين وَمَجِيْئُهُ بَعْدَ سِنِيْنَ إلى مَدِيْنَتِهِ وَوَلَدِه ، ثُمَّ عَدَمُ تَعَجُّبِهِ بَعْدَ ذلِكَ مِنْ أولئكَ الجِنّ بِحُكْمِ جِنْسِيَّةِ المَعْنى وائتِلافِ قَلْبِهِ مَعَهُم

كانَ عَبْدُ الغَوْثِ مِنْ جِنْسِ الجِنّ، تِسْعَ سِنينَ يَطِيْرُ في الخَفاءِ مِثْلَ جِنِّيّ؛
وَصارَ لِزَوْجَتِهِ نَسْلٌ مِنْ زَوْجٍ آخَر، وَيتاماهُ أولئكَ يتسامَرُونَ عِنْ مَوْته؛
أنْ هاجَمَهُ ذِئْبٌ أو قاطِعُ طَرِيق، أو وَقَعَ في بِئْرٍ أو وَقَعَ في كَمِيْن؛
أَبْناؤهُ جَمِيعاً سَكْرى في الأَشْغال، لا يَذْكُرُونَ أباهُمْ ولا يقُولُونَ كانَ لَنا أَب؛
بَعْدَ تِسْعِ سِنينَ جاءَ لكِنْ كالعارِيَه، ظَهَرَتْ ثُمَّ صارَتْ مِنْ جَدِيْدٍ مُتَوارِيَه؛
كانَ ضَيْفاً على أولادِهِ لِمُدَّةِ شَهْر، وَمِنْ بَعْدِ ذلِكَ لَمْ يَرَ شَخْصٌ مِنْهُ لَوناً؛
خَطَفَهُ مَنْ هُمْ مِنْ جِنْسِهِ مِنَ الجان، كما يَخْطِفُ الرُّوحَ طَعْنُ السِّنان؛
وَلَمَّا كانَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ جِنْسِ الجَنَّةِ، فالمُؤمِنُ صارَ عابِداً للهِ مِنَ الجِنْسِيَّة؛
أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ أنَّ الجُودَ والمَحْمَدَة، غُصْنانِ مِنَ الجَنَّةِ جاءا للدُّنيا؛
اعْتَبِرْ كُلَّ أنواعِ الرَّحْمَةِ جِنْسَ الرَّحْمَة، واعْرِفْ كُلَّ أنواعِ القَهْرِ جِنْسَ القَهْر؛
الجَسُورُ يَجِيْءُ بالجَسُورِ مَعَهُ، لأَنَّهُما في العَقْلِ مِنْ جِنْسٍ واحِد؛
وَكانَتِ الجِنْسِيَّةُ في إدريسَ مِنَ النُّجُوم، ثَمانِيَ سِنينَ كانَ مَعَ زُحَلَ في قُدُوم؛
رَفيقاً لَهُ في المَشارِقِ والمَغارِب، صاحِبَ حَدِيثِهِ وَمُحْرِمَ أَسْرارِه؛

بَعْدَ الغَيْبَةِ حِيْنَ قَدِمَ إلى الأرْض، صارَ يَقْرَأُ في الأرْضِ دَرْسَ النُّجُوم؛
النُّجُومُ اصْطَفَّتْ أمامَهُ حَسَناً، الكواكِبُ في دَرْسِهِ كانَتْ حاضِرَة؛
كانَ الخَلْقُ يَسْمَعُونَ صَوتَ النُّجُوم، الخاصُّ والعامُّ كانَ يَسْمَعُ ذلِك؛
جَذْبُ الجِنْسِيَّةِ جَذَبَ النُّجُوم، إلى الأرْضِ وَجَعَلَها أمامَهُ مُبِيْنَة؛
كُلُّ نَجْمٍ يَقُولُ اسْمَهُ وأحْوالَهُ، يَقُولُ شَرْحَ الرَّصَدِ قُدَّامَهُ؛
الجِنْسِيَّةُ هِيَ وَحْدَةُ نَوْعِ النَّظَر، بِها يَجِدُ الواحِدُ الطَّرِيقَ للآخَر؛
ذاكَ النَّظَرُ الَّذي أخْفاهُ الحَقُّ فيه، إذا وَضَعَهُ فيكَ صِرْتَ مِنْ جِنْسِه؛
يَسْحَبُ البَدَنَ إلى كُلِّ جِهَةٍ النَّظَر، كما يَسْحَبُ غَيْرَ ذي الخَبَرِ ذُو الخَبَر؛
إذا وَضَعَ في الرَّجُلِ طَبْعَ المَرْأة، صارَ مُخَنَّثاً وَأَعْطى الدُّبُر؛
وإذا وَضَعَ اللهُ في المَرْأَةِ طَبْعَ الذَّكَر، تَصِيْرُ طالِبَةً للمَرْأَةِ تِلْكَ المُتَرَجِّلَة؛
إذا وَضَعَ فيكَ صِفاتِ جَبرائيل، صِرْتَ كالفَرْخِ تَطْلُبُ في الهَواءِ السَّبيل؛
مُنْتَظِراً جاعِلاً نَظَرَكَ في الهَواء، غَرِيباً عَنِ الأرْضِ عاشِقاً للسَّماء؛
وإذا وَضَعَ فِيْكَ صِفاتِ الحِمار، تَطيرُ للإسْطَبْلِ وَلَو كانَ لَكَ مِئَةُ جَناح؛
الفَأْرُ لا تَجِيْئُهُ الضَّعَةُ مِنْ قِبَلِ الصُّورة، هُوَ مِنَ الخُبْثِ صارَ فَرِيسَةً للقِطّ؛
طالِبُ طَعامٍ وخائِنٌ وعابِدُ ظُلْمَةٍ، سَكْرانُ بالجُبْنِ والفُسْتُقِ والدِّبْس؛
حِيْنَ يَكُونُ للبازِ الأَشْهَبِ طَبْعُ الفَأْر، يَكُونُ عارَ الفِئْرانِ وعارَ الوُحُوش؛
طَبْعُ *هارُوتَ ومارُوتَ* أَيْ وَلَد، كَيْفَ تَحَوَّلَ وأُعْطِيا طَبْعَ البَشَر؛
فَسَقَطا مِنْ *إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّون*، إلى بِئْرِ بابِلَ مَنْكُوسَيْنِ مُقَيَّدَيْن؛
صارَ اللَّوحُ المَحْفُوظُ عَنْ نَظَرِهِما بَعِيْداً، وَصارَ لَوْحُهُما ساحِراً وَمَسْحُوراً؛
الجَناحُ والرَّأْسُ كما كانَا والبَدَنُ كما كان، مُوسى على العَرْشِ وَفِرْعَوْنُ مُهان؛
كُنْ في طَلَبِ الطَّبْعِ واجْلِسْ مَعَ حَسَنِ الطَّبْع، اُنْظُرْ قَبُولَ زَيْتِ الوَرْدِ الطَّبْع؛
تُرابُ القَبْرِ وَجَدَ مِنَ الرَّجُلِ الشَّرَف، فَصارَ مَوضِعاً للقَلْبِ والوَجْهِ والكَفّ؛

التُّرابُ مِنْ جِوارِ الجِسْمِ الطَّاهِر، صارَ مُشَرَّفاً وَصارَ ذا إِقْبال؛
فَقُلْ أَنْتَ أَيْضاً *الجارُ ثُمَّ الدَّار*، إنْ كانَ لَكَ قَلْبٌ اذْهَبْ واطْلُبِ الأَخْيار؛
تُرابُهُ أَيْضاً يَسِيْرُ بِسِيْرَةِ الرُّوح، وَيَصِيْرُ كُحْلاً لِعُيُونِ الأعِزَّاء؛
أيْ كَمْ مِنْ نائمٍ كالتُّرابِ في القَبْر، أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ حَيٍّ بالنَّفْعِ والنَّشْر؛
ظِلُّهُ قُطِعِ وَتُرابُهُ ذُو ظِلّ، مِئَةُ أَلْفِ حَيٍّ بِظِلِّهِ يَسْتَظِلّ؛

قِصَّةُ ذاكَ الرَّجُلِ الَّذي كانَ لَهُ عَطاءٌ مِنْ مُحْتَسِبِ تَبْريز
واقْتَرَضَ قُرُوضاً بِأَمَلِ ذاكَ العَطاء دُونَ أنْ يكُونَ لَهُ الخَبَرُ
بِوَفاةِ المُحْتَسِب، الخُلاصَةُ أَنَّ أَيَّ حَيٍّ لَمْ يَقُمْ بِسَدادِ قَرْضِهِ
وَسَدَّدَهُ ذاكَ المُحْتَسِبُ المُتَوَفَّى، كما قِيْل:
لَيْسَ مَنْ ماتَ فاسْتراحَ بِمَيْتٍ إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحْياءِ

ذاكَ دَرْويشٌ مِنْ أَطْرافِ الدِّيار، جاءَ إلى تَبْريزَ مُرْهَقاً بالدَّيْن؛
كانَ عَلَيْهِ تِسْعَةُ آلافِ ذَهَبِيَّةٍ دَيْناً، بِأَمَلِ أنَّ *بَدْرَ الدِّيْن عُمَرْ* في تَبْريز؛
بَدْرُ الدِّيْن كانَ مُحْتَسِباً بِقَلْبٍ كالبَحْر، على كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ حاتِم؛
لَو كانَ حاتِمُ مَوجُوداً اسْتَجْداه، وَخَضَعَ لَهُ وَصارَ تُراباً لِقَدَمِه؛
لَو أَعْطى للظَّامِئِ البَحْرَ الزُّلال، يَكُونُ خَجِلاً مِنْ ذلِكَ النَّوال؛
وَلَو أنَّهُ جَعَلَ مِنْ ذَرَّةٍ شَمْساً، لكانَ ذاكَ غَيْرَ لائقٍ بِهِمَّتِه؛
على أَمَلِهِ جاءَ ذاكَ الغَريب، إذْ هُوَ للغَريبِ القَريبُ والنَّسِيْب؛
كانَ ذاكَ الغَريبُ مُعْتادَ بابِه، دَفَعَ دُيُوناً لا تُعَدُّ مِنْ عَطائِه؛
لَقَدِ اسْتَدانَ وَظَهْرُهُ إلى ذاكَ الكَرَم، فَقَدْ كانَ الرَّجُلُ واثِقاً بِعَطاياه؛
صارَ مِنْهُ غَيْرَ مُبالٍ يَطْلُبُ القَرْض، على أَمَلِ مَنْ لَهُ طَبْعُ بَحْرِ الإكْرام؛

عَبَسَ الدَّائنُونَ وَهُوَ في البِشْرِ والسَّلام، ضاحِكٌ كالوَرْدِ مِمَّنْ هُوَ رَوْضُ الكِرام؛
مَنْ صارَ ظَهْرُهُ ساخِناً مِنْ شَمْسِ العَرَب، أَيُّ غَمٍّ يُصِيْبُهُ مِنْ سِبالِ أَبي لَهَب؛
بِما أَنَّهُ يَمْلِكُ العَهْدَ والوَصْلَ مَعَ السَّحاب، متى يَجِيْئُهُ الأَسَفُ على سُقاةِ الماء؛
السَّاحِرُونَ الواقِفُونَ على قُدْرَةِ الله، مَتى يُبالُونَ بِهذِهِ الأَيْدِي والأَقْدام؛
الثَّعْلَبُ الَّذي لَهُ مِنَ الأُسُودِ ظَهَيْر، يَكْسِرُ بِقَبْضَةِ يَدِهِ رُؤوسَ النُّمُور؛

مَجيءُ جَعْفَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للاِسْتيلاءِ على قَلْعَةٍ بِمُفْرَدِهِ واسْتِشارَةُ مَلِكِ تِلْكَ القَلْعَةِ في دَفْعِهِ وَقَولُ ذاكَ الوَزير للمَلِك أنْ حَذارِ وَقُمْ بالتَّسْليم ولا تَكُنْ مُتَهَوِّراً مِنَ الجَهْل ، فإنَّ هذا الرَّجُلَ مُؤَيَّدٌ وَلَهُ مِنَ الحَقِّ في الرُّوحِ جَمْعٌ عَظِيْمٌ إلى آخِرِه

عِنْدَما ذَهَبَ جَعْفَرُ نَحْوَ قَلْعَهْ، والقَلْعَةُ عِنْدَ فَمِهِ الظَّامِئِ جُرْعَهْ؛
فارِسٌ واحِدٌ هَجَمَ على القَلْعَةِ في الكَرّ، حَتَّى أَغْلَقُوا بابَ القَلْعَةِ مِنَ الحَذَر؛
وَلَمْ تَكُنْ لأحَدٍ جُرْأَةٌ للمَجِيْءِ للحَرْب، وَأَيَّةُ جُرْأَةٍ لِأَهْلِ السَّفِيْنَةِ مَعَ التِّمْساح؛
وَجَّهَ الوَجْهَ ذاكَ المَلِكُ العَزيزُ للوَزير، أنْ ما هِيَ الحِيْلَةُ الآنَ أَيْ مُشِيْر؛
قالَ الحِيْلَةُ أنْ تَتْرُكَ الكِبْرَ والفَنّ، وَأَنْ تَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بالسَّيْفِ والكَفَن؛
قالَ أخيراً أَلَيْسَ رَجُلاً واحِداً فَرْداً، قالَ لا تَرَ الهَوانَ في كَوْنِ الرَّجُلِ فَرْداً؛
اِفْتَحِ العَيْنَ وانْظُرْ إلى القَلْعَةِ جَيِّداً، إنَّها تَرْتَعِشُ قُدَّامَهُ كالزِّئْبَق؛
وَهُوَ جالِسٌ على السَّرْجِ هكذا مُحْكَمَ القَدَم، كأنَّ الشَّرْقَ والغَرْبَ كِلاهُما مَعَه؛
بِضْعَةُ أَشْخاصٍ هَجَمُوا عَلَيْه، أَلْقَوا بِأَنْفُسِهِمْ أمامَهُ كالفِدائيّين؛
فَضَرَبَ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ ضَرْبَةً بِمَقْمَعَة، وَجَعَلَهُ مُجَنْدَلاً تَحْتَ أَقْدامِ الجَواد؛
صُنْعُ الحَقِّ أَعْطاهُ جَماعَةً، حَتَّى هَجَمَ وَحِيْداً على أُمَّة؛

عِنْدَما رَأَتْ عَيْني وَجْهَ ذاكَ المَلِك، سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِيْ كَثْرَةُ الأعْداد؛
وإنْ تَكُنِ الشَّمْسُ واحِدَةً والنُّجُومُ كَثيرَةً، بُنيانُ النُّجُومِ أمامَها مُنْهَدِم؛
وَلَوْ أنَّ أُلُوفَ الفِئْرانِ أَطْلَعَتِ الرُّؤوس، لا يَكُونُ للقِطِّ مِنْ ذلِكَ خَوْفٌ ولا حَذَر؛
متى تَتَقَدَّمُ إلى الأمامِ الفِئْران، وما بِأَرْواحِها جَماعَةٌ أَيْ فُلان؛
هِيَ جَماعَةٌ مَفْرُوْضَةٌ بالصُّوَر، ألا فاطْلُبْ جَمْعَ المَعْنى مِنَ الباري؛
فلا جَماعَةَ مِنْ كَثْرَةِ الجُسُوم، الجِسْمُ قائِمٌ على الرِّيْحِ كالإِسْم؛
لَوْ أنَّ الجَماعَةَ كانَتْ في قَلْبِ الفَأْر، صارَتْ بِضْعَةُ فِئْرانٍ جَماعَةً مِنَ الحَمِيَّة؛
إذَنْ لَحَمَلَتْ كالفِدائيِّ حَمْلَةً، وَرَمَتْ بِأَنْفُسِها على القِطِّ بلا مَهَل؛
ولاقْتَلَعَ واحِدٌ عَيْنَهُ بالضَّرْب، وَمَزَّقَ آخَرُ أُذُنَهُ بالنَّاب؛
وَلأحْدَثَ ذاكَ الآخَرُ في جَنْبِهِ ثُقْباً، وإذَنْ لَقَلَّ خُرُوجُهُ للخارِجِ مِنَ الجَماعَة؛
لكِنَّ الفَأْرَ لا يَمْلِكُ الجَماعَةَ في الرُّوح، يَفِرُّ الوَعْيُ مِنْ رُوحِهِ مِنْ صَوْتِ القِطّ؛
يَصِيْرُ يابِساً الفَأْرُ مِنْ ذاكَ القِطِّ العَيَّار، وَلَوْ كانَ عَدَدُ الفِئْرانِ مِئَةَ أَلْفاً؛
مِنْ كَثْرَةِ أَعْدادِ القَطِيْعِ ما غَمُّ القَصَّاب، كَثْرَةُ الوَعْيِ هَلْ تَسُدُّ النَّوم؛
مالِكُ المُلْكِ أَعْطى الجَماعَةَ للأسَد، حَتَّى وَثَبَ على رُؤوسِ حُمُرِ الوَحْش؛
مِئاتُ أُلُوفِ حُمُرِ الوَحْشِ القَوِيَّةِ، هِيَ كالعَدَمِ أمامَ صَوْلَةِ الأَسَد؛
مالِكُ المُلْكِ هُوَ الَّذي أَعْطى مُلْكَ الحُسْن، لِيُوسُفَ حَتَّى صارَ كماءِ المُزْن؛
يَضَعُ في وَجْهٍ شُعاعَ كَوْكَبٍ، حَتَّى يَصِيْرَ مَلِكٌ غُلاماً لِبِنْت؛
وَيَضَعُ في وَجْهٍ آخَرَ نُورَهُ، فَيَرى وَسَطَ اللَّيْلِ كُلَّ خَيْرٍ وَشَرّ؛
يُوسُفُ وَمُوسى أخذا مِنَ الحَقِّ النُّور، في الوَجْهِ والجَبينِ وفي ذاتِ الصُّدُور؛
وَجْهُ مُوسى كانَ يُومِضُ البَرْق، فَجَعَلَ مِنْ أَمامِ وَجْهِهِ بُرْدَةً؛
كانَ نُورُ وَجْهِهِ يُغْشي على البَصَر، كانَ زُمُرَّداً لِعَيْنَيِ الثُّعْبانِ الأَصَمّ؛
طَلَبَ مِنَ الحَقِّ أنْ تَصِيْرَ البُرْدَةُ، ساتِراً يَسْتُرُ ذلِكَ النُّورَ القَوِيّ؛

قالَ اعْمَلِ البُرْدَةَ مِنْ كِسائِك، فإنَّ لِباسَ العارِفِ جاءَ أماناً؛
ذاكَ الكِساءُ وَجَدَ الصَّبْرَ على النُّور، نُورُ الرُّوحِ في مَتْنِهِ وَخُيُوطِهِ مَسْتُور؛
غَيْرُ مِثْلِ هذِهِ الخِرْقَةِ لَنْ يَصِيْرَ صِواناً، غَيْرُ ذاكَ لا يَحْتَمِلُ نُورَنا؛
لَوْ أنَّ جَبَلَ قاف تَقَدَّمَ للسَّدّ، لَمَزَّقَهُ نُوْرُهُ مِنْ جَبَلِ الطُّور؛
مِنْ كمالِ القُدْرَةِ أَبْدانُ الرِّجال، وَجَدَتْ تَحْتَ نُورٍ بلا كَيْفٍ الاِحْتِمال؛
ذاكَ الَّذي لا يَحْتَمِلُ الطُّورُ ذَرَّةً مِنْه، جَعَلَتْ لَهُ القُدْرَةُ المكانَ في زُجاجَة؛
صارَتِ المِشْكاةُ والزُّجاجَةُ مَحَلّاً للنُّور، وَمِنْ نُورِ ذاكَ يَتَقَطَّعُ *قاف والطُّور*؛
جِسْمُهُمُ المِشْكاةُ وَقَلْبُهُمُ الزُّجاج، شَعَّ على العَرْشِ والأَفْلاكِ هذا السِّراج؛
نُورُهُمْ حَيْرانٌ مِنْ هذا النُّور، صارَ فانِياً كالنَّجْمِ مِنْ هذا الضُّحى؛
حكى عَنْ هذا خاتَمُ الرُّسُل، عَنْ مَليكٍ لا يزالُ وَلَمْ يَزَلْ؛
أنْ لا تَسَعُني الأَفْلاكُ والخلاء، ولا العُقُولُ ولا النُّفُوسُ ذاتُ العَلاء؛
وَيَسَعُني قَلْبُ المُؤمِنِ كالضَّيْف، بلا وَضْعِيَّةٍ ولا كَيْفِيَّةٍ ولا كَيْف؛
حَتَّى يَجِدَ مِنِّي الفَوْقُ والتَّحْت، عَبْرَ ذاكَ القَلْبِ المُلْكَ والبَخْت؛
لَولا مِثْلُ هذِهِ المِرْآةِ مِنْ جَمالي، ما اسْتنارَتِ الأَرْضُ ولا الزَّمَن؛
سُقْنا جَوادَ التَّرَحُّمِ على الكَوْنَيْن، جَعَلْنا مِرْآةً عَرِيْضَةً جِدّاً؛
خَمْسُونَ عُرْساً مِنْ هذِهِ كُلَّ لَحْظَة، اِسْتَمِعْ للمِرْآةِ ولا تَسْأَلْها الشَّرْح؛
الخُلاصَةُ صَنَعَ بُرْدَةً مِنْ لِباسِه، الَّذي كانَ يَعْرِفُ نُفُوذَ ذاكَ القَمَر؛
لَوْ كانَتِ البُرْدَةُ مِنْ غَيْرِ لِباسِهِ، تَقَطَّعَتْ وَلَو كانَتِ الجَبَلَ الأَصَمّ؛
إنَّهُ يَنْفَذُ مِنَ الجُدْرانِ مِنَ الحَدِيْد، ما الفَنُّ الَّذي عَمِلَتِ البُرْدَةُ مَعَ نُورِ الحَقّ؛
تِلْكَ البُرْدَةُ صارَتْ صاحِبَةَ نُور، إذْ كانَتْ وَقْتَ الجَيَشانِ خِرْقَةَ عارِف؛
مِنْ ذاكَ تَصِيْرُ النَّارُ رَهِيْنَةَ المُحْتَرِق، فَقَدِ احْتَرَقَ وَجَرَّبَ النَّارَ مِنْ قَبْل؛
مِنْ هَوى وَعِشْقِ نُورِ الرَّشادِ ذاك، أَعْطَتْ صَفُورا كِلْتا العَيْنَيْنِ للرِّيْح؛

أوّلاً أَغْلَقَتْ عَيْناً واحِدَةً وَنَظَرَتْ، إلى نُورِ وَجْهِهِ فَطارَتْ عَيْنُها تِلْك؛
بَعْدَ ذاكَ لَمْ يَبْقَ لَها صَبْرٌ وَفَتَحَتْ، تِلْكَ الأُخْرى وَجَعَلَتْها خَرْجاً لِذاكَ القَمَر؛
مِثْلَ الرَّجُلِ المُجاهِدِ أوّلاً يَهَبُ الخُبْزَ، فإذا وَقَعَ عَلَيْهِ نُورُ الطّاعَةِ وَهَبَ الرُّوح؛
فقالَتْ لها امْرَأَةٌ هَلْ لَكِ حَسْرَةٌ، على تِلْكَ العَيْنِ الجَمِيْلَةِ الّتي ضاعَتْ مِنْكِ؛
قالَتْ أَتَحَسَّرُ على أنْ لَيْتَ لي مِئَةَ أَلْفِ عَيْنٍ، وَإذَنْ لَجَعَلْتُها جَمِيْعَها نِثاراً؛
نافِذَةُ عَيْنِي صارَتْ خَراباً مِنَ القَمَر، لكِنَّ القَمَرَ قَعَدَ كالكَنْزِ في الخَراب؛
مَتى يَسْمَحُ لِيَ الكَنْزُ في خَرابَتي، بأنْ أَتَذَكَّرَ رُواقِي وَمَنْزِلِي؛
نُورُ وَجْهِ يُوسُفَ وَقْتَ العُبُور، كانَ يَنْفَذُ مِنَ الشَّبابيكِ في القُصُور؛
فكانُوا يَقُولُونَ داخِلَ الدِّيار، هذا يُوسُفُ يَعْبُرُ مِنْ هذِهِ الجِهَة؛
لأنَّهُمْ كانُوا يَرَونَ على الجِدارِ الشُّعاع، مِنْ ذاكَ كانَ يَفْهَمُ أَصْحابُ البِقاع؛
والبَيْتُ الّذي كانَ لَهُ نافِذَةٌ إلى ذلِكَ الطَّرَف، كانَ لَهُ مِنْ مُرُورِ يُوسُفَ الشَّرَف؛
أَسْرِعِ افْتَحِ النّافِذَةَ جِهَةَ يُوسُف، وابْدَأِ التَّفَرُّجَ مِنْ خِلالِها؛
مُمارَسَةُ العِشْقِ شُغْلُ تِلْكَ النّافِذَة، فَمِنْ جَمالِ الحَبيبِ يَصِيْرُ مُنَوَّراً الصَّدْر؛
فانْظُرْ إلى وَجْهِ المَعْشُوْقَةِ دائِماً، هذا في يَدِكَ ، اسْمَعْ أَيُّها الأب؛
اِفْتَحِ الطَّرِيقَ إلى بَواطِنِ نَفْسِك، أَبْعِدْ عَنْكَ تَفْكِيْرَ إدْراكِ غَيْرِك؛
عِنْدَكَ الكِيْمِياءُ داوِ بِها الجِلْد، اِجْعَلِ الأعْداءَ مِنْ هذِهِ الصِّناعَةِ أَصْدِقاء؛
فإذا صِرْتَ جَميلاً تَصِلُ إلى ذاكَ الجَمِيْل، ذاكَ الّذي يُحَرِّرُ الرُّوحَ مِنَ الغُرْبَة؛
نَماءُ رَوْضِ الأرْواحِ مِنْ نَداه، قَتِيْلُ الغَمِّ يَعُودُ مِنْ نَفْسِهِ للحَياه؛
لَمْ يُعْطِهِ الحَقُّ مُلْكَ العالَمِ الدُّونِ كُلِّهِ فَقَط، أعطاهُ مِئاتِ أُلُوفِ أنواعِ الأمْلاك؛
فَوقَ مُلْكِ الجَمالِ أَعْطاهُ الحَقُّ، مَلَكَةَ التَّعْبيرِ بلا دَرْسٍ ولا شَرْط؛
مُلْكُ حُسْنِهِ وَصَلَ إلى السِّجْن، مُلْكُ عِلْمِهِ وَصَلَ إلى كَيْوان؛

المَلِكُ صارَ غُلامَهُ مِنَ العِلْمِ والفَضْل، مُلْكُ العِلْمِ أَجَلُّ مِنْ مُلْكِ الحُسْن؛

رُجُوع إلى حِكايَة ذلِكَ الشَّخْص المَدِيْن وَمَجِيْئُهُ على أَمَلِ عِنايَةِ ذلِكَ المُحْتَسِب إلى تَبْريز

ذاكَ الغَريبُ المُمْتَحَنُ خَشْيَةَ القَرْض، جاءَ في الطَّريقِ يَسْعى إلى دارِ السَّلام؛
ذَهَبَ إلى تَبْريزَ حَيِّ رَوْضِ الوَرْد، حالِماً يَحْلُمُ بِقَطْفِ الوَرْد؛
وَلَمَعَ سَناً مِنْ دارِ المُلْكِ في تَبْريز، فَزادَ أَمَلَهُ الضِّياءَ على الضِّياء؛
الرُّوحُ مِنْهُ ضاحِكَةٌ مِمَّنْ هُوَ رَوْضُ الرِّجال، مِنْ نَسِيْمِ يُوسُفَ وَمِصْرَ الوِصال؛

قالَ يا حادِي أَنِخْ لِيْ ناقَتي جاءَ إِسْعادِي وَطَارَتْ فاقَتِي
أُبْرُكِيْ يا ناقَتِيْ طابَ الأُمُور إنَّ تَبْريزاً مَناخاتُ الصُّدُور
اِسْرَحِيْ يا ناقَتِيْ حَوْلَ الرِّياض إنَّ تَبْريزَ لَنا نِعْمَ المَفاض

أَيْ جَمَّالُ فُكَّ الأَحْمالَ عَنِ الجِمال، هذِهِ تَبْريزُ وَهَذِهِ مَحَلَّةُ رَوْضِ الوَرْد؛
لِهذا البُسْتانِ مَجْدُ الفِرْدَوْس، لِتَبْريزَ هذِهِ إِشْعاعٌ مِنَ العَرْش؛
كُلَّ لَحْظَةٍ فَوْجُ رَوْحٍ مُثيْرٍ لِلرُّوح، مِنْ أَعْلى العَرْشِ لِلتَّبْريزِيِّين؛
سَأَلَ عَنْ بَيْتِ المُحْتَسِبِ ذاكَ الغَريب، قالَ لَهُ الخَلْقُ ماتَ ذاكَ الحَبيب؛
رَحَلَ عَنْ دارِ الدُّنيا أَوَّلَ أَمْس، الرِّجالُ والنِّساءُ مِنْ مَوْتِهِ صُفْرُ الوُجُوه؛
طاووسُ العَرْشِ ذاكَ ذَهَبَ إلى العَرْش، حِيْنَ وَصَلَهُ مِنَ الهاتِفِيْنَ عَبيرُ العَرْش؛
رَغْمَ أنَّ ظِلَّهُ كانَ مَلْجَأً لِلخَلْق، سُرْعانَ ما طَوَتْهُ الشَّمْس؛
قادَ السَّفِيْنَةَ مِنْ هذا السَّاحِلِ أَوَّلَ أَمْس، لَقَدْ شَبِعَ ذاكَ السَّيِّدُ مِنْ دارِ الغَمِّ هذِه؛
فَصَرَخَ ذاكَ الرَّجُلُ وَسَقَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْه، كَأَنَّما هُوَ أَيْضاً أَسْلَمَ الرُّوحَ بَعْدَه؛

فَصَبُّوا على وَجْهِهِ ماءَ الوَرْدِ والماء، وَصارَ رِفاقُ الطَّريقِ باكِيْنَ على حالَتِه؛
إلى اللَّيْلِ غائبٌ عَنِ الوَعْيِ وَبَعْدَ ذلِك ، عادَتْ رُوحُهُ مِنَ الغَيْبِ وَهُوَ كالمَيْت؛

عِلْمُ ذاكَ الغَرِيبِ بِوفاةِ ذاكَ المُحْتَسِب واسْتِغْفارُهُ مِنَ الإعْتِمادِ على المَخْلُوق ، وَمِنَ التَّعْويلِ على عَطاءِ المَخْلُوق ، وَتَذَكُّرُهُ نِعَمَ الحَقّ وإنابَتُهُ إلى الحَقّ مِنْ جُرْمِ نَفْسِه ، ثُمَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُون

عِنْدَما عادَ إلى الوَعْيِ قالَ أَيْ إلهي، أنا كُنْتُ مُجْرِماً بِأَمَلي بالخَلْق؛
رَغْمَ أنَّ السَّيِّدَ فَعَلَ السَّخاءَ الكَثير، ما مِنْ شَيْءٍ مِنْ ذاكَ كانَ كُفوَ عَطائك؛
أَعْطى القُبَّعَةَ وَأَعْطَيْتَ الرَّأْسَ مِلْؤهُ العَقْل، أعطى القَباءَ وَأَعْطَيْتَ القَوامَ والقَدّ؛
أَعْطانِيَ ذَهَباً وأَعْطَيْتَني يَدَاً تَعُدُّ الذَّهَب، أَعْطانِيَ مَطِيَّةً وَأَعْطَيْتَني عَقْلاً قائداً؛
أعطانِيَ الشَّمْعَ وَأَعْطَيْتَني العَيْنَ القَريرَة، أَعْطانِيَ النُّقْلَ وَأَعْطَيْتَنِي قَبُولَ الطَّعام؛
أَعْطانِيَ المالَ وَأَعْطَيْتَنِي العُمْرَ والحَياة، وَعَدَني الذَّهَبَ وَوَعَدْتَني الطَّيِّبات؛
أَعْطانِيَ المَنْزِلَ وَأَعْطَيْتَني الأَرْضَ والفَلَك، هُوَ وَمائَةُ عَظيمٍ مِثْلِهِ في وَثاقِك؛
الذَّهَبُ مُلْكُكَ هُوَ لَمْ يَخْلُقِ الذَّهَب، الخُبْزُ مُلْكُكَ وَمِنْكَ وَصَلَهُ الخُبْز؛
وَأَنْتَ الَّذي أَعْطَيْتَهُ الرَّحْمَةَ والسَّخاء، فَمِنَ السَّخاءِ كُنْتَ تَزِيْدُ سَعادَتَه؛
أنا جَعَلْتُهُ قِبْلَةً لِنَفْسي ، وَتَرَكْتُ صانِعُ القِبْلَةِ الأَصْل؛
أَيْنَ كُنَّا عِنْدَما كانَ دَيَّانُ الدِّيْن، يَزْرَعُ العَقْلَ في الماءِ والطِّيْن؛
حِيْنَ كانَ يَجْعَلُ الفَلَكَ ظاهِراً مِنَ العَدَم، وَحِيْنَ كانَ يَفْرِشُ بِساطَ الأَرْض؛
حِيْنَ كانَ يَصْنَعُ مِنَ النُّجُومِ المَصابيح، وَيَصْنَعُ مِنَ الطَّبائِعِ الأَقْفالَ والمَفاتيح؛
أَيْ كَمْ مِنْ بِناءٍ خَفِيٍّ وَفاش، أَضْمَرَ في هذا السَّقْفِ وهذا الفِراش؛
آدَمُ اصْطرلابُ أَوصافِ العُلُو، وَصْفُ آدَمَ مَظْهَرُ آياتِه؛
كُلُّ ما يَظْهَرُ فِيْهِ انْعِكاسٌ مِنْه، انْعِكاسَ صُورَةِ القَمَرِ في ماءِ النَّهْر؛

على اصْطِرلابِهِ نُقُوشُ العَنْكَبُوت، مِنْ أَجْلِ أوصافِ الأزَلِ لها ثُبُوت؛
حَتَّى مِنْ فَلَكِ الغَيْبِ وَمِنْ شَمْسِ الرُّوح، يَقْرَأُ الدَّرْسَ عَنْكَبُوتُهُ مِنَ الشُّرُوح؛
العَنْكَبُوتُ واصْطرلابُ الرَّشادِ هذا، وَقَعا في كَفِّ العوامِّ غَيْرِ أَهْلِ التَّنْجِيْم؛
هذا التَّنْجِيْمُ أَعْطاهُ الحَقُّ للأنبياء، يَجِبُ للغَيْبِ عَيْنٌ ترى الغَيْب؛
هذِهِ القُرُونُ سَقَطَتْ في الدُّنيا، كُلُّ واحِدٍ رأى صُورَةَ نَفْسِهِ في البِئْر؛
اعْرِفْ ما بَدا لَكَ في البِئْرِ مِنَ الخارِجِ، أو كُنْ ذاكَ الأسَدَ الَّذي نَزَلَ في البِئْر؛
أَخَذَهُ الأرْنَبُ مِنَ الطَّرِيقِ أَنْ أَيْ فُلان، الأَسَدُ المُفْتَرِسُ ذاكَ في قَعْرِ البِئْر؛
فانْزِلْ في البِئْرِ واحْمِلْ عَلَيْه، بِما أَنَّكَ الغالِبُ لَهُ اقْطَعْ رَأْسَه؛
ذاكَ المُقَلِّدُ صارَ مُسَخَّرَ الأرْنَب، امْتَلأَ بالغَضَبِ مِنْ خَيالِ نَفْسِه؛
هُوَ لَمْ يَقُلْ هذِهِ الصُّورَةُ لَيْسَتْ في الماء، هذِهِ لَيْسَتْ غَيْرَ تَقْلِيْبِ ذاكَ المُقَلِّب؛
أنتَ أَيْضاً حِيْنَ تَحْمِلُ على العَدُوّ، أَيْ عَبْدَ الجِهاتِ السِّتِّ مُخْطِئٌ في السِّتّ؛
تِلْكَ العَداوَةُ فِيْهِ عَكْسٌ مِنَ الحَقّ، تِلْكَ هُناكَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفاتِ القَهْر؛
وذاكَ الذَّنْبُ فيهِ مِنْ جِنْسِ جُرْمِك، يَجِبُ غَسْلُ ذاكَ الطَّبْعِ مِنْ طَبْعِ نَفْسِك؛
لَقَدْ أَظْهَرَ لَكَ فِيْهِ خُلُقَكَ القَبيح، فَقَدْ كانَ لَكَ صَفْحَةَ مِرْآة؛
قُبْحَ نَفْسِكَ رَأَيْتَ في المِرْآة، أَيْ حَسَنُ لا تَضْرِبِ المِرْآة؛
النَّجْمُ السَّنِيُّ يَنْعَكِسُ على الماء، وَأَنتَ تَرْمِيْ التُّرابَ على انْعِكاسِ النَّجْم؛
أَنْ نَجْمُ النَّحْسِ هذا أتى للماء، حَتَّى يَجْعَلَ سَعْدَنا في الحَضِيْض؛
صَبَبْتَ على رَأْسِهِ تُرابَ الإسْتيلاء، بِما أَنَّكَ ظَنَنْتَهُ مِنَ الشُّبْهَةِ النَّجْم؛
واخْتَفَتِ الصُّورَةُ وانْطَلَقَتْ للغَيْب، وَأَنتَ ظَنَنْتَ أَنَّ ذلِكِ النَّجْمَ لَمْ يَعُدْ باقِياً؛
نَجْمُ النَّحْسِ ذاكَ مَوْجُودٌ في السَّماء، نَحْوَ تِلْكَ الجِهَةِ يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ الدَّواء؛
بَلْ يَجِبُ رَبْطُ القَلْبِ بِجِهَةِ اللّاجِهَة، النَّحْسُ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ وَصُورَتُهُ بلا جِهَة؛
العَطاءُ عَطاءُ الحَقِّ وذاكَ العَطاء، مُنْعَكِسٌ في إنْعامِهِ بالخَمْسِ والسِّتّ؛

لَوْ كانَ عَطاءُ الأخِسَّاءِ أَزْيَدَ مِنَ الرَّمْل، أنتَ تَمُوتُ وَيَبْقى ذاكَ رَمْلاً مَيِّتاً؛
أخِيْراً كَمْ تَظَلُّ تُراقِبُ الصُّوَرَ بالنَّظَر، اِشْتَغِلْ بِرُؤيَةِ الأَصْلِ أَيْ أَعْوَجَ النَّظَر؛
الحَقُّ عِنْدَما أنْعَمَ على أَهْلِ الافْتِقار، مَعَ العَطاءِ وَهَبَهُمُ العُمْرَ الطَّويل؛
خالِدِيْنَ صارَتْ للنِّعْمَةِ ولِلْمُنْعَمِ عَلَيْه، إنَّهُ مُحْيي المَوتى فاجْتازُوا إِلَيْه؛
عَطاءُ الحَقِّ مَعَكَ يَمْتَزِجُ كالرُّوح، فَيَصِيْرُ ذاكَ أَنْتَ وَتَصِيْرُ أنتَ ذاك؛
فَإنْ لَمْ يَبْقَ لَكَ اشْتِهاءُ الخُبْزِ والماء، يُعْطِكَ بلا هذَيْنِ الاِثْنَيْنِ قُوتاً مُسْتَطاباً؛
لَوْ ذَهَبَ السِّمَنُ مِنْكَ فالحَقُّ في النُّحُول، يُعْطِيْكَ سِمَناً مَخْفِيّاً مِنْ تِلْكَ الجِهَة؛
ما دامَ يُعْطِي الجِنَّ قُوتاً مِنَ الرَّائِحَة، وَيُعْطِيْ لِكُلِّ مَلَكٍ قُوْتَ الرُّوح؛
ما تَكُونُ الرُّوحُ لِتَتَّخِذَ مِنْها سَنَداً، الحَقُّ بِعِشْقِهِ يُبْقِيْكَ حَيّاً؛
اسْأَلْهُ حَياةَ العِشْقِ لا تَطْلُبْ مِنْهُ الرُّوح، اسْأَلْهُ ذلِكَ الرِّزْقَ لا تَطْلُبْ مِنْهُ الخُبْز؛
اعْرِفْ الخَلْقَ مِثْلَ الماءِ الصَّافي الزُّلال، مِنْ ذاكَ تُشْرِقُ صِفاتُ ذي الجَلال؛
عِلْمُهُمْ وَعَدْلُهُمْ وَلُطْفُهُم، مِثْلَ نَجْمِ الفَلَكِ في الماءِ الجاري؛
السَّلاطِيْنُ مَظْهَرُ سُلْطَةِ الحَقّ، الفاضِلُونَ مِرْآةُ مَعْرِفَةِ الحَقّ؛
مَرَّتِ القُرُونُ وَهذا قَرْنٌ جَدِيْدٌ، والقَمَرُ ذاكَ القَمَرُ والماءُ لَيْسَ ذاكَ الماء؛
العَدْلُ ذاتُ العَدْلِ والفَضْلُ ذاتُ الفَضْل، لكِنَّ تِلْكَ القُرُونَ والأُمَمَ قَدِ اسْتُبْدِلَتْ؛
القُرُونُ على القُرُونِ ذَهَبَتْ أَيْ هُمام، وهذِهِ المَعاني في قَرارٍ على الدَّوام؛
صارَ الماءُ في النَّهْرِ مُبَدَّلاً بِضْعَ مَرَّات، وَصُورَةُ النَّجْمِ مُسْتَقِرَّةٌ وَصُوْرَةُ القَمَر؛
فَبِناؤهُ لَيْسَ على الماءِ الجاري، بَلْ على أَقْطارِ عَرْضِ السَّماء؛
هذِهِ الصِّفاتُ كالنُّجُومِ المَعْنَوِيَّة، اِعْلَمْ أَنَّها مُسْتَوِيَةٌ على فَلَكِ المَعاني؛
حِسانُ الوُجُوْهِ مِرْآةُ حُسْنِهِ، عِشْقُهُمْ صُورَةُ مَطْلُوبِهِ؛
يَذْهَبُ إلى أَصْلِ نَفْسِهِ الخَدُّ والخال، مَتى يَظَلُّ دائماً في الماءِ الخَيال؛
جُمْلَةُ الصُّوَرِ عَكْسُ ماءِ الجَدْوَل، إذا مَسَحْتَ العَيْنَ فالكُلُّ جَمِيْعاً هُوَ؛

مُجَدَّداً عَقْلُهُ قالَ دَعْ هذا الحَوَل، الخَلُّ هُوَ الدِّبْسُ والدِّبْسُ هُوَ الخَلّ؛
كَيْفَ قُلْتَ السَّيِّدُ هُوَ الغَيْرُ مِنَ القُصور، اِخْجَلْ أَيْ أَحْوَلُ مِنَ الشَّاهِ الغَيُور؛
لا تَعْتَبِرِ السَّيِّدَ الَّذي عَبَرَ مِنَ الأثير، مِنْ جِنْسِ فِئْرانِ الظَّلامِ هذِه؛
وَلْتَرَ السَّيِّدَ الرُّوحَ لا الجِسْمَ الثَّقِيْل، وَلْتَرَهُ المُخَّ لا تَرَهُ العَظْم؛
ولا تَنْظُرْ إلى السَّيِّدِ مِنْ عَيْنِ إبليسَ اللَّعِين، ولا تَقُمْ بِنِسْبَتِهِ إلى الطِّيْن؛
رَفيقُ الشَّمْسِ لا تَسَمِّهِ الخَفَّاش، قَدْ صارَ المَسْجُودَ لَهُ لا تَدْعُهُ الشَّاهِد؛
هذا يُشْبِهُ الصُّوَرَ وَلَيْسَ بِصُوْرَةٍ، إنَّهُ ظُهُورُ الحَقِّ في مِثالِ صُوْرَةٍ؛
رأى شَمْساً وَلَمْ يَبْقَ جامِداً، زَيْتُ الوَرْدِ لا يُشْبِهُ زَيْتَ السِّمْسِم؛
بِما أنَّ أَبْدالَ الحَقِّ صارُوا مُبَدَّلِيْن، فَهُمْ لَيْسُوا مِنَ الخَلْقِ فاطْوِ الوَرَق؛
قِبْلَةُ الوَحْدانِيَّةِ كَيْفَ تَكُونُ اثْنَتَيْنِ، كَيْفَ يَصِيْرُ التُّرابُ مَسْجُودَ الملائِكَة؛
إذا كانَ الرَّجُلَ رأى في النَّهْرِ صُورَةَ التُّفَّاحَةِ، وَتِلْكَ الرُّؤيَةُ مَلأَتْ حِجْرَهُ بالتُّفَّاح؛
ذاكَ الَّذي رأى في النَّهْرِ مَتى كانَ خَيالاً، وَقَدِ امْتَلأَ مِنْ رُؤيَتِهِ مِئَةُ جَوال؛
فلا تَنْظُرْ للبَدَنِ لا تَفْعَلْ كما فَعَلَ الصُّمُّ والبُكْم، كَذَّبُوا بالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ؛
ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ كانَتْ لأَحْمَد، رُؤْيَتُهُ صارَتْ رُؤْيَةَ الخالِق؛
خِدْمَتُهُ هِيَ خِدْمَةٌ للحَقّ، رُؤيَةُ النَّهارِ بالنَّظَرِ مِنْ هذِهِ النَّافِذَة؛
خاصَّةً نافِذَةٍ مُضِيْئَةٍ بالذَّات، لا نافِذَةٍ وَديْعَةٍ للشَّمْسِ والفَرْقَد؛
وَمِنَ الشَّمْسِ الَّتي تَقَعُ على النَّوافِذ، لكِنْ لا مِنْ جِهَةٍ مَعْهُودَةٍ وَطَريقٍ مَعْهُود؛
ما بَيْنَ الشَّمْسِ وهذِهِ النَّافِذَةِ طَريق، النَّوافِذُ ما لها بِهِ عِلْمٌ؛
حَتَّى لَو أتى غَيْمٌ وَغطَّى الفَلَك، نُورُها في هذِهِ النَّافِذَةِ يكُونُ مُتَلأْلِئاً؛
مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ هذا الهَواءِ والجِهاتِ السِّتّ، هُناكَ بَيْنَ النَّافِذَةِ والشَّمْسِ أُلْفَة؛
مِدْحَتُهُ وَتَسْبيحُهُ تَسْبيحٌ للحَقّ، الفاكِهَةُ طَلَعَتْ مِنْ عَيْنِ هذا الطَّبَق؛
طَلَعَ التُّفَّاحُ مِنْ هذا القَرْطَلِ الجَمِيْلِ قِطْعَةً قِطْعَة، لَيْسَ عَيْباً إذا سَمَّيْتَهُ شَجَرَة؛

أُدْعُ هذا القَرْطَلَ شَجَرَةَ التُّفّاح، فَبَيْنَ الاثْنَيْنِ تُوجَدُ طَرِيقٌ خَفِيَّةٌ؛
كُلُّ ما طَلَعَ مِنَ الشَّجَرَةِ المُثْمِرَة ، طَلَعَ مِنَ القَرْطَلِ عَيْنُ ذاكَ النَّوعِ مِنَ الثَّمَر ؛
فَلْتَرَ القَرْطَلَ إِذَنْ شَجَرَةَ بَخْتٍ، واجْلِسْ تَحْتَ ظِلِّ هذا القَرْطَلِ سَعِيْداً؛
الخُبْزُ إذا جاءَ بالإطْلاقِ أَيْ رَحِيم، لِماذا تُسَمِّيْهِ الخُبْزَ أُدْعُهُ المَحْمُودَة؛
وإذا جَعَلَ تُرابُ الطَّرِيقِ العَيْنَ مُضِيْئَةً والرُّوح، فَلْتَرَ تُرابَهُ كُحْلاً واعْتَبِرْهُ كُحْلاً؛
ما دامَ مِنْ وَجْهِ هذِهِ الأَرْضِ سَطَعَ الشُّرُوق، لِمَ أَرْفَعُ الوَجْهَ بالنَّظَرِ إلى العَيْوق؛
صارَ فَناءً لا تَدْعُهُ وُجُوداً أي بِلا حَياءٍ، في هكذا نَهْرٍ مَتى يَظَلُّ يابِساً الطِّيْن؛
أمامَ هذِهِ الشَّمْسِ مَتى يُضِيْءُ الهِلال، مَعَ مِثْلِ رُسْتَمَ ذاكَ ما قُوَّةُ زال؛
إنَّ ذاكَ الفَعّالَ طالِبٌ وَغالِبٌ، حَتَّى يُورِدَ على المَوْجُوداتِ الدَّمار؛
لا تَقُلْ اثْنَيْنِ لا تَعْرِفِ اثنَيْنِ لا تَدْعُ اثْنَيْن، اِعْرِفْ هذا العَبْدَ مَحْواً في سَيِّدِه؛
السَّيِّدُ أَيْضاً في نُورِ مُبْدِعِ السَّيِّد، فانٍ وَمَيِّتٌ وَقَدْ ماتَ وَدُفِن؛
إذا رَأَيْتَ هذا السَّيِّدَ مَفْصُولاً عَنِ الحَقّ، فَقَدْتَ المَتْنَ وَفَقَدْتَ الدِّيباجَةَ أَيْضاً؛
فاعْبُرْ بالعَيْنِ والقَلْبِ عَنْ هذا الطِّيْن، إنَّها قِبْلَةٌ واحِدَةٌ لا تَرَ قِبْلَتَيْن؛
إذا رَأَيْتَ اثْنَيْنِ عَجَزْتَ مِنْ كُلِّ طَرَف ، وَقَعَتِ النَّارُ في الخُفِّ وَذَهَبَ الخُفّ؛

مَثَلُ رُؤيَةِ اثْنَيْنِ كَمَثَلِ ذاكَ الغَرِيبِ في مَدِيْنَةِ كاشان واسْمُهُ عُمَر، إِذْ كانُوا يُحَوِّلُونَهُ مِنْ دُكَّانٍ إلى دُكَّانٍ وَلَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ أَنَّ جَمِيْعَ الدَّكاكِيْنِ واحِدَة، بِمَعْنى أَنَّها جَمِيعاً لا تَبيعُ الخُبْزَ لِعُمَر، قالَ أَتَدارَكُ هُنا، أنا أَخْطَأْتُ إنَّ اِسْمِيْ لَيْسَ عُمَراً، إذا تَدارَكْتُ في هذا الدُّكَّانِ أَجِدُ الخُبْزَ مِنْ جَمِيْعِ الدَّكاكِيْنِ في هذِهِ المَدِيْنَة وإذا أنا بَقِيتُ بلا تَدارُكٍ هكذا وَبَقِيَ اِسْمِي عُمَراً أَعْبُرُ مِنْ هذا الدُّكَّانِ مَحْرُوماً وَأَحْوَلاً ، وأرى الدَّكاكِيْنَ مُنْفَصِلَةً عَنْ بَعْضِها

إذا كُنْتَ باسْمِ عُمَرَ في مَدِيْنَةِ كاشان، لا شَخْصَ يَبِيْعُكَ الرَّغِيْفَ بِمِئَةِ دانِق؛
إذا قُلْتَ لِصاحِبِ دُكَّانٍ أنا عُمَرْ ، تَكَرَّمْ وَبِعِ الخُبْزَ لِهذا العُمَر؛
يَقُولُ لَكَ اذْهَبْ إلى الدُّكَّانِ الآخَر، رَغِيْفٌ هُناكَ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسِيْنَ رَغِيْفاً هُنا؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ الحَوَلُ في النَّظَر، كانَ قالَ ما مِنْ دُكَّانٍ آخَر؛
لَوْ وَقَعَ إِشْراقُ عَدَمِ الحَوَل، على الكاشانِيّ صارَ العُمَرُ عَلِيّ؛
وهذا مِنْ هُنا يَقُولُ لِذلِكَ الخَبَّاز، بِعْ لِهذا العُمَرِ خُبْزاً أَيْ بائِعَ الخُبْز؛
فَإذا هُوَ سَمِعَ باسْمِ عُمَرَ سَحَبَ الخُبْز، ثُمَّ أَرْسَلَكَ إلى دُكَّانٍ بَعِيْد؛
أنْ أَعْطِ هذا العُمَرَ الخُبْزَ أَيْ شَريك، يَعْني افْهَمِ السِّرَّ مِنْ نِدائي؛
فَيَقُومُ هُوَ أَيْضاً بِتَحْويْلِكَ مِنْ تِلْكَ الجِهَة، أنِ انْتَبِهْ عُمَرْ جاءَ يَطْلِبُ الخُبْز؛
إذا كُنْتَ ذَهَبْتَ باسْمِ عُمَرَ لِدُكَّان، أنْتَ مَحْرُومٌ مِنَ الخُبْزِ في كُلِّ كاشان؛
وإنْ قُلْتَ في دُكانٍ أنا عَلِيٌّ، فَخُذِ الخُبْزَ مِنْ هُنا بلا تَحْويلٍ ولا مَشَقَّة؛
الأحْوَلُ الَّذي يرى اثْنَيْنِ حُرِمَ مِنَ اللَّذيذ، وَأَنتَ أَحْوَلٌ ترى عَشَرَةً أَيْ بائعَ الأُمّ؛
في كاشانَ الأَرْضِ هذِهِ مِنَ الحَوَل، تَظَلُّ تَنْتَقِلُ كَعُمَرَ إنْ لَمْ تَكُنْ عَلِيَّاً؛
فإنَّ للأَحْوَلِ في خَرابَةِ هذا الدَّيْر، نَقْلاً مِنْ رُكْنٍ لِرُكْنٍ أنْ ثَمَّ خَيْر؛
إنْ كانَ لَكَ عَيْنانِ عارِفَتانِ بالحَقّ، انْظُرْ إلى عَرْصَةِ الدَّارَيْنِ مُمْلُوءَةً بالحَبيب؛
وَانْجُ مِنَ التَّحْويلِ مِنْ مكانٍ إلى مكان، في مَدِيْنَةِ الخَوفِ والرَّجاءِ هذِهِ كاشان؛
أَرَأَيْتَ البُرْعُمَ أمِ الشَّجَرَ في هذا الجَدْوَل، لا تَظُنَّنَّهُ الخَيالَ مِثْلَ كُلِّ جَدْوَل؛
إذْ لَكَ مِنْ عَيْنِ صُوَرِ هذِهِ النُّقُوش، حَقٌّ حَقِيقَةٍ وَبَيْعٌ للثِّمار؛
العَيْنُ مِنْ هذا الماءِ تَتَحَرَّرُ مِنَ الحَوَل، تَرى الصُّوَرَ فَيَمْتَلِئُ القَرْطَل؛
إذَنْ بالمَعْنى هذا يَكُونُ بُسْتاناً لا ماءً، فلا تَكُنْ عُرْيانَ مِثْلَ بَلْقِيْسَ مِنَ الحَباب؛
الأحْمالُ مُتَنَوِّعَةٌ على ظَهُورِ الحَمِيْر، ألا لا تَسُقْ هذِهِ الحَمِيْرَ بِعَصاً واحِدَة؛
على حِمارٍ حِمْلُ لَعْلٍ وَجَوْهَر، على حِمارٍ حِمْلُ حَجَرٍ وَمَرْمَر؛

لا تُجْرِ هذِهِ الحِكْمَةَ على كُلِّ الأنهار، لِتَرَ في هذا النَّهْرِ القَمَرَ لا تَرَ انْعِكاساً؛

هذا ماءُ الخِضْرِ لا ماءُ الشِّباكِ والوَحْش، كُلُّ ما ظَهَرَ فيهِ كانَ حَقّاً؛

مِنْ قاعِ هذا النَّهْرِ قالَ القَمَر، أنا المُحَدِّثُ والرَّفيقُ أنا القَمَرُ لا صُوْرَةُ القَمَر؛

المَوْجُودُ في الأعْلى ذاكَ في هذا النَّهْر، اطْلُبْهُ مِنَ الأعْلى أمْ اطْلُبْهُ مِنَ القَعْر؛

لا تَعْتَبِرْ هذا النَّهْرَ مِنَ الأنْهارِ الأُخْرى، اِعْرِفْ قَمَراً ضِياءَ وَجْهِ القَمَرِ هذا؛

هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وذاكَ الغَريب ، صارَ كَئيباً وَكَمْ بكى حَزَناً على السَّيِّدِ؛

جَمْعُ شَفيعٍ للمالِ في كُلِّ مَدِيْنَةِ تَبْريز وَجَمْعُ نَذْرٍ يَسِيْر
وَذَهابُ ذاكَ الغَريبِ إلى تُرْبَةِ المُحْتَسِب للزِّيارَة وَذِكْرُهُ
القِصَّةَ على قَبْرِهِ والقَوْلُ على سَبيلِ التَّوَجُّه إلى آخِرِهِ

واقِعَةُ قَرْضِهِ ذاكَ صارَتْ مَشْهُورَةً، صارَ رَجُلٌ هُمامٌ مُتَأَلِّماً مِنْ أَلَمِه؛

طافَ لِجَمْعِ المالِ في كُلِّ المَدِيْنَة، مِنَ الطَّمَعِ كانَ يَذْكُرُ في كُلِّ مكانٍ الواقِعَة؛

وَلَمْ يَجْمَعْ باليَدِ مِنْ طَريقِ الكُدْيَةِ شَيْئاً، ذاكَ العابِدُ للكُدْيَةِ غَيْرَ مِئَةِ دينار؛

جاءَ ذاكَ الهُمامُ وَأَخَذَ بِيَدَيْه، وَمَضى بِهِ إلى قَبْرِ ذاكَ الكَريمِ عَجِيْبِ الكَرَم؛

قالَ عِنْدَما يَجِدُ التَّوْفِيْقَ عَبْدٌ، بالنُّزُولِ ضَيْفاً على سَعِيْد؛

يَجْعَلُ مالَ نَفْسِهِ إيثاراً في طَريقِه، وَيَجْعَلُ جاهَ نَفْسِهِ إيْثاراً لِجاهِه؛

شُكْرُهُ يَكُونُ شُكْراً للهِ يقيناً، إذْ جَعَلَهُ التَّوفيقُ للإحْسانِ قَريناً؛

تَرْكُ شُكْرِهِ تَرْكُ شُكْرِ الحَقّ، حَقُّهُ لا شَكَّ مُلْحَقٌ بالحَقّ؛

فَلْتَكُنْ شاكِراً للهِ في النِّعَم، واشْكُرِ السَّيِّدَ واذْكُرْهُ أَيْضاً؛

رَحْمَةُ الأُمِّ رَغْمَ أَنَّها مِنَ الله، خِدْمَتُها فَريضَةٌ وَحَقٌّ أَيْضاً؛

لِهذا السَّبَبِ أَمَرَ الحَقُّ أنْ صَلُّوا عَلَيْه، فَمُحَمَّدٌ كانَ المُحْتالَ إلَيْه؛

في القِيامَةِ يَقُولُ اللهُ للعَبْد، ماذا فَعَلْتَ بِذاكَ الَّذي أَعْطَيْتُك؛

فَيَقُولُ يا رَبّ كُنْتُ أَشْكُرُكَ بالرُّوح، فَمِنْكَ كانَ أَصْلُ ذاكَ الرّزْقِ والخُبْز؛

فَيَقُولُ لَهُ الحَقُّ لا لَمْ تَقُمْ بِشُكْري، ما دُمْتَ لَمْ تَشْكُرْ صاحِبَ الإكْرامِ ذاك؛

لَقَدْ فَعَلْتَ الظُّلْمَ والجَوْرَ على ذاكَ الكَريم، أَلَيْسَ عَنْ يَدِهِ وَصَلَتْكَ نِعْمَتي؛

حِيْنَ وَصَلَ إلى قَبْرِ وَلِيِّ النِّعْمَةِ ذاكَ، صارَ باكِياً شاكِياً وَدَخَلَ في النَّشيد؛

قالَ أَيْ ظَهْرَ وَمَلْجَأَ كُلِّ نَبيل، أي مُرْتَجى وَغَوْثَ أَبناءِ السَّبيل؛

أي مَنْ غَمُّ أرزاقِنا على خاطِرِك، أي مَنْ إحسانُكَ وَبِرُّكَ كالرِّزْقِ العامّ؛

أي مَنْ كُنْتَ للفُقَراءِ العَشِيرَةَ والوالِدَيْن، في الخِراجِ والخَرْجِ وَفي إيفاءِ الدَّيْن؛

أي أنتَ كالبَحْرِ تُعْطِيْ الجَوْهَرَ للقَريبين، وَتُرْسِلُ المَطَرَ تُحْفَةً إلى البَعِيْدِين؛

ظَهْرُنا مِنْكَ كانَ دافِئاً أَيْ شَمْس، أَي رَوْنَقَ كُلِّ قَصْرٍ وَكَنْزَ كُلِّ خَراب؛

أي مَنْ ما رأى شَخْصٌ عُقْدَةً في حاجِبِك، أنتَ كَميكائيلَ جَوادٌ وَمِعْطاءٌ للرِّزْق؛

أَيْ مَنْ قَلْبُكَ مُتَّصِلٌ بِبَحْرِ الغَيْب، أنتَ في قافِ المَكْرُمَةِ عَنْقاءُ الغَيْب؛

أَلَمْ يَجِئْ لِذاكِرَتِكَ كَمْ ذَهَبَ مِنْ مالي، سَقْفُ سَمْتِ هِمَّتِكَ لَمْ يَنْثَلِمْ أَبَداً؛

أنا والمِئاتُ مِثْلي في الشَّهْرِ والسَّنَة، صِرْنا كَنَسْلِكَ صِرْنا لَكَ عِيالاً؛

أنتَ نَقْدُنا وَعَيْشُنا وَمَتاعُنا، أنتَ اِسْمُنا وَفَخْرُنا وَبَخْتُنا؛

أنتَ لَمْ تَمُتْ ماتَ فَخْرُنا وَبَخْتُنا، ماتَ رِزْقُنا المُسْتَوفى وَعَيْشُنا؛

واحِدٌ كالألْفِ في البَأْسِ والكَرَمْ، مائَةُ حاتَمٍ عِنْدَ الإيثارِ بالنِّعَمْ؛

إذا كانَ حاتِمُ يُعْطِيْ مَيّتاً لِمَيّت، وكانَ يُعْطِي العَطاءَ بِضْعَ جَوزات؛

أنتَ تُعْطِي حَياةً في كُلِّ نَفَسْ ، لا يَسْتَوعِبُها مِنَ النَّفاسَةِ النَّفَس؛

أنتَ تُعْطِي حَياةً ثابِتَةَ المَدَد، وَنَقْدَ الذَّهَبِ بلا كَسادٍ ولا عَدَد؛

يا مَنْ لا وارِثَ لِطَبْعٍ واحِدٍ مِنْ طِباعِك، يا مَنِ الفَلَكُ ساجِدٌ لِحِماك؛

لُطْفُكَ للخَلْقِ مِنْ ذِئْبِ الغَمّ راعٍ ، مِثْلَ كَليمِ اللهِ الرَّحِيْمِ الرَّاعِي؛

هَرَبَ حَمَلٌ مِنْ كَليمِ اللهِ فَطَلَبَهُ، حَتَّى تَبَثَّرَتْ قَدَمُهُ وَتَلِفَ نَعْلُهُ؛

ظَلَّ في إثْرِهِ إلى اللَّيْلِ في البَحْثِ والطَّلَب، وَصارَ ذاكَ القَطِيْعُ غائباً عَنْ عَيْنِه؛
كانَ الحَمَلُ قَدْ وَهَنَ مِنَ الضَّعْفِ وَتَخَلَّفَ، فراحَ كَليمُ اللهِ يَنْفُضُ التُّرابَ عَنْه؛
يَمْسَحُ بِكَفِّهِ على ظَهْرِهِ وَرَأْسِهِ، يَحْنُو عَلَيْهِ مِنَ المَحَبَّةِ كَأُمِّه؛
بلا نِصْفِ ذَرَّةٍ مِنَ البُغْضِ والغَضَب، لَيْسَ غَيْرُ المَحَبَّةِ والرَّحْمَةِ وماءُ العَيْن؛
قالَ إنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ عَلَيَّ رَحْمَةٌ، طَبْعُكَ لِمَ يُظْهِرُ عَلَيْكَ الظُّلْم؛
قالَ اللهُ للملائِكَةِ آنَذاكَ ، إنَّ النُّبُوَّةَ لائقَةٌ بِفُلان؛
المُصْطَفى نَفْسُهُ قالَ كُلُّ نَبِيٍّ، قامَ بالرَّعْيِ في الشَّبابِ أو في الصِّبا؛
مِنْ دُونِ الرَّعْيِ وذلِكَ الإمْتِحان، لَمْ يُعْطِهِ اللهُ إمامَةَ الدُّنيا؛
قالَ سائلٌ حَتَّى أَنْتَ أَيْ بَهْلَوان، قالَ أنا أَيْضاً كُنْتُ راعِياً زَمَناً؛
حَتَّى يَصِيْرَ ظاهِراً صَبْرُهُمْ والوَقار، جَعَلَهُمُ اللهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ رُعاةً؛
كُلُّ أميرٍ كانَ راعِياً للبَشَر، قامَ بِمِثْلِ ذلِكِ حَتَّى صارَ أَمِيْراً؛
يَكُونُ شَبيهاً بِمُوسى في الحِلْمِ بِرَعِيَّتِه، يَسُوسُها بالتَّدْبيرِ والعَقْل؛
لا جَرَمَ أَعْطاهُ الحَقُّ الرِّعايَةَ ، على أَعْلى فَلَكِ القَمَرِ الرُّوحانِيّ؛
كذلِكَ سَحَبَ اللهُ الأنبياء، مِنْ هذا الرَّعْيِ وَأَعْطاهُمْ رَعْيَ الأَصْفِياء؛
اِعْلَمْ أَنَّكَ في رَعْيِكَ هذا أَيْ سَيِّد، عَمِلْتَ ذاكَ الَّذي يُعْمِيْ شانِئَك؛
واعْلَمْ أنَّ اللهَ هُناكَ في المُكافاة، سَوْفَ يُعْطِيْكَ السَّعادَةَ الأَبَدِيَّةَ؛
على أمَلِ كَفِّكَ الَّذي هُوَ كالبَحْر، على أَمَلِ بَذْلِ عَطائكَ وإيفائك؛
اسْتَدَنْتُ تِسْعَةَ آلافِ ذَهَبِيَّةٍ جُزافاً، أَيْنَ أَنْتَ لِيَصِيْرَ هذا الكَدَرُ صافِيَاً؛
أَيْنَ أَنْتَ لِتَقُولَ لي وَأَنْتَ ضاحِكٌ كالرَّوض، خُذْها مِنّي وَعَشْرَةَ أمثالِها أَيْضاً؛
أَيْنَ أَنْتَ لِتَجْعَلَني ضاحِكاً، تَجْعَلَني باللُّطْفِ والإحْسانِ ذا مال؛
أَيْنَ أَنْتَ لِتَحْمِلَني إلى المَخْزَن، وَتَجْعَلَني آمِناً مِنَ القَرْضِ والفاقَة؛
وأنا أَقُولُ كَفى وَأَنْتَ المُفْضِلُ تَقُولُ، خُذْ هذا أَيْضاً مِنْ أَجْلِ خاطِرِي؛

كَيْفَ يُحْتَوى عالَمٌ تَحْتَ الطِّيْن، كَيْفَ تُحْتَوى سَماءٌ في الأَرْض؛
حاشَ للهِ أنتَ خارِجَ هذا العالَم، في وَقْتِ الحَياةِ وَفي هذا الوَقْتِ أَيْضاً؛
طائرٌ يَطِيْرُ في هَواءِ الغَيْب، وَيَمُدُّ ظِلَّهُ على الأرْض؛
الجِسْمُ ظِلٌّ ظِلِّ ظِلِّ القَلْب، متى كانَ الجِسْمُ أَهْلاً لِيَكُونَ في دَرَجَةِ القَلْب؛
الرَّجُلُ نائِمٌ وَرُوحُهُ كالشَّمْس، تُشِعُّ في الفَلَكِ وَبَدَنُهُ في ثَوْبِ النَّوم؛
الرُّوحُ مَخْفِيَّةٌ في الخلاءِ كالسِّجاف، والبَدَنُ يَتَقَلَّبُ تَحْتَ اللِّحاف؛
الرُّوحُ مِثْلَ *مِنْ أمْرِ رَبِّي* مُخْتَفٍ، وَكُلُّ مِثالٍ أَقُولُهُ مُنْتَفٍ؛
أَي عَجَباً أَيْنَ ياقُوتُكَ حامِلُ السُّكَّر، وَأَيْنَ جَواباتُكَ العَذْبَةُ وَأَسْرارُك؛
أَي عَجَباً أَيْنَ العَقِيْقُ ماضِغُ السُّكَّر، أَينَ ذاكَ المِفْتاحُ لِقُفْلِ مُشْكِلاتِنا؛
أَي عَجَباً أَيْنَ ذاكَ النَّفَسُ كَأَنَّهُ ذُو الفَقار، ذاكَ الَّذي جَعَلَ العُقُولَ بلا قَرار؛
كَمْ أَقُولُ مِثْلَ فاخِتَةٍ تَبْحَثُ عَنِ العُشّ، أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ؛
أَيْنَ ذاكَ الَّذي هُوَ مَوْضِعُ صِفاتِ الرَّحْمَة، مَوْضِعُ القُدْرَةِ والنَّزاهَةِ والفِطْنَة؛
أَيْنَ ذاكَ المَكانُ الَّذي القَلْبُ والفِكْر، كانا بِهِ دائِماً كالأَسَدِ وَأَجَمَتِه؛
أَيْنَ ذاكَ المَكانُ الَّذي كانَ يَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَقْتِ الهَمِّ والحُزْنِ أَمَلُ الرِّجالِ والنِّساء؛
أَيْنَ ذاكَ المَكانُ الَّذي بِوَقْتِ العِلَّة، تَطِيْرُ لَهُ العَيْنُ على أَمَلِ الصِّحَّة؛
ذاكَ الطَّرَفُ مِنْ أَجْلِ دَفْعِ القبائح، وَطَلَبِ الرِّيْحِ لِلزَّرْعِ والسَّفِيْنَة؛
ذاكَ الطَّرَفُ الَّذي يُشيرُ لَهُ القَلْب، حِيْنَ يُنادِي اللِّسانُ بِالقَوْلِ يا هُوَ؛
هُوَ مَعَ اللهِ مِنْ دُونِ أَيْنَ أَيْنَ مِنَّا، تِلْكَ الَّتي كُنْتُ أُرَدِّدُ كَآلَةِ الحائك؛
أَيْنَ عَقْلُنا لِيَرى الغَرْبَ والشَّرْق، لِيُشْعِلَ الأرواحَ بِمِئَةِ لَوْنِ بَرْق؛
كانَ جَزْرُهُ وَمَدُّهُ بِبَحْرٍ في زَبَد، صارَ مُنْتَهِياً الجَزْرُ وَظَلَّ باقِياً المَدّ؛
مَدِيْنٌ بِتِسْعَةِ آلافٍ وما لي مُعِيْن، عِنْدي مِئَةُ دِينارٍ مِنَ الجَمْعِ وَحَسْب؛
الحَقُّ جَذَبَكَ وَبَقِيْتُ في الشَّدِّ والجَذْب، وَأَرُوحُ قانِطاً أَيْ مَنْ تُرابُكَ سَعِيْد؛

حافِظْ على الهِمَّةِ مَعَ هذا المَمْلُوءِ حَسْرَةً عَلَيْك، أَيِ مُبارَكَ الوَجْهِ واليَدِ والهِمَّة؛
جِئْتُ للعَيْنِ وَأَصْلِ العُيُون، وَجَدْتُ بِها الدَّمَ في مَحَلِّ الماء؛
الفَلَكُ ذاكَ الفَلَكُ بلا ضَوْءِ ذاكَ القَمَر، والنَّهْرُ ذاكَ النَّهْرُ وَقَدْ تَغَيَّرَ الماء؛
المُحْسِنُونَ مَوْجُودُونَ فَأَيْنَ ذاكَ المُسْتَطاب، النُّجُومُ مَوْجُودَةٌ فَأَيْنَ تِلْكَ الشَّمْس؛
أَنْتَ صِرْتَ إلى اللهِ أَيْ مُحْتَرَم، فَسَوْفَ أَمْضي أنا أَيْضاً إلى الحَقّ؛
مَجْمَعُ وَأَساسُ العَلَمِ مأوى القُرُون، الحَقُّ *كُلٌّ لَدَيْنا مُحْضَرُون*؛
خَبِرَتْ أَمْ لَمْ تَخْبَرِ الصُّوَر، كُلُّها في يَدِ المُصَوِّرِ مُحْتَضَر؛
لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ في صَفْحَةِ تَفْكِيْرِ الصُّوَر، يُثْبِتُ وَيَمحُو ذاكَ الَّذي هُوَ بلا إشارَة؛
يَجِيْءُ بالغَضَبِ فَيَذْهَبُ بالرِّضا، يَجِيْءُ بالبُخْلِ فَيَذْهَبُ بالسَّخاء؛
مُدْرَكاتي في المَساءَ والغُدُوِّ لا تَخْلُو ، نِصْفَ لَحْظَةٍ مِنْ هذا الإثْباتِ والمَحْو؛
صانِعُ الجِرارِ مَعَ الجِرارِ فاعِل، متى تَكُونُ الجَرَّةُ مِنْ نَفْسِها عَرِيضَةً وَطُويلَةً؛
والخَشَبُ في يَدِ النَّجَّارِ مُعْتَكِف، وإِلَّا كَيْفَ يَصِيْرُ مَقْطُوعاً وَيَأْتَلِف؛
والثَّوْبُ يَكُونُ عَنْ يَدِ الخَيَّاط، وإِلَّا مِنَ النَّفْسِ كَيْفَ يُقَصُّ أَوْ يُخاط؛
والقِرْبَةُ تَكُونُ مَعَ السَّقَّاءِ أَيْ مُنْتَهِي، وإِلَّا مِنَ النَّفْسِ كَيْفَ تَفْرُغُ أو تَمْتَلئ؛
أَنْتَ كُلَّ لَحْظَةٍ تَمْتَلِئُ وَتَفْرُغُ، فاعْلَمْ إِذَنْ أَنَّكَ في كَفِّ صُنْعِه؛
رِباطُ العَيْنِ مَتى يَرتَفِعُ عَنِ العَيْنِ يَوماً، كَيْفَ يَصِيرُ الصُّنْعُ والِهاً عَنِ الصَّانِع؛
تَمْلِكُ العَيْنَ أُنْظُرْ بِعَيْنِ نَفْسِك، لا تَنْظُرْ مِنْ عَيْنِ سَفيهٍ بلا خَبَر؛
تَمْلَكُ الأُذُنَ فاسْمَعْ بأُذُنِ نَفْسِك، لِماذا تَصِيْرُ رَهِيْنَ آذانِ الحَمْقى؛
فانْظُرْ إلى الأجَمَةِ مِنْ غَيْرِ تَقْليد، وَأَيْضاً فَكِّرْ مِنْ أَجْلِ عَقْلِك؛

رُؤيَةُ شاهِ خَوارِزْم في المَسيرِ في المَوْكِبِ جَواداً نادِراً جِدَّاً وَتَعَلُّقُ قَلْبِ الشَّاهِ بِحُسْنِ وَرَشاقَةِ ذاكَ الجَواد وَتَبْريد عِماد المُلْك حُبَّ ذاكَ الجَواد في قَلْبِ الشَّاه واختيار الشَّاه لِقَولِهِ على رُؤيَةِ نَفْسِهِ ، كما قالَ الحكيم سنائي في *إلهي نامه*

إذا صارَ لِسانُ الحَسَدِ هُوَ النَّخَّاس

تَحْصَلُ على يُوسُفِيٍّ بِذِراعِ كِرباس

مِنْ دِلالَةِ إخْوَةِ يُوسُفَ الحَسُودِيْن، صارَ مِثْلُ ذلِكَ الحُسْنِ مُغَطَّىً في قَلْبِ المُشْتَرِي وأَثَرُ إظْهارِ القَبيحِ أنْ *وكانُوا فيهِ مِنَ الزَّاهِدِيْن*

كانَ لأميرٍ جَوادٌ مُنْتَخَب، لَمْ يَكُنْ لَهُ في قَطِيْعِ السُّلْطانِ مِنْ قَرين؛
رَكِبَ في المَوْكِبِ مَرَّةً في الفَجْر، فَجْأَةً رأى شاهُ خُوارِزْم الجَواد؛
جَمالُهُ وَلَوْنُهُ خَطَفا نَظَرَ الشَّاه، إلى الرَّجْعَةِ وَعَيْنُ الشَّاهِ كانَتْ على الجَواد؛
على كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ أَلْقى النَّظَر، كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ ظَهَرَ أَجْمَلَ مِنَ الآخَر؛
غَيْرَ الرَّشاقَةِ والحُسْنِ والنَّشاط، وَضَعَ الحَقُّ فيهِ صِفَةً نادِرَة؛
كَمْ تَفَحَّصَ عَقْلُ السُّلْطان ، أنْ ما هذا الَّذي يَقْطَعُ الطَّريقَ على العَقْل؛
أنْ عَيْني مَلأى وَشَبْعى وَفِيْ غِنى، وَعِنْدَها الضِّياءُ مِنْ مائتَي شَمْس؛
قَلْعَةُ المُلُوكِ عِنْدِي بَيْدَق، وَنِصْفُ حِصانٍ يَخْتَطِفُني بلا حَقّ؛
أَعَمِلَ السِّحْرَ خالِقُ السِّحْر، تِلْكَ جَذْبَةٌ وَلَيْسَتْ مِنْ خاصِّيَّاتِ هذا؛
قَرَأَ الفاتِحَةَ وَأَكْثَرَ مِنْ قَولِ *لا حَوْل*، الفاتِحَةُ كانَتْ تَزيدُ الأَلَمَ في صَدْرِهِ؛
ذلِكَ أنَّ الفاتِحَةَ كانَتْ تَقُومُ بِجَذْبِه، الفاتِحَةُ في الجَرِّ والدَّفْعِ كانَتْ وَحِيْدَة؛
إذا ظَهَرَ الغَيْرُ فَمِنْ تَمْويهِه، وإذا اخْتَفى الغَيْرُ مِنَ النَّظَرِ فَمِنْ تَنْبيهِه؛

صارَ لَهُ اليَقِيْنُ أنَّ الجَذْبَ مِنْ تِلْكَ الجِهَة، أَمْرُ الحَقِّ كُلَّ لَحْظَةٍ يَجِيْءُ بالنَّادِر؛
جَوادُ الحَجَرِ أَوْ ثَورُ الحَجَرِ مِنَ الإِبْتِلاء، يَصِيْرُ مَسْجُوداً لَهُ مِنْ مَكْرِ الله؛
الصَّنَمُ عِنْدَ الكافِرِ لا ثانِيَ لَهُ ، والصَّنَمُ بلا نُوْرٍ ولا رُوحانِيَّة؛
ما ذلِكَ الجاذِبُ الخَفِيُّ في الخَفِيّ، المُشِعُّ في العالَمِ مِنْ عالَمٍ آخَر؛
العَقْلُ مَحْجُوبٌ مِنْ هذا الكَمِيْنِ والرُّوحُ أَيْضاً، أنا لا أرى فانْظُرْ إنْ كُنْتَ تَقْدِر؛
عِنْدَما شاهُ خوارِزْم عادَ مِنَ المَسِيْر، أَطْلَعَ خَواصَّ مُلْكِهِ على السِّرّ؛
وَأَمَرَ القُوَّادَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ، أنْ أَحْضِروا الجَوادَ مِنْ تِلْكَ الأُسْرَة؛
وَصَلَتْ تِلْكَ الجَماعَةُ كَأَنَّها النَّار، وَذاكَ الأَمِيْرُ كالجَبَلِ، صارَ كالصُّوف؛
وَصَلَتْ رُوحُهُ مِنَ الأَلَمِ والغُبْنِ للشَّفَة، وَلَمْ يَرَ إلَّا *عِمادَ المُلْكِ* مِنْ مُغِيْث؛
عِمادُ المُلْكِ كانَ أَساسَ العَلَم، لِكُلِّ مَظْلُومٍ وَكُلِّ مَقْتُولِ غَمّ؛
لَمْ يَكُنْ أَمِيْرٌ أَكْثَرَ مِنْهُ احْتِراماً، كانَ عِنْدَ السُّلْطانِ كَأَنَّهُ رَسُول؛
كانَ بلا طَمَعٍ أَصِيْلاً وَتَقِيَّاً، رائِضَ النَّفْسِ قائمَ اللَّيْلِ وَحاتِماً سَخِيَّاً؛
مُبارَكُ رأْيٍ وَذُو تَدْبيرٍ وَجَواد، وَمُجَرَّبُ الرَّأْيِ في كُلِّ مُراد؛
سَخِيٌّ يَبْذِلُ الرُّوحَ كما يَبْذِلُ المال، طالِبٌ لِشَمْسِ الغَيْبِ مِثْلَ هِلال؛
في الإِمْرَةِ هُوَ غَرِيبٌ وَمُحْتَبِس، في صِفاتِ الفَقْرِ والخُلَّةِ مُلْتَبِس؛
كانَ مِثْلَ الأبِ لِكُلِّ مُحْتاج، شافِعاً عِنْدَ السُّلْطانِ وَدافِعاً للضَّرَر؛
كانَ للسَّيِّئينَ سِتْراً كَحِلْمِ الله، كانَ خُلُقُهُ بِعَكْسِ الخَلْقِ وَمُفارِقاً لَهُم؛
كانَ يَذْهَبُ إلى جِهَةِ الجَبَلِ فَرْداً مِراراً، وَكانَ المَلِكُ بِمِئَةِ تَضَرُّعٍ يَمْنَعُه؛
لَو شَفَعَ كُلَّ لَحْظَةٍ بِمِئَةِ جُرْم، لكانَتْ عَيْنُ السُّلْطانِ تَسْتَحِيْ مِنْه؛
ذَهَبَ إلى *عِمادِ المُلْكِ* الحَكيم، كَشَفَ عَنِ الرَّأْسِ وَوَقَعَ على الأَرْض؛
أنْ قُلْ لَهُ يَأْخُذُ حَرَمِي وَكُلَّ ما أَمْلِكُ، وَلْيَهَبْ كُلَّ ما عِنْدِي لِكُلِّ مُغِيْر؛
أَمَّا هذا الجَوادُ فَرُوحي لَهُ رَهْن، إنْ أَخَذَهُ مِنِّي مِتُّ أَيْ مُحِبَّ الخَيْر؛

إذا أَخَذَ هذا الجَوادَ مِنْ يَدِي، اِعْلَمْ يَقيناً أَنَّني لَنْ أَعِيْش؛
بِما أنَّ اللهَ أَعْطاكَ الوُصْلَةَ بِه، اِمْسَحْ سَريعاً رَأْسي باليَدِ أَيْ مَسِيْح؛
عِنْدي صَبْرٌ عَنِ النِّساءِ والذَّهَبِ والعَقار، هذا لَيْسَ بالتَّكَلُّفِ ولا بالتَّزوير؛
إنْ كُنْتَ لا تُصَدِّقُني في هذا، اِمْتَحِنْ فالاِمْتِحانُ قَولٌ وَقَدَمٌ؛
أَسْرَعَ عِمادُ المُلْكِ إلى أمامِ السُّلْطان، حائراً باكِياً يَمْسَحُ العَيْن؛
أَغْلَقَ الشَّفَةَ وَوَقَفَ أمامَ السُّلْطان، مُتَحَدِّثاً بالسِّرِّ مَعَ اللهِ رَبِّ العِباد؛
واقِفاً يُنْصِتُ إلى سِرِّ السُّلْطان، وكانَ هذا في داخِلِ فِكْرِهِ يَجُول؛
أنْ أَيْ اللهُ إنْ كانَ هذا الشَّابُ مالَ في السَّيْر، إذ لا يَجُوزُ اللُّجُوءُ إلَّا إلَيْك؛
عامِلْهُ بِما أنتَ لَهُ أهْلٌ لا بِما هُوَ أَهْلُهُ، وإنْ هُوَ أرادَ الخلاصَ مِنْ كُلِّ عِقاب؛
ذلِكَ أنَّ الخَلْقَ مُحْتاجُونَ كُلُّهُم، مِنَ الشَّحَّاذِ إلى السُّلْطانِ جَميعاً؛
أَتُطْلَبُ الهِدايَةُ مِنَ الشَّمْعِ والذُّبال، بِوُجُودِ الشَّمْسِ ذاتِ الكمال؛
في حُضُورِ الشَّمْسِ عَذْبِ المَساغ، أَيُطْلَبُ الضِّياءُ مِنَ الشَّمْعِ والسِّراج؛
هذا مِنَّا تَرْكٌ للأَدَبِ بلا شَكّ، إنَّهُ كُفْرُ نِعْمَةٍ وَفِعْلُ هَوى؛
لكِنَّ أَغْلَبَ الأفْهامِ في الاِفْتِكار، عابِدَةٌ للظَّلامِ كالخَفافيش؛
لَو أكَلَ الخَفَّاشُ في اللَّيْلِ دُودَةً ، شَمْسُ الرُّوحِ هِيَ مَنْ رَبَّى تِلْكَ الدُّوْدَة؛
إذا سَكِرَ الخَفَّاشُ في اللَّيْلِ مِنْ دُوْدَةٍ، الدُّودَةُ مِنَ الشَّمْسِ صارَتْ مُتَحَرِّكَة؛
الشَّمْسُ الَّتي يُولَدُ مِنْها الضِّياء، تُعْطِي النَّوالَ لِعَدُوِّ نَفْسِها؛
لكِنَّ البازَ المَلَكِيَّ الَّذي لَيْسَ خَفَّاشاً، عَيْنُهُ المَفْتُوحَةُ صَحِيْحَةُ الرُّؤيَةِ وَمُضِيْئَةٌ؛
إذا طَلَبَ النَّماءَ في اللَّيْلِ كالخَفَّاش، تُعاقِبُهُ الشَّمْسُ بِفَرْكِ أُذُنِه؛
تَقُولُ لَهُ إذا كانَ ذاكَ الخَفَّاشُ اللُّدُّ ، عِنْدَهُ عِلَّةٌ أنتَ ما جَرى لَك؛
أَزْجُرُكَ أُعاقِبُكَ العُقُوبَةَ مِنَ الاِكْتِئاب ، كَيْ لا تُعْرِضَ مَرَّةً أُخْرى عَنِ الشَّمْس؛

مُعاقَبَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالحَبْسِ بِضْعَ سِنينَ بِسَبِبِ طَلَبِهِ العَوْنَ مِنْ غَيْرِ الحَقّ وَقَوْلِهِ *اذْكُرْني عِنْدَ رَبِّكَ* مَعَ تَقْريرِه

مِثْلَ يُوسُفَ ذاكَ الَّذي بالاِفْتِقار وبالخُضُوعِ، قامَ بِطَلَبِ العَوْنِ مِنْ سَجِيْنٍ؛
قالَ لَهُ إذا صِرْتَ خارِجَ السِّجْنِ، وَصارَتْ أُمُورُكَ عِنْدَ الشّاهِ مُسْتَوِيَةً؛
اذْكُرْني أمامَ عَرْشِ ذاكَ العَزيز، حتَّى يُخْرِجَني أنا أَيْضاً مِنَ الحَبْس؛
متى أعْطى سَجِيْنٌ رَهْنَ الاِقْتِناص، لِرَجُلٍ آخَرَ في السِّجْنِ الخلاص؛
أَهْلُ الدُّنيا جَمِيْعاً مَساجِيْن، بانْتِظارِ مَوْتِ الدَّارِ الفانِيَة؛
إلَّا في النَّادِرِ وَأَنْ يَكُونَ رَجُلٌ فَرْدٌ، جِسْمُهُ في السِّجْنِ وَرُوحُهُ في كَيْوان؛
جزاءً لِكَونِهِ رأى فِيْهِ مُعِيْناً ، مَكَثَ يُوسُفُ في السِّجْنِ بِضْعَ سِنِيْن؛
محا الشَّيْطانُ ذِكْرَ يُوسُفَ مِنْ عَقْلِه، وَسَلَبَ الشَّيْطانُ ذاكَ الحَديثَ مِنْ قَلْبِه؛
ذاكَ الحَسَنُ الخِصال مِنْ هذا الذَّنبِ، بَقِيَ في السِّجْنِ مِنَ القَضاءِ بِضْعَ سِنين؛
أنْ أَيُّ تَقْصِيْرٍ كانَ مِنْ شَمْسِ العَطاء، حَتَّى سَقَطْتَ مِثْلَ الخَفَّاشِ في الظَّلام؛
أَيُّ تَقْصِيْرٍ كانَ مِنَ البَحْرِ والسَّحاب، حَتَّى تَطْلُبَ العَوْنَ مِنَ الرَّمْلِ والسَّراب؛
العامِيُّ بِطَبْعِ خَفَّاشٍ وَمُجاز ، يُوسُفا أنتَ لَكَ عَيْنُ باز؛
إذا كانَ الخَفَّاشُ ذَهَبَ في العَمى والظَّلام، عَيْنُ بازِ السُّلْطانِ ماذا جَرى لَها؛
فَأَدَّبَهُ الأُسْتاذُ مِنْ هذا الجُرْم، قالَ لا تَتَّخِذْ عِماداً مِنَ الخَشَبِ المُهْتَرِئ؛
لكِنَّهُ جَعَلَ يُوسُفَ مَشْغُولاً بالنَّفْس، حَتَّى لا يَجِيْءَ في قَلْبِهِ أَلَمٌ مِنْ ذلِكَ الحَبْس؛
كذلِكَ أَعْطاهُ الحَقُّ الأُنْسَ والسُّكْر، فَلَمْ يَبْقَ أمامَهُ سِجْنٌ ولا غَسَق؛
ما مِنْ سِجْنٍ أَوْحَشُ مِنَ الرَّحِم، مُوحِشٌ مُظْلِمٌ مَمْلُوءٌ بالدَّمِ وَوَخِم؛
كَيْفَ فَتَحَ لَكَ الحَقُّ باباً صَغيراً إِلَيْه، كُلَّ لَحْظَةٍ في الرَّحِمِ يَزيدُ بَدَنُكَ أَكْثَر؛

فِي تِلْكَ الرَّحِمِ مِنْ لَذَّةٍ بلا قِياس، تَفَتَّحَتْ مِنْ غَرْسِ جِسْمِكَ مُبْتَهِجَةً الحَواس؛
مِنْ ذلِكَ يَشِقُّ عَلَيْكَ الخُرُوجُ مِنَ الرَّحِم، وَتَهْرُبُ مِنْ أَسْفَلِ بَطْنِها إلى الظَّهْر؛
طَرِيقُ اللَّذَّةِ مِنَ الدَّاخِلِ لا مِنَ الخارِجِ، وَطَلَبُ القَصْرِ والحُصُونِ بلاهَةٌ اعْلَمْ؛
ذاكَ واحِدٌ في رُكْنِ المَسْجِدِ مُنْتَشٍ مَسْرُور، وذاكَ واحِدٌ بِرَوْضَةٍ عابِسٌ مَقْهُور؛
القَصْرُ لَيْسَ شَيْئاً اخْرِبِ البَدَن، الكَنْزُ في الخراباتِ أَيْ أميري؛
أَلَسْتَ ترى أَنَّهُ في مَحْفَلِ الشَّراب، السَّكرانُ هُوَ السَّعِيْدُ لأَنَّهُ خراب؛
رَغْمَ أَنَّ المَنْزِلَ مَلِيْءٌ بالرُّسُومِ اهْدِمْهُ، واطْلُبِ الكَنْزَ وَمِنَ الكَنْزِ عَمِّرْه؛
المَنْزِلُ مَمْلُوءٌ بِرُسُومِ التَّصْوِيرِ والخَيال، والصُّوَرُ كالحُجُبِ على كَنْزِ الوِصال؛
مِنْ ضِياءِ الكَنْزِ وَبَرِيقِ الذَهَبِ، تَظَلُّ الصُّوَرُ تَجِيْشُ في هذا الصَّدْر؛
كما مِنْ لُطْفِ وَعَكْسِ الماءِ الشَّرِيْف،صارَتْ أَجْزاءُ الزَّبَدِ حُجُباً على وَجْهِ الماء؛
كما مِنْ لُطْفِ وجَيَشانِ الرُّوحِ ذاتِ الثَّمَن، صارَ البَدَنُ حِجاباً على وَجْهِ الرُّوح؛
فاسْتَمِعْ للمَثَلِ الَّذي يَطْلَعُ مِنَ الأفْواه، ذاكَ الَّذي عَلَيْنا أَيْ أَخُ هُوَ مِنَّا؛
الظَّامِئُونَ عَبَدُوا الزَّبَدَ مِنْ هذا الحِجاب، وَقَعُوا بَعِيْدِيْنَ عَنْ دَرْكِ الماءِ الصَّافي؛
مَعَ قِبْلَةٍ وَإمامٍ مِثْلِكَ أَيْ شَمْسُ، نَحْنُ نَعْبُدُ اللَّيْلَ وَنَفْعَلُ فِعْلَ الخَفافيش؛
اِجْعَلْ لِهذِهِ الخفافيشِ إلى نَفْسِكَ المَطار، اِشْرِها مِنْ طَبْعِ الخَفَّاشِ أَيْ مُسْتَجار؛
هذا الشَّابُّ مِنْ هذا الجُرْمِ ضالٌّ وَمُغِيْر، مَجِيْئُهُ إليَّ جُرْمٌ ولكِنْ لا تُؤاخِذْهُ؛
كانَتْ هذِهِ الأَفْكارُ في *عِمادِ المُلْك*، تَجِيْشُ كالأُسُودِ في الآجام؛
ظاهِرُهُ واقِفٌ أمامَ السُّلْطان، وَرُوحُهُ تَطِيْرُ في رياضِ الغَيْب؛
كانَ مِثْلَ الملائِكَةِ في إقْليمِ *أَلَسْت*، كُلَّ لَحْظَةٍ يَسْكَرُ مِنْ شُربٍ جَدِيْد؛
في الدَّاخِلِ غَرْسٌ وَمِنَ الخارِجِ غَمٌّ كَثير، البَدَنُ كاللَّحْدُ وفِيْهِ عالَمٌ جَمِيْل؛
كانَ في هذِهِ الحَيْرَةِ مُنْتَظِراً للأسْرار، ولِما سَيَطْلُعُ ظاهِراً مِنْ عالَمِ الغَيْب؛
إذْ جاءَ القُوَّادُ بالجَوادِ يَسْحَبُونَهُ، إلى أمامِ شاهِ خوارِزْم تِلْكَ اللَّحْظَة؛

الحَقُّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ مِثْلُ ذاكَ الجَواد، تَحْتَ الفَلَكِ الأزرَقِ في القَدِّ والرَّشاقة؛
كانَ لَوْنُهُ يَخْطِفُ كُلَّ بَصَر، مَرْحَباً بِذاكَ المَوْلُودِ مِنَ البَرْقِ والقَمَر؛
مِثْلَ القَمَرِ وَكَعُطارِدَ في سُرْعَةِ السَّيْر، كأَنَّ عَلَفَهُ مِنَ الصَّرْصَرِ لا مِنَ الشَّعِيْر؛
القَمَرُ يَطِيْرُ يَقْطَعُ مَساحَةَ السَّماء، كُلَّ لَيْلَةٍ في المَسِيْرِ والذَّهاب؛
إذا كانَ القَمَرُ يَقْطَعُ في اللَّيْلَةِ الأبراج، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَصِيْرُ مُنْكِراً المِعْراج؛
عَجَباً لِذاكَ الدُّرِّ اليَتِيْمِ كَمِئَةِ قَمَر، مِنْ إِيْماءَةٍ واحِدَةٍ مِنْهُ شُقَّ القَمَر؛
وَذاكَ العَجَبُ الَّذي أَظْهَرَ في شَقِّ القَمَر، كانَ على قَدْرِ ضَعْفِ حِسِّ البَشَر؛
أَمْرُ وَشَأْنُ الأنبياءِ والمُرْسَلِيْن، خارِجٌ عَنِ الأَفْلاكِ وَعَنِ النُّجُوم؛
أنتَ أَيْضاً اخْرُجْ مِنَ الأفلاكِ والدُّوار، ثُمَّ آنَذاكَ انْظُرْ لِتِلْكَ الأعْمالِ والأحْوال؛
أنتَ داخِلَ البَيْضَةِ كَفَرْخِ طَيْرٍ، ولا تَسْمَعُ تَسْبيحَ الطُّيُورِ في الهَواء؛
المُعْجِزاتُ لَنْ تَصِيْرَ مَشْرُوحَةً هُنا، تَحَدَّثْ بِقِصَّةِ الجَوادِ وَشاهِ خَوارِزْم؛
شَمْسُ لُطْفِ الحَقِّ إذا شَعَّتْ على شَيْءٍ، مِنْ كَلْبٍ وَمِنْ جَوادٍ وَجَدَ عِزَّ الكَهْف؛
ولا تَعْتَبِرْ ضِياءَ لُطْفِها واحِداً أَيْضاً، لَقَدْ أَعْطى الدَّلِيْلَ مِنَ الحَجَرِ وَمِنَ اللَّعْل؛
فَلِلَّعْلِ مِنْ ذاكَ الضِّياءِ كَنْزٌ مُقْتَبَس، وَلَيْسَ للحَجَرِ مِنْهُ غَيْرُ حرارَةٍ وَضَوء؛
ذلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ تَقَعُ على الجِدار، فلا يَكُونُ مِنْهُ اضطِرابٌ كاضْطِراب الماء؛
صارَ حَيْرانَ مِنْهُ لَحْظَةً الشَّاهُ الفَرْد، وَجَّهَ الوَجْهَ إلى *عِمادِ المُلْك*؛
أنْ أَخِيْ أَلَيْسَ هذا الجَوادُ فائِقَ الجَمال، لَكَأَنَّهُ مِنَ الجَنَّةِ لا مِنَ الَرْض؛
فقالَ لَهُ *عِمادُ المُلْكِ* أَيْ سَيِّدُ، كَيْفَ صارَ الشَّيْطانُ مِنْ مَيْلِكَ مَلاكاً؛
إنَّ كُلَّ شَيْءٍ نَظَرْتَ إِلَيْهِ جَعَلْتَهُ جَمِيْلاً، إنَّها مَطِيَّةٌ جَمِيْلَةٌ وَرَعْناءُ لكِنْ؛
إنَّ تِلْكَ الرَّأْسَ في قَوامِهِ نَقْصٌ، لَكَأَنَّ رَأْسَهُ تِلْكَ رَأْسُ ثَوْر؛
أَثَّرَ هذا القَوْلُ في قَلْبِ شاهِ خَوارِزْم، جَعَلَ الجَوادَ وَضِيْعاً في مَنْظَرِ الشَّاه؛
إذا صارَ الغَرَضُ الواصِفَ والدَّلَّال، تَشْتَرِي يُوسُفَ بِثلاثَةِ أَذْرُعٍ مِنَ الكِرباس؛

مِثْلَما يَكُونُ عِنْدَ فِراقِ الرُّوحِ، وَيَصِيْرُ الشَّيْطانُ دَلَّالَ دُرِّ الإيمان؛
فَيَبِيْعُ الأَبْلَهُ الإيمانَ مُسْرِعاً، في ذلِكَ الضِّيْقِ بإبريقِ ماء؛
وَيَكُونُ ذاكَ خَيالاً وَلَيْسَ بِإبريق، وما قَصْدُ ذاكَ الدَّلَّالِ إلَّا التَّخْريق؛
وَأَنْتَ في هذا الزَّمانِ صَحِيْحٌ وَمُمْتَلِئٌ، وَتَدْفَعُ الصِّدْقَ مِنْ أَجْلِ خَيال؛
تَبيعُ في كُلِّ لَحْظَةٍ دُرَّ المَنْجَم، وَتَأْخُذُ في العِوَضِ الجَوْزَ مِثْلَ طِفْل؛
إذَنْ في ذلِكَ الأَلَمِ يَوْمَ الأجَل، لَيْسَ بَعِيْداً أنْ تَعْمَلَ هذا العَمَل؛
في خَيالِكَ صُورَةٌ جَيَّاشَةٌ، عَفِنَةٌ مِثْلَ جَوْزَةٍ عِنْدَ الدَّقّ؛
يكُونُ في البِدايَةِ كالبَدْرِ ذاكَ الخَيال، وَفي النِّهايَةِ يَصِيْرُ مِثْلَ الهِلال؛
لَوْ نَظَرْتَ أوَّلاً كَيْفَ يَكُونُ في الآخِر، جِئْتَ فارِغاً مِنْ خِداعِهِ الفاتِر؛
الجَوْزُ المُتَعَفِّنُ هُوَ الدُّنيا أَيْ أمِيْن، أَقِلَّ امتِحانَهُ وانْظُرْ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيْد؛
الشَّاهُ نَظَرَ إلى ذلِكَ الجَوادِ بِعَيْنِ الحال، وَعِمادُ المُلْكِ نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ المآل؛
عَيْنُ الشَّاهِ كانَتْ تَرى مِنَ اللُّغْزِ ذِراعَيْن، وَعَيْنُ ناظِرِ النِّهايَةِ خَمْسِيْنَ ذِراعاً؛
فَأَيُّ كُحْلٍ ذاكَ الَّذي يَضَعُهُ الله، لِتَرى الرُّوحُ الرَّشَدَ مِنْ خَلْفِ مِئَةِ حَجاب؛
عَيْنُ العَظِيْمِ لَمَّا كانَتْ دَوماً ترى الآخِرَ،قالَتْ بِذاكَ النَّظَرِ عَنْ الدُّنيا أَنَّها جِيْفَة؛
مِنْ هذا الذَّمِّ الوَحِيْدِ الَّذي سَمِعَهُ الشَّاه، جَمُدَ في قَلبِهِ حُبُّ ذاكَ الجَواد؛
تَرَكَ عَيْنَ نَفْسِهِ واخْتارَ عَيْنَهُ، تَرَكَ عَقْلَ نَفْسِهِ وَسَمِعَ قَوْلَهُ؛
هذِهِ كانَتْ عِلَّةً وذاكَ الدَّيَّانُ الفَرْد، مِنْ افْتِقارِ الشَّاهِ بَرَّدَ ذاكَ في قَلْبِه؛
أَغْلَقَ البابَ عَنْ حُسْنِهِ على البَصَر، الحَدِيْثُ كانَ في الوَسَطِ كَصَوتِ الباب؛
أَلْقَتْ تِلْكَ النُّكْتَةُ حِجاباً على عَيْنِ الشَّاه، فَمِنْ ذلِكَ الحِجابِ ظَهَرَ القَمَرُ أَسْوَداً؛
تَقَدَّسَ بَنَّاءٌ يُشِيْدُ الحُصُون، في عالَمِ الغَيْبِ مِنَ القَوْلِ والفُتُون؛
اِعْرِفِ القَوْلَ صَوْتَ البابِ مِنْ قَصْرِ السِّرّ، أَصَوْتُ فَتْحٍ هُوَ أَمْ صَوْتُ إغلاق؛
صَوْتُ البابِ مَحْسُوسٌ والبابُ غَيْرُ مَحْسُوس، تَرَوْنَ الصَّوتَ والبابَ لا تَرَون؛

على صَوْتِ قَيْثارَةِ الحِكْمَةِ جَمِيْلَةِ الصَّوت، أَيُّ بابٍ مِنْ رَوْضَةِ الجَنَّةِ انْفَتَح؛
على صَوْتِ قَوْلِ السُّوءِ إذْ يَنْفَتِحُ الباب، أَيُّ بابٍ يَنْفَتِحُ على النَّفْسِ مِنْ سَقَر؛
اِسْتَمِعْ لِصَوتِ البابِ ما دُمْتَ بَعِيداً عَنْ بابِه، أَيْ سَعِدَ ذاكَ الَّذي نَظَرُهُ مَفْتُوح؛
حِيْنَ تَرى أَنَّكَ تَفْعَلُ الخَيْر، تَقَعُ على الحَياةِ وعلى الرَّاحَة؛
وَحِيْنَ يَجْرِي تَقْصِيْرٌ وَفَساد، تَخْتَفي تِلْكَ الحَياةُ وَتَخْتَفي اللَّذَّة؛
لا تَتْرُكَ نَظَرَكَ مِنْ نَظَرِ الأخِسَّاء، فإنَّ هذِهِ النُّسُوْرَ تَسْحَبُكَ للمَيْتَة؛
ما لَكَ أَغْلَقْتَ العَيْنَ كالنَّرْجِس، أَنْ خُذْ بِعَصايَ أَيْ أَخِيْ فأنا أَعْمى؛
وذاكَ الآخِذُ بِعصاكَ الَّذي اخْتَرْتَ في السَّفَر، أَنتَ تَرى أَنَّهُ أَكْثَرُ عَمىً مِنْكَ؛
تَمَسَّكْ كالأعْمى باليَدِ بِحَبْلِ الله، ولا تَحُمْ إلَّا على أَمْرِ وَنَهْيِ الله؛
ما هُوَ حَبْلُ الله ؟ تَرْكُ الهَوى، فإنَّ هذا الهَوى صارَ صَرْصَراً على عاد؛
الخَلْقُ جالِسُونَ في السِّجْنِ مِنَ الهَوى، الطُّيُورُ مُقَيَّدَةُ الجَناحِ مِنَ الهَوى؛
السَّمَكَةُ في المِقْلاةِ الحارَّةِ مِنَ الهَوى، ذَهَبَ الحَياءُ مِنَ المُحَجَّباتِ مِنَ الهَوى؛
غَضَبُ الشُّرْطَةِ شُعْلَةُ نارٍ مِنَ الهَوى، الصَّلْبُ وَهَيْبَةُ المَشْنَقَةِ مِنَ الهَوى؛
رَأَيْتَ شُرْطِيَّ الأَجْسامِ على الأَرْض، فَلْتَرَ شُرْطِيَّ أَحْكامِ الرُّوحِ أَيْضاً؛
فإنَّ للرُّوحِ في الغَيْبِ عَذاباً، لكِنَّهُ عَذابٌ في الخَفاءِ كَيْ لا تَفِرَّ مِنْه؛
حِيْنَ تَنْجُو تَرى العَذابَ والدَّمار، الضِّدُّ مِنَ الضِّدِّ يَصِيْرُ ظاهِراً عِياناً؛
ذاكَ المَولُودُ في البِئْرِ والماءِ الأسْوَد ، ما يَعْلَمُ عَنْ لُطْفِ الصَّحْراءِ وَأَلَمِ البِئْر؛
إذا تَرَكْتَ الهَوى مِنْ خَشْيَةِ الحَقّ، يَصِلُكَ الإناءُ مِنْ تَسْنيمِ الحَقّ؛
لا تُطَرِّقْ في هَواكَ سَلْ سَبيلْ   مِنْ جَنابِ اللهِ نَحْوَ السَّلْسَبيلْ
لا تَكُنْ طَوْعَ الهَوى مِثْلَ الحَشيشْ   إنَّ ظِلَّ العَرْشِ أولى مِنْ عَرِيْشْ
قالَ السُّلْطانُ أَرْجِعُوا الجَواد، اِشْتَرُوني مِنْ هذِهِ المَظْلَمَةِ في الحال؛
لَمْ يَقُلِ الشَّاهُ لِمُدَلَّلِهِ ذاكَ، لا تَخْدَعِ الأَسَدَ بِرَأْسِ البَقَر؛

أدْخَلْتَ قَدَمَ الثَّوْرِ في الوَسَطِ مِنَ الادِّعاء، الحَقُّ لَمْ يَضَعْ رَأْسَ ثَوْرٍ على فَرَس؛
أَهِيَ صَنْعَةٌ مُناسِبَةٌ مِنْ هذا المَشْهُور، أنْ يَضَعَ على جِسْمِ الجَوادِ عُضْوَ ثَوْر؛
بَنى الأبْدانَ مُتَناسِبَةً، أوْجَدَ قُصُوراً مُتَنَقِّلَةً؛
وَهُناكَ ما بَيْنَ القُصُورِ مَخارِجُ، مِنْ جِهَةِ هذا لِجِهَةِ ذاكَ هُناكَ صَهاريج؛
وَمِنْ داخِلِها عالَمٌ بلا مُنْتَهى، كَمْ وَسَطَ السَّماءِ مِنْ فَضاء؛
تارَةً يَظْهَرُ القَمَرُ كالكابُوس، وَتارَةً يَظْهَرُ قَعْرُ الجُبِّ كالرَّوْضَة؛
قَبْضُ وَبَسْطُ عَيْنِ القَلْبِ مِنْ ذي الجَلال، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ يُظْهِرُ السِّحْرَ الحلال؛
لِهذا السَّبَبِ طَلَبَ المُصْطَفى مِنَ الحَقّ، أَظْهِرْ لنا القَبيحَ قَبيحاً والحَقَّ حَقًّا؛
حَتَّى في الأَخِيْرِ حِيْنَ تَقْلِبُ الوَرَق، لا أَسْقُطُ مِنَ الخَجَلِ إلى القَلَق؛
ذاكَ المَكْرُ الَّذي عَمِلَ *عِمادُ المُلْكِ* الفَرْد، مالِكُ المُلْكِ أَرْشَدَهُ لِذلِك؛
مَكْرُ الحَقِّ أَصْلُ نَبْعِ كُلِّ مَكْر، القَلْبُ بَيْنَ إِصْبَعَيِ الكِبْرِياء؛
ذاكَ الَّذي أَوْجَدَ في قَلْبِكَ المَكْرَ والقِياس ، يَعْرِفُ كَيْفَ يُشْعِلُ النَّارَ في خِرْقَتِك؛

عَوْدَةٌ إلى قِصَّةِ ذلِكَ الرَّجُلِ الهُمام وَذاكَ الغَريبِ المَدِيْن وَقَدْ
عادا عَنْ قَبْرِ السَّيّد وَرُؤْيَةُ الهُمامِ للسَّيِّدِ في المنام إلى آخِرِه

هذِهِ الواقِعَةُ الجَمِيْلَةُ لَمْ تَنْتَهِ، فَعِنْدَما عادَ الغَريبُ عَنْ قَبْرِ السَّيّد؛
أَخَذَهُ الشَّفيعُ إلى مَنْزِلِه، أَعْطاهُ مِئَةَ دِينارٍ الوَدِيْعَة؛
جاءَهُ بالطَّعامِ اللَّذيذِ وَحَكى لَهُ الحَكايا، تَفَتَّحَتْ في قَلْبِهِ مِنَ الأَمَلِ مِئَةُ وَرْدَة؛
عَنْ ذاكَ الَّذي رأى مِنَ اليُسْرِ بَعْدَ العُسْر، فَتَحَ الشِّفاهَ بِقِصَّةِ ذاكَ مَعَ الغَريب؛
وَمَرَّ نِصْفُ اللَّيْلِ وَهُوَ يُسامِرُهُ، وَأَلْقى بِهِما النَّومُ في مَرْعى الرُّوح؛
فَرَأى الشَّفيعُ ذاكَ السَّيِّدَ المُبارَكَ، في تِلْكَ اللَّيْلَةِ نائِماً في صَدْرِ البَيْت؛
قالَ لَهُ السَّيِّدُ أَيُّها الشَّفيعُ المَليح، كُلَّ ما قُلْتَ سَمِعْتُهُ بالتَّفْصِيْل؛

لكِنْ لَمْ تَكُنْ لِي إجازَةٌ بالجَواب، مِنْ دُونِ إِشارَةٍ لا أَفْتَحُ الشَّفَة؛
حِيْنَ صِرْنا واقِفِيْنَ على الكَمِّ والكَيْف، وُضِعَتِ الأَخْتامُ على شِفاهِنا؛
كَيْ لا تَصِيْرَ أَسْرارُ الغَيْبِ فاشِيَةً، كَيْ لا يَصِيْرَ مُنْهَدِماً العَيْشُ والمَعاش؛
كَيْ لا تَتَمَزَّقَ حُجُبُ الغَفْلَةِ تماماً، كَيْ لا يَبقى قِدْرُ المِحْنَةِ نِصْفَ ناضِج؛
نَحْنُ كُلُّنا سَمْعٌ وإنْ ذَهَبَتْ صُورَةُ الأُذُن، نَحْنُ كُلُّنا نُطْقٌ رَغْمَ أَنَّ الشَّفَةَ صامِتَة؛
كُلَّ ما أَعْطَيْنا رأَيْناهُ في اللَّحْظَة، هذا العالَمُ حِجابٌ وَذاكَ العالَمُ عِيان؛
يَوْمُ الزَّرْعِ هُوَ يَومُ إخْفاء، هُوَ يَومُ نَثْرِ البُذُورِ في التُّراب؛
وَقْتُ الحَصادِ وَقْتُ الضَّرْبِ بالمَنْجَل، جاءَ يَومُ الجَزاءِ والإِظْهار؛

إخبارُ السَّيِّدِ في النَّوم لِذلِكَ الشَّفيع بِمَوْضِعِ النُّقُودِ لِقَضاءِ دَيْنِ ذلِكَ الصَّديقِ الحاضِر ، وإعْطاؤُهُ العلامَةَ على مَوْضِعِ دَفْنِ تِلْكَ النُّقُود، وإرْسالُهُ الرِّسالَةَ للوارِثِيْن بأنْ لا يَرَوا ذلِكَ كَثيراً أَبَداً وَأَنْ لا يَمْنَعُوا مِنْهُ شَيْئاً ، وإذا هُوَ لَمْ يَقْبَلْ شَيْئاً مِنْ ذلِكَ أو لَمْ يَقْبَلْ بَعْضَهُ فاتْرُكُوهُ هُناكَ حَتَّى يَأْخُذَهُ مَنْ أرادَهُ فإنِّي نَذَرْتُ للهِ أنْ لا تَعُودَ حَبَّةٌ مِنْ تِلْكَ النُّقُودِ لِي أو للمُتَعَلِّقِيْنَ بي إلى آخرِهِ

اِسْتَمِعْ الآنَ إلى عَطاءِ الضَّيْفِ الجَديد، أنا كُنْتُ أرى أنَّهُ سَيَجِيْء؛
كُنْتُ سَمِعْتُ عَنْ قَرْضِهِ الخَبَر، فَخَبَّأْتُ مِنْ أَجْلِهِ قِطْعَتَيْنِ أو ثلاثاً مِنَ الجَوهَر؛
تَكُونُ وَفاءً لِقَرْضِهِ وَأَكْثَر، حَتَّى لا يَعُودَ ضَيْفي مَجْرُوحَ الصَّدْر؛
عَلَيْهِ قَرْضٌ تِسْعَةُ آلافِ ذَهَبِيَّةً، قُلْ لَهُ ادْفَعِ القَرْضَ بِبَعْضِ هذا؛
وَيَبقى مِنْ هذا الكَثيرُ فَأَنْفِقْهُ، وَأَدْرِجْني في الدُّعاءِ حِيْنَ تَدْعُو؛
كُنْتُ أُريدُ أنْ أَدْفَعَ ذاكَ بِيَدِي، هذِهِ القِسْمَةُ مَكْتُوبَةٌ في الدَّفْتَرِ الفُلانِيّ؛

لَمْ يُعْطِني الأجَلُ المُهْلَةَ لِذلِكَ، لِكَيْ أُسْلِمَهُ خُفْيَةً دُرَّ عَدَن؛
هُناكَ لَعْلٌ وَياقُوتٌ مِنْ أَجْلِ قَرْضِهِ، في وِعاءٍ مَنْقُوشٌ عَلَيْهِ اِسْمُهُ؛
دَفَنْتُهُ في الطَّاقَةِ الفُلانِيَّةِ، فَقَدْ كُنْتُ مُغْتَمَّاً لِغَمِّ ذاكَ الصَّدِيْقِ القَدِيْم؛
ولا يَعْرِفُ قِيْمَةَ ذاكَ غَيْرُ المُلُوك، فاجْتَهِدْ في البَيْعِ أنْ لا يَخْدَعُوك؛
وافْعَلْ في البُيُوعِ مِنْ خَوْفِ الغِرارِ، ما عَلَّمَ الرَّسُولُ ثلاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الاِخْتِيار؛
ولا تَخَفْ مِنْ كسادِ ذاكَ ولا تَقَعْ خَوفاً، فإنَّ رَواجَ ذاكَ لَنْ يَنامَ اَبَداً؛
وَأَبْلِغِ السَّلامَ مِنِّي لِوَرَثَتِي، وَقُلْ لَهُمْ هذِهِ الوَصِيَّةَ شَعْرَةً بِشَعْرَة؛
حَتَّى لا يَسْتَعْظِموا كَثْرَةَ هذا الذَّهَب، وَلِيَضَعُوهُ بلا تَثاقُلٍ أمامَ ذاكَ الضَّيْف؛
وإنْ قالَ هذا كَثيرٌ ولا أُرِيدُهُ، قُلْ لَهُ خُذْهُ وَأَعْطِهِ مَنْ شِئْت؛
فَمِنْ ذاكَ الَّذي أَعْطَيْتُ لا أَسْتَرِدُّ نَقِيْراً، اللَّبَنُ لا يَعُودُ للثَّدْيِ راجِعاً أَبَداً؛
مُسْتَرِدُّ النِّحْلَةِ على قَوْلِ الرَّسُولِ ، يَصِيْرُ آكِلاً للقَيْءِ مِثْلَ الكَلْب؛
وإنْ هُوَ أَغْلَقَ البابَ لا يَأْخُذُ ذلِكَ الذَّهَب، فَلْيَسْكبوا ذلِكَ العَطاءَ على بابِه؛
وَكُلُّ مَنْ عَبَرَ هُناكَ فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ، فَهَدِيَّةُ المُخْلِصِيْنَ لا تَكُونُ مُسْتَرَدَّةً؛
لَقَدْ وَضَعْتُ ذاكَ مِنْ أَجْلِهِ مُنْذُ عامَيْن، وَجَعَلْتُ ذاكَ نُذُوراً لِذي الجَلال؛
وإنْ اسْتَجازُوا أَخْذَ شَيْءٍ مِنْ ذاك، وَقَعَتِ الخَسارَةُ بِهِمْ عِشْرِيْنَ ضِعْفاً؛
وإذا هُمْ سَبَّبُوا لِرُوحِيَ الاِضْطِراب، يِنْفَتِحُ عَلَيْهِمْ للمِحْنَةِ مِئَةُ باب؛
أَسْأَلُ اللهَ أنَّ مَنْ لَبِقْ، يُوْصِلُ الحَقَّ إلى المُسْتَحِقّ؛
وَشَرَحَ لَهُ قِصَّتَيْنِ أُخْرَيَيْن، لا أُرِيدُ أنْ أَفْتَحَ الشَّفَةَ بِذِكْرِهِما؛
حَتَّى تَبْقى القَضِيَّتانِ سِرَّاً وَكِتْماناً، وَحَتَّى لا يَطُولَ المَثْنَوِيُّ كَثيراً؛
نَهَضَ مِنَ النَّومِ وَضَرَبَ خُنْصُرَه، حِيْناً يُنْشِدُ الغَزَلَ وَحِيْناً يَنُوح؛
قالَ الضَّيْفُ أنتَ في أَيَّةِ أَفْكارٍ غَرِيبَةٍ، حَتَّى نَهَضْتَ ثَمِلاً وَمَسْرُوراً أَيْ شَفيع؛
ماذا رَأَيْتَ في النَّومِ لَيْلَةَ الأَمْسِ أَيْ با العَلاء، حَتَّى لا تَسَعَكَ المَدِيْنَةُ ولا الفَلاة؛

أَرأى فيلُكَ في النَّومِ بلادَ الهِنْد، حَتَّى فَرَرْتَ مِنْ حَلْقَةِ الأَصْدِقاء؛

قالَ رَأَيْتُ رُؤيا نافِعَةً، رَأَيْتُ في قَلْبيَ شَمْساً ساطِعَةً؛

رَأَيْتُ في النَّومِ السَّيِّدَ اليَقِظ، ذاكَ الَّذي أَسْلَمَ الرُّوحَ يَطْلُبُ الحَبيب؛

رَأَيْتُ في النَّوْمِ السَّيِّدَ مُعْطِي المُنى، *واحِدٌ كالأَلْفِ إنْ أَمْرٌ عَنى*؛

وَيَعُدُّ مناقِبَهُ هكذا في سُكْرٍ وَوَجْد، حَتَّى سَلَبَ السُّكْرُ مِنْهُ العَقْلَ والوَعْي؛

وَسَقَطَ في وَسَطِ الدَّارِ مُغْمىً عَلَيْه، واجْتَمَعَ مِنَ الخَلْقِ حَوْلَهُ الكَثير؛

عادَ إلى النَّفْسِ قالَ أَيْ بَحْرَ السُّرُور، أَيْ جاعِلَ الوَعْيِ في فَقْدِ الوَعْي؛

لَقَدْ جَعَلْتَ في النَّومِ يَقَظَةً، وَقُمْتَ بالمُواساةِ للوالِه؛

أَخْفَيْتَ الغِنى في ذُلِّ الفَقْر، جَعَلْتَ طَوْقَ الدَّولَةِ في غُلِّ الفَقْر؛

الضِّدُّ مُنْدَرِجٌ خفْيَةً في الضِّدّ، النَّارُ مُنْدَرِجَةٌ في الماءِ الحارِق؛

للرَّوْضَةِ في نارِ نَمْرُودَ دَرْج، للدُّخُولِ نَماءٌ مِنَ البَذْلِ والخَرْج؛

ثُمَّ قالَ المُصْطَفى شاهُ النَّجاح، السَّماحُ يا أولي النُّعْمى رَباح؛

مِنَ الصَّدَقاتِ ما نَقُصَ مالٌ قَطّ، إنَّما الخَيْراتُ نِعْمَ المُرْتَبَط؛

زِيادَةُ وَنَماءُ الذَّهَبِ في الزَّكاة، العِصْمَةُ مِنَ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ في الصَّلاة؛

زَكاتُكَ تِلْكَ لِكِيْسِكَ حارِس، وَصَلاتُكَ راعٍ لَكَ مِنَ الذِّئاب؛

الفاكِهَةُ الحُلْوَةُ مَخْفِيَّةٌ في الغُصْنِ والوَرَق، الحَياةُ الأَبَدِيَّةُ مَخْفِيَّةٌ تَحْتَ المَوت؛

الزِّبْلُ صارَ قُوْتَ التُّرابِ وِفْقَ القانُون، مِنْ ذلِكَ الغِذاءِ تُولَدُ مِنَ الأَرْضِ الثِّمار؛

في العَدَمِ صارَ مَخْفِيّاً المَوْجُود، في طِيْنَةِ السَّاجِدِ اخْتَفى المَسْجُود؛

الحَدِيْدُ والصَّخْرُ مِنَ الخارِجِ مُظْلِمان، وَمِنَ الدَّاخِلِ نُوْرٌ وَسَمْعُ عالَم؛

أَلْفُ أمْنٍ أُدْرِجَ في الخَوْف، في سَوادِ العَيْنِ مِنَ الضِّياءِ الكَثير؛

داخِلَ ثَوْرِ البَدَنِ اِبْنُ مَلِكٍ، الكَنْزُ وُضِعَ في الخَرابَة؛

لِيَهْرَبَ الحِمارُ العَجُوزُ مِنْ ذلِكَ النَّفيس ، إذْ يراهُ ثَوْراً لا مَلِكاً أَعْني إبليس؛

حِكايَةُ ذلِكَ المَلِك وَوَصِيَّتُهُ لأولادِهِ الثَّلاثَة أنْ في السَّفَرِ في مَمالِكِي اعْمَلُوا في المَكانِ الفُلانِيّ التَّرْتِيْبَ الفُلانِيّ، وفي المَكانِ الفُلانِيّ نَصِّبُوا النُّوَّابَ هكذا، ولكِنْ اللهَ اللهَ لا تَذْهَبُوا إلى القَلْعَةِ الفُلانِيَّة ولا تَحُوموا حَوْلَها

كانَ هُناكَ مَلِكٌ لَهُ ثلاثَةُ أولاد، كُلٌّ مِنَ الثَّلاثَةِ صاحِبُ فِطْنَةٍ وَصاحِبُ نَظَر؛
كُلٌّ واحِدٍ أَجْدَرُ مِنَ الآخَرِ بالمَدْح، في السَّخاءِ والوغى والكَرِّ والفَرّ؛
وَقَفَ أولادُ المَلِكِ أمامَهُ جَمِيْعاً، كَثَلاثِ شَمْعاتٍ فَهُمْ قُرَّةُ عَيْنَي المَلِك؛
مِنْ عَيْنَي الوَلَدِ مِنْ طَرِيقٍ خَفِيّ، نَخِيْلُ ذاكَ الأبِ يَسْحَبُ الماء؛
ماءُ هذِهِ العَيْنِ يَجْري مِنَ الإبْن، مُسْرِعاً إلى رِياضِ الأُمِّ والأب؛
فَتَصِيْرُ نَضِرَةً رِياضُ الوالِدَيْن، وَنَبْعُهُما يجري مِنْ كِلْتا هاتَيْنِ العَيْنَيْن؛
إذا صارَ النَّبْعُ مِنْ عِلَّةٍ مَريضاً، يَبِسَ غُصْنُ وَوَرَقُ ذاكَ النَّخِيْل؛
يُبُوسَةُ النَّخْلِ تَقُولُها بِشَكْلٍ جَلِيّ، أنْ ذلِكَ الشَّجَرُ يَأْخُذُ النَّدى مِنَ الإبْن؛
كَمْ مِنْ مَجْرىً خَفِيٍّ هكذا، مُتَّصِلٍ بِأَرْواحِكُمْ أَيُّها الغافِلُون؛
أيْ مَنْ جَذَبْتَ الثَّرَواتِ مِنَ السَّماءِ وَمِنَ الأَرْض، حَتَّى صارَ بَدَنُكَ سَمِيْناً هكذا؛
هذِهِ عارِيَةٌ فلا تُمْسِكْ بِها بِقُوَّةٍ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرُدَّ ذاكَ الَّذي أَخَذْت؛
إلَّا النَّفْخَةَ الَّتي أَتَتْ مِنَ الوَهَّاب، كُنْ مَعَ الرُّوحِ فَما عَداها باطِل؛
أَقُولُ عَنْهُ باطِلٌ بالنِّسْبَةِ للرُّوح، لا بالنِّسْبَةِ إلى صَنيعِهِ المُحْكَم؛

بَيانُ اسْتِمْدادِ العارِفِ مِنْ عَيْنِ الحَياةِ الأَبَدِيَّةِ واسْتِغْناؤهُ عَنِ الإِسْتِمْدادِ والإِجْتِذابِ مِنْ عُيُونِ الماءِ بلا وَفاء إذْ علامَةُ ذاكَ التَّجافي عَنْ دارِ

الغُرُور فالآدَمِيُّ حِيْنَ يَعْتَمِدُ على المَدَدِ مِنْ تِلْكَ

العُيُون يَصِيْرُ واهِياً في طَلَبِ العَيْنِ الباقِيَةِ دائماً

يَلْزمُكَ عَمَلٌ مِنْ داخِلِ الرُّوح ، مِنَ العَوادِي لَنْ يَنْفَتِحَ لَكَ باب؛

نَبْعُ العَيْنِ في داخِلِ البَيْت ، هُوَ أَفْضَلُ مِنَ النَّهْرِ في الخارِج؛

حَبَّذا قَناةُ ماءِ أَصْلِ الأَشْياء، تَجْعَلُكَ فارِغاً مِنْ هذِهِ القَنَوات؛

أنتَ تَشْرَبُ الماءَ مِنْ مِئَةِ يَنبُوع، وإذا نَقُصَتْ تِلْكَ المِئَةُ نَقُصَتْ سَعادَتُك؛

إذا جاشَ مِنَ الدَّاخِلِ نَبْعٌ سَنِيّ، فَأَنْتَ عَنِ اسْتِراقِ الينابيعِ غَنِيّ؛

ما دامَتْ قُرَّةُ عَيْنِكَ مِنَ الماءِ والطِّيْن، أَلَمُ القَلْبِ مِنْ هذِهِ القُرَّةِ مُسْتَمِرّ؛

حِيْنَ يَجْرِي الماءُ للقَلْعَةِ مِنَ الخارِج، يَكُونُ في زَمَنِ الأَمْنِ دافِقاً في ازدياد؛

فإذا حاصَرَ العَدُوُّ تِلْكَ القَلْعَةَ، حَتَّى يُغْرِقَ مَنْ بِها بالدِّماء؛

يَقْطَعُ الجُنْدُ الماءَ مِنَ الخارِجِ، كَيْ لا يَكُونَ للقَلْعَةِ مِنْ أولئكَ مَلْجَأ؛

ذلِكَ الزَّمانَ بِئْرٌ في الدَّاخِلِ مالِحَةٌ، خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ جَيْحُونٍ في الخارِجِ عَذْبٍ؛

الأَسْبابُ القَواطِعُ وَجُيُوشُ المَوْت، في قَطْعِ الغُصُونِ والوَرَقِ مِثْلُ الشِّتاء؛

الشَّجَرُ بلا مَدَدٍ مِنَ الرَّبيعِ في العالَم، إلَّا إذا كانَ في الرُّوحِ رَبيعُ وَجْهِ الحَبيب؛

الدُّنيا تَشُدُّ القَدَمَ للخَلْفِ يَومَ العُبُور، مِنْ ذاكَ صارَ لَقَبُ الدُّنيا دارَ الغُرُور؛

وَقَبْلَ ذلِكَ كانَتْ تُسْرِعُ يَمِيْنَكَ وَيَسارَكَ، أنْ سَأَرْفَعُ عَنْكَ أَلَمَكَ وَلَمْ تَرْفَعْ شَيْئاً؛

كانَتْ تَقُولُ لَكَ وَقْتَ الغَمّ، الأَلَمُ بَعِيْدٌ عَنْكَ بَيْنَكُما عَشْرَةُ جِبال؛

لَمَّا وَصلَ جَيْشُ الأَلَمِ سَكَتَت، حَتَّى أَنَّها لا تَقُولُ لَكَ كُنْتُ أَعْرِفُك؛

مِثْلَما ضَرَبَ الحَقُّ بالشَّيْطانِ المَثَل، ذاكَ الَّذي يَأْخُذُكَ إلى الحَرْبِ بالحِيَل؛

أنْ أنا أَمُدُّكَ بالعَوْنِ أنا مَعَكَ، أنا أَتَقَدَّمُكَ في الأخْطارِ أُسْرِعُ أمامَكَ؛

أنا لَكَ الدِّرْعُ وَقْتَ يَقْصِدُكَ السَّهم، أنا لَكَ المَخْلَصُ في وَقْتِ الضِّيْق؛

أَجْعَلُ الرُّوحَ فِداءً لَكَ في الإنْتِعاش،: أَيْ رُسْتَمُ أَيْ أَسَدُ كُنْ كالرِّجال؛
جُوالُ الخِداعِ والمَكْرِ والدَّهاءِ ذاك، حَمَلَهُ إلى الكُفْرِ مِنْ هذِهِ الخُدَع؛
عِنْدَما وَضَعَ القَدَمَ سَقَطَ في الخَنْدَق، فَفَتَحَ الشَّيْطانُ الشِّفاهَ بالقَهْقَهَةِ بالضَّحِك؛
فَيَقُولُ هَيَّا تَعالَ إنَّ لي بِكَ طَمَعاً، فَيَقُولُ لَهُ اذْهَبْ اذْهَبْ أنا مَلَلْتُ مِنْك؛
أَنتَ لَمْ تَكُنْ تَخافُ مِنْ عَدْلِ الخالِق، لكِنَّني أَخافُ فارْفَعْ يَدَيْكَ عَنِّي؛
قالَ الحَقُّ عَنْهُ أنَّهُ أُبْعِدَ مِنَ الفَضْل، فَمَتى تَنْجُو أنتَ بِكُلِّ هذا التَّزوير؛
الفاعِلُ والمَفْعُولُ يَومَ الحِساب، أَسْوَدا وَجْهٍ وَعُرْضَةٌ للرَّجْم؛
مَقْطُوعُ الطَّرِيقِ وقاطِعُهُ في الحُكْمِ والعَدْل، في بِئْرِ البُعْدِ وَفي بِئْسَ المِهادُ يقيناً؛
الأَحْمَقُ والغُولُ الَّذي خَدَعَه، عَجِيْبٌ أَنْ يَكُونَ لَهُما الخَلاصُ والفَوْز؛
الحِمارُ وآخِذُ الحِمارِ كِلاهُما في الطِّيْن، هُنا يكُونانِ غافِلَيْنِ وَهُناكَ آفِلَيْن؛
إلّا الأَشْخاصُ الَّذينَ يعُودُونَ عَنْ ذاك، وَيَأْتُونَ إلى رَبيعِ الفَضْلِ مِنَ الخَريف؛
يَتُوبُونَ واللهُ قابِلُ التَّوب، يَتَمَسَّكُونَ بِأَمْرِهِ وَهُوَ نِعْمَ الأمير؛
حِيْنَ يَقُومُونَ مِنَ النَّدَمِ بالأنين، يَهْتَزُّ العَرْشُ مِنْ أنينِ المُذْنِبين؛
مِثْلَما تَرْتَجِفُ الوالِدَةُ على الوَلَد، يَأْخُذُ بِأَيْدِيْهِمْ وَيَسْحَبُهُمْ إلى الأعلى؛
أنْ قَد اشْتراكُمْ إلهُكُمْ مِنَ الغُرور، نِعْمَ رِياضُ الفَضْلِ نِعْمَ الرَّبُّ الغَفُور؛
بَعْدَ هذا لَكُمُ العَيْشُ وَرِزْقُ الخُلُود، مِنْ هَوى الحَقِّ لا مِنَ المِيزاب؛
إذا قَطَعَ البَحْرُ المَدَدَ عَنِ الوَسائط، تَرَكَ الظَّامِئُ القِرْبَةَ مِثْلَ سَمَكَة؛

ذَهابُ أَولادِ المَلِكِ في مَمالِكِ الأَبِ بَعْدَ وَداعِهِم
للمَلِك وإعادَةُ المَلِكِ الوَصِيَّةَ وَقْتَ الوَداع

أولئكَ الأولادُ الثَّلاثَةُ عَزَمُوا على السَّيْر، في الطَّريقِ لأمْلاكِ الأبِ رَسْمَ السَّفَر؛
للطَّوافِ على مُدُنِهِ والقِلاع، مِنْ أَجْلِ تَدْبيرِ الدِّيْوانِ والمَعاش؛
قَبَّلُوا يَدَ المَلِكِ وَقالوا الوَداع، بَعْدَ ذلِكَ قالَ لَهُمُ الشَّاهُ المُطاع؛
حَيْثُما سَحَبَكُمُ القَلْبُ صِيْروا عازِمِيْن، في أمانِ اللهِ سِيْرُوا راقِصِيْن؛
إلَّا إلى تِلْكَ القَلْعَةِ المُسَمَّاةِ خاطِفَةَ العَقْل، فإنَّها تُضَيِّقُ القَباءَ على السَّلاطِيْن؛
اللهَ اللهَ عَنْ تِلْكَ القَلْعَةِ ذاتِ الصُّوَر، كُونُوا بَعِيْدِينَ وَخافُوا مِنَ الخَطَر؛
بُرُوجُها والوَجْهُ والظَّهْرُ والسَّقْفُ والأَرْضُ، كُلُّها تَماثيلُ وَنُقُوشٌ وَصُوَر؛
مِثْلَ حُجْرَةِ زَليخا الَّتي كانَتْ مَمْلُوءَةً بالصُّوَر، لِتَجْعَلَ يُوسُفَ يَنْظُرُ لِلحرامِ مِنْها؛
لَمَّا كانَ يُوسُفُ لا يَنْظُرُ إِلَيْها، مَلأَتِ المَنْزِلَ مِنْ صُوَرِها مِنَ الكَيْد؛
حَتَّى إلى أَيَّةِ جِهَةٍ ما نَظَرَ ذاكَ الحَسَنُ العِذار، رأى وَجْهَها مِنْ غَيْرِ اخْتِيار؛
اللهُ الفَرْدُ مِنْ أَجْلِ مُسْتَنيري البَصَر، جَعَلَ الجِهاتِ السِّتَّ مَظْهَرَ آيات؛
حَتَّى إذا نَظَرُوا لِكُلِّ حَيٍّ وَنامٍ، يَرْتَعُونَ مِنْ رياضِ الحُسْنِ الرَّبَّانِيّ؛
مِنْ أجْلِ ذاكَ قَرَّرَ لِجَيْشِهِ، حَيْثُما وَلَّيْتُمْ فَثَمَّ وَجْهُه؛
إذا شَرِبْتُم ماءً مِنَ القَدَحِ مِنَ العَطَش، أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ للحَقِّ داخِلَ الماء؛
وَمَنْ لَيْسَ عاشِقاً فإنَّهُ يَرى بالنَّظَر، صُورَةَ نَفْسِهِ في الماءِ أَيْ صاحِبَ البَصَر؛
ما دامَتْ صُورَةُ العاشِقِ فَنِيَتْ فِيْه، إذَنِ الآنَ في الماءِ ماذا يَرى قُلْ؛
يَرَونَ حُسْنَ الحَقِّ في وُجُوهِ الحُور، كالقَمَرِ في الماءِ مِنْ صُنْعِ الغَيُور؛
غَيْرَتُهُ على العاشِقِ والصَّادِق، غَيْرَتُهُ لَيْسَتْ على الشَّيْطانِ والدَّابَّة؛
الشَّيْطانُ إذا صارَ عاشِقاً صارَ سابِقاً، يَصِيْرُ جَبرائيلِيَّاً وَتَمُوتُ بِهِ الشَّيْطَنَة؛
أَسْلَمَ الشَّيْطانُ هُناكَ صارَتْ ظاهِرَةً، اليَزِيْدِيُّ صارَ مِنْ فَضْلِهِ *بايَزِيد*؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ أَيْ جَماعَة، هَيَّا احْفَظُوا الوُجُوهَ مِنْ تِلْكَ القَلْعَة؛
حَذارِ أنْ يَقْطَعَ لكُمُ الهَوَسُ الطَّريق، فَتَقَعُوا في الشَّقاوَةِ إلى الأَبَد؛

الاِحْتِرازُ مِنَ الخَطَرِ مُفْتَرَض، اِسْمَعُوا مِنّي الحَديثَ بلا غَرَض؛
في طَلَبِ الفَرَجِ العَقْلُ القاطِعُ اَفْضَل، الاِحْتِرازُ مِنْ مَكْمَنِ البلاءِ أَفْضَل؛
لَوْ لَمْ يَقُلْ هذا الحَديثَ ذلِكَ الأب، وَلَوْ لَمْ يَأْمُرْ بالحَذَرِ مِنْ تِلْكَ القَلْعَة؛
لَما كانَتْ ذَهَبَتْ خَيْلُهُمْ إلى تِلْكَ القَلْعَة، وَلَما كانَ وَقَعَ مَيْلُهُمْ إلى ذلِكَ الصَّوب؛
فَتِلْكَ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً بَلْ مَهْجُورَةً، وكانَتْ بَعِيْدَةً عَنِ القِلاعِ وَعَنِ المَناهِجِ؛
قُلُوبُهُمْ مِنْ ذلِكَ المَنْعِ مِنْهُ وَذلِكَ المَقال، وَقَعَتْ في الهَوَسِ وَفي حِمى الخَيال؛
مِنْ هذا المَنْعِ طَلَعَتْ في قُلُوبِهِمُ الرَّغْبَة، وَأَنَّهُ يَجِبُ البَحْثُ عَنْ سِرّ ذاك؛
مَنْ ذا الَّذي عَنِ المَمْنُوعِ يَمْتَنِع، *المَرْءُ حَريصٌ على ما مُنِع*؛
النَّهْيُ على أَهْلِ التُّقى تَبْغيض، النَّهْيُ على أَهْلِ الهَوى تَحْريض؛
مِنْ هُنا يُغْوي بِهِ قَوْماً كَثيراً، مِنْ هُنا يهدي بِهِ قَلْباً خَبيراً؛
الحَمامُ الأَلِيْفُ مَتى جَفِلَ مِنَ النَّهْي، حَماماتُ الهَواءِ تَجْفَلُ مِنَ النَّهْي؛
فقالُوا لَهُ نَحْنُ في الخِدْمَة، نَسْعى على *سَمِعْنا وَأَطَعْنا*؛
ولا نُدِيْرُ الوَجْهَ عَنْ أَمْرِكَ، الغَفْلَةُ عَنْ إحْسانِكَ كُفْرٌ؛
لكِنَّ الاِسْتِثْناءَ وَتَسْبيحَ الله، كانَ مُفارِقَهُمْ مِنْ اعْتِمادِهِمْ على النَّفْس؛
ذِكْرُ الاِسْتِثْناءِ والحَزْمِ المُلْتَوي، جاءَ مَقُولاً في بِدايَةِ المَثْنَوي؛
بِذِكْرِهِ مِئَةُ كِتابٍ لَيْسَتْ غَيْرَ باب، المِئَةُ جِهَةٍ لا قَصْدَ لَها سِوى المِحْراب؛
مَخْلَصُ هذِهِ الطُّرُقِ بَيْتٌ واحِد، آلافُ السَّنابِلِ هذِهِ مِنْ حَبَّةٍ واحِدَة؛
هُناكَ مِئَةُ أَلْفِ نَوْعٍ مِنَ المَآكِل، وَهِيَ جَميعاً في الاِعْتِبارِ شَيْءٌ واحِد؛
حِيْنَ تَصِيْرُ شَبْعانَ مِنْ طَعامٍ تَماماً، يَصِيْرُ بارِداً في قَلْبِكَ خَمْسُونَ طَعاماً؛
في المَجاعَةِ تَكُونُ أَحْوَلَ النَّظَر، حَتَّى تَرى الواحِدَ مِئاتِ الأُلُوف؛
كُنَّا تَحَدَّثْنا عَنْ سِقامِ تِلْكَ الجارِيَة، وَعَنْ الأَطِبَّاءِ وَقُصُورِ الفَهْمِ أَيْضاً؛
كانَ أولئِكَ الأَطِبَّاءُ كالخَيْلِ بلا عِذار، غافِلَةً وبلا انتِفاعٍ مِنَ الفارِس؛

أفْواهُها مَمْلُوءَةٌ بالجِراحِ مِنْ جَذْبِ اللّجام، حَوافِرُها مَجْرُوحَةٌ مِنْ تَحْوِيْلِ الخَطى؛
لَمْ تَصِرْ واقِفَةً على أنْ على ظَهْرِنا، رائِضٌ ماهِرٌ أُسْتاذٌ مُعَلَّم؛
حَيْرَتُنا هذِهِ لَيْسَتْ مِنْ هذا اللّجام، لَيْسَتْ غَيْرَ تَصْريفِ الفارِسِ المُحِبّ؛
نَحْنُ كُنَّا ذاهِبينَ للبَساتينِ في طَلَبِ الوَرْد، بَدا ذاكَ وَرْداً وكانَ شَوكاً؛
لَمْ يَكُنْ لِواحِدٍ مِنْها هذا وأنْ تَقُولَ مِنَ العَقْل، مَنِ الَّذي يَقُومُ بِرَكْلِنا على الرّقاب؛
أولئِكَ الأطِبَّاءُ كانُوا عَبيدَ السَّبَب، فَصارُوا مَحْجُوبينَ عَنْ مَكْرِ الله؛
إذا كُنْتَ رَبَطْتَ ثَوْراً في إصْطَبْل، ثُمَّ وَجَدْتَ الحِمارَ في مَحَلِّ الثَّوْر؛
فَمِنَ الحُمْقِ أنْ تَتَغافَلَ كالنَّائِم، ولا تَبْحَثَ متى جَرى هذا العَمَلُ الخَفِيّ؛
ألا تَقُولُ لِنَفْسِكَ مَنْ يَكُونُ هذا المُبَدِّل، إنَّهُ لَيْسَ ظاهِراً لَعَلَّهُ مِنَ الفَلَك؛
أَطْلَقْتَ السَّهْمَ إلى جِهَةِ اليَمِيْن، رَأَيْتَ السَّهْمَ ذَهَبَ جِهَةَ اليَسار؛
أَغَرْتَ إلى جِهَةِ غَزالٍ لِصَيْدِه، فَوَجَدْتَ نَفْسَكَ صَيْداً لِخَنْزِير؛
جَرَيْتَ في طَلَبِ النَّفْعِ بالكَبْس، لَمْ تَحْصَلْ على النَّفْعِ وَوَقَعْتَ بالحَبْس؛
حَفَرْتَ الآبارَ مِنْ أجْلِ الآخَرين، رَأَيْتَ نَفْسَكَ واقِعاً في تِلْكَ الآبار؛
خَيَّبَكَ الرَّبُّ وَأَنْتَ آخِذٌ بالسَّبَب، فَلِماذا لا تُسْيْءُ الظَّنَّ بالسَّبَب؛
كَمْ مِنْ شَخْصٍ صارَ مِنْ مَكْسَبٍ خاقاناً، وآخَرُ صارَ مِنْ ذلِكَ المَكْسَبِ عُرْياناً؛
كَمْ شَخْصاً صارَ مِنْ عَقْدِ النِّساءِ قارُوناً، وآخَرُ صارَ مِنْ عَقْدِ النِّساءِ مَدْيُوناً؛
فالسَّبَبُ المُتَحَوِّلُ يَكُونُ مِثْلَ ذنَبِ الحِمار، أَقِلَّ الاِتِّكاءَ عَلَيْهِ فذاكَ لَكَ أَفضَل؛
وإنْ أَخَذْتَ بالسَّبَبِ لا تُمْسِكْ بِهِ بِجُرْأَةٍ، فَكَمْ مِنَ الآفاتِ مَخْفِيَّةٌ تَحْتَهُ؛
سِرُّ الاِسْتِثْناءِ هذا الحَزْمُ والحَذَر، ذلِكَ أنَّ القَدَرَ يُبْدِي الحِمارَ عَنْزاً؛
ذاكَ الَّذي أَغْلَقَ العَيْنَ وَلَو كانَ ماهِراً، يكُونُ الحِمارُ في عَيْنِهِ مِنَ الحَوَلِ عَنْزاً؛
بِما أنَّ الحَقَّ كانَ مُقَلِّباً للأبْصار، هُوَ الَّذي يُقَلِّبُ القُلُوبَ والأفْكار؛
فَترى البِئْرَ مَنْزِلاً لَطِيْفاً، وَترى الشِّباكَ حَبَّاً ظَرِيفاً؛

هذا لَيْسَ سَفْسَطَةً هذا تَّقْليبُ الله، يُظْهِرُ أنْ أَيْنَ تَكُونُ الحَقائق؛
ذاكَ الَّذي يَقُومُ بِإنكارِ الحَقائق، يَطُوفُ بِجُمْلَتِهِ على خَيال؛
هُوَ لا يَقُولُ أنَّ تَخَيُّلَ الخَيال، يكُونُ لَكَ خيالاً امْسَحِ العَيْن؛

ذهابُ أولادِ السُّلْطانِ بِحُكْمِ أنَّ الإنسانَ حَريصٌ
على ما مُنِعَ إلى جِهَةِ تِلْكَ القَلْعَةِ المَمْنُوعِ عَنْها
نَحْنُ أَظْهَرْنا عُبُودِيَّةَ النَّفْسِ ولكِنْ
طَبْعُكَ السَّيِّئُ لا يَعْرِفُ شِراءَ العَبْد
جَعَلُوا وَصايا أَبيهِمْ وَنَصائحَهُ كُلَّها تَحْتَ القَدَم
حتَّى وَقَعُوا في بئرِ البلاء وأنفُسُهُمُ اللَّوَّامَةُ تَقُولُ
لَهُمْ *أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِير* وَيُجِيْبُونَ وَهُمْ يبكُونَ نادِمِين
لَو كُنَّا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ ما كُنَّا في أَصْحابِ السَّعِيْر

هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وَأولئكَ الفَريق، أَخَذُوا إلى تِلْكَ القَلْعَةِ الطَّريق؛
وَقَعُوا على شَجَرَةِ الحِنْطَةِ الَّتي نُهُوا عَنْها، خَرَجُوا خارِجَ حَظِيْرَةِ المُخْلِصِيْن؛
واتَّجَهُوا إلى جِهَةِ تِلْكَ القَلْعَةِ، فَمِنَ المَنْعِ والنَّهْيِ عَنْها صَارُوا أَرْغَبَ بِها؛
ذَهَبُوا عِناداً لِقَوْلِ الشَّاهِ المُجْتَبى، إلى القَلْعَةِ حارِقَةِ الصَّبْرِ سالِبَةِ العَقْل؛
جاؤوا بِرَغْمِ العَقْلِ مُسْدِي النُّصْح، رَجَعُوا مِنَ النَّهارِ المُضِيْءِ لِلَّيْلِ المُظْلِم؛
في تِلْكَ القَلْعَةِ الجَمِيْلَةِ ذاتِ الصُّوَر، خَمْسَةُ أبوابٍ للبَحْرِ وَخَمْسَةٌ للبَرّ؛
خَمْسَةٌ كالحِسِّ الظَّاهِرِ جِهَةَ اللَّونِ والعِطْر، وَخَمْسَةٌ كالحِسّ الباطِنِ جِهَةَ السِّرّ؛
يِنْتَقِلُونَ مِنْ جِهَةٍ لأُخْرى سُعُداءَ بلا قَرار، بَيْنَ آلافِ الصُّوَرِ والنُّقُوشِ والرُّسُوم؛
مِنْ أَقْداحِ الصُّوَرِ هذِهِ أَقِلَّ السُّكْر، كي لا تَصِيْرَ ناحِتَ أَصْنامٍ وَعابِدَ أَصْنام؛

أُعْبُرْ مِنْ أَقْداحِ الصُّوَرِ ولا تَقِفْ عِنْدَها، الخَمْرُ في الجامِ وَلَيْسَتْ مِنَ الجام؛
اِفْتَحِ الفَمَ واسِعاً لِواهِبِ الخَمْر، لَنْ تَعْدَمَ الكَأْسَ إذا وَصَلَتِ الخَمْر؛
أَي آدَمِيُّ ابْحَثْ عَنْ مَعْنى مَعْشُوقي، وَقُلْ بِتَرْكِ قِشْرِ وَصُورَةِ الحِنْطَة؛
ما دامَ الرَّمْلُ صارَ طَحِيناً للخَلِيْل، اِعْلَمْ أَنَّ القَمْحَ مَعْزُولٌ أَيْ نَبيل؛
الصُّورَةُ مِنْ حَيْثُ لا صُورَةَ تَجِيْءُ للوُجُود، مِثْلَما يُوْلَدُ مِنَ النَّارِ الدُّخان؛
أَقَلُّ عَيْبٍ للمُصَوَّرِ في الخَصال، أَنَّهُ يَجِيْءُ مِنْ تكرارِ النَّظَرِ إِلَيْهِ الملال؛
انْتِفاءُ الصُّوَرِ جاءَكَ بِمَحْضِ الحَيْرَة، وُلِدَ مِئَةُ نَوْعِ آَلَةٍ مِنْ انتِفاءِ الآلَة؛
كانَتِ الأَيْدي تَنْسِجُ مِنْ غَيرِ يَد، رُوحُ الرُّوحِ أَبْدَعَ الآدَمِيَّ مُصَوَّراً؛
كما في القَلْبِ مِنَ الهَجْرِ والوِصال، تَصِيْرُ مَنْسُوجَةً أَلْوانُ الخَيال؛
هذا المُؤَثِّرُ لا يُشْبِهُ الأَثَر، البُكاءُ والنَّوحُ لا يُشْبِهانِ الضَّرَر؛
للنُّواحِ صُورَةٌ والضَّرَرُ لا صُورَةَ لَهُ، يَعَضُّونَ اليَدَ مِنَ الضَّرَرِ الَّذي لا يَدَ لَهُ؛
هذا المَثَلُ غَيْرُ لائقٍ أَيْ مُسْتَدِلّ، هُوَ حِيْلَةٌ للتَّفْهيمِ هُوَ جَهْدُ المُقِلّ؛
صُنْعُ غَيْرِ ذي الصُّورَةِ زَرَعَ صُورَةً، طَلَعَ مِنْها بَدَنٌ بِحَواسَّ وآلَة؛
كَيْفَما تَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ يَجِيْءُ بالبَدَن، على وِفْقِها في الخَيْرِ والشَّرّ؛
إنْ كانَتْ صُورَةَ نِعْمَةٍ صارَ شاكِراً، إنْ كانَتْ صُورَةَ مُهْلَةٍ صارَ صابِراً؛
إنْ كانَتْ صُورَةَ رَحْمَةٍ صارَ نامِياً، إنْ كانَتْ صُورَةَ جُرْحٍ صارَ شاكِياً؛
إنْ كانَتْ صُورَةَ مَدِيْنَةٍ أَخَذَ بالسَّفَر، إنْ كانَتْ صُورَةَ سَهْمٍ أَخَذَ التِّرْس؛
إنْ كانَتْ صُورَةَ الحِسانِ يَلْهُو، وَعِنْدَما تَكُونُ صُورَةَ الغَيْبِ يَخْلُو؛
إذا كانَتْ صُورَةَ الحاجَةِ أَخَذَتْهُ للكَسْب، إذا كانَتْ صُورَةَ الذِّراعِ أَخَذَتْهُ للغَصْب؛
هذا خارِجٌ عَنِ الحَدِّ وَعَنِ القِياس، داعي الفِعْلِ مِنْ أَخْيِلَةٍ مُخْتَلِفَة؛
المَذاهِبُ والمِهَنُ بلا نِهايَة، كُلُّها ظِلالُ صُوَرِ الأَفْكار؛
وَقَفَ القَوْمُ على حافَّةِ السَّطْحِ سُعَداء، انْظُرْ إلى ظِلِّ كُلٍّ مِنْهُمْ على الأَرْض؛

صُوْرَةُ الفِكْرِ على السَّطْحِ المَشِيْد، وذاكَ العَمَلُ كالظِّلِّ ظاهِرٌ على الأركان؛
الفِعْلُ على الأرْكانِ والفِكْرَةُ مُكْتَتَمَة، لكِنْ في التَّأْثِيرِ والوُصْلَةِ يكُونانِ مَعاً؛
الصُّوَرُ في مَجْلِسِ الطَّرَبِ مِنْ كَأْسِ السُّرُور، فائِدَتُها فَقْدُ النَّفْسِ وَفَقْدُ الشُّعُور؛
صُورَةُ الرَّجُلِ والمَرْأَةِ واللَّعِبِ والجِماع، فائِدَتُها فَقْدُ الوَعْيِ وَقْتَ الوِقاع؛
صُورَةُ الخُبْزِ والمِلْحِ وَهِيَ نِعْمَة، فائِدَتُها القُوَّةُ الَّتي هِيَ بلا صُورَة؛
صُورَةُ السَّيْفِ والتِّرْسِ تِلْكَ في المَصافّ، فائِدَتُها بلا صُورَةٍ أعني الظَّفَر؛
المَدْرَسَةُ وَصُوَرُ المَدْرَسَةِ والخَطّ، حِيْنَ صارَتْ مُتَّصِلَةً بالعِلْمِ صارَتْ طَيَّاً؛
هذِهِ الصُّوَرُ هِيَ عَبيدٌ لِما لا صُورَةَ لَهُ، فَلِمَ تَكُونُ في نَفْيِ صاحِبِ النِّعْمَةِ إذَنْ؛
الصُّوَرُ أَخَذَتْ مِنْ غَيْرِ ذي صُورَةٍ الوُجُود، لِمُوجِدِ الصُّوَرِ إذَنْ ما هذا الجُحُود؛
وَهِيَ مِنْهُ وَجَدَتْ ظُهُورَ إنكارِه، عَمَلُها هذا لَيْسَ غَيْرَ عَكْسِه؛
اِعْرِفْ صُورَةَ السَّقْفِ والجِدار، أَيْنَما كانَتْ ظِلَّ فِكْرِ المِعْمار؛
رَغْمَ أنَّهُ لا يَظْهَرُ في مَحَلِّ الاِفتِكار، لا آجُرٌّ ولا خَشَبٌ ولا أَحْجار؛
الفاعِلُ المُطْلَقُ يَقِيْناً بلا صُورَةٍ، الصُّورَةُ في يَدِهِ كالآلَة؛
ذاكَ الَّذي لا صُورَةَ لَهُ يُظْهِرُ مِنْ كَتْمِ العَدَم، مِنْ حِيْنٍ لِحِيْنٍ الصُّوَرَ مِنَ الكَرَم؛
حَتَّى تَجِدَ مِنْهُ المَدَدَ كُلُّ صُورَة، مِنَ الكَمالِ وَمِنَ الجَمالِ وَمِنَ القُدْرَة؛
عِنْدَما غَيْرُ ذي الصُّورَةِ أَخْفى الوَجْهَ مُجَدَّداً، جاءَتِ الصُّوَرُ طَلَباً للَّونِ والعَبير؛
إذا طَلَبَتْ صُورَةٌ مِنْ صُورَةٍ أُخْرى الكَمال، فَذاكَ مِنْها يَكُونُ عَيْنَ الضَّلال؛
إذَنْ ما عَرْضُكَ أَيْ بلا جَوْهَر، احْتياجَكَ على مُحْتاجٍ آخَر؛
بِما أنَّ الصُّوَرَ عَبيدٌ فلا تَدْعُها الإله، لا تَظُنَّهُ صُورَةً ولا تَبْحَثْ عَنْ تَشْبيهِه؛
أُطْلُبْهُ في التَّضَرُّعِ وفي إفناءِ النَّفْس، في التَّفَكُّرِ لَا يَجِيْءُ أمامَكَ سِوى الصُّوَر؛
وإنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ وَفْرَةٌ إلَّا مِنَ الصُّوَر، فالصُّورَةَ الَّتي تُوْلَدُ مِنْكَ مِنْ دُونِكَ أَفْضَل؛
صُورَةُ المَدِيْنَةِ الَّتي أَنتَ ذاهِبٌ إِلَيْها، تَشُدُّكَ لها لَذَّةٌ بلا صُورَةٍ أَيْ سالِك؛

فَأَنْتَ في المَعْنى تَذْهَبُ إلى اللّامَكان، فالسَّعادَةُ غَيْرُ المَكانِ وَغَيْرُ الزَّمان؛
صُورَةُ الصَّديقِ الَّذي تَذْهَبُ إِلَيْه، أَنْتَ تَذْهَبُ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ أُنْسِه؛
فَأَنْتَ بالمَعْنى ذَهَبْتَ إلى ما لا صُورَةَ لَهُ، وإنْ كُنْتَ غافِلاً عَنْ ذاكَ المَقْصُود؛
فالحَقِيْقَةُ أنَّ الحَقَّ مَعْبُودُ الكُلِّ، إذْ في سَبيلِ اللَّذَّةِ يَكُونُ السَّيْرُ في السُّبُل؛
لكِنَّ البَعْضَ وَجَّهَ الوَجْهَ في السَّيْرِ للذَّنب، أَضاعُوا الرَّأْسَ رَغْمَ أنَّ الرَّأْسَ أَصْل؛
لكِنَّ الرَّأْسَ الَّتي أَضاعَ هؤلاءِ الضَّالُّون، تُعْطِيْ عَطاءَ الرَّأْسِ عَنْ طَرِيقِ الذَّنَب؛
ذاكَ يَجِدُ العَطاءَ مِنَ الرَّأْسِ وذا مِنَ الذَّنَب، وَقَومٌ آخَرُونَ أَضاعُوا الرَّأْسَ والقَدَم؛
عِنْدَما فُقِدُوا جُمْلَةً وَجَدُوا الجُمْلَةَ، أَسْرَعُوا مِنَ الفَقْدِ إلى جِهَةِ الكُلّ؛

رُؤيَتُهُمْ في هذِهِ القَلْعَةِ ذاتِ الصُّوَرِ نَقْشَ وَجْهِ بِنْتِ مَلِكِ الصِّيْن ، وَغِيابُ الثَّلاثَةِ جَمِيعاً عَنِ الوَعْي وَوُقُوعُهُمْ في الفِتْنَةِ والتَّفَحُّصِ أَنْ هذِهِ صُورَةُ مَنْ ؟!

هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وأولئكَ الثَّلاثَةُ، رَأَوا صُورَةً ذاتَ حُسْنٍ وَذاتَ عَظَمَةٍ؛
هُمْ كانُوا رَأَوا أجْمَلَ مِنْ تِلْكَ مِنْ قَبْل، لكِنَّهُمْ مِنْ هذِهِ ذَهَبُوا في البَحْرِ العَميق؛
ذاكَ لأنَّ أَفيُونَهُمْ وَصَلَ مِنْ هذِهِ الكأْس، الكُؤوسُ مَحْسُوسَةٌ والأفيونُ مُخْتَفٍ؛
القَلْعَةُ سالِبَةُ العَقْلِ فَعَلَتْ فِعْلَها، أَلْقَتْ بالثَّلاثَةِ في بِئْرِ البلاء؛
سَهْمُ الغَمْزَةِ جَنْدَلَ القَلْبَ بلا قَوس، الأمانَ الأمانَ أي بلا أمان؛
الصُّورَةُ الصَّخْرِيَّةُ أَحْرَقَتِ القُرُون، أَشْعَلَتْ ناراً في قُلُوبِهِمْ والدِّيْن؛
فَكَيْفَ كانَتْ عِنْدَما كانَتْ في الحَياةِ ، فِتْنَتُها كانَتْ تَكُونُ كُلَّ لَحْظَةٍ لَوناً آخَر؛
عِشْقُ الصُّورَةِ في قَلْبِ أولادِ المَلِك، كانَ يَخِزُ مِثْلَ وَخْزِ السِّنان؛
كُلُّ واحِدٍ يُمْطِرُ الدَّمْعَ كالغَيْم، وَيَعَضُّ على اليَدِ وَيَقُولُ أَسَفاه؛

نَحْنُ نرى الآنَ والمَلِكُ رأى مِنَ البِدايَة، كَمْ أَخَذَ عَلَيْنا المَواثيقَ مَنْ هُوَ بلا نَديد؛
حُقُوقُ الأنبياءِ عَلَيْنا كَثيرَةٌ مِنْ ذاك، فَقَدْ أَعْطَونا الخَبَرَ عَنْ نِهايَتِنا؛
أنْ ما تَزْرَعُ لا يُنْبِتُ إلَّا الشَّوك، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ طَيَرانِكَ مِنْ هذا الطَّرَفِ المَطارَ؛
بارِكْ بِبذرَتي حَتَّى تُعْطِيْ الرَّيْع، طِرْ مَع جَناحِي فالسَّهْمُ يَجِيْءُ مِنْ تِلْكَ الجِهَة؛
أَنْتَ لا تَعْرِفُ وتجُوبَ ذاكَ وَوُجُودَهُ، وفي الآخِرِ تَقُولُ كانَ ذاكَ واجِباً؛
هُوَ أَنْتَ. لا هذهِ الأَنْتَ بَلْ تِلْكَ الأنتَ، المَوقُوفَةِ على الكَونِ خارِجاً في الآخر؛
إنَّها إنِّيَّتُكَ الأَخِيْرَةُ وَقَدْ جاءَتْ، إلى إنِّيَّتِكَ الأولى مِنْ أَجْلِ التَّنبيهِ والصِّلَة؛
إنَّ إنِّيَّتَكَ مَدْفُونَةٌ في أُخْرى، أنا غُلامٌ لِرَجُلٍ يَرى النَّفْسَ هكذا؛
كُلُّ ذاكَ الَّذي يرى الشَّابُّ في المِرْآة، رآهُ الشَّيْخُ مِنْ قَبْلُ في آجُرَّة؛
لَقَدْ خَرَجْنا عَنْ أمْرِ مَلِكِنا، وَصِرْنا عاصِيْنَ لِعِناياتِ الأب؛
رَأَيْنا سَهْلاً قَوْلَ الشَّاه، وَتِلْكَ العِناياتِ بلا أَشْباه؛
لَقَدْ وَقَعْنا في الخَنْدَقِ جَمِيْعاً تَماماً، مَقْتُولِيْنَ وَجَرْحى للبلاءِ بلا حَرْب؛
اعْتَمَدْنا على العَقْلِ وَعِلْمِ أَنْفُسِنا، حَتَّى جاءَ هذا البلاءُ إلى أمامِنا؛
كُنَّا نَرى أَنْفُسَنا أَصِحَّاءَ وبلا مَرَض، مِثْلَما يرى نَفْسَهُ مَرِيضُ السِّلّ؛
العِلَّةُ الخَفِيَّةُ صارَتِ الآنَ ظاهِرَةً، بَعْدَ أَنْ صِرْنا مَقْنُوصِيْنَ وفي الحِبال؛
ظِلُّ المُرْشِدِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِ الحَقّ، قَناعَةٌ خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ طَعامٍ لَذِيْذٍ وَطَبَق؛
وَعَيْنٌ مُبْصِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ ثلاثمائةِ عَصا، العَيْنُ تَعْرِفُ الجَوْهَرَ مِنَ الحَصى؛
وراحُوا في التَّفَحُّصِ وَهُمْ في حَزَن، هذِهِ الصُّورَةُ العَجِيْبَةُ أَهِيَ في الدُّنيا؛
بَعْدَ كَثيرٍ مِنَ التَّفَحُّصِ في المَسِيْر، كَشَفَ ذلِكَ السِّرَّ شَيْخٌ بَصِيْر؛
لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ بَلْ مِنْ وَحْيِ الوَعْي، تَكُونُ الأَسْرارُ أمامَهُ بلا نِقاب؛
قالَ هذِهِ الصُّورَةُ الَّتي تُثيرُ غَيْرَةَ الثُّرَيَّا، هِيَ صُورَةُ بِنْتِ مَلِكِ الصِّيْن؛
مُخْتَفِيَةٌ كالرُّوحِ وكالجَنين، إنَّها في الكَتْمِ في القَصْرِ وَفي الحِجاب؛

ما لِرَجُلٍ طَريقٌ إلَيْها ولا لامرأَة، لَقَدْ أَخْفاها الشَّاهُ عَنِ الفِتَن؛
للمَلِكِ غَيْرَةٌ على اِسْمِه، الطَّائرُ لا يَطِيْرُ فَوقَ سَطْحِه؛
الوَيْلُ لِذاكَ القَلْبِ الَّذي نَزَلَتْ بِهِ رَغْبَةٌ بِها، مِثْلُ هذِهِ الرَّغْبَةِ لا كانَتْ لِشَخْص؛
هذا جَزاءُ ذاكَ الَّذي زَرَعَ بِذْرَةَ الجَهْل، واسْتَسْهَلَ تِلْكَ النَّصيحَةَ وَجَعَلَها كاسِدَةً؛
جَعَلَ الاِعْتِمادَ على تَدْبيرِ نَفْسِه، أنْ سَأَجْعَلُ عَمَلي يَمْضي للأمامِ بِعَقْلي؛
نِصْفُ ذَرَّةٍ مِنْ تِلْكَ العِنايَةِ خَيْرٌ، مِنْ تَدْبيرِ عَقْلٍ ذي ثلاثِمائةِ رَصَد؛
قُلْ بِتَرْكِ مَكْرِ النَّفْسِ أَيْ أمير، اِسْحَبِ القَلْبَ للعِنايَةِ مُتْ سَعِيْداً؛
هذا لَيْسَ بِقَدْرِ الحِيْلَةِ المَعْدُود، إنْ لَمْ تَمُتْ عَنْ هذِهِ الحِيَلِ لا نَفْع؛

حِكايَةُ صَدْرْ جَهان بُخارى الَّذي كانَ يَحْرِمُ كُلَّ سائِلٍ يَسْأَلُ بِاللِّسان مِنَ الصَّدَقَةِ العامَّةِ الَّتي لَمْ تَكُنْ تَنْقَطِع وذلِكَ العالِمِ الدَّرويش الَّذي سَأَلَ بِاللِّسان في المَوكب مِنَ النِّسْيان وفَرْط الحِرْص والعَجَلَة فَأَدارَ صَدر جَهان عَنْهُ الوَجْه فراحَ كُلَّ يَومٍ يَقُومُ بِحِيْلَةٍ جَديدَةٍ حِيناً يَجْعَلُ مِنَ النَّفْسِ مَرَأَةً تَحْتَ الجِلباب وَحيناً يُظْهِرُ نَفْسَهُ ضَريراً مُخْفِياً العَيْنَ وَالوَجْهَ فكانَ يَعْرِفُهُ بِفِراسَتِهِ إلى آخِرِه

كانَ لِذاكَ السَّيِّدِ الأَجَلِّ في بُخارى، طَبْعُ حُسْنِ العَمَلِ مَعَ الطُّلَّاب؛
مواهِبُ كَثيرَةٌ وَعَطاءٌ بلا عَدّ، كانَ الذَّهَبُ يُنْثَرُ مِنْ جُودِهِ إلى اللَّيْل؛
كانَ الذَّهَبُ يُلَفُّ بِقِطَعٍ مِنَ الوَرَق، وَكانَ طِيْلَةَ وُجُودِهِ باذِلاً للجُود؛
كانَ يَلْعَبُ بِطُهْرٍ مِثْلَ الشَّمْسِ وَمِثْلَ القَمَر، اللَّذَيْنِ يَهَبانِ ما أَخَذا مِنَ الضِّياء؛
الشَّمْسُ هِيَ واهِبَةُ الذَّهَبِ للتُّراب، الذَّهَبُ مِنْها في المَنْجَمِ والكَنْزُ في الخَراب؛

كُلَّ صَباحٍ يُعْطِي لِكُلِّ جَماعَةٍ راتِباً، حَتَّى لا يبقى جَمْعٌ مِنْهُ خائباً؛
فَيَوماً يكُونُ مِنْهُ لأهْلِ البلاءِ العَطاء، وَيَوماً آخَرَ يَكُونُ للأرامِلِ ذاكَ السَّخاء؛
وهُناكَ يَومٌ آخَرُ للعَلَوِيّيْنَ المُقِلّيْن، وَيَومٌ آخَرُ للفُقَهاءِ الفُقَراءِ العامِلِيْن؛
وَيَومٌ آخَرُ لِفُقَراءِ العَوامّ، وَيَومٌ آخَرُ للمُكَبّلِيْنَ بالدَّيْن؛
كانَ شَرْطُهُ أنْ لا يَطْلُبَ أَحَدٌ الذَّهَبَ، طَلَباً باللِّسانِ ولا يَفْتَحَ بِهِ الفَم؛
بَلْ أَنْ يَقِفَ المُفْلِسُونَ صامِتين، مِنْ حَوْلِ طَرِيقِهِ كَأَنَّهُمُ الجِدار؛
كُلُّ مَنْ سَأَلَهُ المالَ بالشِّفاه، لَمْ يَنَلْ مِنْهُ حَبَّةَ مِنَ المالِ مِنْ هذا الذَّنْب؛
رَسْمُهُ كانَ مَنْ صَمَتَ مِنْكُمْ نَجا، كِيْسُهُ وَكَأْسُهُ كانا للصَّامِتِيْن؛
مَرَّةً نادِرَةً قالَ لَهُ شَيْخٌ يَوماً، أَعْطِني زَكاتي فَأنا شَفيعٌ للجُوع؛
فَمَنَعَ الشَّيْخَ والشَّيْخُ جَدَّ في الطَّلَب، وَبَقِيَ الخَلْقُ مِنْ جِدِّ الشَّيْخِ في عَجَب؛
فَقالَ للشَّيْخِ أَنْتَ شَيْخٌ وَقِحٌ جِدّاً أَيْ أَب، فَقالَ الشَّيْخُ أَنْتَ أَكْثَرُ وَقاحَةً مِنّي؛
أَكَلْتَ هذِهِ الدُّنيا وَتُرِيدُ مِنَ الطَّمَع، أنْ تَجْمَعَ تِلْكَ الدَّارَ إلى هذِهِ الدَّار؛
جاءَتْهُ ضُحْكَةٌ وَأَعْطى المالَ ذاكَ الشَّيْخ، والشَّيْخُ وَحْدَهُ أَخَذَ ذلِكَ المَكْسَب؛
غَيْرَ ذلِكَ الشَّيْخِ لَمْ يَنَلْ أَيُّ طالِبٍ مِنْهُ، نِصْفَ حَبَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ أو فِلْساً واحِداً؛
في نَوْبَةِ يَومِ الفُقَهاءِ جاءَ فَقِيْهٌ، فَجْأَةً وَهُوَ يَصْرُخُ صُراخاً مِنَ الحِرْص؛
اشْتَكى كَثيراً فَلَمْ تَنْفَعِ الحِيْلَةُ، تَحَدَّثَ بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الحَدِيْثِ فَلَمْ يُجْدِ أَيَّ نَفْع؛
فَقامَ في يَومٍ آخَرَ بِلَفِّ القَدَمِ بالضِّماد، وَجَلَسَ ناكِساً في صَفِّ القَوْمِ المُبْتَلِين؛
رَبَطَ السَّاقَ بالجَبيرَةِ مِنَ اليَمِيْنِ واليَسار، حَتَّى يَحْصَلَ الظَّنُّ أَنَّهُ مَكْسُورُ السَّاق؛
رآهُ وَعَرِفَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئاً، وَفي يَومٍ آخَرَ غَطَّى الوَجْهَ باللُّبَّاد؛
وَعَرِفَهُ أَيْضاً وَلَمْ يُعْطِهِ ذلِكَ العَزِيزُ، أَيَّ شَيْءٍ مِنْ جُرْمِ وَذَنْبِ السُّؤال؛
لَمَّا عَجْزَ مِنْ بَعْدِ مِئَةِ لَونِ حِيْلَةٍ، لَبِسَ الجِلْبابَ وَوَضَعَ غِطاءَ الرَّأْسِ كالنِّساء؛
ذَهَبَ ما بَيْنَ الأرامِلِ وَجَلَسَ، وَطَأْطَأَ الرَّأْسَ وَأَخْفى اليَد؛

وَأيضاً عَرِفَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ صَدَقَةً، فَطَلَعَتْ في قَلْبِهُ حُرْقَةٌ مِنَ الحِرْمان؛
ذَهَبَ إلى طالِبِ كَفَنٍ في الفَجْر، قالَ لُفَّنِي باللُّبَّادِ وَأَلْقِ بي في طَرِيقِه؛
ولا تَفْتَحِ الشَّفَةِ أَبَداً بَلْ اجْلِسْ وانْتَظِرْ، حَتَّى يَعْبُرَ *صَدْر جَهان* مِنْ هاهُنا؛
فَعَسى يراني وَيَظُنُّني مَيْتاً، وَيَنْثُرَ الذَّهَبَ في سَبيلِ شِراءِ الكَفَن؛
سَأُعْطِيْكَ النِّصْفَ مِنْ كُلِّ ما يُعْطِيْني، وَكذلِكَ فَعَلَ ذلِكَ الفَقِيْرُ طالِبُ الصِّلَة؛
لَفَّهُ باللُّبَّادِ وَوَضَعَهُ في الطَّرِيق، وَوَقَعَ مَعْبَرُ صَدْرِ جَهان في ذلِكَ المَكان؛
فَأَلْقى بالذَّهَبِ على وَجْهِ اللُّبَّاد، فَأَخْرَجَ اليَدَ للخارِجِ مِنَ العَجَلَةِ مِنْهُ؛
كَيْلا يَأْخُذَ طالِبُ الكَفَنِ تِلْكَ الصِّلَةَ، وَحَتَّى لا يُخْفِيَ شَيْئاً مِنْها ذُو الهَوَسِ ذاك؛
المَيْتُ مِنْ تَحْتِ اللُّبَّادِ مَدَّ اليَدَ، وَأَطْلَعَ في إِثْرِ يَدِهِ الرَّأْسَ مِنَ الأَسْفَل؛
وَقالَ لِصَدْر جَهان أُنْظُرْ كَيْفَ أَخَذْتُها، أَيْ مَنْ غَلَّقْتَ أَبوابَ الكَرَمِ في وَجْهِي؛
قالَ لَولا أَنَّكَ مِتَّ أَيْ عَنُود، ما حَصَلْتَ مِنْ جَنابي على أَيِّ جُود؛
سِرُّ مُوتُوا قَبْلَ المَوْتِ كانَ هذا، فإنَّ الغَنائِمَ تَصِلُ مِنْ بَعْدِ المَوْت؛
غَيْرَ المَوتِ ما مِنْ فَنٍّ آخَرَ، يُؤَثِّرُ في اللهِ أيْ صاحِبَ الحِيْلَة؛
فإنَّ عِنايَةً أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ نَوعِ اجْتِهاد، الجُهْدُ يُخْشى عَلَيْهِ مِنْ مِئَةِ نَوْعِ فَساد؛
تِلْكَ العِنايَةُ مَوْقُوفَةٌ على المَمات، هذا الطَّرِيقُ قَدْ جَرَّبَتْهُ الثِّقات؛
بَلْ إنَّ مَوْتَهُ لَيْسَ بلا عِنايَةٍ أَيْضاً، ألا لا تَقِفْ في مَكانٍ بلا عِنايَة؛
ذاكَ هُوَ الزُّمُرُّدُ لِهذِهِ الأَفْعى الكَبيرَة، مِنْ دُونِ زُمُرَّدٍ مَتى تَصِيْرُ الأَفْعى ضَرِيرَة؛

حِكايَةُ أَخَوَيْنِ ناما في مَنْزِلٍ للعُزَّابِ ، واحِدٌ مِنْهُما بِلِحْيَةٍ مِنْ بِضْعِ شَعْراتٍ على الذَّقْن وواحِدٌ أَمْرَدٌ ، اتِّفاقاً الأَمْرَدُ كانَ قَدْ وَضَعَ بِضْعَ لَبِناتٍ مِنَ الطِّيْنِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَزَحَفَ نَحْوَهُ رَجُلٌ يَدِبُّ وَراحَ يَسْحَبُ تِلْكَ اللَّبِناتِ مِنْ خَلْفِهِ بِحِيْلَةٍ

وَمَكْرٍ فاسْتَيْقَظَ الوَلَدُ وَدَخَلَ مِعَهُ في الشِّجار أنْ أَيْنَ تِلْكَ اللَّبِنات وَأَيْنَ أَخَذْتَها وَلِماذا أَخَذْتَها، وذاكَ يَقُولُ لَهُ أنتَ لِماذا وَضَعْتَ تِلْكَ اللَّبِنات إلى آخرِهِ

أمْرَدٌ وَذُو لِحْيَةٍ بِبِضْعِ شَعْراتٍ على الذَّقْن، دَخَلا مَحْفَلاً واجْتَمَعَ هُناكَ جَمْع؛
أولئكَ المُنْتَجَبُونَ انْشَغَلُوا، وَمَضى النَّهارُ وَذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثُه؛
لِمْ يُغادِرْ ذانِكَ الشَّخْصانِ مَنْزِلَ العُزَّاب، ناما هُناكَ أَيْضاً مِنْ خَوْفِ العَسَس؛
كانَ لِذي اللِّحْيَةِ أَرْبَعُ شَعْراتٍ على الذَّقْن، لكِنَّهُ كانَ بِوَجْهٍ جَمِيْلٍ كالبَدْر؛
الوَلَدُ الأمْرَدُ كانَ قَبيحَ الوَجْه، وَقَدْ وَضَعَ خَلْفَ مَقْعَدِهِ عِشْرينَ آجُرَّةً؛
دَبَّ لُوطِيٌّ في اللَّيْلِ بَيْنَ الجَمْع، وقامَ بِنَقْلِ تِلْكَ القِطَعِ ذاكَ المُشْتَهِي؛
حِيْنَ وَضَعَ عَلَيْهِ اليَدَ وَراحَ يَنْقُلُها، قالَ ها مَنْ تَكُونُ أَيْ عابِدَ الكَلْب؛
قالَ لِماذا جَمَعْتَ ثلاثِينَ قِطْعَةَ آجُرّ، قالَ أَنْتَ لِمَ رَفَعْتَ هذِهِ القِطَعَ الثَّلاثين؛
أنا وَلَدٌ مَرِيضٌ وَمِنَ الضَّعْف، وَضَعْتُها احْتياطاً وَمُتَكَأً للنَّوم؛
قالَ إذا كُنْتَ مَرِيضاً وَمَحْمُوماً، لِماذا لا تَذْهَبُ إلى دارِ الشِّفاء؛
أو إلى مَنْزِلِ طَبيبٍ مُشْفِقٍ، يَفْتَحُ مِنْ سِقامِكَ ما أُغْلِق؛
قالَ أخيراً كَيْفَ أَعْلَمُ أَيْنَ أَذْهَبُ، وحَيْثُما ذَهَبْتُ أَصِيْرُ مُمْتَحَناً؛
وواحِدٌ مِثْلَكَ زَنْديقٌ مُلْحِدٌ نَجِسٌ، يُطْلِعُ الرَّأْسَ أمامِي كأَنَّهُ الوَحْش؛
مَنْزِلُ الدَّراويشِ الَّذي هُوَ أَفْضَلُ مَكان، لَمْ أَجِدْ فيهِ لَحْظَةً واحِدَةً الأمان؛
زُمْرَةٌ مِنَ المَخْمُورِيْنَ تَتَوَجَّهُ إِلَيَّ، عُيُونُهُمْ تَنْطِفُ بالشَّهْوَةِ وَأَكُفُّهُمْ على الخِصى؛
وَذُو الشَّرَفِ مِنْهُمْ يَنْظُرُ إِلَيَّ مِنْ أَسْفَلَ لأَسْفَلَ، يَسْتَرِقُ النَّظَرَ وَهُوَ يَحُكُّ عُضْوَه؛
مَجْمَعُ الدَّراويشِ هكذا فَكَيْفَ السُّوقُ العامّ، كَيْفَ قَطِيْعُ الحَمِيْرِ وَدِيْوانُ الأَخْوام؛
أيْنَ الحِمارُ وَأَيْنَ التَّقْوى والشَّرَف، ماعِلْمُ الحِمارِ عَنِ التَّقوى والخَوْفِ والرَّجاء؛

العَقْلُ هُوَ الطَّالِبُ للأَمْنِ والخَوْفِ والعَدْل، عِنْدَ المَرْأَةِ والرَّجُلِ وَلكِنْ أَيْنَ العَقْل؛
وَلَوْ فَرَرْتُ وَذَهَبْتُ جِهَةَ النِّساء، مِثْلَ يُوسُفَ أَقَعُ في الإفْتِتان؛
يُوسُفُ لَقِيَ مِنَ المَرْأَةِ السِّجْنَ والأَذى، أنا أُوَزَّعُ على خَمْسِيْنَ مَشْنَقَة؛
النِّسْوَةُ يَدُرْنَ حَولي مِنَ الجَهْل، وَأَولِياؤهُنَّ يَقْصِدُونَني بالقَتْل؛
لا حِيْلَةَ لِيْ مَعَ الرِّجالِ ولا مَعَ النِّساء، ما أَفْعَلُ وَلَسْتُ مِنْ أولاءِ ولا مِنْ أولاء؛
بَعْدَ ذلِكَ نَظَرَ الوَلَدُ إلى ذِي لِحْيَةِ التَّيْس، قالَ قَدْ نَجا مِنَ الغَمِّ بِتِلْكُما الشَّعَرَتَيْن؛
فارِغٌ مِنَ الآجُرِّ وَمِنْ شِجارِ الآجُرّ، وَفارِغٌ مِنْ جِلْفٍ قَبيحٍ مِثْلِك؛
ثلاثُ أو أَرْبَعُ شَعْراتٍ على الذَّقْنِ كَدَلِيْل، خَيْرٌ مِنْ ثلاثينَ آجُرَّةً تُحِيْطُ بالمَقْعَد؛
إنَّ ذَرَّةً مِنْ ظِلِّ العِنايَةِ خَيْرٌ، مِنْ أَلْفِ سَعْيٍ مِنْ عابِدٍ للطَّاعَة؛
ذلِكَ أَنَّ الشَّيْطانَ يَقْتَلِعُ لَبِناتِ الطَّاعَة، يَجِدُ الطَّرِيقَ وَلَو كانَ هُناكَ مائَتا آجُرَّة؛
الآجُرُّ وإنْ كَثُرَ هُوَ مِنْ وَضْعِكَ، وَتِلْكُما الشَّعْرَتانِ أو الثَّلاثُ عَطاءُ تِلْكَ الجِهَة؛
كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ تِلْكَ في الحَقِيْقَةِ جَبَل، وكِتابُ الأمانِ ذاكَ عَطاءٌ مَلَكِيّ؛
لَوْ قُمْتَ بِوَضْعِ مِئَةِ قِفْلٍ على باب، يَقُومُ باقْتِلاعِ كُلِّ ذاكَ لَجُوج؛
وَلَوْ وَضَعَ رَئيسُ الشُّرَطِ خَتْماً مِنْ شَمْع، جَعَلَ قُلُوبَ الأبطالِ مِنْ ذاكَ تَرْتَجِف؛
خَيْطانِ أو ثلاثَةُ خِيْطانٍ مِنَ العِنايَة، صارَتْ سَدّاً كالجِبَلِ يَحْمِي بَهاءَ الوُجُوه؛
ولا تَتْرُكِ اللَّبِناتِ أَيْ حَسَنَ الأَصْل، لكِنْ أَيْضاً لا تَنَمْ آمِناً مِنَ الشَّيْطانِ القَبيح؛
اِذْهَبْ واحْصَلْ على شَعْرَتَيْنِ مِنْ ذلِك الكَرَم، ثُمَّ آنَذاكَ نَمْ آمِناً بلا غَمّ؛
مِنْ ذلِكَ العِلْمِ الَّذي يَكُونُ في طَلَبِ الخَيْر، نَوْمُ العالِمِ أَفْضَلُ مِنَ العِبادَة؛
ذاكَ السُّكُونُ في السِّباحَةِ مِنَ السَّابِح، خَيْرٌ مِنَ الجُهْدِ باليَدِ والقَدَمِ مِنَ الجاهِل؛
الجاهِلُ بالسِّباحَةِ جاهَدَ باليَدِ والقَدَمِ وَغَرِق، وَيَمْضِيْ السَّبَّاحُ وَهُوَ ساكِنٌ كالعُمُد؛
العِلْمُ بَحْرٌ بلا حَدٍّ ولا شاطِئٍ، طالِبُ العِلْمِ غَوَّاصُ بِحار؛
لَوْ كانَ عُمْرُهُ آلافَ السِّنِين، لا يَرْتَوِي مِنَ البَحْثِ وَمِنَ الطَّلَب؛

رَسُولُ الحَقِّ ذاكَ قالَ في البيان، هُناكَ *مَنْهُومانِ لا يَشْبَعان*؛

في تَفسير هذا الخَبَر أنَّ المُصْطَفى صلواتُ اللهِ عَلَيْهِ قالَ *مَنْهُومانِ لا يَشْبَعان طالِبُ الدُّنيا وَطالِبُ العِلْم* ، فَهذا العِلْمُ يَجِبُ أنْ يَكُونَ غَيْرَ عِلْمِ الدُّنيا لِيَكُونَ هُناكَ قِسْمان ، ذلِكَ لأنَّ عِلْمَ الدُّنيا هُوَ مِنَ الدُّنيا ، وإذَنْ لَصارَ الحَديثُ: طالِبُ الدُّنيا وَطالِبُ الدُّنيا، وَهُوَ لا يَسْتَقِيْم ، لأنَّهُ تِكْرارٌ لا تَقْسيم

طالِبُ الدُّنيا وَتَقْسِيْماتِها طالِبُ العِلْمِ وَتَدْبيراتِها

إذا أَمْعَنْتَ في هذِهِ القِسْمَةِ النَّظَر، تَرى أنَّ هذا العِلْمَ غَيْرُ الدُّنيا أَيُّها أَب؛
غَيْرُ الدُّنيا ما يَكُونُ؟ إنَّهُ الآخِرَة ، الَّتي اقْتَلَعَتْكَ مِنْ هُنا وَصارَتْ لَكَ المُرْشِد؛

بَحْثُ أولادِ المَلِكِ الثَّلاثَةِ أولئكَ في تَدْبيرِ تِلْكَ الواقِعَة

نَظَرَ الثَّلاثَةُ إلى بَعْضِهِمْ والكُلُّ مُفْتَتَن، وَلْكُلٍّ مِنْهُم نَفْسُ الألَمِ والوَجَعِ والحَزَن؛
الثَّلاثَةُ لِفِكْرٍ واحِدٍ وَأَمَلٍ واحِدٍ نُدَماء، الثَّلاثَةُ بِمَرَضٍ واحِدٍ وَعِلَّةٍ واحِدَةٍ سُقَماء؛
في الصَّمْتِ للثَّلاثَةِ جَميعاً خاطِرٌ واحِد، في النُّطْقِ للثَّلاثَةِ جَميعاً حُجَّةٌ واحِدَة؛
كانُوا وَقْتاً يَسْكبونَ جَميعاً الدَّمْع، على سُفْرَةِ المُصِيْبَةِ يَنْثُرُونَ الدِّماء؛
وَوَقْتاً كُلُّ واحِدٍ مِنَ الثَّلاثَةِ مِنْ نارِ القَلْب ، يُطْلِقُ النَّفَسَ حارِقاً كأنَّهُ الجَمْر؛

مقالَةُ الأخِ الكَبير

ذاكَ الكَبيرُ قالَ أَيْ إخْوَةَ الخَيْر، أَلَمْ نَكُنْ عُوجاً في نُصْحِ الغَيْر؛
كُلُّ مَنْ كانَ يَشْكُو إِلَيْنا مِنَ الحَشَم، مِنَ البلاءِ والفَقْرِ والخَوفِ والزَّلْزَلَة؛

كُنَّا نَقُولُ لَهُ أَقْلِلْ مِنَ الشَّكْوى مِنَ الحَرَج، واصْبِرْ فإنَّ الصَّبْرَ مِفْتاحُ الفَرَج؛
ماذا جَرى لِمِفْتاحِ الصَّبْرِ الآن، عَجَباً ما جَرى أَصارَ القانُونُ مَنْسُوخاً؛
أَلَمْ نَكُنْ نَقُولُ في الشَّدائِد، اِضْحَكْ سَعِيْداً في النَّارِ كالذَّهَب؛
أَلَمْ نَكُنْ وَقْتَ اسْتِعارِ الحَرْب، نَقُولُ للجُنْدِ لا تَشْجُبُوا مِنَ الخَوف؛
زَمانَ كانَتِ الرُّؤوسُ القَطِيْعَةُ، مَوْطِئاً للجِيادِ تَحْتِ الأَقْدام؛
كُنَّا نُشَجِّعُ الجَيْشَ نَقُولُ للجُنْد، تَقَدَّمُوا كُونوا قاهِرِينَ كالسِّنان؛
العالَمُ جُمْلَةً أُعْطِيَ الإشارَةَ بالصَّبْر، ذلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ سِراجٌ وَنُورُ صَدْر؛
جاءَتْ نَوْبَتُنا كَيْفَ صِرْنا حائرين، لَبِسْنا الجلابيبَ كالنِّساءِ القَبيحات؛
أَيُّها القَلْبَ الَّذي أَلْهَبْتَ الحَماسَ في الكُلّ، حَمِّسِ النَّفْسَ واخْجَلْ مِنْ نَفْسِك؛
أَيُّها اللِّسانُ الَّذي كُنْتَ تَنْصَحُ الكُلّ، جاءَتْ نَوْبَتُكَ علامَ تَوَقَّفْت؛
أَيُّها العَقْلُ الَّذي كُنْتَ تَلُوكُ النُّصْحَ عَذْباً، الدَّورُ دَورُكَ الآنَ ما جَرى لِحَماسِك؛
أَيْ مَنْ أَزَلْتَ التَّشْويشَ عَنْ مِئاتِ القُلُوب، صارَتِ النَّوبَةُ نَوبَتَكَ حَرِّكْ لِحْيَتَك؛
إذا كُنْتَ الآنَ تَسْرِقُ اللِّحْيَةَ مِنَ البأس، فَأَنْتَ قَبْلُ كُنْتَ تَضْحَكُ على النَّفْس؛
وَقْتَ نُصْحِ الآخَرينَ *هاي هاي*، وَفي غَمِّ نَفْسِكَ كالنِّساءِ *واي واي*؛
كَيْفَ كُنْتَ لآلامِ الآخَرينَ دَواءً، نَزَلَ عَلَيْكَ الأَلَمُ ضَيْفاً فَلَمْ تَتَحَرَّكْ؛
كانَ الصُّراخُ بالجَيْشِ أُنْشُودَةً لَكَ، أَطْلِقِ الصُّراخَ ما الَّذي حَبَسَ صَوتَك؛
ذاكَ الَّذي نَسَجْتَ بالوَعْيِ خَمْسِيْنَ عاماً، البَسِ الدِّرْعَ مِنْ نَسيجِ نَفْسِك؛
آذانُ الأَصْدِقاءِ كانَتْ سَعِيْدَةً مِنْ صَوتِك، أَخْرِجِ اليَدَ للخارِجِ وَشُدَّ أُذُنَك؛
لَقَدْ كُنْتَ رَأْساً فَلا تَجْعَلْ مِنَ النَّفْسِ ذَنَباً، لا تُضَيِّعِ القَدَمَ واليَدَ واللِّحْيَةَ والشَّارب؛
اللَّعِبُ لَكَ الآنَ على وَجْهِ البِساط ، فاحْمِلِ النَّفْسَ في الطَّبْعِ وفي النَّشاط؛

ذِكْرُ ذاكَ المَلِكِ الَّذي جَلَبَ ذاكَ العالِمَ بالإكراه إلى المَجْلِسِ وَأَجْلَسَهُ ، وَقامَ السَّاقي بِعَرْضِ الشَّراب على العالِمِ وَقَدَّمَ لَهُ الكَأْسَ فَأدارَ الوَجْهَ وَجَعَلَ يَعْبِسُ وَيَحْتَدُّ فقالَ المَلِكُ للسَّاقِي هَيَّا أَعِدْهُ إلى طَبْعِه فَلَكَمَهُ السَّاقي بِضْعَ لَكماتٍ على الرَّأْس وَأَشْرَبَهُ الشَّرابَ إلى آخِرِه

فَقِيْهٌ كانَ مارَّاً على بابِ مَلِك، وكانَ المَلِكُ سَكْرانَ في مَحْفَلِه؛
فَأَشارَ إشارَةً أنِ اسْحَبُوهُ للمَجْلِس، واجْعَلُوهُ يَشْرَبُ مِنْ شَرابِ الياقُوت؛
فَسَحَبُوهُ للمَلِكِ سَحْباً بِغَيْرِ اخْتِيار، وَأَجْلَسُوهُ في المَجْلِسِ عابِساً كَسُمِّ الحَيَّة؛
عَرَضَ عَلَيْهِ الخَمْرَ فَرَفَضَ بِغَضَبٍ، وَأَعْرَضَ بالنَّظَرِ عَنِ المَلِكِ والسَّاقي؛
أنْ أنا لَمْ أَشْرَبِ الشَّرابَ في عُمْرِي، السُّمُّ الخالِصُ أَعْذَبُ عِنْدي مِنَ الشَّراب؛
أَعْطوني بَدَلَ الخَمْرِ سُمَّاً،حَتَّى تُخَلِّصُوني مِنْ نَفْسي وَتُخَلِّصُوا أنفُسَكُمْ مِنْ هذا؛
لَمْ يَشْرَبِ الخَمْرَ وَبَدَأَ بالعَرْبَدَة، وَصارَ في المَجْلِسِ ثَقِيْلاً كالمَوْتِ والأَلَم؛
كما يكُونُ أَهْلُ النَّفْسِ وَأَهْلُ الماءِ والطِّيْن، جالِسِيْنَ في الدُّنيا مَعَ أَهْلِ القُلُوب؛
الحَقُّ لا يُبْقي أَهْلَ خاصَّتِهِ في كُمُون، يَجْعَلُهُمْ مِنْ خَمْرَةِ الأحرارِ يَشْرَبُون؛
إنَّهُمْ يَعْرِضُونَ على المَحْجُوبِ الجام، الحِسُّ لا يَجِدُ مِنْ ذاكَ غَيْرَ الكلام؛
وَهُوَ يشيحُ بالوَجْهِ عَنْ إرشادِهِم، هُوَ بالنَّظَرِ لا يُبْصِرُ عَطاءَهُم؛
لَو كانَ هُناكَ مِنْ سَمْعِهِ إلى حَلْقِهِ طَريق، لَصارَ إلى سِرِّ النُّصْحِ في داخِلِهِم؛
كُلُّهُ نارٌ وَرُوحُهُ لَيْسَتْ نُوراً، في النَّارِ المُشْتَعِلَةِ مَنْ يُلْقِي غَيْرَ القُشُور؛
بَقِيَ اللُّبُّ في الخارِجِ وَقِشْرُ الكلامِ ذَهَبَ، متى تَنْشَطُ المَعِدَةُ مِنَ القِشْرِ وَتَسْمَن؛
نارُ جَهَنَّمَ لا تَعْمَلُ إلَّا على القِشْر، ما للنَّارِ شُغْلٌ مَعَ أَيِّ لُبّ؛
لَوْ وَقَعَ لَهِيْبٌ مِنَ النَّارِ على اللُّبّ، فاعْلَمْ ذاكَ لِأَجْلِ الإنْضاجِ لا لأَجْلِ الحَرق؛

ما اسْتَمَرَّ الحَقُّ الحَكِيْمُ فَهذِهِ القاعِدَةُ، مُسْتَمِرَّةٌ في ما مَضى وَفي ما لَمْ يَجِئْ؛
اللُّبُّ جَميلٌ والقُشُورُ مَغْفُورٌ لَها مِنْهُ، فَكَيْفَ إذَنْ يَحْرِقُ اللُّبَّ! بَعُدَ عَنْهُ؛
إذا ضَرَبَهُ مِنَ العِنايَةِ على الرَّأْس، فذاكَ لِكَيْ يَجِيْئَهُ الإشْتِهاءُ للشَّرابِ الأحْمَر؛
لَوْ لَمْ يَدُقَّهُ لَبَقِيَ مُغْلَقَ الفَمِ، كالفَقِيْهِ، مِنْ شُرْبِ وَمَحْفَلِ هؤلاءِ المُلُوك؛
قالَ المَلِكُ لِساقِيْهِ أَي مُبارَكَ الخُطى، ما صَمْتُكَ، أَعْطِهِ، احْمِلْهُ إلى طَبْعِه؛
هُناكَ حاكِمٌ خَفِيٌّ على كُلِّ عَقْل، يَفْصِلُ كُلَّ ما شاءَ عَنْهُ بِفَنّ؛
شَمْسُ المَشْرِقِ وَتَنْويرُهُ، يُقَيِّدُهما كالأسْرى زَنْجِيْرُهُ؛
يَجْعَلُ الفَلَكَ يدُورُ في اللَّحْظَة، إذا قَرَأَ في دِماغِهِ نِصْفَ فَنّ؛
إنَّهُ العَقْلُ الَّذي سَخَّرَ عَقْلاً آخَر، أُسْتاذُ النَّرْدِ مِنْهُ حَصَلَ على النَّرْد؛
لَطَمَهُ على الرَّأْسِ بِضْعَ لَطَماتٍ قائلاً خُذْ، فَجَزِعَ مِنْ خَوْفِ اللَّطْمَةِ ذاكَ المُرّ؛
صارَ سَكْرانَ وَضاحِكاً كالرَّوْضِ وَسَعِيْداً، ذَهَبَ في المُنادَمةِ والضَّحِكِ والمزاح؛
صارَ شُجاعاً وَسَعِيْداً وراقِصاً، وَذَهَبَ نَحْوَ المَبْرَزِ لِكَيْ يَبُول؛
وَكانَتْ في المَبْرَزِ جارِيَةٌ جَمِيْلَةٌ كالقَمَر، شَديدَةُ الجَمالِ وذاتُ حَظْوَةٍ عِنْدَ الشّاه؛
عِنْدَما رآها ظَلَّ فَمُهُ مَفْتُوحاً، ذَهَبَ العَقْلُ وَبَقِيَ البَدَنُ العامِلُ بالظُّلْم؛
كانَ قَدْ عاشَ عُمُراً أَعْزَبَ وَمُشْتاقاً، أَمْسَكَ بالجارِيَةِ في اللَّحْظَةِ بِكِلْتا اليَدَيْن؛
اضْطَرَبَتِ الجارِيَةُ كَثيراً وَصَرَخَتْ عالِياً، فَلَمْ يُجْدِ ذاكَ مَعَهُ وَلَمْ تَجِدْ مِنْهُ النَّفْع؛
المَرْأَةُ في يَدِ الرَّجُلِ وَقْتَ اللِّقاء، تَصيرُ كالعَجينِ في يَدِ الخَبّاز؛
حِيْناً يَعْجِنُهُ رَقيقاً وَحِيْناً غَليظاً، يُخْرِجُ مِنْهُ الأَصْواتَ تَحْتَ قَبْضَةِ يَدِه؛
حِيْناً يَمُدُّهُ على اللَّوْحِ ، وَحِيْناً يَجْعَلُ مِنْهُ قِطْعَةً واحِدَةً؛
حِيْناً يَسْكِبُ بِهِ الماءَ وَحِيْناً المِلْح، وَيَضَعُهُ على مَحَكِّ التَّنُّورِ والنّار؛
يَلْتَفّانِ على بَعْضِهِما المَطْلُوبُ والطّالِب، يَلْعَبانِ هذِهِ اللُّعْبَةَ المَغْلُوبُ والغالِب؛
هذا اللَّعِبُ لَيْسَ حِكْراً على الزَّوْجِ والزَّوْجَة، هذا الفَنُّ لِكُلِّ عاشِقٍ وَعَشيق؛

للقَديمِ والحادِثِ وللعَيْنِ والعَرَض، تَعانُقٌ مِثْلَ *وَيْس ورامِيْن* مُفْتَرَض؛
لكِنَّ لَعِبَ كُلِّ واحِدٍ لَوْنٌ آخَر، واعْتِناقَ كُلِّ واحِدٍ مِنْ قامُوسٍ آخَر؛
الرَّجُلُ والمَرْأَةُ ذُكِرا لأجْلِ المِثال، أنْ أَيُّها الرَّجُلُ لا تُعامِلْ تِلْكَ المَرْأَةَ بالسُّوء؛
أَلَمْ تَضَعْ مُرافِقَتُها يَدَها لَيْلَةَ العُرْس، بِيَدِكَ وَأَعْطَتْكَ إيَّاها أمانَةً طَيِّبَةً؛
أَنْ ذاكَ الَّذي تَفْعَلُ مَعَها أَيْ مُعْتَمَد، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ يَرُدُّهُ اللهُ لَك؛
الحاصِلُ هُنا هذا الفَقِيْهُ فَقَدَ النَّفْس، فَلَمْ تَبْقَ لَهُ عِفَّةٌ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ زُهْد؛
وَقَعَ ذاكَ الفَقِيْهُ على مَولُودَةِ الحُور، واشْتَعَلَتْ نارُهُ في ذلِكَ القِطْن؛
الرُّوحُ بالرُّوحِ مُتَّصِلَةٌ والبَدَنانِ مُتَعانِقان، مِثْلَ طائِرَيْنِ مَذْبُوحَيْنِ يَرْتَعِشان؛
ما السِّقايَةُ ما المَلِكُ ما أرسَلان، ما الحَياءُ ما الدِّيْنُ ما الخَوفُ على الرُّوحِ؛
وَقَعَتْ عُيُونُهُما في العَيْنِ والغَيْن، لا حَسَنٌ ظاهِرٌ هُنا ولا حُسَيْن؛
طالَ الأمْرُ وَأَيْنَ طَريقُ العَوْدَةِ، انْتِظارُ المَلِكِ أَيْضاً جاوَزَ الحَدّ؛
جاءَ المَلِكُ لِيَرى الواقِعَةَ، فرأى هُناكَ الزَّلزَلَةَ والقارِعَة؛
ذاكَ الفَقِيْهُ مِنَ الخَوْفِ قامَ مُسْرِعاً، وَمَضى نَحْوَ المَجْلِسِ واخْتَطَفَ الكَأْس؛
المَلِكُ كالنَّارِ مَمْلُوءٌ بالشِّرارِ وبالنَّكال، وَظامِئٌ لِدَمِ الإثْنَيْنِ سَيِّئي الفعال؛
عِنْدَما رَآهُ الفَقِيْهُ مَمْلُوءَ الوَجْهِ بالغَضَبِ والعِقاب، ومُرّاً قاتِلاً كأنَّهُ كَأْسُ السُّمّ؛
صَرَخَ بِساقِيْهِ أَيْ ذا الكَرَم، ما جُلُوسُكَ حائراً احْمِلْهُ إلى طَبْعِه؛
جاءَتِ المَلِكَ ضُحْكَةٌ قالَ أَيْ عَظِيْم، جِئْتُ بِطَبْعِي وَتِلْكَ الفَتاةُ لَكَ؛
أنا مَلِكٌ وَشُغْلي العَدْلُ والإنْصاف، جُوْدِي يُعْطِي مِنْ ذاكَ الَّذي آكُلُ للصَّديق؛
ذاكَ الَّذي لا آكُلُ لَذيذاً كالشَّهْد، متى أُعْطِيْهِ للرَّفِيْقِ والأهْلِ والضَّيْف؛
أنا أُطْعِمُ غِلْماني مِنْ ذلِكَ الطَّعام، الَّذي آكُلُ على سُفْرَةِ نَفْسي الخاصَّة؛
وأُطْعِمُ عَبيدي مِنْ ذلِكَ الطَّعام، الَّذي آكُلُ مِنْ مَطْبُوخٍ وَغَيْرِ مَطْبُوخ؛
وكما أَلْبَسُ اللِّباسَ مِنَ الخَزِّ والأطْلَسِ، أُلْبِسُ الحَشَمَ مِنْ ذاكَ لا مِنَ الرَّديء؛

عِنْدِيَ الخَجَلُ مِنَ النَّبِيِّ ذي الفُنُون، قالَ *أَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبِسُون*؛
المُصْطَفى أوصى بِهذا للبَنِيْن، أطْعِمُوا الأذْنابَ مِمَّا تَأْكُلُون؛
لَقَدْ حَمَلْتُ إلى الطَّبْعِ الآخَرين، وَجَعَلْتُهُمْ ماهِرِينَ في الصَّبْرِ وَراغِبين؛
فاحمِلِ النَّفْسَ للطَّبْعِ بِرُجُولَةٍ، واجْعَلِ العَقْلَ بَعِيْدَ الفِكْرِ قائداً؛
حِيْنَ يَصِيْرُ قائدُ الصَّبْرِ لَكَ جناحاً، تَصْعَدُ الرُّوحُ على أَوْجِ العَرْشِ والكُرْسِيّ؛
وانْظُرِ المُصْطَفى وكَيْفَ صارَ الصَّبْرُ لَهُ البُراق ، سارَ بِهِ إلى أَعْلى الطِّباق؛

مَسِيْرُ أولادِ المَلِكِ بَعْدَ تَمامِ البَحْثِ والنِّقاش إلى جِهَةِ ولايَةِ الصِّيْن نَحْوَ المَعْشُوقِ والمَقْصُود ، حَتَّى يصيرُوا أَقْرَبَ مِنَ المَقْصُودِ بِقَدر الإمكان، إذْ لَمَّا كانَ طَرِيقُ الوَصْلِ مَسْدُوداً كانَ الاِقْتِرابُ بِقَدرِ الإمكانِ مَحْمُوداً إلى آخِرِه

قالُوا هذا وَجَدُّوا مُسْرِعِيْنَ في السَّيْر، كُلُّ ما كانَ أَيْ حَبيبي كانَ تِلْكَ اللَّحْظَة؛
اخْتارُوا الصَّبْرَ وَصارُوا صِدِّيْقِيْن، بَعْدَ ذلِكَ تَوَجَّهُوا إلى بلادِ الصِّيْن؛
تَرَكُوا الوالِدَيْن والمُلْك، وَأَخَذُوا طَرِيقَ المَعْشُوقِ في السِّرّ؛
أَخْرَجَهُمُ العِشْقُ مِنَ السَّرير، هائِمِيْنَ مِثْلَ إبراهِيْمَ أَدْهَم؛
أو مِثْلَ إبراهِيْمَ المُرْسَلِ ذاك، أَلْقى بالنَّفْسِ في النَّارِ في سُرُور؛
أو مِثْلَ إسماعِيْلَ الصَّبَّار المَجِيْد، مَدَّ الرَّأْسَ أمامَ العِشْقِ وَخَنْجَرِه؛

حِكايَةُ امرؤ القَيْس الَّذي كانَ مَلِكاً عَرَبِيّاً وكانَ بالصُّورَةِ عَظيماً وذا جَمال ، كانَ يُوسُفَ وَقْتِه ، ونِساءُ العَرَبِ مَقْتُولاتُهُ ، وكانَ شاعِرَ طَبْع، *قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ* . ما دامَتْ جَميعُ

النِّساءِ يَطْلُبْنَهُ بالرُّوح ، عَجَباً مِنْ أجْلِ ماذا كانَ غَزَلُهُ وَأنينُه ،

لَعَلَّهُ عَلِمَ أَنَّهُنَّ جَميعاً تَماثيلُ صُوَرٍ مَنْقُوشَةٍ على ألواحِ التُّراب،

في العاقِبَةِ حَصَلَتْ لامرؤِ القِيْسِ هذا حالَةٌ وَهَرَبَ في مُنْتَصَفِ

اللَّيْلِ مِنَ المُلْكِ والوَلَد وأخفى النَّفْسَ في ثَوبٍ خَلَقٍ ويَنْتَقِلُ مِنْ

إقليمٍ لإقْلِيْم في طَلَبِ ذلِكَ الشَّخْصِ المُنَزَّهِ عَنِ الإقْليم، يَخْتَصُّ

بِرَحْمَتِهِ مَنْ يشاءُ إلى آخِرِه

امرُؤ القَيْس لَمْ يَعُدْ يَسْتَسيغُ الممالِك، سَحَبَهُ العِشْقُ أَيْضاً مِنْ خِطَّةِ العَرَب؛

حَتَّى جاءَ يَضْرِبُ الطُّوبَ في تَبُوك، فَقِيْلَ للمَلِكِ إنَّ مَلِكاً مِنَ المُلُوك؛

اِسْمُهُ امرؤُ القَيْسِ قَدْ جاءَ هاهُنا للكَدّ، هُوَ في صَيْدِ العِشْقِ يَضْرِبُ الطُّوب؛

نَهَضَ ذلِكَ المَلِكُ وَذَهَبَ إِلَيْهِ في اللَّيْل، قالَ لَهُ أَيُّها المَلِكُ حَسَنُ الوَجْه؛

أنتَ يُوسُفُ الوَقْتِ. لَكَ مُلْكانِ في كمال، انقادَتْ لَكَ البلادُ وانقادَ لَكَ الجَمال؛

الرِّجالُ صارُوا مِنْ سَيْفِكَ عَبيداً، والنِّساءُ مُلْكُ بَدْرِكَ بلا غَيْم؛

أنْ تَكُونَ عِنْدَنا هُوَ بَخْتٌ لَنا، رُوحُنا مِنْ وَصْلِكَ تَصِيْرُ مِئَةَ رُوح؛

أنا وَمُلْكي كلانا لَكَ مَمْلُوك، أَيْ مَنْ تَرَكْتَ بالهِمَّةِ الأملاك؛

قالَ لَهُ الكَثيرَ مِنَ الفَلْسَفَةِ وَهُوَ صامِتٌ، فَجْأَةً كَشَفَ النِّقابَ عَنِ السِّرّ؛

وما أنْ أَسَرَّ لَهُ الحَديثَ عَنِ العِشْقِ والأَلَمِ، حَتَّى جَعَلَهُ دائِرَ الرَّأْسِ مِثْلَهُ حَالاً؛

أَمْسَكَ بِيَدِهِ وَصارَ رَفِيقاً لَهُ، ضاقَ هُوَ أَيْضاً بالتَّخْتِ والكَمَر؛

ذَهَبَ هذانِ المَلِكانِ إلى بلادٍ بَعِيْدَةٍ، العِشْقُ لَمْ يَفْعَلْ هذا الذَّنْبَ كَرَّةً واحِدَة؛

إنَّهُ الشَّهْدُ للكِبارِ واللَّبَنُ للأطْفال، إنَّهُ لِكُلِّ سَفِيْنَةٍ المَنُّ المُغْرِق؛

غَيْرُ هذينِ الاثْنَيْنِ كَمْ مِنْ مُلُوكٍ بلا حَصْر، خَطَفَهُمُ العِشْقُ مِنَ المُلْكِ والأَهْل؛

صارَتْ أرواحُ أولادِ المَلِكِ الثَّلاثَةِ، تَحُومُ حَوْلَ الصِّيْنِ كالطُّيُورِ لاقِطَةِ الحَبّ؛

لا جُرْأةَ لَهُمْ لِيَبُوحُوا بما في الضَّمِيْر، لأنَّهُ السِّرُ ذُو الخَطَرِ والخَطير؛
لَحْظَةَ العِشْقُ الغاضِبُ يَشُدُّ وَتَرَ القَوْس، مِئاتُ أُلُوفِ الرُّؤوسِ ثَمَنُها دانِق؛
والعِشْقُ نَفْسُهُ في وَقْتِ السُّرورِ وبلا غَضَب،لَهُ طَبْعُ القَتْلِ ظُلْماً لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
هكذا يَكُونُ حِيْنَ يَكُونُ راضِياً، ما أَقُولُ كَيْفَ يَكُونُ حِيْنَ يَكُونُ غاضِباً؛
لكِنَّ مَنْ قَتَلَهُ هذا العِشْقُ وهذا السَّيْفُ، يَكُونُ مَرْجُ الرُّوحِ فِداءً لأَسَدِه؛
قَتْلُهُ خَيْرٌ مِنْ أُلُوفِ الحَيَوات، المَمالِكُ قَتْلى هذِهِ العُبُودِيَّة؛
يَقُولُونَ الأَسْرارَ كِنايَةً أَحَدُهُمْ للآخَر، بِخَفيضِ الصَّوتِ بِمِئَةِ خَوْفٍ وَحَذَر؛
ما لِهذا السِّرِّ مِنْ مَحْرَمٍ غَيْرُ الله، ولا نَدِيْمَ إلَّا السَّماءُ للآه؛
كانُوا يَتَحَدَّثُونَ الواحِدُ للآخَر، بالاِصْطِلاحاتِ مِنْ أَجْلِ إِيْرادِ الخَبَر؛
لَوْ تَعَلَّمَ العَوامُّ هذا مِنْ لِسانِ الطَّيْرِ ، لَتَخَلَّوا عَنِ الجَعْجَعَةِ والحَديث؛
ذاكَ الكلامُ صُورَةُ أَصْواتِ الطُّيُور، الرَّجُلُ الخامُ غافِلٌ عَنْ حالِ الطُّيُور؛
أَيْنَ سُلَيْمانُ الَّذي يَعْرِفُ لَحْنَ الطَّيْر، الشَّيْطانُ وَلَو اسْتَولى على المُلْكِ غَيْر؛
وَقَفَ الشَّيْطانُ مِثْلَما كانَ يَقِفُ سُلَيْمان، عِنْدَهُ عِلْمُ المَكْرِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ *عُلِّمْنا*؛
وَلَمَّا كانَ سُلَيْمانُ بَشَّاشاً مِنَ الله، كانَ لَهُ مَنْطِقُ الطَّيْرِ مِنْ عُلِّمْنا؛
مِنْ ذلِكَ الطَّيْرِ الهَوائِيِّ افْهَمَنْ، ما دُمْتَ لَمْ تَرَ الطُّيُورَ مِنْ لَدُن؛
مَوْضِعُ طُيُورِ السِّيْمورغ تِلْكَ الجِهَةَ مِنْ قاف، ما كُلُّ خيالٍ لَهُ يَدُ نَسَّاجِ خيال؛
إلَّا الَّذي رأى خيالاً مِنَ الاِتِّفاق، وآنَذاكَ بَعْدَ العِيانِ وَقَعَ الفِراق؛
لَيْسَ فِراقَ القَطْعِ بَلْ للمَصْلَحَة، فَتِلْكَ المَنْقَبَةُ آمِنَةٌ مِنْ كُلِّ فِراق؛
مِنْ أَجْلِ اسْتِبْقاءِ رُوحِ الجَسَدِ تِلْك، انْسَحَبَتِ الشَّمْسُ عَنِ الثَّلْجِ لَحْظَةً؛
أُطْلُبْ لِرُوحِكَ الصَّلاحَ مِنْهُم، لا تَسْرِقِ الاِصْطِلاحَ مِنْ حُرُوفِهِم؛
زَليخا تِلْكَ سَمَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، باسْمِ يُوسُفَ مِنَ الحَرْمَلِ للعُود؛
جَعَلَتْ اِسْمَهُ في أَسْمائها مَكْتُوماً، وَجَعَلَتْ سِرَّ ذاكَ للمُحْرِمِيْنَ مَعْلُوماً؛

عِنْدَما كانَتْ تَقُولُ الشَّمْعُ لانَ مِنَ النَّار، كانَ مَعْناهُ أنَّ الحَبيبَ أَثَّرَ بِنا؛
وإنْ قالَتْ انْظُرُوا أَطْلَعَ القَمَر، أو قالَتْ هل اخْضَرَّ غُصْنُ الصَّفْصاف؛
أو قالَتِ الأوراقُ تَهْتَزُّ في حُبُور، أو قالَتِ الحَرْمَلُ يَحْتَرِقُ بِشَكْلٍ جَيِّد؛
أو قالَتْ الوَرْدَةُ قالَتْ السِّرَّ للبُلْبُل، أو قالَتِ المَلِكُ قالَ سِرَّ دلالِ المَلِك؛
أو قالَتْ كَمْ هُوَ حَظٌّ مَيْمُون، أو قالَتْ بَعْثِرْنَ المَتاع؛
أو قالَتْ جاءَ السَّاقِيْ بالماء، أو قالَتْ طَلَعَتِ الشَّمْس؛
أو قالَتْ أمْسِ طَبَخُوا قِدْراً، أو قالَتِ الحوائجُ مِنْ طَبْخِها صارَتْ قِطْعَةً واحِدَة؛
أو قالَتِ الخُبْزُ بلا مِلْح، أو قالَتِ الفَلَكُ يَدُورُ باتِّجاهٍ مُعاكِس؛
أو قالَتْ بَدَأَتْ رَأْسي تُؤلِمُني، أو قالَتْ وَجَعُ رأْسي صارَ أحْسَن؛
إنْ كانَ مَدْحاً فَهُوَ اعْتِناقُهُ، وإنْ كانَ ذَمَّاً فَهُوَ فِراقُهُ؛
مِئَةُ أَلْفِ اِسْمٍ لَوْ دَقَّقْتَ بِها، لَكانَ يُوسُفُ قَصْدَها وَمُرادَها؛
لَو كانَتْ جائِعَةً وَذَكَرَتْ اِسْمَهُ، كانَتْ تَصِيْرُ شَبْعى وَسَكْرى بِكَأْسِه؛
وَظَمَؤها كانَ يَصِيْرُ ساكِناً مِنْ اِسْمِه، اِسْمُ يُوسُفَ صارَ شَرابَ الباطِن؛
وإنْ كانَ بِها أَلَمٌ يَكُونُ العِلاجُ، مِنْ ذلِكَ الاِسْمِ العالِي لأَلَمِها في الحال؛
وَقْتَ البَرْدِ كانَ لها اللِّباسَ مِنَ الصُّوف، هكذا يَفْعَلُ اِسْمُ الحَبيبِ في العِشْق؛
العَوامُّ يَقْرَؤونَ كُلَّ لَحْظَةٍ الاِسْمَ الطَّاهِر، هذا لا يَعْمَلُ ما لَمْ يُوْجَدِ العاشِق؛
كُلُّ ما كانَ عَمِلَ عيسى مِنْ اِسْمِ هُو، كانَ يَصِيْرُ لها ظاهِراً مِنْ اِسْمِه؛
إذا صارَتِ الرُّوحُ مُتَّصِلَةً بالحَقّ، ذِكْرُ الحَقِّ ذِكْرُها وَذِكْرُها ذِكْرُ الحَقّ؛
تَكُونُ خالِيَةً مِنْ نَفْسِها وَمَمْلُوءَةً بِعِشْقِ الحَبيب، وَكُلُّ إناءٍ بالَّذي فيهِ يَنْضَح؛
ضُحْكَةُ عَبيرِ الزُّعْفَرانِ وِصال، بُكاءُ رائِحَةِ البَصَلِ بِعَاد؛
الَّذي عِنْدَهُ في القَلْبِ مِئَةُ مُراد، لَيْسَ على مَذْهَبِ العِشْقِ والوِداد؛
الحَبيبُ للعِشْقِ شَمْسُ النَّهار، الشَّمْسُ مِثْلَ نِقابٍ لِذلِكَ الوَجْه؛

مَنْ لا يَعْرِفُ النِّقابَ مِنْ وَجْهِ الحَبيب، عابِدٌ للشَّمْسِ انْزَعِ اليَدَ مِنْه؛ هُوَ النَّهارُ للعاشِقِ وَهُوَ قُوتُ العاشِق، هُوَ قَلْبُ العاشِقِ وَحُرْقَةُ قَلْبِ العاشِق؛ السَّمَكُ يَأْخُذُ نَقْداً مِنْ عَيْنِ الماء،: الخُبْزَ والماءَ والنَّوْمَ والكِساءَ والدَّواء؛ مِثْلَ الطِّفْلِ الرَّضيعِ يَرْضَعُ مِنَ الثَّدْي، ولا يَعْرِفُ في العالَمَيْنِ غَيْرَ اللَّبَن؛ الطِّفْلُ عَرِفَ اللَّبَنَ كما أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْه، إلى هذا الطَّرَفِ لا طَريقَ للتَّدْبير؛ لَقَدْ جَعَلَ هذا الطِّلَّسْمُ الحَيْرَةَ في الرُّوح، حَتَّى تَجِدَ الفاتِحَ والمَفْتُوح؛ لا تَكُونُ حائِرَةً في المَسيرِ بَلْ هِيَ فِيْه، حامِلُها البَحْرُ لا السَّيْلُ والجَدْوَل؛ إذا وَجَدَهُ مَنْ وَجَدَهُ صارَ مَفْقُوداً، يَصِيْرُ غارِقاً كالسَّيْلِ في البَحْرِ القُلْزُم؛ ضاعَتِ الحَبَّةُ وآنذاكَ صارَتْ تِيْناً ، هذا كانَ *ما لَمْ تَمُتْ لا أُعْطِيْكَ الذَّهَب*؛

بَعْدَ مَكْثِهِمْ مُتَوارِيْنَ في بلادِ الصِّيْنِ في عاصِمَةِ المُلْك وَبَعْدَ أنْ
طالَ الصَّبْرُ صارَ ذاكَ الكَبيرُ بلا صَبْر قالَ : الوَدَاعُ أنا ذاهِبٌ
أَعْرِضُ نَفْسي على المَلِك

إِمَّا قَدَمِي تُنيلُنـي مَقْصُودِي أو أُلْقِي رَأْسِي كَفُؤادِي ثَمَّة

وَلَمْ تَنْفَعْ نَصِيْحَةُ الأُخْوَة

يا عاذِلَ العاشِقِيْنَ دَعْ فِئَةً أَضَلَّها اللهُ كَيْفَ تُرْشِدُها

إلى آخِرِه

ذاكَ الكَبيرُ قالَ أَيْ إِخْوَتي، أنا مِنَ الانتِظارِ وَصَلَتْ رُوحِي إلى شَفَتِي؛ صِرْتُ لا أُبالي لَمْ يَبْقَ لي صَبْر، لَقَدْ أقامَني هذا الصَّبْرُ في النَّار؛ طاقَتي مِنْ هذا الصَّبْرِ انْحَنَتْ، واقِعَتي صارَتْ عِبْرَةَ العُشَّاق؛ أنا شَبِعْتُ مِنَ الحَياةِ في الفِراق، الكَوْنُ حَيَّاً في الفِراقِ نِفاق؛ كَمْ يَقْتُلُني أَلَمُ فُرْقَتِها، سَأَقْطَعُ رَأسي لِيَهَبَني العِشْقُ الرَّأس؛

ديني هُوَ أنْ أكُونَ حَيَّاً مِنَ العِشْق، الحَياةُ مِنْ هذِهِ الرُّوحِ والرَّأْسُ عارٌ عَلِيّ؛
السَّيْفُ يَمْسَحُ الغُبارَ عَنْ رُوحِ العاشِق، ذلِكَ أنَّ السَّيْفَ مَحَّاءُ الذُّنوب؛
عِنْدَما ذَهَبَ غُبارُ الجَسَدِ شَعَّ قَمَري، قَمَرُ رُوحِي وَجَدَ الهَواءَ الصَّافِي؛
أَقْرَعُ طَبْلَ عِشْقِكَ الأعْمار، إنَّ في مَوتي حَياتي أَيْ صَنَم؛
الرُّوحُ ادَّعَتْ أَنَّها طائِرٌ مائِيّ، فَمَتى تَصْرُخُ مِنْ طُوفانِ البلاء؛
أَيُّ غَمٍّ للبَطِّ مِنْ كَسْرِ السَّفِيْنَة، تَكْفِيْهِ القَدَمُ سَفينَةً على الماء؛
رُوحِي مِنْ هذِهِ الدَّعْوى حَيَّةٌ وَبَدَني، فَكَيْفَ أَتْرُكُ هذِهِ الدَّعْوى؛
أرى المَنامَ وَلَسْتُ في النَّوم، أنا مُدَّعٍ وَلكِنَّني لَسْتُ كَذَّاباً؛
لَوْ مِئَةَ مَرَّةٍ ضَرَبْتَ عُنُقي، أَظَلُّ أَشْتَعِلُ بالضِّياءِ كالشَّمْع؛
أَخَذَتِ النَّارُ بالبَيْدَرِ مِنْ أمامٍ وَخَلْف، بَيْدَرُ المُدْلِجِ لَيْسَ غَيْرَ ذاكَ القَمَر؛
حِيْلَةُ الإخْوانِ جَعَلَتْ يُوسُفَ، مَخْفِيَّاً عَنْ يَعْقُوبَ النَّبِيّ؛
جَعَلُوهُ مَخْفِيَّاً باسْتِعْمالِ الحِيْلَة، فَوَشى بِهِ القَمِيْصُ في الآخِر؛
أَخَواهُ الاثنانِ نَصَحاهُ في السَّمَر، لا تَكُنْ غافِلاً عَنِ الأخْطارِ وبلا خَبَر؛
ألا لا تَكْبِسِ المِلْحَ على جِراحِنا، ألا لا تَشْرَبْ هذا السُّمَّ في جَلَدٍ وَشَكّ؛
إلَّا بِتَدْبيرِ شَيْخٍ خَبير، كَيْفَ تَذْهَبُ أما لَكَ قَلْبٌ بَصِيْر؛
الوَيْلُ لِذاكَ الطَّائِرِ الَّذي لَمْ يَنْبُتْ لَهُ الرِّيْش، وَيُحَلِّقُ في الأوجِ وَيَقَعُ في الخَطَر؛
العَقْلُ هُوَ الجَناحُ والرِّيْشُ للرَّجُل، إنْ كانَ لا يَمْلِكُ العَقْلَ فَلْيَسْتَرْشِدْ بِعَقْل؛
كُنْ إمَّا مُظَفَّراً وَإمَّا باحِثاً عَنْ مُظَفَّر، كُنْ إمَّا ذا نَظَرٍ أو باحِثاً عَنْ ذي نَظَر؛
بلا مِفْتاحِ العَقْلِ يَكُونُ قَرْعُ الباب، مِنَ الهَوى لا مِنْ وَجْهِ الصَّواب؛
أُنْظُرْ إلى عالَمٍ في الشِّباكِ مِنَ الهَوى، وَمِنْ جِراحاتٍ لها لَونُ الدَّواء؛
الحَيَّةُ واقِفَةٌ على الصَّدْرِ كَأَنَّها المَوت، في فَمِها وَرَقَةٌ كَبيرَةٌ مِنْ أَجْلِ الصَّيْد؛
وَقَفَتْ بَيْنَ الحَشائشِ مُنْتَصِبَةً كالحَشيش، الطَّائِرُ ظَنَّ أَنَّها غُصْنُ نَبات؛

عِنْدَما حَطَّ للأكْلِ على وَجْهِ الوَرَقَة، سَقَطَ في فَمِ الحَيَّةِ والمَوت؛
التِّمْساحُ فَتَحَ فَمَهُ وأبقاهُ مَفْتُوحاً، وَحَوْلَ أَسْنانِهِ ديدانٌ طَويلَةٌ؛
مِنْ بَقِيَّةِ الطَّعامِ الَّتي بَقِيَتْ على أَسْنانِه، نَمَتِ الدِّيْدانُ وَظَهَرَتْ على الأسنان؛
رَأَتِ الطُّيُورُ الدِّيْدانَ والقُوت، فَظَنَّتْ مَرْجاً ذلِكَ التَّابُوت؛
حِيْنَ امْتَلأَ فَمُهُ مِنَ الطَّيْرِ فَجْأَةً، سَحَبَها إلى أَسْفَلَ وَأَغْلَقَ الفَمّ؛
هذِهِ الدُّنيا المَمْلُوءَةُ بالخُبْزِ والنُّقْل، اعْرِفْها كالفَمِ المَفْتُوحِ لِذلِكَ التِّمْساح؛
أَيُّها السَّاعِي للرِّزْقِ مِنْ أَجْلِ الدُّودِ والطَّعام، لا تَكُنْ آمِناً مِنْ فَنِّ تِمْساحِ الدَّهْر؛
الثَّعْلَبُ اسْتَلْقى تَحْتَ التُّراب، وَفَوقَ التُّرابِ حُبُوبٌ ماكِرَة؛
كَيْ يَجِيْءَ الغُرابُ غافِلاً نَحْوَ تِلْك، فَيُمْسِكُ قَدَمَهُ بالمَكْرِ ذاكَ الماكِر؛
الحَيَواناتُ عِنْدَها مِئَةُ أَلْفِ نَوْعِ مَكْر، فَكَيْفَ يَكُونُ مَكْرُ البَشَرِ وَهُوَ سَيِّدُها؛
المَصْحَفُ بالكَفِّ مِثْلَ زَيْنِ العابِدِيْن، والخَنْجَرُ المَمْلُوءُ بالقَهْرِ في الكُمّ؛
يَقُولُ لَكَ ضاحِكاً أَيْ مَولاي، وفي قَلْبِهِ بابِلِيٌّ مَمْلُوءٌ بالسِّحْرِ والمَكْر؛
سُمٌّ قاتِلٌ وَصُورَتُهُ شَهْدٌ وَلَبَنٌ، ألا لا تَذْهَبْ بلا صُحْبَةِ شَيْخٍ خَبير؛
جُمْلَةُ لَذَّاتِ الهَوى مَكْرٌ وَخِداعٌ، سُورُ الظَّلامِ حَوْلَ نُورِ البَرْق؛
البَرْقُ نُورٌ قَصِيْرٌ وَكَذِبٌ وَمُجاز، حَوْلَهُ الظُّلُماتُ وَطَرِيقُكَ طَويل؛
لا تَقْدِرُ أنْ تَقْرَأَ بِنُورِهِ الكِتاب، ولا تَقْدِرُ أنْ تَقُودَ إلى المَنْزِلِ الجَواد؛
لكِنْ بِجُرْمِ أنَّكَ صِرْتَ رَهْنَ البَرْق، أَخْفَتِ الوَجْهَ عَنْكَ أنوارُ الشَّرْق؛
مَكْرُ البَرْقِ يَسْحَبُكَ بلا دليلٍ، في المفازَةِ المُظْلِمَةِ في اللَّيْلِ مِيْلاً مِيْلا؛
تَقَعْ حِيْناً على جَبَلٍ وَحِيْناً بِجَدْوَلٍ، حِيْناً تَسْقُطُ لِهذِهِ الجِهَةِ وَحِيْناً لِتِلْكَ الجِهَة؛
لَمْ تَرَ لِنَفْسِكَ الدَّليلَ أَيْ طالِبَ الجاه، وإنْ رَأَيْتَهُ أَعْرَضْتَ عَنْهُ بالوَجْه؛
أَنْ قَطَعْتُ مِنْ هذا الطَّرِيقِ في السَّفَرِ سِتِّيْنَ مِيْلاً، هذا الدَّليلُ يُضِلُّني بِقَولِه؛
إنْ جَعَلْتُ الأُذُنَ إلى هذا عَجَباً، عَنْ أَمْرِهِ سَآخُذُ الطَّرِيقَ مِنَ البِدايَة؛

وأنا جَعَلْتُ عُمْري رَهْناً لِهذا الطَّريق، أَيُّها السَّيِّدُ اذْهَبْ وَلْيَكُنْ ما يَكُون؛
سِرْتَ في الطَّريقِ على الظَّنِّ كالبَرْق، سِرْ عُشْرَ الطَّريقِ على الوَحْيِ كالشَّرْق؛
وَقَدْ قَرَأْتَ *الظَّنُّ لا يُغْني مِنَ الحَقِّ*، ومِنْ مِثْلِ ذاكَ البَرْقِ تَخَلَّفْتَ عَنِ الشَّرْق؛
هَيَّا اصْعَدْ في سَفينَتِنا أَيْ حَزين، أو ارْبِطْ تِلْكَ السَّفينَةَ بِهذِهِ السَّفينَة؛
يَقُولُ كَيْفَ أَتْرُكُ هذِهِ المَشْغَلَة، وَكَيْفَ اَذْهَبُ طُفَيْلِيّاً عَلَيْكَ كالأعمى؛
القائِدُ خَيْرٌ للأعْمى مِنَ الانْفِرادِ يَقِيْناً، مِنْ ذاكَ عَيْبٌ واحِدٌ وَمِنْ هذا مِئَةُ عَيْب؛
تَهْربُ مِنَ البَعُوضَةِ إلى عَقْرَب، وَتَهْرَبُ مِنَ النَّدى إلى البَحْر؛
أَتَهْرَبُ مِنْ جفاءِ وَقَسْوَةِ الأب، إلى وَسَطِ اللُّوطِيِّيْنَ والفِتْنَةِ والشَّرّ؛
تَهْربُ مِثْلَ يُوسُفَ مِنَ الحَزَن، لِتَقَعَ مِنْ *نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ* في الجَبّ؛
تَقَعُ مِنْ هذِهِ النُّزْهَةِ مِثْلَهُ في الجُبّ، لكِنْ مِنْ أَيْنَ لَكَ مِثْلَهُ عِنايَةُ ذلِكَ الحَبيب؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ ذاكَ مِنْهُ بإذْنِ الأب، ما أَخْرَجَ الرَّأْسَ مِنَ البِئْرِ إلى الحَشْر؛
ذاكَ الأبُ أعْطاهُ الإذْنَ مِنْ أَجْلِ قَلْبِه، قالَ ما دامَ هذا مَيْلُكَ فَلْيَكُنِ الخَيْر؛
كُلُّ ضَريرٍ تَمَرَّدَ على المَسيح، انْقَطَعَ عَنِ الرَّشادِ كاليَهُود؛
كانَ أَعْمى لكِنْ كانَ قابِلاً للضَّوء، صارَ مِنْ هذا الإعْراضِ غَيْرَ قابلٍ للضَّوء؛
يَقُولُ لَهُ عيسى تَمَسَّكْ بي باليَدَيْن، مَعِيَ الكُحْلُ العَزيزِيُّ أَيْ عَمِيّ؛
إنْ كُنْتَ أَعْمى تَجِدُ الضِّياءَ مِنِّي، فَقَعْ على قَمِيْصِ يُوسُفَ الرُّوح؛
شُغْلُكَ الَّذي يَصِلُكَ بَعْدَ الانْكِسار، فِيْهِ الإقْبالُ وَمِنْهاجُ الطَّريق؛
أُتْرُكْ شُغْلاً بلا رَأْسٍ ولا قَدَم، واشْتَرِ الشَّيْخَ أَيُّها الحِمارُ العَجُوز؛
لا كانَ غَيْرُ الشَّيْخِ أُسْتاذاً وقائداً للجَيْش، لا شَيْخُ الفَلَكِ ولكِنْ شَيْخُ الرَّشاد؛
حِيْنَ صارَ مُطيعاً للشَّيْخِ في اللَّحْظَة، رأى الضِّياءَ ذاكَ العابِدُ للظُّلْمَة؛
الشَّرْطُ هُوَ التَّسْليمُ لا العَمَلُ الطَّويل، لا نَفْعَ في غارَةِ التُّرْكِيِّ في الضَّلالَة؛
بَعْدَ هذا لا أَبْحَثُ عَنْ طَريقِ الأثير، أَبْحَثُ عَنِ الشَّيْخِ عَنِ الشَّيْخِ عَنِ الشَّيخ؛

الشَّيْخُ هُوَ السُّلَّمُ للسَّماء، السَّهْمُ الطَّائِرُ لا يَنْطَلِقُ إلَّا مِنَ القَوْس؛
أَلَيْسَ مِنْ إبراهِيْمَ قامَ النَّمْرُودُ الثَّقيل، بالسَّفَرِ مَعَ النَّسْرِ إلى السَّماء؛
وعلا كَثيراً في الهَواءِ إلى الأعْلى، لكِنَّ النَّسْرَ لا يَطِيْرُ فَوْقَ الفَلَك؛
قالَ لَهُ إبراهِيْمُ أَيْ رَجُلَ السَّفَر، أَصِيْرُ لَكَ النَّسْرَ. هذا لَكَ أَفْضَل؛
حِيْنَ تَجْعَلُ مِنِّي السُّلَّمَ إلى أعلى، تَصْعَدُ للسَّماءِ بلا طَيَران؛
مِثْلَما يَذْهَبُ القَلْبُ إلى الغَرْبِ والشَّرْق، بلا زادٍ ولا راحِلَةٍ كأَنَّهُ البَرْق؛
مِثْلَما يَذْهَبُ في اللَّيْلِ مِنَ الاِغْتِراب، حِسُّ النَّاسِ إلى المُدُنِ وَقْتَ النَّوم؛
مِثْلَما العارِفُ مِنْ طَريقٍ خَفِيّ، يَذْهَبُ إلى مِئَةِ عالَمٍ وَهُوَ جالِسٌ مَسرور؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ قامَ بِمِثْلِ ذاكَ السَّفَر، مِنْ أيْنَ حَصَلَ على الأَخْبارِ مِنْ تِلْكَ الولاية؛
هذِهِ الأخبارُ وهذِهِ الرِّواياتُ المُحِقَّة، مِئاتُ أُلُوفِ الشُّيُوخِ عَلَيْها مُتَّفِقُون؛
وما مِنْ خلافٍ بَيْنَ هؤلاءِ العُيُون، مِثْلَما يَكُونُ الحالُ في عِلْمِ الظُّنُون؛
ذاكَ التَّحَرِّي كانَ في اللَّيْلِ المُظْلِم، وهذا حُضُورُ الكَعْبَةِ وَفي وَسَطِ النَّهار؛
اِنْهَضْ أَيْ نَمْرُودُ واطْلُبِ الجَناحَ مِنَ الرِّجال، لَنْ يَجِيْئَكَ السُّلَّمُ مِنْ هذِهِ النُّسُور؛
العَقْلُ الجُزْئِيُّ نَسْرٌ اَيْ مُقِلّ، جَناحُهُ بِأَكْلِ الجِيَفِ مُتَّصِل؛
عَقْلُ الأبدالِ مِثْلُ جَناحِ جَبرائيل، يَطِيْرُ حَتَّى ظِلِّ السِّدْرَةِ مِيْلاً بِمِيْل؛
أنا بازُ السُّلْطانِ مُبارَكُ القَدَم، فارِغٌ مِنَ الجِيْفَةِ وَلَسْتُ بالنَّسْر؛
أُتْرُكِ النَّسْرَ لأصِيْرَ رَجُلَك، جَناحٌ مِنِّي أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ نَسْر؛
كَمْ قُدْتَ هذا الجَوادَ على العَمْياء، يَجِبُ الأُسْتاذُ للحِرْفَةِ والكَسْب؛
لا تَفْضَحْ نَفْسَكَ في بلادِ الصِّيْن، اِبْحَثْ عَنْ عاقِلٍ ولا تَفْصِلِ النَّفْسَ عَنْه؛
الجَميعُ في الصِّيْنِ يقولونَ بِجَدّ، عَنْ مَلِكِهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَلِدْ؛
أنْ مَلِكُنا لَمْ يَلِدْ اَيَّ وَلَد، بَلْ وَلَمْ يُعْطِ الطَّريقَ إلَيْهِ لامْرَأَة؛
كُلُّ مَنْ قالَ عَنْهُ هذا النَّوعَ مِنَ القَوْلِ مِنَ المُلُوك، عَرَّضَ عُنُقَهُ للسَّيْفِ القاطِع؛

يَقُولُ لَهُ الشَّاهُ ما دُمْتَ قُلْتَ هذا، فعَلَيْكَ أنْ تُثْبِتَ أنَّ لِي عِيالاً؛
إذا أَنْتَ أَثْبَتَّ أنَّ لي بِنْتاً، وَجَدْتَ الأمانَ مِنْ سَيْفِيَ القاطِع؛
أو أَقْطَعُ حَلْقَكَ بلا شَكّ، وَأَنْزَعُ دَلْقَكَ عَنْ صُوفِيّ الرُّوح؛
أَبَداً لَنْ تَنْجُوَ بالرَّأْسِ مِنْ سَيْفِه، أي مَنْ خَلَطْتَ وَقُلْتَ دَعْوى الكَذِب؛
أَيْ مَنْ قُلْتَ مِنَ الجَهْلِ غَيْرَ الحَقِ، انْظُرْ الخَنْدَق مَملُوءاً بالرُّؤوسِ المَقْطُوعَة؛
خَنْدَقاً مَملوءاً مِنْ قَعْرِهِ إلى شَفَتِهِ ، بالرُّؤوسِ المَقْطُوعَةِ مِنْ هذا الغُلُوّ؛
جَمِيْعُ مَنْ ذَهَبُوا في أمْرِ هذِهِ الدَّعْوى، ضَرَبُوا رِقابَهُمْ بِهذِهِ الدَّعْوى؛
ألا فانْظُرْ إلى هذا بِعَيْنِ الاِعْتِبار، ولا تُفَكِّرْ بِمِثْلِ هذِهِ الدَّعْوى ولا تَجِئْ بِها؛
أَتُرِيدُ أنْ تَجْعَلَ عُمْرَنا عَلَيْنا مُرَّاً ، أَيْ أَخُ مَنِ الَّذي يَجْعَلُكَ على هذا مُصِرَّاً؛
مَنْ لا عِلْمَ لَهُ لَوْ سارَ مِئَةَ عامٍ،على العَمْياءِ لا يَكُونُ ذاكَ مِنْ حِسابِ الطَّريق؛
فلا تَذْهَبْ بلا سِلاحٍ إلى المَعْرَكَة، ولا تَذْهَبْ كالمُتَهَوِّرِيْنَ في التَّهْلُكَة؛
قالُوا كُلَّ هذا فقالَ غَيْرُ الصَّبُور، مِنْ هذِهِ الأقْوالِ يَجِيْئُني النُّفُور؛
صَدْري مَمْلُوءٌ بالنَّارِ كالمَنْقَل، الزَّرْعُ صارَ كامِلاً حانَ وَقْتُ المَنْجَل؛
كانَ للصَّدْرِ صَبْرٌ وَلَمْ يَعُدْ بِهِ الآنَ صَبْر، العِشْقُ أجْلَسَ النَّارَ في مَقامِ الصَّبْر؛
ماتَ صَبْري لَيْلَةَ وُلِدَ عِشْقي، *العُمْرُ للحاضِرِينَ* ماتَ صَبْري؛
أَيْ مُحَدِّثاً عَنِ الخِطابِ وَعَنِ الخُطُوب، أنا تَجاوَزْتُ ذاكَ لا تَدُقَّ الحَديدَ البارِد؛
أنا مَنْكُوسٌ هَيَّا اتْرُكْ قَدَمِي، أَيْنَ هُوَ الفَهْمُ في جَمِيْعِ أَجْزائي؛
أنا جَمَلٌ أَحْمِلُ ما اسْتَطَعْت، ما دُمْتُ قَدْ وَقَعْتُ عاجِزاً أنا سَعِيْدٌ بالقَتْل؛
لَو امْتَلأَ بالرُّؤوسِ المَقْطُوعَةِ مِئَةُ خَنْدَقٍ، هِيَ أمامَ وَجَعِيْ مِزاحٌ مُطْلَق؛
لا أُرِيدُ أنْ أَقْرَعَ طَبْلَ الهَوى في السِّرّ، مَرَّةً أُخْرى مِنَ الخَوفِ والرُّعْب؛
الآنَ أرْفَعُ على الصَّحْراءِ العَلَم، أو ذَهابُ الرَّأْسِ أو وَجْهُ الصَّنَمْ؛
إنْ لَمْ يَكُنِ الحَلْقُ أَهْلَ ذاكَ الشَّراب، أولى بِهِ القَطْعُ بالسَّيْفِ والضِّراب؛

العَيْنُ الَّتي لا تَكُونُ صالِحَةً لِوَصْلِه، تِلْكَ عَيْنٌ أولى بِها البياضُ والعَمى؛
الأُذُنُ الَّتي لا تَكُونُ لائقَةً بِسِرِّهِ، اقْلَعْها فَلَيْسَتْ تَليقُ بالرَّأْس؛
اليَدُ الَّتي لا تَمْلِكُ ذلِكَ النِّصاب، أولى بِها تُقْطَعَ بِساطُورِ القَصَّاب؛
مِثْلُ تِلْكَ القَدَمِ الَّتي مِنْ مَسيرِها، لا تَتَّصِلُ الرُّوحُ بِبُسْتانِ نَرْجِسِه؛
تِلْكَ قَدَمٌ أولى بِها تَكُونُ في الحَديد ، مِثْلُ تِلْكَ القَدَمِ تُسَبِّبُ الصُّداعَ في العاقِبَة؛

بيان المُجاهِد الَّذي لا يَتَوَقَّفُ عَنِ الجِهاد مَعَ عِلْمِهِ أنَّ بَسْطَةَ عَطاءِ الحَقّ الَّتي تُوصِلُ إلَيْهِ ذلِكَ المَقْصُودَ تُوْصِلُهُ مِنْ طَرَفٍ آخَرَ وَمِنْ نَوعٍ آخَرَ مِنَ العَمَل ، بَيانُهُ أنَّهُ لا يَجِبُ أنْ يكُونَ في الوَهْم ، ويجِبُ أنْ يكُونَ كُلُّ وَهْمِهِ وَأَمَلِهِ مَعْقُوداً على الطَّريقِ المُعَيَّن، يَقْرَعُ حَلْقَةَ عَيْنِ الدَّار ، وإنْ كانَ مِنَ المُمْكِنِ أنَّ الحَقَّ تعالى يُوصِلُ إلَيْهِ ذلِكَ الرِّزْقَ مِنْ بابٍ آخَرَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَقُمْ هُوَ بالتَّدْبيرِ لِذلِك ، وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب ، العَبْدُ يُدَبِّرُ والله يُقَدِّر، وَرُبَّما كانَ للعَبْدِ وَهْمُ العُبُودِيَّةِ أنْ هُوَ يُوصِلُ لي مِنْ غَيْرِ هذا الباب رَغْمَ أَنِّي أَدُقُّ حَلْقَةَ هذا الباب. الحَقُّ تعالى يُوْصِلُ لَهُ الرِّزْقَ مِنْ هذا البابِ أَيْضاً ، بالإجْمال فإنَّ هذِهِ الأبوابَ جَميعاً هِيَ لِبَيْتٍ واحِدٍ مَعَ تَقْريرِه

إمَّا أنْ يَطْلُعَ لِيَ المُرادُ مِنْ هذا الطَّريق، أو حِيْنَ أعُودُ مِنْ هذا الطَّريقِ للوَطَن؛
رُبَّما كانَ مُرادي مَوقوفاً على السَّفَر، إذا أنا سافَرْتُ وَجَدْتُهُ في الحَضَر؛
متى أَبْحَثُ عَنْ هذا الحَبيبِ بالجِدِّ والجُهْد، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لا يَجِبُ أنْ أَبْحَث؛
تِلْكَ المَعِيَّةُ متى تَدْخُلُ في أُذُني، ما لَمْ أَدُرْ حَوْلَ دَورانِ الزَّمَن؛
متى أَفْهَمُ سِرَّ المَعِيَّة، إلَّا مِنْ بَعْدِ الأَسْفارِ الطَّويلَة؛

الحَقُّ ذَكَرَ المَعِيَّةَ وَخَتَمَ القَلْب، لِيَحْصَلَ العَكْسُ لا الطَّرْدُ على أُذُنِ القَلْب؛
إذا سافَرَ الأسْفارَ وَأَعْطى الطَّريقَ حَقَّهُ، بَعْدَ ذلِكَ يَرْفَعُ عَنِ القَلْبِ ذلِكَ الخَتْم؛
الحِسابُ ذُو الصَّفاءِ ذاكَ بِهِ خَطَآن، صارَ لَهُ واضِحاً بَعْدَ الخَطَأَيْن؛
بَعْدَ ذلِكَ يَقُولُ لَوْ كُنْتُ عارِفاً بِهذِهِ المَعِيَّة، متى كُنْتُ رُحْتُ باحِثاً عَنْه؛
مَعْرِفَةُ ذاكَ مَوْقُوفَةٌ على السَّفَر، ذاكَ العِلْمُ لا يَجِيْءُ بِحِدَّةِ الفِكَر؛
مِثْلَما كانَ دَفْعُ قَرْضِ الشَّيْخ، مَعْقُوداً وَمَوْقُوفاً على بُكاءِ ذاكَ الوُجُود؛
طِفْلُ الحَلْوى بكى بِحُرْقَةٍ، فَصارَ دَيْنُ ذاكَ الشَّيْخِ الكبيرِ مَقْضِيّاً؛
وَقَدْ ذُكِرَ هذا الحَديثُ المَعْنَوِيّ، مِنْ قَبْلِ هذا في خِلالِ المَثْنَوِيّ؛
يُلْقي بِقَلْبِكَ الخَوْفَ مِنْ مَوْضِع، حَتَّى لا يَكُونَ لَكَ في غَيْرِ ذلِكَ مَطْمَع؛
وَقَدْ جَعَلَ في الطَّمَعِ فائِدَةً أُخْرى، وَأَعْطاكَ مُرادَكَ ذاكَ مِنْ شَخْصٍ آخَر؛
أيْ مَنْ رَبَطْتَ الطَّمَعَ بِمكانٍ واحِدٍ، أنْ تَأتيني الفاكِهَةُ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ العالِيَة؛
ذاكَ الطَّمَعُ مِنْ هُناكَ لَنْ يَكُونَ لَهُ وَفاء، بَلْ يَأتي مِنْ مكانٍ آخَرَ ذلِكَ العَطاء؛
لِماذا إذَنْ وَضَعَ فيكَ ذاكَ الطَّمَع، وَهُوَ لَنْ يُعْطِيَكَ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ ذلِكَ الشَّيْء؛
إنَّهُ مِنْ أَجْلِ حِكْمَةٍ وَصَنْعَة، حَتَّى يَصِيْرَ قَلْبُكَ في حَيْرَة؛
لِيَكُونَ قَلْبُكَ حَيْرانَ أَيْ مُسْتَفيد، أنْ مِنْ أَيْنَ سَيَصِلُ إلَيَّ المُراد؛
لِتَعْلَمَ عَجْزَ نَفْسِكَ وَجَهْلَ نَفْسِك، لِيَصِيْرَ إيقانُكَ بالغَيْبِ أَكْثَر؛
فَيَكُونَ قَلْبُكَ حَيْرانَ في المُنْتَجَع، أنْ ماذا سَيُنْمي المُصَرِّفُ مِنْ هذا الطَّمَع؛
عِنْدَكَ الطَّمَعُ بالرِّزْقِ مِنَ الحِياكَة، لِتَعِيْشَ مِنَ الحِياكَةِ وَتَحْصَلَ على الذَّهَب؛
فَيَجِيْئُكَ الرِّزْقُ ظاهِراً مِنَ الصِّياغَة، وَقَدْ كانَ ذاكَ المَكْسَبُ عَنْ وَهْمِكَ بَعيداً؛
إذَنْ لِأَجْلِ ماذا كانَ الطَّمَعُ بالحِياكَة، مادامَ لَنْ يَفْتَحَ لَكَ الرِّزْقَ مِنْ تِلْكَ الجِهَة؛
مِنْ أَجْلِ حِكْمَةٍ نادِرَةٍ في عِلْمِ الحَقّ، فَقَدْ كَتَبَ ذلِكَ الحُكْمَ في ما سَبَق؛
وَأَيْضاً لِيَصِيْرَ مَكْرُكَ حائراً، وَيَصِيْرَ كُلُّ عَمَلِكَ حَيْرَةً؛

أَيَصِلُني وِصالُ الحَبيبِ مِنْ هذا السَّعْي، أو مِنْ طَريقٍ خارِجٍ عَنْ سَعْيِ الجَسَد؛
أنا لا أَقُولُ مِنْ هذا الطَّريقِ يَطْلُعُ المُراد، أنا أتَحَرَّكُ لا أرى مِنْ أَيْنَ سَيَنْفَتِح؛
الطَّائِرُ المَذْبُوحُ يَقَعُ إلى كُلِّ جِهَة، أنْ مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ تَتَحَرَّرُ الرُّوحُ مِنَ الجَسَد؛
أو مُرادي يَأتي مِنْ هذا الخُرُوج، أو مِنْ بُرْجٍ آخَرَ مِنْ ذاتِ البُرُوج؛

حِكايَةُ ذاكَ الشَّخْصِ الَّذي رأى في المنام أنْ كُلُّ ما تَطْلُبُ مِنَ اليَسارِ يُقْضى في مِصْر ، هُناكَ كَنْزٌ في المَحَلَّةِ الفُلانِيَّة في البَيْتِ الفُلانِيّ ، وَعِنْدَما جاءَ إلى مِصْرَ قالَ لَهُ شَخْصٌ مِصريّ قَدْ رَأَيْتُ في المنامِ أنَّ هُناكَ كَنْزاً في بَغْدادَ في المَحَلَّةِ الفُلانِيَّةِ في البَيْتِ الفُلانِيّ وَذَكَرَ بَيْتَ هذا الشَّخْص، وَفَهْمُ هذا الشَّخْص أنَّ القَولَ أنَّ ذلِكَ الكَنْزَ في مِصْرَ كانَ لِيَحْصَلَ لِيَ اليَقينُ أنَّهُ لا يَجِبُ البَحْثُ إلَّا في مَنْزِلِ النَّفْس ، ولكِنْ باليقين والتَّحْقيق لا يُمْكِنُ الحُصُولُ عَلَى هذا الكَنْزَ إلَّا في مِصْر

كانَ هُناكَ وارِثٌ لِمالٍ وَعَقار، أنفَقَ كُلَّ ذاكَ وَبَقِيَ عارِياً وعاجِزاً؛
مالُ الميراثِ لا يَمْلِكُ الوفاءَ مِنْ نَفْسِه، لأنَّهُ انفَصَلَ عَنِ المَيِّتِ رَغْماً عَنْه؛
والوارِثُ لا يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَنالَهُ سَهْلاً، فَلَمْ يَسْعَ لَهُ بالكَدِّ والألَمِ والكَسْب؛
مِنْ ذاكَ لا تَعْرِفُ قَدْرَ الرُّوحِ أَيْ فُلان، فَقَدْ أَعْطاكَها الحَقُّ هِبَةً بالمَجَّان؛
ذَهَبَ النَّقْدُ وَذَهَبَ المَتاعُ والبُيوت، وَبَقِيَ كالبُومِ في تِلْكَ الخرائب؛
قالَ رَبِّي أَعْطَيْتَ الرِّزْقَ وَذَهَبَ الرِّزْق، أو أَعْطِني الرِّزْقَ أو أَرْسِلْ لِيَ المَوت؛
حِيْنَ صارَ خالِياً بَدَأَ بِذِكْرِ الحَقّ، يُنْشِدُ يا ربِّ ويا رَبِّ أجِرْني؛
كما قالَ الرَّسُولُ أنَّ المُؤمِنَ كالعُود، زَمانَ يكُونُ فارِغاً يكونُ لَهُ الأنينُ الحَزين؛

وإذا كانَ مُمْتَلِئاً وَضَعَهُ المُطْرِبُ مِنْ يَدِه، لا تَكُنْ مُمْتَلِئاً فَتَأثيرُ يَدِهِ جَميل؛

كُنْ فارِغاً وَكُنْ جَميلاً بَيْنَ إصْبَعَيْن، مِنْ خَمْرِ *لا أين* صار دائراً الرَّأْسُ *والأَيْن*؛

سالَ طُغْيانُ الماءِ مِنْ عَيْنِهِ المَفْتُوحَة، ماءُ عَيْنِهِ سَقى زَرْعَ الدِّيْن؛

سَبَب تأخير إجابَة دُعاء المُؤمِن

أي كَمْ مِنْ مُخْلِصٍ أنَّ في الدُّعاء، حَتَّى وَصَلَ دُخانُ خُلُوصِهِ إلى السَّماء؛

لَقَدْ ذَهَبَتْ فَوقَ هذا السَّقْفِ العالي، رائِحَةُ المَجْمَرِ مِنْ أنينِ المُذْنِبين؛

فَشَكَتِ الملائِكَةُ إلى اللهِ ضارِعَةً، أي مُجيبَ كُلِّ دُعاءٍ وَأَيْ مُسْتَجار؛

العَبْدُ المُؤمِنُ في التَّضَرُّع، هُوَ لا يَعْرِفُ سِواكَ مُسْتَنَداً؛

أنتَ تُعْطي العَطاءَ للغُرَباء، وَمِنْكَ ينالُ المُنى كُلُّ مُشْتَهٍ؛

فَيَقُولُ الحَقُّ ذاكَ لَيْسَ مِنْ هَوانِه، عَيْنُ تأخيرِ العَطاءِ مَحَبَّةٌ لَه؛

الحاجَةُ جاءَتْ بِهِ مِنَ الغَفْلَة إلَيَّ، سَحَبَتْهُ مِنْ شَعْرِهِ تَشُدُّهُ إلى حِماي؛

إنْ أَعْطَيْتُهُ حاجَتَهُ عادَ راجِعاً، وَصارَ في ذلِكَ اللَّعِبِ مُسْتَغْرِقاً؛

ما دامَ يَشْكُو بالرُّوحِ *يا مُسْتَجار*، مَكْسُورَ قَلْبٍ مَجْرُوحَ صَدْرٍ قُلْ لَهُ اشْكُ؛

فإنَّ صَوتَهُ بالأنينِ ذاكَ مُحَبَّبٌ إلَيَّ، وذاكَ النِّداءُ مِنْهُ يا ربِّ وَسِرُّهُ ذاك؛

وذاكَ الَّذي في تَمَلُّقِهِ وما يَحْصَلُ لَهُ، يَقُومُ بِخِداعي بِكُلِّ لَونِ خِداع؛

البَبَّغاواتُ والبلابِلُ مِنَ الإسْتِحْسان، تُحْبَسُ في الأقفاصِ مِنْ جَمالِ الصَّوت؛

متى يُحْبَسُ الغُرابُ والبُومُ في القَفَص، هذا الأمْرُ لَمْ يَرِدْ في القِصَص؛

إذا جاءَتْ إلى الجَميلِ اثْنَتان، واحَدَةٌ عَجُوزٌ وَأُخْرى حَسْناءُ الذَّقَن؛

كِلْتاهُما تَطْلُبانِ الخُبْزَ يأتي بالخُبْزِ الطَّرِيّ، يُعْطيهِ للعَجُوزِ مُسْرِعاً قائلاً خُذي؛

وَتِلْكَ الأُخْرى الَّتي هِيَ حَسْناءُ قَدٍّ وَخَدّ، لا يُعْطِيْها الخُبْزَ في الحالِ بَلْ يُؤَخِّرُها؛

يَقُولُ لها اجلِسي لَحْظَةً بلا ضَرَر، الخُبْزُ الطَّرِيُّ يُخْبَزُ الآنَ في المَنْزِلِ؛
وَحِيْنَ يَصِلُ ذاكَ الخُبْزُ السَّاخِنُ بَعْدَ كَدّ، يَقُولُ لَها اجْلِسي حَتَّى تَصِلَ الحَلْوى؛
وَيَقُومُ باسْتِبْقائِها بِهذا الفَنّ، وَيَجْعَلُها صَيْداً لَهُ مِنْ طَرِيقٍ خَفِيّ؛
أنْ لي مَعَكِ شُغْلٌ للحْظَةٍ واحِدَة، فانتَظِري قليلاً أَيْ حَسْناءَ الدُّنيا؛
عَدَمُ نَيْلِ المُؤمِنينَ المُرادَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ، اِعْلَمْ يَقيناً أَنَّهُ كانَ مِنْ أَجْلِ هذا؛

رُجُوع إلى قَصَّةِ ذلِكَ الشَّخْص الَّذي أُعْطِيَ إشارَةً على الكَنْزِ في مِصْر وبيان تَضَرُّعِهِ مِنَ المَسْكَنَةِ في حَضْرَةِ الحَقّ

عِنْدَما أنْفَقَ الرَّجُلُ الميراثَ وَصارَ فقيراً، انبرى بالبُكاءِ والعَويلِ والدُّعاءِ يا ربّ؛
مَنْ ذا الَّذي قَرَعَ بابَ الرَّحْمَةِ هذا، وَلَمْ يَجِدْ في الإجابَةِ مِئَةَ ربيع؛
رأى رُؤيا وهاتِفاً يُسْمَعُ يَقُول،: غِناكَ يَأتيكَ مِنْ مِصْرَ مُحَقَّقاً؛
اِذْهَبْ إلى مِصْرَ هُناكَ يَصِيْرُ أمْرُكَ مُسْتَقيماً. قَدْ قَبِلَ اسْتِجْداءَكَ فَهُوَ المُرْتَجى؛
في المَوضِعِ الفُلانِيّ كَنْزٌ عَظِيْمٌ، وَيَجِبُ عَلَيْكَ الذَّهابُ لِمِصْرَ في طَلَبِ ذاك؛
هيَّا أيْ حَزينُ دُونما إبْطاء، اِذْهَبْ إلى مِصْرَ مَنْبَتِ السُّكَّر؛
عِنْدَما جاءَ مِنْ بَغْدادَ إلى مِصْر، صارَ ساخِنَ الظَّهْرِ إذْ رأى وَجْهَ مِصْر؛
على أَمَلِ وَعْدِ الهاتِفِ أنْ لِدَفْعِ الضُّرّ، سَوْفَ تِجِدُ الكَنْزَ في أَرْضِ مِصْر؛
في المَحَلَّةِ الفُلانِيَّةِ في المَوْضِعِ الفُلانِيّ، كَنْزٌ نادِرٌ جِدَّاً مَدْفُونٌ وَمُنْتَخَب؛
وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنَ النَّفَقَةِ شَيْءٌ، مِمَّا قَلَّ أو كَثُرَ أرادَ أنْ يَسْأَلَ العَوامّ؛
لكِنَّ حَياءَهُ وَهِمَّتَهُ قَيَّداه، فكَبَسَ النَّفْسَ تَحْتَ ضَغْطِ الصَّبْر؛
ثُمَّ عادَتْ نَفْسُهُ تَضْطَرِبُ مِنَ المَجاعَة، فَلَمْ يَرَ مَفَرَّاً مِنَ الاِنْتِجاعِ والطَّلَب؛
قالَ أَخْرُجُ في اللَّيْلِ باللُّطْفِ والرِّفْق، حَتَّى مِنَ الظُّلْمَةِ لا أَخْجَلُ مِنَ الاِسْتِجْداء؛

أَقُومُ بالذِّكْرِ والنِّداءِ مُسْتَعْطِياً في اللَّيْل، حَتَّى تُلْقى إلَيَّ مِنَ الأَسْطُحِ الدَّراهِم؛
على هذِهِ الفِكْرَةِ خَرَجَ إلى الطُّرُقات، يِنْتَقِلُ مِنْ صَوبٍ لِصَوبٍ على هذِهِ الفِكْرة؛
لَحْظَةً يَكُونُ مانِعُهُ الخَجَلُ والجاه، وَلَحْظَةً يَقُولُ لَهُ الجُوعُ اسْأَلْ؛
قَدَمٌ للأمامِ وَقَدَمٌ للخَلْفِ إلى ثُلُثِ اللَّيْل، أَأَسْأَلُ أَمْ أنامُ يابِسَ الشَّفَة؛

وُصُولُ ذلِكَ الشَّخْصِ إلى مِصْر وَخُرُوجُهُ في اللَّيْلِ إلى الحَيّ للاِسْتِجْداء والسُّؤال وإمْساكُ العَسَسِ بِهِ وَحُصُولُ مُرادِهِ عَنْ طَرِيقِ العَسَس بَعْدَ مُعاناتِهِ للضَّرْبِ الكَثير ، وعسى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَقَولُهُ تعالى سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً، وَقَوْلُهُ تعالى إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً ، وَقَولُهُ عَلَيْهِ السَّلام اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي ، وَجَمِيْعُ القُرْآنِ والكُتُبِ المُنْزَلَةِ في تَقْرِيرِ هذا

فَجْأَةً قَبَضَ عَلَيْهِ العَسَسُ وانْبَرَوا، يَضْرِبُونَهُ بالعِصِيّ وَيَلْكِمُونَهُ اللَّكَمات؛
فَفي تِلْكَ اللَّيالي المُظْلِمَةِ مِنَ الاِتِّفاق، كانَ النَّاسُ يَلْقَونَ الأذى مِنَ السُّرَّاق؛
كانَتِ اللَّيالي مَخُوفَةً وَمَنْحُوسَةً، وكانَ العَسَسُ يَبْحَثُونَ عَنِ اللُّصُوصِ بِجِدّ؛
قالَ الخَلِيْفَةُ كُلُّ مَنْ يَتَجَوَّلُ في اللَّيْل، اقْطَعُوا يَدَهُ وَلَوْ كانَ مِنْ أَهْلي؛
وكانَ المَلِكُ قامَ بِتَهْديدِ وَتَخْويفِ العَسَس، أنْ لِماذا أنتُمْ على اللُّصُوصِ رُحَماء؛
لِماذا تُصَدِّقُونَ الخِداعَ مِنْهُمْ والمَكْر، أمْ لَعَلَّكُمْ تَقْبَلُونَ الذَّهَبَ مِنْهُم؛
إنَّ الرَّحْمَةَ للُّصُوصِ وَلِكُلِّ مَنْحُوسٍ يَد، هِيَ ضَرْبٌ على الضُّعَفاءِ وَظُلْمٌ لَهُم؛
مِنْ أَلَمِ الخاصِّ لا تَنْكُلْ عَنِ الاِنْتِقام، لا تَنْظُرْ إلى أَلَمِهِ أُنْظُرْ إلى الأَلَمِ العامّ؛
اِقْطَعْ إصْبَعَ المَلْدُوغِ لِدَفْعِ الشَّرّ، أُنْظُرْ هلاكَ البَدَن في تَعَدِّي الضَّرَر؛
رآهُ العَسَسُ في هذا الوَقْتِ فَضَرَبُوه، بِشِدَّةٍ بالعِصِيّ وَجَرَحُوهُ جِراحاتٍ بلا عَدَد؛

وعلا الصُّراخُ مِنْ ذلِكَ الدَّرويشِ يَسْتَغيثُ: لا تَضْرِبُوا لأَقُولَ لكُمُ الحالَ بِصِدْقٍ؛
قالَ لَهُ العاسُّ أَعْطَيْتُكَ المُهْلَةَ قُلْ، لِمَ خَرَجْتَ للخارِجِ في هذا الوَقْتِ مِنَ اللَّيْل؛
أَلَسْتَ مِنْ هُنا أَغَريبٌ أَنْتَ وَمُنْكَر، قُلِ الصِّدْقَ ما المَكْرُ الَّذي تَمْكُر؛
أَهْلُ الدِّيْوانِ يَطْعَنُونَ في العَسَسِ، أَنْ لِماذا كَثُرَ اللُّصُوصُ كثيراً الآن؛
كثُروا مِنْكَ وَمِنْ أمثالِكَ، وَدُلَّنا أَيْضاً على رِفاقِكَ الأَشْرار؛
وإلَّا سَأَشْفي غَليلَ الجَميعِ مِنْكَ، حَتَّى يَصِيْرَ آمِناً ذَهَبُ كُلِّ مُحْتَشِم؛
قالَ مِنْ بَعْدِ الأيمانِ الكَثيرَةِ أنا لَسْتُ مُعْتَدِياً على الدُّورِ ولا سارِقاً؛
أنا لَسْتُ رَجُلَ سَرِقَةٍ وَظُلْمٍ، أنا غَريبٌ في مِصْرَ أنا بَغْدادِيّ؛

بيانُ هذا الخَبَرِ *أَنِ الكَذِبُ ريبَةٌ والصِّدْقُ طُمَأنينَةٌ*

ذَكَرَ قِصَّةَ ذاكَ المَنامِ وَكَنْزِ الذَّهَب، فانْفَتَحَ مِنْ صِدْقِهِ قَلْبُ ذلِكَ الشَّخْص؛
جاءَتْ مِنْ قَسَمِهِ رائِحَةُ صِدْقِهِ، حَرْقُهُ صارَ ظاهِراً وَحَرْمَلُه؛
يَصِيْرُ القَلْبُ قارّاً بِقَوْلِ الصَّواب، هكذا كما يَقَرُّ الظَّامِئُ بالماء؛
إلَّا قَلْباً مَحْجُوباً بِهِ عِلَّةٌ، فلا يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّبِيِّ والغَبِيّ؛
وإلَّا فَتِلْكَ الرِّسالَةُ الَّتي كانَتْ مِنْ مَوْضِعٍ، حِيْنَ وَقَعَ على القَمَرِ انْشَقَّ نِصْفيْن؛
القَمَرُ يَنْشَقُّ وَيَأْبى ذلِكَ القَلْبُ المَحْجُوب، لأَنَّهُ مَرْدُودٌ وَلَيْسَ بالمَحْبُوب؛
صارَتْ عَيْنُ العَسَسِ عَيْنَ دَمْعٍ مُبِلّ، لا مِنَ القَوْلِ اليابِسِ بَلْ مِنْ عَبيرِ القَلْب؛
حَديثٌ مِنَ النَّارِ يَأْتي إلى الشَّفَة، وَحَدِيْثٌ مِنْ مَوْطِنِ الرُّوحِ في حِمى الشَّفَة؛
بَحْرٌ يَزيدُ في الرُّوحِ وَبَحْرٌ مَمْلُوءٌ بالحَرَج، لَقَدْ مَرَجَ هذِهِ الشَّفَةَ ما بَيْنَ البَحْرَيْن؛
الشَّفَةُ مِثْلَ مَيْدانٍ للعَرْضِ ما بَيْنَ المُدُن، تَأْتي إلَيْهِ الأَمْتِعَةُ مِنَ النَّواحِي؛
المَتاعُ المَعْيُوبُ المُزَيَّفُ للسَّارِق، والمَتاعُ المَمْلُوءُ بالنَّفْعِ المُسْتَشْرَفُ كالدُّرّ؛

كُلُّ تاجِرٍ كانَ في هذا المَعْرَضِ أمْهَر، كانَ بالنَّفيسِ وبالزَّائفِ أخْبَر؛
فَيَكُونُ المَعْرَضُ لَهُ دارَ الرَّباح، وَيَكُونُ لِذاكَ الأعْمى مِنَ العَمى دارَ الجُناح؛
كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أجْزاءِ العالَمِ واحِداً واحِداً، قَيْدٌ للغَبِيِّ وَفَتْحٌ للأُسْتاذ؛
لِواحِدٍ شَهْدٌ وللآخَرِ كالسُّمّ، لِواحِدٍ لُطْفٌ ولِلآخَرِ كالقَهْر؛
كُلُّ جَمادٍ مَعَ النَّبِيِّ ذُو حَديث، الكَعْبَةُ للحاجِّ شاهِدٌ وَناطِق؛
كما أنَّ المَسْجِدَ شاهِدٌ للمُصَلِّي، أنْ هُوَ كانَ يَأْتي إِلَيَّ مِنْ طَرِيقٍ بَعِيْد؛
النَّارُ للخَليلِ زَهْرٌ وَوَرْدٌ وَرَيْحان، وَهِيَ للنَّمْرُودِيِّيْنَ المَوتُ والألَم؛
قُلْنا هذا مِراراً أَيْ حَسَن، أنا لا أَشْبَعُ مِنْ بيانِهِ أَبَداً؛
أَكَلْتَ لِدَفْعِ الذُّبولِ مِراراً الخُبْز، كَيْفَ لا تَمَلُّ مِنْهُ وَهُوَ ذاتُ الخُبْز؛
يَصِلُ إِلَيْكَ جُوعٌ جَديدٌ مِنَ الاِعْتِدال، يَحْرِقُ التَّخْمَةَ مِنْهُ والملال؛
كُلُّ مَنْ صارَ لَهُ أَلَمُ المَجاعَةِ نَقْداً، صارَ التَّجَدُّدُ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ عَقْداً؛
اللَّذَّةُ مِنَ الجُوعِ لا مِنَ النُّقْلِ الجَديد، خِبْزُ الشَّعِيْرِ بالمَجاعَةِ أَطْيَبُ مِنَ السُّكَّر؛
مِنْ عَدَمِ الجُوعِ وَمِنَ الاِمْتِلاءِ التَّامَ، تَكُونُ المَلالَةُ لا مِنْ تِكْرارِ الكلام؛
كَيْفَ مِنَ الدُّكَّانِ والمِكاسِ والقِيْلِ والقال، في خِداعِ الخَلْقِ لا يصيبُكَ الملال؛
مِنْ اغتيابِ النَّاسِ وَأَكْلِ لُحُومِهِم، كَيْفَ لَمْ تَشْبَعْ مِنْ ذاكَ في سِتِّيْنَ عاماً؛
قُلْتَ الكَثيرَ مِنَ الخِداعِ في صَيْدِ امْرَأة، تَقُولُ الكلامَ المَعْسُولَ مِراراً بلا مَلَل؛
تَقُولُ لَها الكلامَ الحارَّ والمَفْتُونَ في آخِرِ مَرَّةٍ، أَحَرَّ بِمِئَةِ مَرَّةٍ مِنَ المَرَّةِ الأولى؛
الأَلَمُ يَجْعَلُ الدَّواءَ القَديمَ جَديداً، الأَلَمُ يُعيدُ كُلَّ غُصْنٍ مَلُولٍ إلى طَبيعَتِه؛
الآلامُ كيمياءُ التَّجْديد، أَيْنَ المَلَلُ في الجانِبِ الَّذي يَنْهَضُ فيهِ الأَلَم؛
ألا لا تَتَأَوَّه الآهَ البارِدَةَ مِنَ الأَلَم، اُطْلُبِ الأَلَمَ واُطْلُبِ الأَلَمَ واُطْلُبِ الأَلَمَ؛
أَدْوِيَةُ اللَّغْوِ خادِعَةٌ للأَلَم، قاطِعَةٌ للطَّريقِ وسالِبَةٌ للذَّهَبِ كالخِراج؛
الماءُ المالِحُ لَيْسَ دَواءً للعَطَش، وإنْ بَدا وَقْتَ الشُّرْبِ بارِداً وَعَذْباً؛

فَإِنَّهُ صارَ خادِعاً ومانِعاً لِلْبَحْثِ، عَنِ الماءِ العَذْبِ الَّذي تَنْمُو مِنْهُ مِئَةُ خُضْرَة؛
وهكذا كُلُّ ذَهَبٍ زائفٍ فإنَّهُ يَكُونُ مانِعاً، عَنِ مَعْرِفَةِ الذَّهَبِ الجَميلِ حَيْثُما وُجِد؛
قَطَعَ قَدَمَكَ وَجَناحَكَ بالتَّزْوير، أنْ أنا لَكَ المُرادُ تَعَلَّقْ بي أَيْ مُريد؛
يَقُولُ لَكَ سَأَقْتَلِعُ أَلَمَكَ وَهُوَ الأَلَم، هُوَ الخَسارَةُ رَغْمَ أَنَّهُ كانَ في الظَّاهِرِ رِبْحاً؛
فامْضِ عَنِ الدَّواءِ الكاذِبِ واهْرَبْ مِنْهُ، لِيَصِيْرَ أَلَمُكَ مُصْلِحاً وَيَفُوحَ بالمِسْك؛
قالَ لَهُ العاسُّ لَسْتَ سارِقاً وَلَسْتَ فاسِقاً، أنتَ رَجُلٌ طَيِّبٌ لكِنَّكَ أَبْلَهٌ وَأَحْمَقٌ؛
أَعَلى خَيالٍ وَرُؤيا تَقْطَعُ طَريقاً كَهذِه، لَيْسَ لِعَقْلِكَ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ ضِياء؛
لِمَرَّاتٍ وأنا أرى المَنامَ مُسْتَمِرَّاً، أَنَّ في بَغْدادَ كَنْزاً مُسْتَتِراً؛
هُوَ في ناحِيَةِ كذا وَمَحَلَّةِ كذا دَفين، وكانَ ذاكَ اِسْمَ مَحَلَّةِ هذا الحَزين؛
إنَّهُ في المَنْزِلِ الفُلانِيِّ فاذْهَبْ وابْحَثْ، وَذَكَرَ اِسْمَ مَنْزِلِهِ واسْمَهُ ذاكَ العَدُوّ؛
لَقَدْ رَأَيْتُ هذا المنامَ مَرَّاتٍ، أَنَّهُ يُوجَدُ في بَغْدادَ كَنْزٌ في الوَطَن؛
وَلَمْ أَذْهَبْ أَبَداً مِنْ هُنا مِنْ هذا الخَيال، وأنتَ مِنْ منامٍ وَاحِدٍ تَجِيْءُ بلا ملال؛
مَنامُ الأَحْمَقِ لائقٌ بِعَقْلِهِ، إنَّهُ مِثْلَهُ بلا قِيْمَةٍ وَهُوَ لا شَيْء؛
واعْرِفْ مَنامَ المَرْأَةِ أَقَلَّ مِنْ منامِ الرَّجُل، مِنْ قِبَلِ نُقْصانِ العَقْلِ وَضَعْفِ الرُّوح؛
مَنامُ ناقِصِ العَقْلِ والأَحْمَقِ كَساد، مِنْ عَدِيْمِ العَقْلِ لا يَكُونُ المَنامُ غَيْرَ رِيْح؛
فَقالَ للنَّفْسِ الكَنْزُ في مَنْزِلي، فَكَيْفَ كُنْتُ هُناكَ في فَقْرٍ وَنُواح؛
كُنْتُ فَوْقَ الكَنْزِ وَأَمُوتُ مِنَ الفَقْر، ذلِكَ لأَنِّي كُنْتُ في غَفْلَةٍ وَفي حِجاب؛
سَكِرَ مِنْ هذِهِ البِشارَةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَلَم، مِئَةَ أَلْفِ الحَمْدُ لله قالَ بلا شَفْة؛
قالَ لَقَدْ كانَ طِيْبُ غِذائي وَقْفَ هذِهِ الصَّفْعَة، لَقَدْ كانَ ماءُ الحَياةِ في حانُوتي؛
امْضِ لَقَدْ وَقَعْتُ على رِزْقٍ طَيِّبٍ عَظيم، رَغْمَ ذاكَ الوَهْمِ أَنِّي أَكُونُ مُفْلِساً؛
سَواءً اعْتَبَرْتَني أَحْمَقاً أمْ وَضِيْعاً، ذاكَ صارَ لي، ما شِئْتَ أنْ تَقُولَ قُلْ؛
أنا رَأَيْتُ مُرادَ نَفْسي بلا شَكّ، ما شِئْتَ أنْ تَقُولَ عَنِّي أَيْ شاتِمُ فَقُلْ؛

أُدْعُني المَمْلُوءَ بالأَلَمِ اَيْ مُحْتَشِم، أنا عِنْدَكَ مَمْلُوءٌ بالأَلَمِ وَعِنْدَ نَفْسي سَعِيْد؛
وَيْلِيْ لَو كانَ مَعْكُوساً هذا المَطار ، عِنْدَ نَفْسي الأذى وَعِنْدَكَ رَوْضَةُ الأزْهار؛

مَثَل

قالَ خَسيسٌ يَوماً لِدَرْويش، ما مِنْ شَخْصٍ هاهُنا يَعْرِفُك؛
قالَ لَهُ إنْ لَمْ يَعْرِفْنِيَ العامِّيّ، أنا أَعْرِفُ نَفْسي حَسَناً مَنْ أَكُون؛
وَيْلي لَو كانَ الوَجَعُ والجُرْحُ على العَكْس،وكانَ هُوَ يَراني وأنا عَمِيٌّ عَنْ نَفْسي؛
اعْتَبِرْني أَحْمَقاً أنا أَحْمَقٌ أنا حَسَنُ البَخْت، البَخْتُ أَفْضَلُ مِنَ اللِّجاجِ والغَضَب؛
هذا الكلامُ يَخْرُجُ على وِفْقِ ظَنِّك ، وإلّا فإنَّ بَخَتي أعطاني أيضاً عَطاءَ العَقْل؛

رُجُوع ذلِكَ الشَّخْص مَسروراً وَوُجْدانُهُ المَراد وَشُكْرُهُ للهِ
وَسُجُودُهُ لَهُ وَحَيْرَتُهُ في غَرائِبِ إشاراتِ الحَقّ ، وَظُهُورُ
تأويلاتِ ذلِكَ في وَجْهٍ لَمْ يَكُنْ لِيَصِلَ إلَيْهِ أَيُّ عَقْلٍ وَفَهْم

عادَ مِنْ مِصْرَ إلى بَغْداد، ساجِداً وراكِعاً وَمُثْنياً وشاكِراً؛
حائراً سَكْرانَ طِيْلَةَ الطَّريقِ مِنْ هذا العَجَب، مِنْ انْعِكاسِ الرِّزْقِ وَطَريقِ الطَّلَب؛
أنْ مِنْ أَيْنَ كانَ قَدْ جَعَلَني آمِلاً، وَمِنْ أَيْنَ نَثَرَ عَلَيَّ المالَ والنَّفْع؛
أَيَّةُ حِكْمَةٍ كانَتْ في أنَّ قِبْلَةَ المُراد، أخْرَجَتني مِنَ البَيْتِ في ضلالٍ وَمَسْرُوراً؛
حَتَّى أَسِيْرَ في الضَّلالَةِ مُسْرِعاً، وَكُلَّ لَحظَةٍ أَبْعُدُ أَكْثَرَ عَنِ المَطْلَب؛
وَعادَ الحَقُّ فَجَعَلَ مِنْ عَيْنِ تِلْك الضَّلالَة، وَسِيْلَةً للرُّشْدِ وللنَّفْعِ مِنَ الكَرَم؛
وَمِنْ ضلالِ الطَّريقِ مَنْهَجاً للإيمان، وَمِنَ انْحِرافِ الطَّريقِ مَحْصَداً للإحسان؛
حَتَّى لا يَكُونَ أَيُّ مُحْسِنٍ بلا وَجا، حَتَّى لا يَكُونَ أَيُّ خائِنٍ بلا رَجا؛
جَعَلَ في السُّمِّ التِّرْياقَ ذاكَ الحَفِيّ، حَتَّى قِيْلَ عَنْهُ ذُو اللُّطْفِ الخَفِيّ؛

لَيْسَتْ مَخْفِيَّةً في الصَّلاةِ تِلْكَ المَكْرُمَة، جَعَلَ في الذَّنْبِ خِلْعَةً هِيَ المَغْفِرَة؛
قَصَدَ المُنْكِرُونَ إذْلالَ الثِّقات، صارَ الذُّلُّ عِزّاً وَظُهُورَ مُعْجِزات؛
قَصْدُهُمْ مِنَ الإنكارِ كانَ إذلالَ الدِّيْن، عَيْنُ الذُّلِّ صارَ عِزّاً للرُّسُل؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ أتى الإنكارُ مِنْ كُلِّ رَديء، لِماذا كانَتْ تَنْزِلُ المُعْجِزَةُ والبُرْهان؛
لَوْ لَمْ يُنْكِرِ الخَصْمُ وَيَطْلُبِ المِصْداق، متى كانَ القاضي أمَرَ بإحْضارِ الشَّاهِد؛
المُعْجِزَةُ جاءَتْ بِمَثابَةِ الشَّاهِدِ الزَّكِيّ، مِنْ أجْلِ صِدْقِ المُدَّعي بلا شَكّ؛
لَمَّا كانَ الطَّعْنُ يَجِيْءُ مِنْ كُلِّ جاهِل، كانَ الحَقُّ يَجِيْءُ بالمُعْجِزَةِ وَيَكْرُم؛
مَكْرُ فِرْعَونَ ذاكَ كانَ ثلاثَمائةَ طَيَّةً، وَصارَ ذاكَ كُلُّهُ ذُلّاً لَهُ وَقَمْعاً؛
أحْضَرَ السَّحَرَةَ مِنْ سَيِّئٍ وَحَسَنٍ، حَتَّى يَقُومَ بِجَرْحِ مُعْجِزَةِ مُوسى؛
لِيَجْعَلَ العَصا باطِلَةً وَمَفْضُوحَةً، وَيَقْتَلِعَ اعْتِبارَها مِنَ القُلُوب؛
ذاكَ المَكْرُ عَيْنُهُ صارَ آيَةً لِمُوسى، وعلا اعْتِبارُ تِلْكَ العصا عالِياً؛
وَجاءَ بالجَيْشِ فَجْراً إلى حَوْلِ النِّيْل، لِيَقْطَعَ على مُوسى وَقَوْمِهِ السَّبيل؛
فَصارَتْ أُمَّةُ مُوسى آمِنَةً، وَذَهَبَ هُوَ تَحْتَ الأرْضِ والصَّحْراء؛
لَوْ أنَّهُ بَقِيَ في مِصْرَ وَلَمْ يَجِئْ، متى كانَ الوَهْمُ زالَ عَنْ قَوْمِ مُوسى؛
لَقَدْ جاءَ وَأَلْقى الخَوْفَ الشَّديدَ في السِّبْطِيّ، أنِ اعْلَمْ أنَّ الأمْنَ سِرٌّ في الخَوْف؛
ذاكَ كانَ اللُّطْفَ الخَفِيَّ أنَّ الصَّمَدَ، أظْهَرَ لَهُ النَّارَ وَكانَتْ تِلْكَ نُوراً؛
إعْطاءُ الأجْرِ في التُّقى لِيْسَ خافِياً، وانْظُرْ إلى أجْرِ السَّحَرَةِ بَعْدَ الخَطأ؛
لَيْسَ خافِياً الوَصْلُ في العِنايَة، وأعْطى السَّاحِرِينَ الوَصْلَ في الفَصْل؛
لَيْسَ خافِياً السَّيْرُ مَشْياً بالقَدَم، أُنْظُرْ إلى سَيْرِ السَّاحِرِينَ مَقْطُوعي القَدَم؛
العارِفُونَ مِنْ ذاكَ آمِنُونَ دَوماً، فَقَدْ تَمَّ لَهُمُ العُبُورُ مِنْ بَحْرِ الدَّمّ؛
أمْنُهُمْ جاءَ ظاهِراً مِنْ عَيْنِ الخَوْف، لا جَرَمَ هُمْ كُلَّ لَحْظَةٍ في مَزيد؛
رَأَيْتَ أمْناً صِرْتَ في خَوْفٍ خَفِيّ، فَلْتَرَ الخَوْفَ أَيْضاً في الأمَلِ أَيْ صَفِيّ؛

ذاكَ الأميرُ مِنَ المَكْرِ يَبْحَثُ عَنْ عِيْسى، وَعِيْسى في المَنْزِلِ وَقَدْ أَخْفى الوَجْه؛
يَدْخُلُ حَتَّى يَصِيْرَ صاحِبَ تاج، فَصارَ مِنْ شِبَهِ عيسى مُعَلَّقاً على المَشْنَقَة؛
وَيَصيحُ لا تَشْنِقُوني أنا لَسْتُ عِيْسى، أنا أَمِيْرٌ على اليَهُودِ أنا حَسَنُ الخُطى؛
وَيَقُولُونَ عَجِّلُوا بِشَنْقِهِ إنَّهُ عيسى، إنَّهُ يُحاوِلُ التَّخْليطَ مِنْ تَمَكُّنِنا مِنْه؛
كَمْ مِنْ جَيْشٍ يَذْهَبُ للصِّدام، فَيَصِيْرُ وَرَقُهُ فَيْئاً وَيَقَعُ على الرَّأْس؛
كَمْ مِنْ تاجِرٍ يَذْهَبُ على عَبيرِ النَّفْع، وَيَظُنُّهُ عِيْداً فَيَحْتَرِقُ كالعُود؛
كَمْ كانَ في العالَمِ مِنْ عَكْسِ هذا، يَظُنُّهُ سُمَّاً وكانَ ذاكَ عَسَلاً؛
كَمْ مِنْ جَيْشٍ وَطَّنَ القَلْبَ على المَوت، وَجاءَتِ الأَنْوارُ وَجاءَ الظَّفَرُ مِنْ أمامِه؛
أَبْرَهَةُ مَعَ الفِيْلِ مِنْ أجْلِ ذُلِّ البَيْت، جاءَ حَتَّى يَجْعَلَ الحَيَّ كالمَيْت؛
حَتَّى يَجْعَلَ حَرِيمَ الكَعْبَةِ خَراباً، وَيَجْعَلَ الكُلَّ يَرْجِعُونَ بالرَّأْسِ عَنْ ذلِكَ المَكان؛
حَتَّى يَطُوفَ حَوْلَهُ جَمِيْعُ الزَّوَّار، وَيَتَّخِذُونَ مِنْ كَعْبَتِهِ جميعاً قِبْلَةً؛
وَيَشْفي غَليلَ حِقْدِهِ مِنَ العَرَبِ بالإِنْتِقام، أنْ لِماذا يُضْرِمُونَ في كَعْبَتي النَّار؛
عَيْنُ سَعْيِهِ صارَ عِزَّةً للكَعْبَة، لَقَدْ صارَ مُوجِبَ إعزازِ ذلِكَ البَيْت؛
كانَ المَكِّيُّونَ بِعِزٍّ واحِدٍ وَصارُوا بِمِئَةِ عِزّ، وَصارَ عِزُّهُمْ مُمْتَدَّاً إلى القِيامَة؛
وَصارَ هُوَ وَكَعْبَتُهُ أَكْثَرَ خَسْفاً، وهذا كانَ مِنْ عِناياتِ القَدَر؛
مِنْ عِتادِ أَبْرَهَةَ كالوَحْشِ المُفْتَرِس، فُقَراءُ العَرَبِ أولئكَ صارُوا أغْنياء؛
هُوَ كانَ يَظُنُّ أَنَّهُ بِجَرِّ الجَيْش، على أَهْلِ البَيْتِ سَوفَ يَسْتَولي على الذَّهَب؛
في فَسْخِ هذِهِ العَزائِمِ وَفَسْخِ هذِهِ الهِمَم، مَحَلٌّ للتَّأَمُّلِ في الطَّرِيقِ في كُلِّ قَدَم؛
عادَ للمَنْزِلِ مِنْ مِصْرَ وَوَجَدَ الكَنْز، وَصارَ أَمْرُهُ مِنْ لُطْفِ اللهِ حَسَناً؛

تِكْرارُ الإخْوَةِ النَّصِيْحَةَ للأخِ الأكْبَر ، وَعَدَمُ احْتِمالِهِ لِتِلْكَ النَّصِيْحَة وَهُرُوبُهُ مِنْـهُمْ هائماً تائِـهاً عَنْ النَّفْس وإلقاؤُهُ النَّفْسَ في بلاطِ المَلِك بلا طَلَبٍ للإذْن مِنْ فَرْطِ العِشْق لا مِنَ الجَسارَةِ واللَّامُبالاة إلى آخِرِه

ذانِكَ الاِثْنانِ قالا لهُ إنَّ الإجاباتِ، في رُوحِنا مِثْلُ النَّجْمِ في السَّماء؛
إنْ لَمْ نَقُلْ لَكَ لَنْ يكُونَ اللَّعِبُ مُسْتَقيماً، وإنْ قُلْنا لَكَ ذاكَ أَصابَ قَلْبَكَ الأَلَم؛
إنَّنا كالضِّفْدَعِ في الماءِ لَهُ مِنْ القَوْلِ أَلَم، وَلَهُ مِنَ الصَّمْتِ اخْتِناقٌ وَسَقَم؛
إذا لَمْ نَقُلْ فالمُصالَحَةُ بلا نُور، وإنْ قُلْنا فما لِذاكَ الكلامِ دَسْتُور؛
قامَ في اللَّحْظَةِ قالَ أَيْ أَهْلُ الوَدَاع، إنَّما الدُّنيا وما فيها مَتاع؛
خَرَجَ مُسْرِعاً كَسَهْمٍ مِنَ القَوْس، فَمَجالُ الكلامِ كانَ ضَيِّقاً آنَذاك؛
وَجاءَ سَكْرانَ إلى أمامِ مَلِكِ الصِّيْن، وَمُسْرِعاً قَبَّلَ الأرْضَ أمامَ يَدَيْهِ في سُكْر؛
أحْوالُهُمْ واحِداً واحِداً مَكْشُوفَةٌ للمَلِك، وَأَوَّلُ وآخِرُ هَمِّهِمْ وَزِلْزالِهِم؛
الشَّاةُ مَشْغُولَةٌ في مَرْعاها، لكِنَّ الرَّاعِيَ واقِفٌ على حالِ الشَّاة؛
كُلُّكُمْ راعٍ يَعْرِفُ مِنَ القَطيع، مَنْ تَأكُلُ العَلَفَ وَمَنْ تَكُونُ في مَلْحَمَة؛
كانَ بالصُّورَةِ بَعِيْداً عَنْ ذلِكَ الصَّفّ، لكِنَّهُ كانَ في وَسَطِ الحَفْلِ كالدَّفّ؛
واقِفٌ على حَريقِ وَلَهِيْبِ أولئِكَ الوُفُود، لكِنَّ المَصْلَحَةَ كانَتْ أنْ يُعْمِلَ السُّكُوت؛
ذاكَ السَّمِيُّ كانَ ما بَيْنَ أرواحِهِمْ، لكِنَّهُ قاصِداً جَعَلَ مِنَ النَّفْسِ أَعْجَمِيَّاً؛
صُورَةُ النَّارِ تَكُونُ تَحْتَ القِدْر، مَعْنى النَّارِ يَكُونُ في رُوحِ القِدْر؛
صُورَتُها خارِجِيَّةٌ وَمَعْناها في الدَّاخِل، مَعْنى مَعْشُوقِ الرُّوحِ كالدَّمِ في العُرُوق؛
اِبْنُ المَلِكِ جاثِياً على الرُّكْبَةِ أمامَ المَلِك، راحَ يَشْرَحُ حالَهُ كَعَشْرَةٍ مِنَ المُعَرِّفِيْن؛
رَغْمَ أنَّ الشَّاهَ كانَ عارِفاً بالكُلِّ مِنْ قَبْل، تَرَكَ المُعَرِّفَ يَقُومُ بِعَمَلِ نَفْسِه؛
ذَرَّةٌ مِنْ نُورِ العارِفِ في الدَّاخِل، خَيْرٌ مِنْ مِئَةِ مُعَرِّفٍ أَيْ صَفِيّ؛

جَعْلُ الأُذُنِ رَهْناً لِلْمُعَرِّف، آيَةُ مَحْجُوبِيَّةٍ وَحَزْرٍ وَظَنّ؛
ذاكَ الَّذي لَهُ مِنْ عَيْنِ القَلْبِ حارِس، سَوفَ تَرى عَيْنُهُ عَيْنَ العَيان؛
رُوْحُهُ لا تَكُونُ قانِعَةً بالتَّواتُر، بَلْ إيقانُهُ يَصِلُ مِنَ القَلْب؛
المُعَرِّفُ أمامَ الشَّاهِ المُنْتَجَب، فَتَحَ الشَّفَةَ بِبيانِ حالَه؛
قالَ أَيْ مَلِكُ هُوَ صَيْدُ إحسانِك، قُمْ بِواجِبِ المُلْكِ فَهُوَ مِنْ دُوْنِكَ مَفْقُود؛
لَقَدْ تَعَلَّقَ بِيَدِهِ بِأَهْدابِ سَرْجِ هذِهِ الدَّولَة، فامْسَحْ بِيَدِكَ على رَأْسِهِ السَّكْرى؛
قالَ المَلِكُ إنَّ كُلَّ مَنْصَبٍ وَمُلْك، يَلْتَمِسُهُ هذا الفتى يَجِدُه؛
عِشْرينَ مُلْكاً مِثْلَ ما كانَ فَقَدَ مِنْ مُلْك، نَهَبُهُ هُنا وَنَحْنُ ناصِرُوه؛
قالَ مُنْذُ زَرَعَتْ سَلْطَنَتُكَ بِهِ العِشْق، متى مَرَّ بِهِ الهَوى سِوى هَواك؛
العُبُودِيَّةُ لَكَ صارَتْ لائقَةً بِه، فالمُلْكُ صارَ بارِداً في قَلْبِه؛
لَقَدْ قامَرَ بِكَونِهِ مَلِكاً وابْنَ مِلِك، وَصارَ أَليفَ الغُرْبَةِ في طَلَبِك؛
إنَّهُ صُوفِيٌّ أَلْقى بالخِرْقَةِ وَجْداً، فَمَتى يَذْهَبُ في طَلَبِ خِرْقَةٍ أُخرى؛
أَيَنْدَمُ وَيَكُونُ لَهُ مَيْلٌ إلى خِرْقَةٍ أُخْرى، أنْ أنا صِرْتُ مَغْبُوناً هكذا؛
أعِدْ لِيَ الخَرْقَةَ هُنا أي قَرين، فإنَّ ذاكَ لا يُساوي هذِهِ بالقِيْمَة؛
بِعِيْدٌ عَنِ العاشِقِ يَجِيئُهُ هكذا فِكْر، وإنْ جاءَهُ فَعلى رَأْسِهِ التُّراب؛
العِشْقُ يُساوي مِئَةَ خِرْقَةِ بَدَن، فَهُوَ يَمْلِكُ الحَياةَ والحِسَّ والعَقْل؛
خاصَّةً خِرْقَةُ مُلْكِ الدُّنيا الَّذي هُوَ أَبْتَر، سُكْرُهُ الَّذي ثَمَنُهُ خَمْسَةُ دراهِمَ صُداع؛
مُلْكُ الدُّنيا لِعابِدي البَدَنِ حَلال، نَحْنُ عَبيدُ مُلْكِ عِشْقٍ بلا زَوال؛
إنَّهُ عامِلُ عِشْقٍ فلا تَقُمْ بِعَزْلِه، ولا تَجْعَلْهُ مَشْغُولاً إلَّا بِعِشْقِه؛
المَنْصِبُ الَّذي هُوَ عَنْ عَيْنِكَ مُحْجِب، هُوَ العَزْلُ بِعَيْنِهِ واسْمُهُ مَنْصِب؛
مُوْجِبُ تأخيرِ المَجيْءِ إلى هُنا، كانَ مِنْ فَقْدِ الإسْتِعْدادِ وَضَعْفِ الفَنّ؛
الذَّهابُ في مَنْجَمٍ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْداد، لَنْ يَجْعَلَكَ تَحْصَلُ على حَبَّةِ ذَهَبٍ واحِدَة؛

مِثْلَ عِنِّيْنٍ اشْترى بِكْراً، متى تُناسِبُهُ وَلَوْ كانَتْ فِضِّيَّةَ الصَّدْر؛
مِثْلَ سِراجٍ بلا زَيْتٍ ولا فَتيل، لَيْسَ فيهِ كَثيرٌ مِنَ الشَّمْعِ أو قليل؛
مِثْلَ أَخْشَمٍ دَخَلَ في البُسْتان، مَتى يَصِيْرُ مُخُّهُ سَعِيْداً مِنَ الرَّيْحان؛
مِثْلَ حَسْناءَ فاتِنَةٍ قَصَدَتْ مُخَنَّثاً، أو مِثْلَ صَوتِ الرَّبابَةِ والعُودِ عِنْدَ الأَصَمّ؛
أو كطائِرِ اليابِسَةِ يَدْخُلُ في البِحار، ما يَجِدُ مِنْ ذاكَ غَيْرَ الهلاكِ والخَسار؛
مِثْلَ مَنْ يَذْهَبُ لِلطَّاحُونَةِ بلا قَمْح، لا عَطاءَ لَهُ غَيْرَ أنْ تَبْيَضَّ لِحْيَتُهُ وَشَعْرُه؛
طاحُونَةُ الفَلَكِ لِغَيْرِ ذَوي القَمْح، تُعْطِي ابيِضاضَ الشَّعْرِ وَضَعْفَ الوَسَط؛
لكِنَّ هذِهِ الطَّاحُونَةَ لِذَوي القَمْح، تَهَبُ المُلْكَ وَتُعْطي الرِّفْعَةَ والشَّأْن؛
أَوَّلاً يَجِبُ أنْ يكُونَ لَكِ الإِسْتِعْدادُ للجَنَّة، حَتَّى تُولَدَ لَكَ مِنَ الجَنَّةِ الحَياة؛
ما للطِّفْلِ الوَليدِ مِنَ الشَّرابِ والكَباب، مِنْ لَذَّةٍ ولا مِنَ القُصُورِ والقِباب؛
هذا المَثَلُ لا يَمْلِكُ الحَدَّ دَعْ طَلَبَ الكلام، واذْهَبْ وَقُمْ بِتَحْصِيْلِ الإِسْتِعْداد؛
لَقَدْ قَعَدَ إلى الآنَ مِنْ أَجْلِ الإِسْتِعْداد، جاوَزَ الشَّوقُ الحَدَّ وَلَمْ يَأْتِ ذاكَ باليَد؛
قالَ الإِسْتِعْدادُ أتى أَيْضاً مِنَ المَلِك، مِنْ دُونِ الرُّوحِ مَتى صارَ مُسْتَعِدّاً الجَسَد؛
لَقَدْ طَوَتْ أَلْطافُ الشَّاهِ غَمَّهُ، ذَهَبَ لِيَصِيْدَ الشَّاهَ فَصارَ صَيْداً؛
كُلُّ مَنْ ذَهَبَ في الصَّيْدِ مِثْلَكَ، صارَ مُقَيَّداً وَلَمْ يُقَيِّدِ الصَّيْد؛
كُلُّ مَنْ طَلَبَ أنْ يَصِيْرَ أميراً يَقِيْناً، صارَ مِنْ قَبْلِ ذلِكَ أَسِيْراً وَرَهِيْناً؛
أُنْظُرْ إلى نَقْشِ ديباجَةِ الدُّنيا مَعْكُوساً، اِسْمُ كُلِّ عَبْدٍ للدُّنيا صارَ سَيِّدَ الدُّنيا؛
أَيُّها البَدَنُ أَعْوَجُ الفِكْرَةِ مَعْكُوسُ السَّيْر، جَعَلْتَ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ حُرٍّ رَهِيْنَةً؛
أُتْرُكْ مُمارَسَةَ هذِهِ الحِيْلَةِ مُدَّةً، عِشْ حُرَّاً بِضْعَ أَنْفاسٍ قَبْلَ الأَجَل؛
وإنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنَ الحُرِّيَّةِ طَرِيقٌ كالحِمار، لا سَيْرَ لَكَ إلَّا إلى البِئْرِ كالدَّلْو؛
اِذْهَبْ مُدَّةً وَقُلْ بِتَرْكِ رُوحِي، اِذْهَبْ وابْحَثْ عَنْ حَريفٍ آخَرَ غَيْري؛

نَوْبَتي انتَهَتْ فَحَرِّرْني، واتَّخِذْ واحَداً غَيْري صِهْراً؛
أيُّها البَدَنُ المَشْغُولُ بِمِئَةِ شُغْلٍ اتْرُكْني، أَخَذْتَ عُمْري اِبْحَثْ عَنْ شَخْصٍ آخَر؛

افْتِتانُ القاضي بِزَوْجَةِ جُحا واخْتِباؤُهُ في صَنْدُوق وَشِراءُ نائِبِ القاضِيْ لِذلِكَ الصَّنْدُوق ومجيْء زَوْجَة جُحا مُجَدَّداً في السَّنَةِ التَّالِيَةِ على أَمَلِ اللُّعْبَةِ السَّابِقَة وَقَولُ القاضِيْ حَرِّريني وابْحَثي عَنْ رَجُلٍ آخَرَ إلى آخِرِ القِصَّة

كانَ جُحا في كُلِّ عامٍ مِنَ الفَقْر، يَتَوَجَّهُ للزَّوْجَةِ أنْ أَيَّتُها المَرْأَةُ المَرْغُوبَة؛
ما دامَ مَعَكِ السِّلاحُ اِذْهَبي وَصِيْدِي الصَّيْد، حَتَّى نَحْتَلِبَ مِنْ صَيْدِكِ اللَّبْن؛
قَوْسُ حاجِبِكِ وَسَهْمُ غَمْزَتِكِ وَشِباكُ الكَيْد، أعْطاكِ اللهُ لِماذا؟ مِنْ أجْلِ الصَّيْد؛
اِذْهَبي وانشُري الشِّباكَ لِطائِرٍ سَمِيْنٍ، أظْهِري لَهُ الحَبَّ لكِنْ لا تُطْعِمِيْهِ إيَّاه؛
أظْهِري الرَّغْبَةَ وَأَعْطِهِ مُرَّ الخَيْبَة، متى يَأكُلُ الحَبَّةَ وَقَدْ صارَ في أَسْرِ الشِّباك؛
ذَهَبَتِ المَرْأَةُ إلى عِنْدِ القاضِي شاكِيَة، أنْ أنا في العَذابِ مِنْ زَوْجٍ بِعَشْرَةِ قُلُوب؛
وَأُقْصِرُ القِصَّةَ فالقاضي صارَ صَيْداً، مِنَ مَقالِ وَمِنْ جَمالِ تِلْكَ الجَمِيْلَة؛
قالَ إنَّ المَحْكَمَةَ مَمْلُوءَةٌ بالضَّجيج، وأنا لا أَسْتَطِيْعُ فَهْمَ هذِهِ الشِّكايَةِ هُنا؛
فَلَولا أَتَيْتِني في خَلْوَةٍ أَيَّتُها السَّرْوَةُ القَويمَة، وَشَرَحْتِ لي الشَّرْحَ عَنْ ظُلْمِ الزَّوج؛
قالَتْ مَنْزِلُكَ يَعِجُّ بالعابِرين، مِمَّنْ جاءَ يَشْتَكي مِنْ صالِحٍ وَطالِح؛
إذا كانَ مَنْزِلُ الرَّأْسِ مَليئاً بالمُعامَلات، كانَ الصَّدْرُ مَليئاً بالوَسْواسِ وبالغَوغاء؛
الأَعْضاءُ الباقِيَةُ مُرْتاحَةٌ مِنَ الفِكْر، الصُّدُورُ تَشْتَكِيْ الأذى مِمَّا يَصْدِرُ عَنْها؛
اِهْرَبْ إلى الخَريفِ وَريحِ خَوْفِ الحَقّ، وَأَلْقِ تِلْكَ الشَّقائِقَ القَدِيْمَة؛
هذِهِ الشَّقائِقُ مانِعَةٌ للبراعِمِ الجَدِيْدَة، الَّتي تَنْمُو شَجَرَةُ القَلْبِ مِنْ أَجْلِها؛
اِجْعَلِ النَّفْسَ في النَّومِ مِنْ هذا الإفْتِكار، وارْفَعِ الرَّأْسَ مِنْ تَحْتِ النَّومِ لليَقظَة؛

سَريعاً كَأَصْحابِ الكَهْفِ أولئِكَ أَيْ سَيِّد، اِذْهَبْ إلى *أَيْقاظاً وَتَحْسَبُهُمْ رُقُوداً*؛

قالَ القاضي أَيْ صَنَمُ ما هُوَ المَعْمُول، قالَتْ مَنْزِلُ هذِهِ الجارِيَةِ خالٍ تماماً؛

الخَصْمُ ذَهَبَ للقَرْيَةِ وما مِنْ حارِس، وَهُوَ مَسْكَنٌ جَمِيْلٌ جِدّاً للخَلْوَة؛

تَعالَ اللَّيْلَةَ إلى هُناكَ إنْ كانَ إمْكان، شُغْلُ اللَّيْلِ لا سُمْعَةَ بِهِ وَلا رياء؛

جُمْلَةُ الجَواسيسِ مِنْ فِعْلِ النَّومِ سكارى، زنْجِيُّ اللَّيْلِ قَطَعَ رِقابَ الجَميع؛

قَرَأَتْ على القاضي أَسْحاراً عَجِيْبَةً، تِلْكَ السُّكَّرِيَّةُ الشَّفَةِ وَأَيَّةُ شَفَة؛

كَمْ قامَ إبليسُ بِخِداعِ آدَمَ فما أَكَلَ، وَحِيْنَ قالَتْ لَهُ حَوَّاءُ كُلْ أَكَلَ؛

أَوَّلُ دَمٍ أُريقَ في دُنيا الظُّلْمِ والعَدْل، مِنْ كَفِّ قابيلَ كانَ مِنْ أَجْلِ امْرَأَة؛

لِمَّا كانَ نُوحُ يُنْضِجُ الشِّواءَ على الإناء، كانَتْ *واهِلَةُ* تُلْقي بالحِجارَةِ على الإناء؛

مَكْرُ المَرْأَةِ كانَ غالِباً على عَمَلِه، ماءُ وَعْظِهِ الصَّافي صارَ مِنْهُ كَدِراً؛

كانَ نُوحُ يَنْقُلُ الرِّسالَةَ للقَوْمِ في السِّرّ ، أنِ احْفَظُوا الدِّيْنَ مِنْ أولئكَ الضَّالَّات؛

ذهابُ القاضي إلى مَنْزِلِ جُحا وَقَرْعُ جُحا لِحَلْقَةِ البابِ بِغَضَب وَفرار القاضي إلى صندوق إلى آخِرِه

مَكْرُ المَرْأَةِ بلا نِهايَةٍ والقاضي الذَّكِيّ، ذَهَبَ في اللَّيْلِ جِهَةَ المَرْأةِ لأجْلِ الدَّبّ؛

هَيَّأَتِ المَرْأَةُ المِجْلِسَ وَأَعَدَّتِ النُّقْل، وَشَمْعَتَيْنِ. قالَ نَحْنُ سَكْرى بلا شَراب؛

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ أتى جُحا وَقَرَعَ الباب، وَبَحَثَ القاضي عَنْ مَهْرَبٍ يَلْجَأُ إلَيْه؛

فَلَمْ يَرَ مِنْ خَلْوَةٍ غَيْرَ صندوق، وَدَخَلَ في الصَّنْدُوقِ مِنَ الخَوْفِ ذاكَ الفَتى؛

دَخَلَ جُحا وقالَ للزَّوجَةِ أَيْ حَريف، أي وَبالاً علَيَّ في الرَّبيعِ وفي الخَريف؛

أيَّ شَيْءٍ أَمْلِكُ وَلَيْسَ لَكِ فِداءً، فَأَنْتِ تَقُومِيْنَ بالشِّكايَةِ مِنِّي في كُلِّ لَحْظَة؛

فَتَحْتِ الشَّفَةَ وَأَطْلَقْتِ اللِّسانَ بالحَديث، تارَةً تُسَمِّيْنَني المُفْلِسَ وَتارَةً القَوَّاد؛

هاتانِ العِلَّتانِ لَو كانَتا بي أَيْ رُوحِيْ، فإحْداهُما مِنْكِ والأُخْرى مِنَ الله؛

ما أمْلِكُ غَيْرَ ذاكَ الصَّنْدُوقِ مِنْ مَتاع، فَهُوَ أَساسٌ للتُّهْمَةِ وَضَمانٌ لِسُوءِ الظَّنّ؛
الخَلْقُ يَظُنُّونَني أمْلِكُ فيهِ الذهَب، فَمِنْ هذِهِ الظُّنُونِ يَمْنَعُونَ عَنّي العَطاء؛
الصَّنْدُوقِ بالصُّورَةِ حَقّاً جَمِيْلٌ لَكِنْ، هُوَ خالٍ تَماماً مِنَ المَتاعِ والفِضَّةِ والذَّهَب؛
مِثْلَ بَدَنِ المُرائي جَمِيْلٌ وَذُو وَقار، وَلَنْ تَجِدَ في تِلْكَ السَّلَّةِ غَيْرَ الحَيَّات؛
أنا آخِذٌ هذا الصَّنْدُوقَ غَداً إلى الحَيّ، وَسَوْفَ أحْرِقُهُ وَسَطَ المَيْدان؛
حَتّى يَرى المُؤمِنُ والمَجُوسِيُّ واليَهُودِيّ، أنْ لَيْسَ في هذا الصَّنْدُوقِ غَيْرُ اللَّعْنَة؛
قالَتِ المَرْأَةُ لا تَفْعَلْ هذا أَيْ رَجُل، فَأَقسَمَ الأيمانَ أنَّهُ لَنْ يَفْعَلَ غَيْرَ هذا؛
وَمِنَ الفَجْرِ جاءَ بالحَمَّالِ كالرِّيح، وَمُسْرِعاً وَضَعَ ذلِكَ الصَّنْدُوقَ على ظَهْرِه؛
القاضِيْ في ذلِكَ الصَّنْدُوقِ مِنَ النَّكال، يَصْرُخُ يَقُولُ أَيْ حَمَّالُ وَأَيْ حَمَّال؛
نَظَرَ الحَمَّالُ إلى اليَمينِ وإلى اليَسار، أنْ مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ يَجِيْءُ النِّداءُ والصَّوت؛
أهذا الدَّاعي هاتِفٌ مِنَ الغَيْبِ أَيْ عَجَب، أمْ جِنِّيٌّ يَطْلُبُني في الخَفاء؛
حِيْنَ تَوالى ذلِكَ النِّداءُ وَعلا، قالَ إنَّهُ لَيْسَ هاتِفاً وَعادَ للوَعْي؛
عَلِمَ أَخِيْراً أنَّ الصَّوتَ والصُّراخَ، كانا مِنَ الصَّنْدُوقِ وَأنَّ شَخْصاً فيهِ مُخْتَفٍ؛
العاشِقُ الَّذي ذَهَبَ في غَمِّ المَعْشُوق، رَغْمَ خُرُوجِهِ للخارِجِ دَخَلَ في الصَّنْدُوق؛
قَضى العُمْرَ في صَنْدُوقٍ مِنَ الأحْزان، فَلَمْ يَرَ مِنَ الدُّنيا غَيْرَ صَنْدُوق؛
وذلِكَ الرَّأْسُ الَّذي لا يَكُونُ فَوْقَ السَّماء، اعْرِفْهُ مِنَ الهَوَسِ في ذلِكَ الصَّنْدُوق؛
حِيْنَ يَخْرُجُ مِنْ صَنْدُوقِ البَدَنِ للخارِجِ ، يَنْتَقِلُ مِنْ قَبْرٍ وَيَصِيْرُ في قَبْر؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وذلِكَ القاضِيْ، قالَ لَهُ أَيْ حَمَّالُ أَيْ حامِلَ الصَّنْدُوق؛
أعْطِ عَنّي الخَبَرَ داخِلَ المَحْكَمَة، لِنائبي وَأَطْلِعْهُ على كُلِّ هذا؛
لِيَشْتَرِيَ هذا الصَّنْدُوقَ مِنْ هذا الَّذي هُوَ بلا عَقْل، بالذَّهَبِ وَيَحْمِلَهُ مُغْلَقاً لِبَيْتي؛

أيْ اللهُ قَيِّضْ لنا مِنْ أَهْلِ الأرواحِ قَوماً، يَشْتَرُونَنا مِنْ صناديقِ اَبْدانِنا؛

مِنْ قَيْدِ صَنْدُوقِ الخِداعِ والفِتْنَة، مَنْ يَشْتَرِي الخَلْقَ غَيْرُ الأنبياءِ والمُرْسَلِيْن؛
مِنَ الأُلُوفِ يُوجَدُ واحِدٌ حَسَنُ المَنْظَر، يَعْلَمُ أَنَّهُ كائنٌ في الصَّنْدُوق؛
هُوَ كانَ قَدْ رأى الدُّنيا مِنْ قَبْلِ ذاك، فَمِنْ ذلِكَ الضِّدِّ صارَ لَهُ هذا الضِّدُّ عِياناً؛
مِنْ هذا السَّبَبِ يَكُونُ العِلْمُ ضالَّةَ المُؤمِن، فَهُوَ عارِفٌ بِضالَّةِ نَفْسِهِ وَمُوقِن؛
ذاكَ الَّذي لَمْ يَرَ يَوماً جَمِيْلاً قَطّ، متى سَوْفَ يَرْتَجِفُ مِنْ هذا الإِدْبار؛
أو أَنَّهُ وَقَعَ مِنَ الطُّفُولَةِ في الأَسْر، أو أَنَّهُ وُلِدَ مِنَ الأُمِّ عَبْداً مِنَ الأَوَّل؛
رُوحُهُ لَمْ تَذُقْ لَذَّةَ الحُرِّيَّة، مَيْدانُهُ صَنْدُوقُ الصُّوَرِ فَحَسْب؛
عَقْلُهُ مَحْبُوسٌ في الصُّوَرِ دائماً، يِنْتَقِلُ دائماً مِنْ قَفَصٍ إلى قَفَص؛
ما لَهُ مَنْفَذٌ مِنَ القَفَصِ نَحْوَ العُلا، يَنْتَقِلُ في الأَقْفاصِ مِنْ جانِبٍ لِجانِب؛
جاءَ في *النَّبَأِ* إنْ اسْتَطَعْتُمْ فانْفِذُوا، الحَديثُ جاءَ للإِنْسِ والجِنِّ مِنْ *هُوَ*؛
قالَ ما لَكُمْ مِنْ مَنْفَذٍ مِنَ الفَلَك، إلَّا بِسُلْطانٍ وَبِوَحْيِ السَّماء؛
إذا ذَهَبَ مِنْ صَنْدُوقٍ إلى صَنْدُوق، فَهُوَ لَيْسَ بالسَّمائيِّ إنَّهُ صَنْدُوقِيّ؛
النَّظَرُ في الصَّنْدُوقِ المُتَجَدِّدِ مُسْكِرٌ، الَّذي هُوَ داخِلَ الصَّنْدُوقِ لا يَصْحُو مِنْه؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ مَغْرُوراً بِهذِهِ الصَّنادِيق، لَبَحَثَ عَنِ الخلاصِ والنَّجاةِ كالقاضي؛
هذِهِ علامَةُ الَّذي عَلِمَ فاعْرِفْ ذاك، أَنَّهُ يَكُونُ في صُراخٍ وَفي خَوف؛
يَكُونُ مِثْلَ القاضِيْ في الاِرْتِعاد، متى يَطْلَعُ مِنْ رُوحِهِ لَحْظَةً سُرور؛

مَجيء نائب القاضي إلى وَسَطِ البازار
وَشِراؤهُ للصَّنْدُوقِ مِنْ جُحا إلى آخِرِه

جاءَ النَّائِبُ قالَ صَنْدُوقُكَ بِكَمْ، قالَ دَفَعُوا لي بِهِ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِمائَةِ ذَهَبِيَّةً؛
وأنا لَنْ أَنْزِلَ أَبَداً عَنِ الأَلْف، إنْ كُنْتَ شارِياً حُلَّ كِيْسَ الذَّهَب؛

قالَ فَلْتَخْجِلْ اَيُّها القَصِيْرُ اللُّبَّاد، قِيْمَةُ صَنْدُوقِكَ ظاهِرَةٌ للعِيان؛

قالَ إنَّ الشِّراءَ بلا مُعايَنَةٍ فاسِدٌ، البَيْعُ مِنْ تَحْتِ السِّتْرِ لا يَكُونُ صَحيحاً؛

سَأَفْتَحُهُ فإنْ لَمْ يَكُنْ يُساوي هذا لا تَشْتَرِ، حَتَّى لا يَصيبَكَ الحَيْفُ أيُّها الأب؛

قالَ أَيْ سَتَّارُ لا تَكْشِفِ السِّرَّ، أنا أَشْتَرِيْهِ مُغْلَقاً، تَعامَلْ مَعِي؛

اُسْتُرْ حَتَّى يَقُومُوا بِسَتْرِكَ، ما لَمْ تَرَ الأمْنَ لا تَضْحَكْ على شَخْص؛

كَثيرونَ مِنْ أمْثالِكَ بَقَوا في الصَّنْدُوق، لَقَدْ أَجْلَسُوا أَنْفُسَهُمْ في البلاء؛

ذاكَ الَّذي يَكُونُ مَطْلُوبَكَ وَيَكُونُ مَقْبُولاً، اِفْعَلْهُ للشَّخْصِ الآخِرِ، مِنْ أَلَمٍ وأذىً؛

ذلِكَ أنَّ الحَقَّ بالمِرْصادِ وبالكَمِيْن، وَيُعْطِيْ الجَزاءَ قَبْلَ يَومِ الدِّيْن؛

عَظِيْمُ العَرْشِ ذاكَ عَرْشُهُ مُحِيْط، عَرْشُ عَدْلِهِ على كُلِّ حَيٍّ بَسيط؛

رُكْنُ عَرْشِهِ بِكَ مُتَّصِلٌ، ألا لا تُحَرِّكِ اليَدَ إلَّا بالعَدْلِ والدِّيْن؛

كُنْ مُراقِباً على أَحْوالِ النَّفْس، وَلْتَرَ الشَّهْدَ في العَدْلِ والوَسْمَ بَعْدَ الظُّلْم؛

قالَ نَعَمْ هذا الَّذي أَعْمَلُ ظُلْم، لكِنِ اعْلَمْ أنَّ البادِئَ أَظْلَم؛

قالَ النَّائبُ نَحْنُ جَميعاً بادِئون، وَنَحْنُ بِسَوادِ الوَجْهِ سُعَداء؛

مِثْلَ الزِّنْجِيِّ الَّذي يَكُونُ مَسْرُوراً سَعِيْداً، هُوَ لا يَرى وَجْهَهُ والغَيْرُ يَراه؛

حَدِيْثُ *مَنْ يَزِيدُ* طالَ كَثيراً، أخيراً أَعْطاهُ مِئَةَ دينارٍ واشْتَرى ذاكَ مِنْه؛

أي قابِلَ السُّوءِ أَنْتَ كُلَّ لَحْظَةٍ في صَنْدُوق، والهاتِفُونَ والغَيْبِيُّونَ يَشْتَرُونَكَ مِنْه؛

في تَفْسيرِ هذا الخَبَر أنَّ المُصْطَفى صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ قالَ *مَنْ كُنْتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاه* ، حَتَّى طَعَنَ المُنافِقُونَ قائلينَ أَلَمْ يَكْفِهِ أنَّا أَبْدَيْنا لَهُ الطَّاعَةَ والخِدْمَةَ حَتَّى يَأْمُرَنا بِطاعَةِ وَخِدْمَةِ غُلامٍ غَضُوب إلى آخِرِه

لِهذا السَّبَبِ فإنَّ النَّبِيَّ ذا الاِجْتِهاد، سَمَّى نَفْسَهُ وَسَمَّى عَلِيّاً المَولى؛
قالَ مَنْ كُنْتُ لَهُ وَلِيّاً وَمَولىً، فابْنُ عَمِّي عَلِيٌّ لَهُ الوَلِيُّ والمَولى؛
مَنْ هُوَ المَولى؟ هُوَ مَنْ يُحَرِّرُك، هُوَ مَنْ يَنْزِعُ قَيْدَ الرِّقِّ عَنْ قَدَمِك؛
بِما أنَّ النُّبُوَّةَ هادِيَةٌ إلى الحَرِّيَّة، حُرِّيَّةُ المُؤمِنينَ مِنَ الأنبياء؛
أَيْ جَماعَةَ المُؤمِنِيْنَ اسْعَدُوا، مِثْلَ السَّرْوِ والسَّوْسَنِ تَحَرَّرُوا؛
لكِنْ قُومُوا كُلَّ لَحْظَةٍ بِشُكْرِ الماء، بلا لِسانٍ كالرَّوضِ حَسَنِ الخِضاب؛
أَشْجارُ السَّرْوِ والمُرُوجُ بلا لِسان، تَنْطِقُ بِشُكْرِ الماءِ وَشُكْرِ عَدْلِ الرَّبيعِ الجَديد؛
تَلْبِسُ الحُلَلَ وَتَجُرُّ الذُّيُولَ، سَكْرى وراقِصَةً وَمَسْرُورَةً وَناشِرَةً للعَبير؛
فَهِيَ حامِلٌ مِنْ مَلِكِ الرَّبيعِ جُزْءاً جُزْءاً، أَجْسامُها كالأدْراجِ مَمْلُوءَةٌ بِدُرِّ الثِّمار؛
إنَّها كَمَرْيَمَ حامِلٌ بالمَسِيْحِ بلا زَوج، صامِتَةٌ بلا دَعْوى وَناطِقٌ فَصِيْح؛
قَمَرُنا شَعَّ مِنْ غَيْرِ نُطْق، كُلُّ لِسانٍ مِنْ ضِيائنا وَجَدَ النُّطْق؛
نُطْقُ عِيْسى كانَ مِنْ ضِياءِ مَرْيَم، نُطْقُ آدَمَ كانَ ضِياءَ ذاكَ النَّفَس؛
لِتَحْصَلَ الزِّيادَةُ مِنَ الشُّكْرِ أَيْ ثِقات، ثُمَّ يَكُونُ نباتٌ آخَرُ في النَّبات؛
عَكْسُ ذاكَ يَكُونُ هُنا *ذَلَّ مَنْ قَنَعْ*، في هذا الطَّورِ يَكُونُ *عَزَّ مَنْ طَمَعْ*؛
لا تَسِرْ في جُوالِ نَفْسِكَ كَثيراً، ولا تَكُنْ عَنْ مُشْتَرِيْكَ غافِلاً؛

رُجُوع زَوْجَة جُحا إلى مَحْكَمَةِ القاضي في السَّنَةِ التَّالِيَة على أمَلِ وَظِيْفَةِ السَّنَةِ الماضِيَة وَمَعْرِفَةِ القاضِيْ لها ، إلى إتمامِه

بَعْدَ سَنَةٍ، جُحا مِنَ المِحَنِ مِنْ جَدِيْد، تَوَجَّهَ للزَّوجَةِ وَقالَ أَيَّتُها المَرْأَةُ الماهِرَة؛
جَدِّدي تِلْكَ الوَظِيْفَةَ السَّابِقَة، تَحَدَّثي الحَديثَ بالشِّكايَةِ مِنِّي أمامَ القاضِي؛
جاءَتِ المَرْأَةُ إلى القاضِيْ مَعَ نِساء، وَجَعَلَتْ مِنْ امْرَأَةٍ أُخْرى تُرْجُماناً لَها؛

حَتَّى لا يَعْرِفَها القاضي مِنَ الحَديث، ولا يَتَذَكَّرَ مِنْها البلاءَ الماضي؛
غَمْزَةُ عَيْنِ المَرْأَةِ تَكُونُ فِتْنَةً، لكِنَّ صَوتَ المَرْأَةِ أَضْعافُ ذاكَ بِمِئات؛
وَلَمَّا كانَتْ لا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَرْفَعَ الصَّوت، غَمْزَةُ عَيْنِ المَرْأَةِ وَحْدَها لا تَكْفِي؛
قالَ القاضي اِذْهَبي أَحْضِري الخَصْم، حَتَّى أَتَّخِذَ القرارَ في شَأْنِكِ مَعَه؛
جاءَ جُحا فَلَمْ يَعْرِفْهُ فَوْراً القاضِيْ، لأَنَّهُ كانَ وَقْتَ اللِّقاءِ في الصَّنْدُوق؛
كانَ قَدْ سَمِعَ صَوْتَهُ مِنَ الخارِج، أثناءَ الشِّراءِ والبَيْعِ والمَكْسِ والمَزيد؛
قالَ لِمَ لا تَدْفَعُ نَفَقَةَ الزَّوجَةِ على التَّمام، قالَ أنا لِرُوحِ الشَّرْعِ الغُلام؛
لكِنَّني لَوْ مِتُّ لا أجِدُ الكَفَن، أنا مُفْلِسٌ في اللَّعِبِ وَنَرْدِ النِّساءِ والخَمْسِ والسِّت؛
وَلَعَلَّ القاضي عَرَفَهُ مِنْ هذا المَكْر، وَتَذَكَّرَ ذاكَ الدَّغَلَ وذاكَ اللَّعِبَ مِنْه؛
قالَ تِلْكَ السِّتَّ والخَمْسَ مَعي لَعِبْت، في العامِ الفائِتِ وَرَمَيْتَني في السِّتّ؛
نَوبَتي ذَهَبَتْ فالعَبْ هذِهِ السَّنَةَ ذلِكَ القِمارَ، مَعَ شَخْصٍ غَيْري وارْفَعِ عَنّي اليَدَ؛
العالِمُ صارَ مُنْفَرِداً عَنِ الخَمْسِ والسِّتّ، صارَ مُحْتَرِزاً مِنْ خَمْسِ النَّرْدِ والسِّتّ؛
تَحَرَّرَ مِنَ الحَواسِّ الخَمْسِ والجِهاتِ السِّتّ، مِنْ وراءِ ذاكَ كُلِّهِ أَعْطاكَ الخَبَرْ؛
صارَتْ إِشاراتُهُ إِشارَةَ الأَزَلْ ، جاوَزَ الأوهامَ طُرَّاً واعْتَزَلْ؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ خارِجَ هذِهِ البِئْرِ ذاتِ سِتِّ جِهات، كَيْفَ أَخْرَجَ اليُوسُفِيَّ مِنْ داخِلِها؛
وارِدٌ إلى أَعْلى الفَلَكِ بلا عَمَد، جِسْمُهُ كالدَّلْوِ في البِئْرِ فاتَّخِذْهُ وَسِيْلَة؛
اليُوسُفِيُّ تَعَلَّقَ بِدَلْوِهِ بِيَدِهِ بِقُوَّة، فَنَجا مِنَ البِئْرِ وَصارَ مَلِكاً لِمِصْر؛
الدِّلاءُ تَبْحَثُ عَنِ الماءِ في البِئْر، وَدَلْوُهُ يَبْحَثُ عَنِ الأَصْحابِ لا عَنِ الماء؛
الدِّلاءُ غَوَّاصَةٌ في الماءِ مِنْ أَجْلِ القُوت، دَلْوُهُ القُوتُ وَحَياةُ رُوحِ الحُوت؛
الدِّلاءُ مُرْتَبِطَةٌ بالفَلَكِ العالي، دَلْوُهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ قَوِيَّتَيْن؛
ما الدَّلْوُ ما الحَبْلُ ما الفَلَك، هذا المِثالُ رَكيكٌ جِدّاً أَيْ أَخ؛
مِنْ أَيْنَ آتي بِمِثالٍ بلا كَسْر، كُفْوُ ذاكَ لا يَجِيْءُ وَلَمْ يَجِئْ؛

مِئاتُ أُلُوفِ الرِّجالِ مُخْتَفُونَ في رَجُل، مِئَةُ قَوْسٍ وَسَهْمٍ أُدْرِجَتْ في سَهْم؛

ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فِتْنَة، مِئَةُ أَلْفِ بَيْدَرٍ في حَفْنَة؛

شَمْسٌ مُخْتَفِيَةٌ في ذَرَّة، تِلْكَ الذَّرَّةُ فَتَحَتِ الفَمَ فَجْأَة؛

فَجاءَتِ الأَفْلاكُ والأَرْضُ ذَرَّةً ذَرَّة، أَمامَ تِلْكَ الشَّمْسِ إذْ خَرَجَتْ مِنَ الكمين؛

مِثْلُ تِلْكَ الرُّوحِ متى تُناسِبُ البَدَن، ألا أَيُّها البَدَنُ اغْسِلِ اليَدَ مِنْ هذِهِ الرُّوح؛

أَيْ بَدَناً صِرْتَ بَيْتاً للرُّوحِ حَسْبُك، كَمْ تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَحْبِسَ البَحْرَ في قِربَة؛

أَيْ أُلُوفاً مِنْ جَبْرائيلَ في بَشَر، أَيْ عَظيماً كَمْ بِهِ مِنْ أَمْثالِ المَسيح؛

أَيْ أَلْفَ كَعْبَةٍ تَخْتَفي في كَنيس، أي مُوقِعاً في الغَلَطِ العِفْريتَ وإبليس؛

مَوضِعُ سَجْدَةِ اللَّامَكانِ في المَكان، للأَباليسِ مِنْكَ خرابُ الدُّكَّان؛

أَنْ لِماذا أَخْضَعُ لِهذا الطِّيْن، كَيْفَ أَقُولُ عَنْ صُورَةٍ أَنَّها دِيْن؛

لَيْسَتْ صُورَةً اِمْسَحِ العَيْنَ جَيِّداً، حَتَّى تَرى شَعْشَعَةَ نُورِ الجَلال؛

عَوْدَة إلى شَرْحِ قِصَّةِ اِبْنِ المَلِكِ وَمُلازَمَتُهُ حَضْرَةَ الشَّاه

اِبْنُ المَلِكِ أمامَ الشَّاهِ حَيْرانٌ، رأى سَبْعَةَ الأَفلاكِ في قَبْضَةٍ مِنَ الطِّيْن؛

فَتْحُ الشَّفَةِ بالبَحْثِ غَيْرُ مُمْكِنٍ أَبَداً، لكِنَّ الرُّوحَ مَعَ الرُّوحِ لَمْ تَصْمِتْ لَحْظَةً؛

وَجاءَ في الخاطِرِ مِنْهُ أَنْ ذا خَفِيٌّ جِدَّاً، هذا كُلُّهُ مَعْنىً صُورَتُهُ ما تَكُون؟؛

صُورَةٌ تَجْعَلُكَ نافِراً مِنْ صُورَتِك، إنَّهُ نائِمٌ مُوقِظٌ لِكُلِّ نائم؛

ذاكَ الكلامُ يُحَرِّرُكَ مِنَ الكلام، وَذاكَ السِّقامُ يَحْميكَ مِنَ السِّقام؛

فَسِقامُ عِشْقِ الرُّوحِ صِحَّة، آلامُهُ تُثيرُ حَسْرَةَ كُلِّ راحَة؛

أَيْ بَدَنُ الآنَ اغْسِلْ يَدَكَ مِنْ هذِهِ الرُّوح، وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فاطْلُبْ غَيْرَ هذِهِ الرُّوح؛

الحاصِلُ ذلِكَ المَلِكُ الحَسَنُ كانَ يُواسِيْه، وَكانَ يَذُوبُ مِنْ تِلْكَ الشَّمْسِ كالقَمَر؛

ذَوَبانُ العاشِقِيْنَ ذاكَ نُمُوّ، مِثْلَ القَمَرِ لَهُ مِنْ ذَوَبانِهِ وَجْهٌ جِديد؛
كُلُّ المَأْلُومِيْنَ لَهُمُ الطَّمَعُ بالدَّواء، وَهذا المَريضُ يَشْكُو يَقُولُ زِيْدُوني؛
لَمْ أَجِدْ أَعْذَبَ مِنْ هذا السَّهْمِ شُرْبَةً، لَنْ تَجِدَ أَجْمَلَ مِنْ هذا المَرَضِ صِحَّةً؛
أَفْضَلُ مِنْ هذا الذَّنْبِ لا تُوجَدُ طاعَة، السِّنينُ نِسْبَةً لِهذا النَّفَسِ ساعَة؛
ظَلَّ مُدَّةً أمامَ الشَّاهِ على هذا النَّسَق، القَلْبُ يُشْوى والرُّوحُ وُضِعَتْ على الطَّبَق؛
قالَ مِنْ كُلِّ شَخْصٍ قَطَعَ الشَّاهُ رَأْساً، وأنا كُلَّ لحْظَةٍ مِنَ الشَّاهِ قُرْبانٌ جَديد؛
أنا فَقِيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ غَنِيٌّ مِنَ الرُّؤوس، رَأْسي تَمْلِكُ خَلْفَها مِئَةَ أَلْفِ رَأْس؛
لا يُمْكِنُ الإغارَةُ في العِشْقِ بِقَدَمَيْنِ اثْنَتَيْن، لا يُمْكِنُ لَعِبُ العِشْقِ بِرَأْسٍ واحِدَة؛
كُلُّ شَخْصٍ لَهُ قَدَمانِ اثْنَتانِ وَرَأْس، بَدَنٌ بآلافِ الأَقْدامِ والرُّؤوسِ نادِر؛
لِهذا السَّبَبِ كُلُّ المَعارِكِ هَذَر، وَهذِهِ الحَرْبُ في كُلِّ لَحْظَةٍ أَحَرّ؛
مَعْدِنُ الحَرارَةِ في اللّامَكان، النِّيْرانُ السَّبْعُ مِنْ شِرارِهِ دُخان؛

في بيانِ أنَّ تِلْكَ النَّارَ الَّتي قَنْطَرَةُ الصِّراطِ فَوْقَها تَقُول:
أيُّها المُؤمِنُ مُرَّ مُسْرِعاً، أَسْرِعْ بالمُرُورِ حَتَّى لا تُطْفِئَ
عَظَمَةُ نُورِكَ نارَنا ، *جُزْ يا مُؤمِنُ فإنَّ نُورَكَ أَطْفَأَ نارِي*

مِنْ نارِ العاشِقِ مِنْ هذا الوَجْهِ أَيْ صَفِيّ، تَصِيْرُ نارُ جَهَنَّم ضَعِيْفَةً وَتَنْطَفِئ؛
تَقُولُ لَهُ أُعْبُرْ سَريعاً أَيْ مُحْتَشِم، أو ناري مِنْ نِيْرانِكَ تَمُوت؛
الكُفْرُ الَّذي هُوَ وَحْدَهُ كِبْريتُ جَهَنَّم، أُنْظُرْ كَيْفَ أَذْبَلَهُ هذا النَّفَس؛
أَسْلِمْ كِبْريتَكَ سَريعاً لِهذِي المُعامَلَة، حَتَّى لا تَهْجِمَ عَلَيْكَ جَهَنَّمُ والشِّرار؛
وتَقُولُ لَهُ الجَنَّةُ مُرَّ كالرِّيْح، أو يَصِيْرَ كُلُّ الَّذي أَمْلِكُ كَساداً؛
أنتَ صاحِبُ حَقْلٍ وَأنا قاطِفُ سنابِلٍ، أنا الصَّنَمُ وَأَنْتَ ولاياتُ الصِّيْن؛

تَرْتَعِدُ مِنْهُ الجَحيمُ وَتَرْتَعِدُ مِنْهُ الجِنان، ما لِهذِهِ مِنْهُ وما لِتِلْكَ مِنْهُ أمان؛
ذَهَبَ عُمْرُهُ لَمْ يَجِدْ فُرْصَةَ العِلاج، الصَّبْرُ كانَ حارِقاً جِدّاً والرُّوحُ لَمْ تَحْتَمِلْ؛
مُدَّةً يَحْتَمِلُ هذا العَذابَ الشَّدِيْد، لَمْ يَنْضُجْ وَوَصَلَ عُمْرُهُ لآخِرِه؛
صُورَةُ المَعْشُوقِ صارَتْ مُخْتَفِيَةً عَنْهُ، فَذَهَبَ وَصارَ قَرينَ مَعْنى المَعْشُوق؛
قالَ وَلَو كانَ لِباسُهُ مِنَ الشَّعْرِ والحَرير، اعْتِناقُهُ مِنْ غَيْرِ حِجابٍ أَجْمَل؛
أنا عَرِيْتُ مِنَ البَدَنِ وَهُوَ عَرِيَ مِنَ الخَيال، أنا أَخْتالُ في نِهاياتِ الوِصال؛
هذِهِ المَباحِثُ إلى هُنا تَقْبَلُ المَقال، وَكُلُّ ما يَأْتي بَعْدَ هذا يَكُونُ في خَفاء؛
وَلَوْ قُلْتَ وَلَوْ سَعَيْتَ مِئَةَ أَلْفِ سَعْي، سَعْيُكَ بلا أَجْرٍ وَلَنْ يَصِيْرَ ظاهِراً؛
السَّيْرُ بالجَوادِ والسَّرْجِ يَكُونُ إلى البَحْر، بَعْدَ هذا يَكُونُ لَكَ مَرْكَبٌ خَشَبِيّ؛
المَرْكَبُ الخَشَبِيُّ على اليابِسَةِ أَبْتَر، هُوَ لأولئكَ البَحْرِيّيْنَ خاصَّةً قائَد؛
هذا الصَّمْتُ مَرْكَبٌ خَشَبِيّ، الصَّمْتُ للبَحْرِيّيْنَ تَلْقِيْن؛
كُلُّ صَمْتٍ يُصِيْبُكَ بالمَلَل، وَهُوَ هُناكَ يُطْلِقُ صَرَخاتِ العِشْق؛
أنتَ تَظَلُّ تَقُولُ عَجَباً ما لَهُ صامِت، وَهُوَ يَظَلُّ يَقُولُ عَجَباً أَيْنَ أُذُنُه؛
أنا صِرْتُ أَصَمَّ مِنَ الصُّراخِ وَهُوَ غافِل، حادُّ السَّمْعِ عَنْ هذا السَّمَرِ بِهِ صَمَم؛
ذاكَ واحِدٌ يَقُومُ بالصُّراخِ في النَّوم، يَقُومُ بِعَمَلِ مِئَةِ أَلْفِ بَحْثٍ وَتَلْقِيْن؛
وهذا جالِسٌ إلى جانِبِهِ بلا خَبَر، هُوَ نائِمٌ وَأَصَمُّ عَنْ ذلِكَ الاِضْطِرابِ والشَّرّ؛
ذاكَ الشَّخْصُ الَّذي انْكَسَرَ مَرْكَبُهُ الخَشَبِيّ، صارَ غارِقاً في الماءِ صارَ سَمَكَةً؛
لا هُوَ صامِتٌ ولا هُوَ ناطِقٌ إنَّهُ نادِر، حالَتُهُ لَيْسَ لَها في العِبارَةِ اِسْم؛
لَيْسَ مِنَ الاِثْنَيْنِ وَهُوَ كلَيْهِما أَيْ عَجَب، شَرْحُ هذا الكلام خارِجٌ عَنِ الأَدَب؛
هذا المِثالُ جاءَ رَكِيْكاً وبلا وُرُود ، لكِنْ لَيْسَ في المَحْسُوسِ أَفْضَلُ مِنْ هذا؛

وَفاةُ الأكْبَرِ مِنْ أَولادِ المَلِك، وَمجِيْءُ الأخِ الأَوسَط إلى جِنازَةِ أَخِيْه، إذْ كانَ الأَخُ الأَصْغَرُ مَريضاً مُلازِماً للفِراشِ مِنَ المَرَض، ومُواساةُ المَلِك للأخِ الأوْسَط حَتَّى صارَ أَسِيْرَ الإحْسان وَبَقِيَ عِنْدَ المَلِكِ وَقَدْ وَصَلَتْ إلَيْهِ مِئَةُ أَلْفِ غَنِيْمَةٍ مِنَ الغَنائِم الغَيْبِيَّةِ والعَيْنِيَّة مِنْ دَوْلَةِ وَنَظِرِ ذلِكَ المَلِك مَعَ تَقْرِير بَعْضِه

كانَ الأَصْغَرُ مَريضاً وَذلِكَ الأوسَطُ، جاءَ وَحْدَهُ إلى جَنازَةِ أخِيْهِ الأَكْبَر؛
رآهُ المَلِكُ قالَ مَنْ يَكُونُ هذا، إنَّهُ مِنْ ذلِكَ البَحْرِ وَهُوَ أَيْضاً سَمِكَة؛
قالَ المُعَرِّفُ هُوَ وَلَدُ ذلِكَ الأَب، هذا الأخُ أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ الأخ؛
فلاطَفَهُ المَلِكُ أنْ أنْتَ تِذْكار، وَجَعَلَ مِنْهُ مِنْ هذا السُّؤالِ صَيْداً؛
ذاكَ المُضْنى الحَزينُ مِنْ مُلاطَفَةِ الشَّاه، رأى في بَدَنِهِ رُوحاً أُخْرى غَيْرَ رُوحِه؛
وَرأى في قَلْبِهِ ضَجيجاً عالِياً، مِمَّا لا يَرى الصُّوفِيُّ في مِئَةِ أرْبَعِيْنِيَّة؛
العَرْصَةُ والجِدارُ والجَبَلُ مِنَ الصَّخْر، تَتَفَتَّحُ أمامَهُ كالنَّارِ الضَّاحِكَة؛
ذَرَّةً ذَرَّةً أمامَهُ كالقِباب، لَحْظَةً لَحْظَةً تَقُومُ بِمِئَةِ فَتْحِ باب؛
البابُ حِيْناً يَصِيْرُ نافِذَةً وَحِيْناً شُعاعاً، التُّرابُ حِيْناً يَصِيْرُ قَمْحاً وَحِيْناً صاعاً؛
الفَلَكُ في الأنْظارِ قَدِيْمٌ جِدّاً وَقَدِيْد، وَأمامَ عَيْنِهِ كُلَّ لَحْظَةٍ خَلْقٌ جَديد؛
الرُّوحُ الجَمِيْلَةُ إذا تَحَرَّرَتْ مِنَ الجَسَد، تَأتيها مِثْلُ هذِهِ العَيْنِ مِنَ القَضاءِ حَتْماً؛
مِئَةُ أَلْفِ غَيْبٍ صارَ أمامَها ظاهِراً، كُلُّ ما تَرى عَيْنُ المُحْرِمِيْنَ رَأَتْهُ؛
فَتَحَ العَيْنَ على تِلْكَ الصُّوَر، مِنْ ذاكَ الَّذي كانَ قَرَأَ في الكُتُب؛
مِنْ غُبارِ مَرْكَبِ ذاكَ الشَّاهِ العَظِيْم، وَجَدَ الكُحْلَ العَزِيْزِيَّ في البَصَر؛
يَسْحَبُ الذَّيْلَ في هكذا رَوْض، كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ صارِخٌ هَلْ مِنْ مَزيد؛
الرَّوْضُ النَّامِيْ مِنَ البَقْلِ يَدُومُ لَحْظَةً، الرَّوضُ النَّامِيْ مِنَ العَقْلِ ضاحِكٌ دائماً؛

الرَّوضُ الَّذي نَما مِنَ الطِّيْنِ صارَ بَواراً، الرَّوضُ الَّذي نَما مِنَ القَلْبِ وافَرْحَتاه؛
العُلُومُ اللَّذيذَةُ الَّتي عَلِمْنا، باقَتانِ مِنْ ذلِكَ الرَّوْضِ أو ثلاث؛
نَحْنُ لِهاتَيْنِ الباقَتَيْنِ أو الثَّلاث مِنَ الوَرْد، خاضِعُونَ أَغْلَقْنا عَلَيْنا بابَ الرَّوض؛
تِلْكَ المَفاتيحُ في كُلِّ لَحْظَةٍ تَقَعُ، مِنَ الخُبْزِ. أي رُوحُ أَسَفاً على البَنان؛
وَلَوْ جَعَلُوكَ لَحْظَةً فارِغاً مِنَ الخُبْز، طِفْتَ حَوْلَ ذاتِ النِّقابِ وَعشْقِ النِّساء؛
كَيْفَ صارَ اسِتِسْقاؤكَ مُتَلاطِمَ المَوج، وَيَلْزِمُكَ مُلْكُ مَدِيْنَةٍ مَليئَةً بالخُبْزِ والنِّساء؛
كُنْتَ حَيَّةً صَغِيْرَةً وَصِرْتَ ثُعْباناً عَظِيْماً، كانَ لَكَ رَأْسٌ والآنَ لَكَ سَبْعَةُ رُؤوس؛
الثُّعْبانُ ذُو السَّبْعَةِ رُؤوسٍ جَهَنَّمُ، كانَ حِرْصُكَ حَبَّةً وَكانَتْ جَهَنَّمُ الفَخّ؛
مَزِّقِ الشِّباكَ أَحْرِقِ الحَبَّةَ، اِفْتَحْ لِهذا البَيْتِ أَبْواباً جَدِيْدَةً؛
بِما أَنَّكَ لَسْتَ عاشِقاً أَيُّها الشَّحَّاذ، أَنْتَ كالجَبَلِ تُرْسِلُ الصَّدى عَنْ جَهْل؛
متى كانَ للجَبَلِ مِنْ نَفْسِهِ الكلام، ذاكَ الصَّدى عَكْسُ الغَيْرِ أَيْ مُعْتَمَد؛
قَولُكَ على تِلْكَ الشَّاكِلَةِ انْعِكاسٌ للغَيْر، جُمْلَةُ أَحْوالِكَ لَيْسَتْ غَيْرَ عَكْسٍ أَيْضاً؛
غَضَبُكَ وَرِضاكَ كلاهُما عَكْسُ الآخَرين، سُرُورُ القَوَّادِ وَغَضَبُ الشُّرطِيِّ الظَّالِم؛
ذاكَ الضَّعِيْفُ ما فَعَلَ للشُّرطِيِّ الظَّالِم، حَتَّى يَزْجُرَهُ وَيَضْرِبَهُ بِحِقْد؛
حتَّامَ عَكْسُ الخيالاتِ اللَّامِعَة، اِجْتَهِدْ لِتَصِيْرَ لَكَ هذِهِ الواقِعَة؛
حَتَّى يَصِيْرَ حَدِيْثُكَ ناطِقاً عَنْ حالِك، وَيَكُونَ سَيْرُكَ بِرِيشِكَ وَجَناحِك؛
السَّهْمُ أَصابَ الصَّيْدَ بِرَيْشِ الغَيْر، لا جَرَمَ هُوَ بلا نَصِيْبٍ مِنْ لَحْمِ الطَّيْر؛
البازُ جاءَ بالصَّيْدِ مِنَ الجَبَل، لا جَرَمَ يُطْعِمُهُ المَلِكُ القَمْرِيَّ والحَجَل؛
المَنْطِقُ الَّذي لَيْسَ مِنَ الوَحْيِ هُوَ مِنَ الهَوى، مِثْلَ غُبارٍ في الهَباءِ وفي الهُوا؛
إذا كانَ هذا النَّفَسُ يَظْهَرُ للسَّيِّدِ خَطَأً، فَلْيَقْرَأْ مِنْ أَوَّلِ *والنَّجمِ* بِضْعَ خُطُوط؛
إلى وما يَنْطِقُ مُحَمَّدٌ عَنِ الهَوى، إنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى؛
أَحْمَدُ ما دامَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الوَحْيِ ياس، هَبْ أربابَ الجُسُومِ التَّحَرِّي والقِياس؛

فالمَيْتَةُ مِنَ الضَّرُورَةِ حلال، ولا تَحَرِّيَ في كَعْبَةِ الوِصال؛
فما مِنْ تَحَرٍّ واجْتِهاداتِ هُدى، كُلُّ مَنِ احْتَرَفَ بِدْعَةً فَمِنَ الهَوى؛
تَحْمِلُهُ الرِّيْحُ مِثْلَ عادٍ وَتَقْتُلُه، هُوَ لَيْسَ سُلَيْمانَ لِتَحْمِلَ مِنْهُ السَّرير؛
الرِّيْحُ لِعادٍ حَمَّالٌ خَذُول، مِثْلَ الحَمَلِ في كَفِّ رَجُلٍ أَكُول؛
يَضَعُهُ في حِضْنِهِ كَأَنَّهُ وَلَدُهُ، يَحْمِلُهُ لِيَذْبَحَهُ كما يَفْعَلُ القَصَّاب؛
تِلْكَ الرِّيْحُ لِعادٍ كانَتْ مِنَ الاِسْتِكْبار، ظَنُّوها رَفيقاً وَكانَتْ مِنَ الأغْيار؛
عِنْدَما قَلَبَتْ لِباسَها مِنَ الصُّوفِ فَجْأَةً، حَطَّمَتْهُمْ تَحْطيماً بِئْسَ القَرين؛
فَحَطِّمِ الرِّيْحَ فَكَمْ بِها مِنْ فِتْنَة، مِنْ قَبْلِ أنْ تُحَطِّمَكُمْ كما فَعَلَتْ بِعاد؛
هُوْدُ نَصَحَ أنْ أَيُّها الرَّكْبُ المَمْلُوءُ بالكِبْر، هذِهِ الرِّيْحُ تَنْتَزِعُ الذُّيُولَ مِنْ أَيْدِيْكُمْ؛
الرِّيْحُ جُنْدُ الحَقِّ وَمِنَ النِّفاق، تَسِيْرُ مَعَكُمْ بِضْعَةَ أَيَّامٍ في وِفاق؛
هِيَ بالسِّرِّ مُسْتَقيمَةٌ مَعَ الخالِق، إذا جاءَ الأَجَلُ تُخْرِجُ الرِّيْحُ اليَد؛
أُنْظُرِ الرِّيْحَ تَعْبُرُ في الحَلْق، تَأْتي وَتَذْهَبُ كُلَّ نَفَسٍ في كَرٍّ وَفَرّ؛
الحَلْقُ والأَسْنانُ مِنْها في أمان، وإذا أَمَرَها الحَقُّ تَقَعُ في الأسنان؛
تَصِيْرُ ذَرَّةُ الرِّيْحِ كالجَبَلِ الثَّقِيْل، فَهُوَ مِنْ وَجَعِ الأَسْنانِ عاجِزٌ وَعَلِيْل؛
هِيَ عَيْنُ الرِّيْحِ الَّتي كانَتْ تَمُرُّ بأمان، كانَتْ حَياةَ الزَّرْعِ وَصارَتْ مَوْتَ الزَّرْع؛
يَدُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ يُقَبِّلُ يَدَكَ، تِلْكَ اليَدُ تَصِيْرُ وَقْتَ الغَضَبِ دَبُّوساً؛
يَصْرُخُ مِنَ الرُّوحِ يا رَبِّ ويا رَبِّ، اِقْطَعْ هذِهِ الرِّيْحَ أَيْ مُسْتَعان؛
أيْ فَمُ كُنْتَ غافِلاً عَنْ هذِهِ الرِّيْحِ فاذْهَبْ، وَقُمْ بالاِسْتِغْفارِ مِنْ جُذُورِ الأَسْنان؛
عَيْنُهُ القاسِيَةُ تُمْطِرُ الدُّمُوعَ، الأَلَمُ يَجْعَلُ المُنْكِرينَ يَقُولُونَ يا الله؛
ما دُمْتَ لَمْ تَقْبَلْ كلامَ الرِّجالِ مِنْ رَجُلٍ، هَيَّا كُنْ قابِلاً لِوَحْيِ الحَقِّ مِنَ الأَلَم؛
الرِّيْحُ تَقُولُ أنا رَسُولُ مَلِكِ البَشَر، حِيْناً أَحْمِلُ خَبَرَ خَيْرٍ وَحِيْناً خَبَرَ شَرّ؛
ذلِكَ أَنِّي مَأْمُورَةٌ ولا أَمْلِكُ أَمْرَ نَفْسي، متى أَكُونُ مِثْلَكَ غافِلَةً عَنْ مَلِكِي؛

لَوْ كانَتْ حالُكَ كحالِ سُلَيْمان، صِرْتُ حَمَّالَكَ كما كُنْتُ لِسُلَيْمان؛
كُنْتُ صِرْتُ مُلْكَ كَفِّكَ عارِيَة، وَجَعَلْتُكَ واقِفاً على سِرِّ نَفْسي؛
لكِنْ ما دُمْتَ عاصِياً مُلْكُكَ لي مُسْتَعار، أَقُومُ بِخِدْمَتِكَ ثلاثَةَ أَيَّامٍ أو أَرْبَعَة؛
ثُمَّ أَنْقَلِبُ عَلَيْكَ كما فَعَلْتُ مَعَ عاد، أَثِبُ عَلَيْكَ مِنْ جَيْشِكَ بِعِناد؛
حَتَّى يَصِيْرَ إيمانُكَ بالغَيْبِ مُحْكَماً، لَحْظَةَ يَصِيْرُ إِيْمانُكَ أَساساً للغَمّ؛
تِلْكَ اللَّحْظَةَ الكُلُّ يَصِيْرُ مُؤمِناً، تِلْكَ اللَّحْظَةَ العُصاةُ يَسْعَونَ على الرُّؤوس؛
تِلْكَ اللَّحْظَةَ يَضْرَعُونَ وَيُبْدُونَ الفاقَةَ، مِثْلَ قاطِعِ الطَّرِيقِ واللِّصِّ تَحْتَ المَشْنَقَة؛
لكِنْ لَوْ صِرْتَ مُسْتَوِياً في الغَيْب، صِرْتَ مالِكَ الدَّارَيْنِ وَصِرْتَ شُرَطِيَّ نِفْسِك؛
حُكْمٌ وَسُلْطانٌ مُقيم، لا حُكْمٌ مُسْتعارٌ لِيَوْمَيْنِ وَسَقيم؛
تَنْجُو مِنَ العَمَلِ سِخْرَةً وَتَعْمَلُ عَمَلَ نَفْسِك، فَأَنتَ مَلِكٌ وَأَنْتَ تَقْرَعُ طَبْلَ نَفْسِك؛
ضَيَّقَتْ عَلَيْنا الدُّنيا كَأَنَّها الحَلْق، لَيْتَ الفَمَ والحَلْقَ أكلا التُّراب؛
هذا الفَمُ في الحَقِيْقَةِ آكِلُ تُراب، لكِنَّهُ التُّرابُ الَّذي صارَ ذا لَوْن؛
الكَبابُ والشَّرابُ وَهذا السُّكَّرُ، تُرابٌ مُلَوَّنٌ وَمُزَيَّنٌ أَيْ وَلَد؛
ما دُمْتَ أَكَلْتَ ذاكَ وَصارَ لَحْماً وَجِلْداً، أَعْطاهُ لَوْنَ اللَّحْمِ وَهُوَ تُرابُ الطَّرِيق؛
كما أَنَّهُ يَرْتِقُ الطِّيْنَ مِنَ التُّراب، ثُمَّ يَجْعَلُ الكُلَّ مِنْ جَدِيْدٍ تُراباً؛
الهُنُودُ والقَفْجاقُ والرُّومُ والحَبَشُ، جَمِيْعاً يَصِيْرُونَ بِلَونٍ واحِدٍ في القَبْر؛
لِتَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ هذا اللَّونِ والنَّقْش، قِناعٌ وَغِطاءٌ وَمَكْرٌ وَمُسْتَعار؛
واللَّونُ الباقِيْ صِبْغَةُ اللهِ وَحْدَها، وَغَيْرَها اعْرِفْهُ مُعَلَّقاً كالجَرَس؛
لَونُ الصِّدْقِ وَلَونُ التَّقْوى واليَقِيْن، يَكُونُ باقِياً إلى الأَبَدِ على العابِدِيْن؛
لَوْنُ الشَّكِّ وَلَونُ الكُفْرِ والنِّفاق، يَكُونُ باقِياً للأَبَدِ على رُوحِ العاقّ؛
مِثْلَ سَوادِ وَجْهِ فِرْعَونَ الماكِر، لَونُ ذاكَ باقٍ وَجِسْمُهُ فانٍ؛
بَرْقُ وَنُورُ الوَجْهِ الجَمِيْلِ للصَّادِقِيْن، بَعْدَ فَناءِ الجِسْمِ باقٍ إلى يَوْمِ الدِّيْن؛

القَبيحُ ذاكَ القَبيحُ والجَميْلُ ذاكَ الجَمِيْل، ذاكَ ضَحَّاكٌ دائماً وَذاكَ في عَبَس؛
يُعْطي التُّرابَ اللَّونَ والفَضْلَ والقَدْر، يَجْعَلُ ذَوي طِباعِ الأطْفالِ يَتَقاتَلُونَ عَلَيْه؛
يَجْعَلُونَ مِنَ العَجِيْنِ جَمَلاً وَأَسَداً، الأطْفالُ حِرْصاً على ذلِكَ يَعَضُّونَ الأَكُفّ؛
يَصِيْرُ الأَسَدُ والجَمَلُ خُبْزاً في الفَمّ، ولا يُؤَثِّرُ هذا الحَديثُ في الأَطْفال؛
الطِّفْلُ في جَهْلٍ وَظَنٍّ وَشَكّ، الشُّكْرُ للبارِي أنَّ قُوَّتَهُ قَلِيْلَة؛
للطِّفْلِ عِنادٌ وَمِئَةُ آفَةٍ، شُكْراً أنَّهُ بلا فَنٍّ ولا قُوَّة؛
واهٍ مِنَ الشُّيُوخِ الأطْفالِ بلا أَدَب، صارُوا مِنَ القُوَّةِ بلاءَ كُلِّ رَقِيْب؛
إذا اجْتَمَعَ السِّلاحُ والجَهْلُ كِلاهُما مَعاً، طَلَعَ فِرْعَونٌ مُحْرِقٌ للعالَمِ مِنَ الظُّلْم؛
كُنْ شاكِراً أَيُّها الرَّجُلُ الدَّرويشُ للقُصُور، فَقَدْ نَجَوْتَ مِنَ الفِرْعَونِيَّةِ وَمِنَ الكُفُور؛
واشْكُرْ أَنَّكَ مَظْلُومٌ وَلَسْتَ ظالِماً، صِرْتَ مِنْ فِرْعَونَ وَمِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ آمِناً؛
البَطْنُ الخاوي لا يَدَّعِيْ الرُّبُوبِيَّةَ، إذْ لَيْسَ لِنارِهِ مَدَدٌ مِنَ الحَطَب؛
البَطْنُ الخاوي كانَ سِجْنَ الشَّيْطان، إذْ غَمُّ الخُبْزِ مانِعُهُ مِنَ المَكْرِ والتَّزْوير؛
البَطْنُ المَمْلُوءُ بِلَذِيْذِ الطَّعامِ بازارُ الشَّيْطان، لِتُجَّارِ الشَّيْطانِ فيهِ صِياح؛
تُجَّارٌ ساحِرُونَ يَبيعُونَ لا شَيْء، أَظْلَمُوا العُقُولَ مِنَ الصِّياح؛
جَعَلُوا الدَّنَّ يَجْرِيْ مِنَ السِّحْرِ كالفَرَس، وَأَبْدَوا الكِرْباسَ مِنْ ضَوْءِ القَمَرِ والغَلَس؛
يَنْسِجُونَ التُّرابَ مِثْلَ الحَرير، يَحْثُونَ التُّرابَ في عَيْنِ المُمَيِّز؛
يَجْعَلُونَ الصَّنْدَلَ بِلَوْنِ العُود، يَجْعَلُونَنا نَتَحاسَدُ على قِطَعٍ مِنَ الطِّيْنِ اليابِس؛
سُبْحانَهُ أَعْطى التُّرابَ اللَّونَ، جَعَلَنا في قِتالٍ عَلَيْهِ كالأطْفال؛
مَلَأْنا الثَّوْبَ بالتُّرابِ كالأطْفال، التُّرابُ في نَظَرِنا مِثْلُ ذَهَبِ المَنْجَم؛
الطِّفْلُ ما لَهُ للبالِغِيْنَ مَجال، متى أَجْلَسَ الحَقُّ الطِّفْلَ مَعَ الرِّجال؛
الفاكِهَةُ وإنْ كانَتْ قَدِيْمَةً إذا كانَتْ فَجَّةً، هِيَ غَيْرُ ناضِجَةٍ وَيُقالُ عَنْها حِصْرَم؛
ذلِكَ الفَجُّ الحامِضُ وَلَو بَلَغَ مِئَةَ عام، هُوَ عِنْدَ حادِّ الفِكْرِ طِفْلٌ وَحِصْرَم؛

رَغْمَ أنَّ شَعْرَهُ أَبيَضٌ وَلِحْيَتَهُ بَيْضاء، هُوَ في طُفُولَةِ الخَوْفِ والرَّجاء؛
أَنَضَجْتُ أَمْ لَمْ أَنْضِجْ تُرى عَجَباً، أَيَجْعَلُ مِنّيْ ذلِكَ الكَرَمُ كَرْماً؛
مَعَ مِثْلِ هذا البُعْدِ وانْعِدامِ القابِلِيَّة، أَيَجْعَلُ مِنْ هذا الحِصْرَمِ مِنّي عِنَباً؛
لَيْسَ عِنْدِي الرَّجاءُ مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ، وَذلِكَ الكَرَمُ يَقُولُ لي لا تَيْأَسُوا؛
مَلِكُنا كانَ دائماً يَقُومُ بِتَضْييفِنا، يَشُدُّنا مِنْ آذانِنا لا تَقْنَطُوا؛
رَغْمَ أَنّي مِنْ هذا اليَأْسِ في حُفْرَةٍ، إذا دَعاني أَذْهَبُ راقِصاً؛
أُسْرِعُ راقِصاً كالجَوادِ السَّريع، يَجْري مُسْرِعاً إلى المَرْعى المَريع؛
أَنْقُلُ الخُطى وما مِنْ خُطى هُناك، أَكْرَعُ الجامَ ولا جَامَ هُناك؛
ذاكَ أنَّ جُمْلَةَ الأَشْياءِ هُناكَ رُوحانِيَّةٌ، إنَّها المَعْنى في المَعْنى في المَعْنى؛
فإنَّ الصُّورَةَ ظِلٌّ والمعْنى الشَّمْس، النُّورُ بلا ظِلٍّ يَكُونُ في الخَراب؛
اللَّبِنَةُ وَلَوْ كانَتْ مِنَ الذَّهَبِ اقْتَلِعْها، إذا كانَ ثَمَنُ اللَّبِنَةِ الوَحْيَ والضِّياء؛
الجَبَلُ مِنْ أَجْلِ دَفْعِ الظِّلِّ مُنْدَكٌّ، إنَّ التَّفَتُّتَ مِنْ أَجْلِ هذا النُّورِ لَقَلِيْل؛
حِيْنَ وَقَعَ نُورُ الصَّمَدِ على الجَبَلِ مِنَ الخارِج، تَقَطَّعَ لِيَقَعَ أَيْضاً على الباطِن؛
الجائِعُ حِيْنَ وَقَعَ في يَدِهِ قُرْصُ الخُبْز، فَتَحَ مِنَ الهَوَسِ العَيْنَ والفَم؛
هذا يَسْتَحِقُّ التَّقَطُّعَ مِئَةَ أَلْفِ قِطْعَةٍ، اِنْهَضي أَيْ أَرْضُ مِنْ وَسَطِ الفَلَك؛
حَتَّى يَصِيْرَ نُورُ الفَلَكِ مُحْرِقاً للظِّلّ، اللَّيْلُ مِنْ ظِلِّكَ أَيْ عاصِيَ النَّهار؛
هذِهِ الأَرْضُ مِثْلَ مَهْدِ الأَطْفال، مَكانٌ يَجْعَلُ البالِغِيْنَ في ضيْق؛
الحَقُّ دَعا الأَرْضَ مَهْداً للأَطْفال، في المَهْدِ يَدِرُّ اللَّبَنُ للأَطْفال؛
لَقَدْ ضاقَ المَنْزِلُ بِهذِهِ المُهُود، اِجْعَلِ الأَطْفالَ بالِغِيْنَ سَريعاً أَيْ مَلِك؛
أَيْ مَهْدُ لا تُضَيِّقِ المَنْزِلَ، لِيَسْتَطِيْعَ البالِغُونَ الاِنْتِشار؛

الوَسْوَسَةُ الَّتي ظَهَرَتْ عِنْدَ وَلَدِ المَلِك بِسَبَبِ الاِسْتِغْناءِ والكَشْفِ الَّذي كانَ حَصَلَ لِقَلْبِهِ مِنَ المَلِك ، وَقَصْدُهُ النُّكْرانَ والعِصْيان ، وَحُصُولُ الخَبَر للمَلِك مِنْ طَريقِ الإلهام والسِّرّ وَتَألُّمُ قَلْبِه، وَضَربُ رُوحِ وَلَدِ المَلِك بَحَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَبَرٌ عَنْ صُورَةِ المَلِك إلى آخِرِه

حِيْنَ صارَ مُسَلَّماً أنَّ إلى رُوحِهِ مَجْرى، مِنْ باطِنِ الشَّاهِ بلا بَيْعٍ وَلا شِراء؛
قَمَرُ رُوحِهِ مِنْ نُورِ روحِ الشَّاه، يَقْتاتُ كالقَمَرِ مِنَ الشَّمْس؛
راتِبُ الرُّوحِ مِنَ المَلِكِ بلا نَدِيْد، يَصِلُ إلى رُوحِهِ السَّكْرى لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
لَيْسَ مِمَّا يَأكُلُ النَّصْرانِيُّ والمُشْرِك، بَلْ مِنَ الغِذاءِ الَّذي تَأكُلُ الملائِكَة؛
رأى داخِلَ نِفْسِهِ الاِسْتِغْناء، صارَ الطُّغْيانُ ظاهِراً مِنَ الاِسْتِغْناء؛
أَلَسْتُ مَلِكاً وَأَيْضاً ابْنَ مَلِك، لِماذا أُعْطي زِمامَ النَّفْسِ لِهذا المَلِك؛
ما دامَ طَلَعَ لِيَ القَمَرُ لامِعاً، لِماذا أَكُونُ للغُبارِ تابِعاً؛
الماءُ في جَدْوَلي لِماذا وَقْتَ الفَخْر، أَحْتَمِلُ دلالَ الغَيْرِ وَأنا مُسْتَغْنٍ؛
لِماذا أَعْصِبُ الرَّأْسَ أَلَمُ الرَّأْسِ انْتَهى، وَقْتُ شُحُوبِ الوَجْهِ وَبُكاءِ العَيْنِ انْتَهى؛
صِرْتُ عَذْبَ الشَّفَةِ وَعارِضي كالقَمَر، يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَفْتَحَ دُكَّاناً آخَر؛
عِنْدَما أَخَذَتِ النَّفْسُ تُولَدُ مِنْ هذِهِ الأنا، أَخَذَتْ بالهَذْرِ بِمِئَةِ أَلْفِ لَغْو؛
مِئَةُ صَحْراءَ مِنْ جِهَةِ الحِرْصِ والحَسَد، كَيْ تَصِلَ عَيْنُ السُّوءِ إلى هُناكَ أَيْضاً؛
بَحْرُ الشَّاهِ هُوَ مَصْدَرُ كُلِّ ماء، فَكَيْفَ لا يَعْرِفُ ذاكَ الَّذي في السَّيْلِ والجَدْوَل؛
تَأَلَّمَ قَلْبُ الشَّاهِ مِنْ فِكْرِه، مِنْ عَدَمِ شُكْرِهِ لِعَطائِهِ البِكْر؛
قالَ أَخِيْراً أَيْ خَسِيْسُ واهِيْ الأدَب، أهذا جَزاءُ عَطائي لَكَ أَيْ عَجَب؛
أنا ما أَعْطَيْتُكَ مِنْ هذا الكَنْزِ النَّفيس، أنتَ ما فَعَلْتَ مَعِيْ مِنَ الطَّبْعِ الخَسِيْس؛
أنا وَضَعْتُ لَكَ قَمَراً في الحِضْن، إلى يَومِ الحِسابِ لا غُرُوبَ لَه؛

رَمَيْتَ في عَيْنِيَ الشَّوكَ والتُّراب، في جَزاءِ ذاكَ العَطاءِ مِنَ النُّورِ الطَّاهِرِ؛

أنا صِرْتُ لَكَ سُلَّماً للفَلَك، أَنْتَ صِرْتَ في حَرْبِيَ السَّهْمَ والقَوْس؛

أَلَمْ الغَيْرَةِ طَلَعَ ظاهِراً في الشَّاه، فَوَصَلَ عَكْسُ أَلَمِ الشَّاهِ إِلَيْه؛

طائِرُ الدَّوْلَةِ اخْتَلَجَ في عِتابِه، حِجابُ تِلْكَ الدَّوْلَةِ صارَ مُمَزَّقاً؛

عِنْدَما رأى ذاكَ الوَلَدُ الحَسَنُ في باطِنِه،: الغُبارَ والآثارَ مِنْ عَمَلِهِ الأَسْوَد؛

وَأَنَّ وَظِيْفَةَ اللُّطْفِ والنِّعْمَةِ تِلْكَ ضاعَتْ، وَمَنْزِلُ سُرُوْرِهِ صارَ مَمْلُوءاً بالغَمّ؛

رَجَعَ لِلنَّفْسِ مِنَ السُّكْرِ مِنَ العَقار، صارَتْ رَأْسُهُ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ حانَةَ الخَمَّار؛

أَكَلَ القَمْحَةَ فَعَرِيَ مِنَ الحُلَّة، صارَ الخُلْدُ لَهُ البادِيَةَ والصَّحْراء؛

رأى أنَّ تِلْكَ الشُّرْبَةَ أَمْرَضَتْه، سُمُّ *نَحْنُ وأنا* ذاكَ فَعَلَ فِعْلَهُ؛

الرُّوحُ كالطَّاوُوسِ في رَوْضَةِ الدَّلال، صارَتْ كالبُومِ في خَرابَةِ المُجاز؛

مِثْلَ آدَمَ صارَ بَعِيْداً عَنِ الجَنَّةِ، يَسُوقُ البَقَرَةَ في الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ الزَّرْع؛

يُطْلِقُ الدَّمْعَ أَنْ أَيُّها الهِنْدِيُّ القَوِيُّ، لَقَدْ جَعَلْتَ الأَسَدَ أَسِيْرَ ذَنَبِ بَقَرَة؛

لَقَدْ أَطْلَقْتِ أَيَّتُها النَّفْسُ السَّيِّئَةُ بارِدَ النَّفَس، بلا حِفاظٍ على المَلِكِ المُغِيْث؛

اخْتَرْتِ الفَخَّ مِنَ الحِرْصِ على قَمْحَةٍ، فَصارَتْ كُلُّ قَمْحَةٍ لَكِ عَقْرَباً؛

طَلَعَ في رَأْسِكِ هَوى *نَحْنُ وَأنا*، أُنْظُري القَيْدَ على قَدَمِكِ خَمْسينَ مَنّاً؛

يَنُوحُ على هذا النَّمَطِ على رُوحِهِ، أَنْ لِماذا صِرْتُ ضِدَّ سُلْطاني؛

رَجَعَ إلى النَّفْسِ وَقامَ بالاِسْتِغْفار، وَجَعَلَ شَيْئاً آخَرَ مُعِيْناً للإِنابَة؛

الأَلَمُ الَّذي كانَ مِنْ وَحْشَةِ الإيمان، اِرْحَمْ فذلِكَ الأَلَمُ بلا عِلاج؛

لا كانَ لِبَشَرٍ رِداءٌ صَحِيْحٌ، إذا تَحَرَّرَ مِنَ الصَّبْرِ طَلَبَ الصَّدْر؛

لا كانَتْ لِبَشَرٍ قَبْضَةٌ وَأَظْفار، فلا يُفَكِّرُ في الدِّيْنِ آنَذاكَ ولا في السَّداد؛

خَيْرٌ للآدَمِيِّ أَنْ يَكُونَ مَقْتُولاً في البلاء، النَّفْسُ كافِرَةٌ بالنِّعْمَةِ وَضالَّة؛

خِطابُ الحَقِّ لِعِزرائيل أنْ على مَنْ جاءَتْكَ الرَّحْمَةُ أَكْثَرَ مِنْ بَيْنِ الخلائِقِ الَّذينَ قَبَضْتَ أَرْواحَهُم وَجَوابُ عزرائيل للحَضْرَة

الحَقُّ قالَ لِعِزرائيلَ أَيْ نَقِيْب، على مَنْ أَتَتْكَ الرَّحْمَةُ مِنْ كُلِّ كَئيب؛
قالَ قَلْبي كانَ يَحْتَرِقُ مِنَ الأَلَمِ لَهُمْ جَمِيعاً، لكِنْ كُنْتُ أخافُ مِنْ إهمالِ الأمْر؛
حَتَّى أَنَّني كُنْتُ أَقُولُ لَيْتَ اللهَ جَعَلَني، قُرباناً في العِوَضِ مِنْ أَجْلِ الفَتى؛
قالَ على مَنْ أَتَتْكَ الرَّحْمَةُ أَكْثَرَ، على مَنِ امْتَلأَ قَلْبُكَ بالنَّارِ أكْثَر؛
قالَ يَوماً كَسَرْتُ على المَوْجِ العالِيْ، سَفِيْنَةً بالأمْرِ حَتَّى تَقَطَّعَتْ قِطَعاً؛
ثُمَّ قُلْتَ لي اقْبِضْ أرواحَ الجَمِيع، غَيْرَ امْرَأَةٍ وَطِفْلٍ مِنْ ذلِكَ القَطِيْع؛
كلاهُما بَقِيا على لَوْحٍ مِنَ الخَشَب، وَكانَتِ الأمْواجُ تَتَقاذَفُ ذلِكَ اللَّوح؛
ثُمَّ قُلْتَ لي اقْبِضْ رُوحَ الأُمّ، واتْرُكِ الطِّفْلَ وَحِيْداً عَنْ أَمْرِ كُنْ؛
عِنْدَما فَصَلْتُ الطِّفْلَ عَنِ الأمّ، أَنْتَ وَحْدَكَ تَعْرِفُ أَيَّةَ مَرارَةٍ طَعِمْتُ؛
كَمْ رَأَيْتُ دُخانَ مَآتِمَ عَظِيْمَةٍ، وَمَرارَةُ ذاكَ الطِّفْلِ لَمْ تَذْهَبْ مِنْ فِكْري؛
قالَ الحَقُّ لَقَدْ قُلْتُ للمَوج، أَلْقِ بالطِّفْلِ في أَجَمَةٍ مِنَ الفَضْل؛
أَجَمَةٍ مِلْؤها السَّوْسَنُ والرَّيْحانُ والوَرْد، وَمِلْؤها الأَشْجارُ المُثْمِرَةُ طَيِّبَةُ الأُكُل؛
وَعُيُونُ الماءِ العَذْبِ الزُّلال، وَرَبَّيْتُ الطِّفْلَ بِمِئَةِ دلال؛
وَمِئَةُ أَلْفِ طَيْرٍ مُطْرِبٍ حَسَنِ الصَّوت، تُغَرِّدُ في ذلِكَ الرَّوضِ بِمِئَةِ لَحْن؛
جَعَلْتُ لَهُ الفِراشَ مِنْ أوراقِ النِّسْرين، جَعَلْتُهُ آمِناً مِنْ صَدْمَةِ الفِتَن؛
وَقُلْتُ للشَّمْسِ لا تُؤذِيْه، وَقُلْتُ للرِّيْحِ هبِّي عَلَيْهِ برِفْق؛
وَقتلْتُ للغَيْمِ لا تُمْطِرْ عَلَيْه، وَقُلْتُ للبَرْقِ لا تَقْصِدْهُ بِأَذى؛
أي كانُونُ لا تَقْطَعِ اعْتِدالَ هذا الرَّوْض، أي ثَلْجُ لا تُمِرَّ يَداً على هذا الرَّوض؛

كراماتُ الشَّيْخ شَيْبانَ الرَّاعي
وَبَيان مُعْجِزَة هُود عَلَيْهِ السَّلام

كانَ شَيْبانُ الرَّاعي في وَقْتِ الجُمُعَة، يَخِطُّ خَطَّاً حَوْلَ القَطِيْعِ مِنَ الذِّئْبِ العَنيد؛
فلا تَخْرُجُ مِنْ ذلِكَ الخَطِّ شاةٌ، ولا يَدْخُلُ مِنْهُ ذِئْبٌ وَلِصٌّ مُؤْذٍ؛
على مِثالِ دائِرَةِ تَعْويذِ هُود، كانَ مِنْها أمانُ الآلِ مِنَ الصَّرْصَر؛
تَوَقَّفُوا ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ في هذا الخَطّ، وانْظُرُوا إلى العَذابِ في الخارِجِ؛
تَحْمِلُ في الهَواءِ، تُلْقِيْ على الحَجَر، تَبْري اللَّحْمَ بَرْياً عَنِ العَظْمِ؛
تَعْلُو بالجَماعَةِ في الهَواءِ تَضْرِبُها بِبَعْض، لِتَسْقُطَ العِظامُ مُفَتَّتَةً كالخَشْخاش؛
هذا العِقابُ الَّذي ارْتَعَبَتْ مِنْهُ السَّماء، المَثْنَوِيُّ لا يَقْدِرُ أنْ يَسْتَوْعِبَ شَرْحَه؛
إنْ كُنْتِ تَفْعَلِيْنَ هذا مِنَ الطَّبْعِ أَيْ رِيْحاً بارِدَةً، دُوري حَوْلَ خَطِّ هُودٍ وَدائِرَتِه؛
أي طَبيعِيُّ انْظُرْ لِهذا المَلِكِ فَوْقَ الطَّبْع، أو تَعالَ وامْحُ هذا مِنَ المَصْحَف؛
أو قَيِّدِ المُقْرِئِيْنَ وامْنَعْهُم، أو عاقِبِ المُعَلِّمَ وارْمِهِ بالسَّهْم؛
عاجَزٌ وَحائرٌ مِنْ أَيْنَ هذا العَجْز، عَجْزُكَ إِشْعاعٌ مِنْ يَومِ الجَزاءِ ذاك؛
عِنْدَكَ أَنْواعُ العَجْزِ دُونَكَ أَيْ لَجُوج، صارَ الوَقْتُ لِما خَفِيَ للخُرُوج؛
سَعِدَ ذاكَ الَّذي قُوتُهُ العَجْزُ والحَيْرَة، نامَ في العالَمَيْنِ تَحْتَ ظِلِّ الحَبيب؛
رَأى العَجْزَ في الاصْطَبْلِ كما في الآخِرَة، صارَ مَيْتاً واخْتارَ دِيْنَ العَجائز؛
مِثْلَ زَليخا شَعَّ يُوسُفُها عَلَيْها، وَجَدَتِ الطَّريقَ مِنْ عَجُوزٍ لِشَابَّة؛
الحَياةُ في المَوْتِ وَفي المِحْنَة، ماءُ الحَياةِ في داخِلِ الظُّلْمَة؛

رُجُوع إلى قِصَّةِ تَرْبِيَةِ الحَقِّ لِنَمْرُود مِنْ
غَيْرِ واسِطَةِ الأُمِّ والحاضِنِ في الطُّفُولَة

الحاصِلُ ذاكَ الرَّوْضُ كانَ كَبُسْتانِ العارِفِيْن، في أمانٍ مِنَ السُّمُومِ والصَّرْصَر؛
كانَ لِنَمِرَةٍ أَطْفالاً صِغاراً، قُلْتُ لها أَرْضِعِيْهِ اللَّبَنَ فَأَطاعَتْ؛
أَرْضَعَتْهُ اللَّبَنَ وَقامَتْ بِخِدْمَتِه، حَتَّى صارَ بالِغاً وَجَسِيْماً وَرَجُلاً شُجاعاً؛
حِيْنَ حانَ فِطامُهُ أَمَرْتُ الجِنَّ، أنْ عَلِّمُوهُ النُّطْقَ والخِصام؛
قُمْتُ بِتَرْبِيَتِهِ في ذلِكَ الرَّوْض، متى يَصِيْرُ فَضْلي مُسْتَوْعَباً بالكلام؛
أَعْطَيْتُ أَيُّوبَ مَحَبَّةَ الوالِد، على الدُّودِ فاسْتَضافَ الدُّودَ بلا ضَرَر؛
وَأَعْطَيْتُ الدُّودَ مَحَبَّةَ الوَلَدِ على الأب، عَلَى أَيُّوبَ، دُونَكَ قُدْرَتي، هذِهِ القُدْرَة؛
لَقَدْ عَلَّمْتُ الأُمَّهاتِ الدَّأَب، كَيْفَ يَكُونُ اللُّطْفُ الَّذي أُشْعِل!؛
مِئَةَ عِنايَةٍ فَعَلْتُ وَمِئَةَ رابِطَة، حَتَّى يرى لُطْفي بلا واسِطَة؛
حَتَّى لا يَصِيْرَ مَشْغُولاً بالسَّبَب، حَتَّى تَكُونَ كُلُّ اسْتِغاثَةٍ مِنْهُ بي؛
حَتَّى لا يَكُونَ لَهُ أَيُّ عُذْر، حَتَّى لا تَكُونَ مِنْهُ شَكاةٌ مِنْ ذِي ضَرَر؛
رأى هذِهِ الحَضانَةَ بِمِئَةِ رابِطَة، وَأَنِّي رَبَّيْتُهُ بلا واسِطَة؛
شُكْرُهُ كانَ أَيْ عَبْدَ الجَليل، أنْ صارَ نَمْرُوداً وَمُحْرِقاً للخَلِيل؛
مِثْلَ وَلَدِ المَلِكِ في شُكْرِ الشَّاه، قامَ بالاِسْتِكْبارِ واسْتِكْثارِ الجاه؛
أنْ كَيْفَ أَصِيْرُ تابِعاً لِغَيْري، وَأَنا صاحِبُ مُلْكٍ وإِقْبالٍ جَديد؛
أَلْطافُ الشَّاهِ المَذْكُورَةُ مِنْ قَبْل، حُجِبَتْ عَنْ قَلْبِهِ مِنْ تَجَبُّرِه؛
فَعَلَ بِتِلْكَ الأَلْطافِ ما فَعَلَ نَمْرُود، وَضَعَها تَحْتَ القَدَمِ مِنَ الجَهْلِ والعَمى؛
الآنَ هُوَ كافِرٌ وَيَقْطَعُ الطَّريق، وَيَقُومُ بالكِبْرِ وَيَدَّعي الأُلُوهِيَّة؛
ذَهَبَ جِهَةَ السَّماءِ ذاتِ الجَلال، يَقصِدُني بالقِتالِ بِثَلاثَةِ نُسُور؛
قَتَلَ مِئاتِ أُلُوفِ الأَطْفال، بلا مَلامَةٍ لِيَجِدَ إبْراهِيْم؛
إذْ قالَ لَهُ المُنَجِّمُ : في حُكْمِ هذِهِ السَّنَة، أنْ يُولَدَ لَكَ عَدُوٌّ يُقاتِلُك؛
قُمْ بِدَفْعِ ذاكَ الخَصْمِ بالاِحْتِياط، فراحَ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يُولَدُ مِنَ الخُباط؛

رَغْماً عَنْهُ طَلَعَ الطِّفْلُ حامِلُ الوَحْي، وَبَقِيَتْ دِماءُ الآخَرينَ في رَقَبَتِه؛
هَلْ وَجَدَ ذاكَ المُلْكَ مِنَ الأبِ أَيْ عَجَب، لِتُعْطِيَهُ الغُرُورَ ظُلُماتُ النَّسَب؛
إذا كانَ الأبُ والأُمُّ حِجاباً للآخَرين، فَهُوَ مِنَّا وَجَدَ الجَواهِرَ في الجَيْب؛
النَّفْسُ السَّيِّئَةُ ذِئْبٌ مُفْتَرِسٌ باليَقِيْن، لِماذا تَضَعُ اللَّومَ على كُلِّ قَرين؛
هِيَ في الضَّلالَةِ قُبَّعَةٌ لِمِئَةِ أَقْرَع، النَّفْسُ القَبيحَةُ الكافِرَةُ المَمْلُوءَةُ بالسَّفَه؛
مِنْ هذا السَّبَبِ أَقُولُ لَكَ أَيُّها العَبْدُ الفَقِيْر،لا تَفُكَّ السَّلْسَلَةَ عَنْ رَقَبَةِ الكَلْب؛
الكَلْبُ وَلَوْ صارَ مُعَلَّماً يَظَلُّ كَلْباً، ذَلَّتْ نَفْسُهُ فَهُوَ سَيِّئُ العِرْق؛
أنتَ تُؤَدِّي الفَرْضَ في مَحَلِّهِ إنْ كُنْتَ طائفاً، على سُهَيْلٍ مِثْلَ الأدِيْمِ الطَّائفِيّ؛
حَتَّى يَشْتَرِيَكَ سُهَيْلٌ مِنْ شَرِّ الجِلْد، وَتَصِيْرَ قَرِيْنَ قَدَمِ الحَبيبِ كالحِذاء؛
جُمْلَةُ القُرْآنِ في شَرْحِ خُبْثِ النُّفُوس، اُنْظُرْ في المَصْحَف، أَيْنَ عَيْنُكَ تِلْك؛
ذِكْرُ نَفْسِ العادِيِّيْنَ الَّتي وَجَدَتِ الآلَة، فَهِيَ في قِتالِ الأنبياءِ تَشُقُّ الشَّعْرَة؛
القَرْنُ بالقَرْنِ مِنْ شُؤْمِ النَّفْسِ بلا أدَب، فَجْأَةً في الدُّنيا يُطْلِقُونَ اللَّهَب؛

رُجُوع إلى قِصَّةِ وَلَدِ المَلِك وَتَعَرُّضِهِ لِضَرْبَةٍ مِنْ خاطِرِ الشَّاه وَذَهابُهُ مِنَ الدُّنيا قَبْلِ اسْتِكْمالِ الفَضائلِ الأُخْرى

أَقْصِرِ القِصَّةَ فَغَيْرَةُ ذاكَ الغَيُور، حَمَلَتْهُ بَعْدَ سَنَةٍ إلى القَبْر؛
الشَّاهُ حِيْنَ صارَ مِنَ المَحْوِ إلى الوُجُود، عَيْنُهُ المَرِّيْخِيَّةُ جَعَلَتْ ذاكَ قُرباناً؛
حِيْنَ نَظَرَ بِجُعْبَتِهِ ذاكَ الَّذي هُوَ بلا نَظِيْر، رأى أنَّ سَهْماً قَدْ نَقُصَ مِنْ جُعْبَتِه؛
قالَ أَيْنَ ذاكَ السَّهْمُ واسْتَفْسَرَ مِنَ الحَقّ، قالَ إنَّهُ في حَلْقِهِ إنَّهُ مِنْ رَمْيَك؛
لَقَدْ عفا ذلِكَ الشَّاهُ بَحْرُ القَلْبِ لكِنْ، ذلِكَ السَّهْمُ كانَ قَدْ أَصابَهُ في مَقْتَل؛
قَتَلَهُ وراحَ في النُّواحِ عَلَيْهِ، هُوَ القاتِلُ وَهُوَ كذلِكَ الوَلِيّ؛

إنْ لَمْ يَكُنْ كِلَيْهِما فَلَيْسَ هُوَ بالكُلّ، هُوَ قاتِلُ الخَلْقِ وَهُوَ صاحِبُ المَأْتَم؛
ذاكَ الشَّهِيْدُ أَصْفَرُ الخَدِّ يَقُولُ شُكْراً، أَنَّهُ ضَرَبَ على الجَسَدِ لا على المَعْنى؛
الجِسْمُ الظَّاهِرُ يَذْهَبُ في العاقِبَة، المَعْنى يَظَلُّ يَحْيا سَعِيْداً إلى الأبَد؛
ذاكَ العِتابُ مِنْهُ جَرى على الجِلْد، والحَبيبُ ذَهَبَ للحَبيبِ بلا ضَرَر؛
رَغْمَ أَنَّهُ تَعَلَّقَ بِسَرْجَ جَوادِ مَلِكِ المُلُوك، أخيراً سَلَكَ الطَّرِيقَ مِنْ عَيْنِ الكَمال؛
وذاكَ الثَّالِثُ أَكْسَلُ الثَّلاثَة، اخْتَطَفَ الصُّورَةَ والمَعْنى بالكُلِّيَّة؛

وَصِيَّةُ ذلِكَ الشَّخْصِ أنْ بَعْدَ مَوتي يَأْخُذُ مالِيَ أكْسَلُ أَولادِيَ الثَّلاثَة

ذاكَ شَخْصٌ في وَقْتِ مَوْتِهِ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ كانَتْ لَهُ وَصِيَّةٌ؛
كانَ لَهُ ثلاثَةُ أولادٍ كالسَّرْوِ القَويم، وكانَ قَدْ وَقَفَ لَهُمُ النَّفْسَ والرُّوح؛
قالَ كُلُّ ما أَمْلِكُ مِنَ المَتاعِ والذَّهَب، يَأْخُذُهُ الأَكْسَلُ مِنْ هؤلاءِ الثَّلاثَة؛
قالَ ذاكَ للقاضي وَنَصَحَ كثيراً، وَبَعْدَ ذلِكَ شَرِبَ جامَ شَرابِ المَوت؛
قالَ الأولادُ للقاضي أَيْ كَريم، نَحْنُ يتاماهُ الثَّلاثَةُ لَنْ نَزُولَ عَنْ حُكْمِه؛
نَحْنُ لَهُ سامِعُونَ مُطِيْعُونَ هُوَ صادِق، كُلُّ ما قَرَّرَ في شَأْنِنا نافِذ؛
نَحْنُ كإسْماعِيْلَ لإبراهِيْمِنا، لَنْ نَعْصِيَهُ وَلَوْ جَعَلَنا قرابين؛
قالَ القاضي كُلُّ واحِدٍ بِعَقْلِهِ، يَذْكُرُ لنا قِصَّةً عَنْ كَسَلِهِ؛
حَتَّى أرى كَسَلَ كُلِّ واحِدٍ، حَتّى أَعْلَمَ حالَ كُلِّ واحِدٍ بلا شَكّ؛
العارِفُونَ هُمُ الأكْسَلُ في العالَمَيْن، لأَنَّهُمْ بلا حِراثَةٍ يَأْخُذُونَ البَيْدَر؛
جَعَلُوا مِنَ الكَسَلِ لَهُمْ سَنَداً، ما دامَ اللهُ يَعْمَلُ لَهُمُ العَمَل؛
العَوامُّ لا يَرَونَ عَمَلَ الله، فلا يَرْتاحُونَ مِنَ الكَدِّ في الصُّبْحِ والمَساء؛

هَيَّا أعيدُوا عَلَيَّ الحَديثَ عَنْ حَدِّ الكَسَل، حَتَّى أَعْلَمَ حَدَّ ذاكَ مِنْ كَشْفِ السِّرّ؛

كُلُّ لِسانٍ حِجابٌ على القَلْبِ بلا شَكّ، إذا تَحَرَّكَ الحِجابُ وَصَلَتِ الأَسْرار؛

الحِجابُ الصَّغيرُ مِثْلَ شَريحَةٍ مِنَ اللَّحْم، يُغَطِّيْ وَجْهَ مِئَةِ شَمْس؛

وإذا كانَ بيانُ النُّطْقِ كاذِباً أَيْضاً، فإنَّ رائِحَةَ الصِّدْقِ والكَذِبِ تُخْبِرُ عَنْه؛

ذاكَ النَّسيمُ الَّذي يجيءُ مِنَ الرَّوْض، ظاهِرٌ مُمَيَّزٌ عَنْ سُمُومِ المَواقِد؛

رِيْحُ الكَذِبِ خادِعَةُ الأَحْمَقِ وَريحُ الصِّدْقِ، ظاهِرَتانِ في النَّفَسِ كالثُّومِ والمِسْك؛

إذا كُنْتَ لا تَعْرِفُ الصَّديقَ مِنْ تَقَلُّبِه، قُمْ بالشِّكايَةِ مِنْ مَشامِّكَ الفاسِدَة؛

أَصْواتُ المُخَنَّثينَ والشُّجْعانِ الأَبْطال، ظاهِرَةٌ مِثْلَ فَنِّ الثَّعْلَبِ والأَسَد؛

أو أنَّ اللِّسانَ مِثْلَ غِطاءٍ على القِدْر، إذا حَرَّكْتَهُ عَلِمْتَ ما يَكُونُ الطَّعام؛

حادُّ الوَعْيِ يَعْرِفُ ذاكَ مِنَ البُخار، أفي القِدْرِ طَعامٌ حُلْوٌ أمْ حِساءٌ حامِضٌ؛

الفَتى حِيْنَ يَضْرِبُ القِدْرَ الجَدِيْدَةَ باليَدْ، وَقْتَ الشِّراءِ يَعْرِفُ المَكْسُور؛

قالَ أَعْرِفُ الرَّجُلَ في الحالِ مِنْ فَمِه، وإنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ أَعْرِفُهُ في ثلاثَةِ أَيّام؛

قالَ الآخَرُ إذا تَكَلَّمَ عَرِفْتُهُ، وإنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ اسْتَدْرَجْتُهُ للكلام؛

قالَ إذا كانَ سَمِعَ عَنْ هذا المَكْر، يُغْلِقُ الشِّفاهَ وَيَذْهَبُ في الصَّمْت؛

مَثَل

هكذا كما قالَتِ الأُمُّ لِطِفْلِها، إذا جاءَكَ خَيالٌ في اللَّيْلِ وَصارَ بِجِوارِك؛

أَو رَأَيْتَ في المَقْبَرَةِ والمَكانِ المُخِيْف، خَيالاً لأَسْوَدَ مَمْلُوءٍ بالحِقْد؛

حافِظْ على القَلْبِ قَوِيّاً واحْمِلْ عَلَيْه، فإنَّهُ يُدْبِرُ عَنْكَ مُسْرِعاً في الحال؛

قالَ الطِّفْلُ ذاكَ الخَيالُ شَبيهُ الشَّيْطان، ماذا لَوْ كانَتْ أُمُّهُ قالَتْ لَهُ هذا المَقال؛

فَأَحْمِلُ عَلَيْهِ فَيَقَعُ على رَقَبَتي، عَنْ أَمْرِ أُمِّهِ فَآنَذاكَ ما أَفْعَل؛

إنَّكِ تُعَلِّمِيْنَني أنْ أَقِفَ بِثَبات، وَذاكَ الخَيالُ القَبيحُ أَيْضاً لَهُ أُمّ؛
وذاكَ المُلَقِّنُ للشَّيْطانِ والنَّاسِ واحِد، وَيَغْلِبُ مِنْهُ الشَّيْطانُ إنْ كانَ الخَصْمُ أَقَلّ؛
إلى أَيَّةِ جِهَةٍ يَصِيْرُ ذاكَ المَفْقُود، اللهَ اللهَ اذْهَبْ أنتَ أيضاً إلى تِلْكَ الجِهَة؛
قالَ فَإذا لَمْ يَجِئْ بالكلامِ مِنَ المَكْر، وَكانَتْ حِيْلَتي مَعْرُوفَةً لِذاكَ الهُمام؛
فَكَيْفَ تَعْرِفُ سِرَّهُ أَهُوَ صادِق، قالَ أجْلِسُ أنا أَيْضاً صامِتاً أَمامَه؛
وَأَتَّخِذُ مِنَ الصَّبْرِ سُلَّماً نَحْوَ الدَّرَج، حَتَّى أَصْعَدَ فالصَّبْرُ مِفْتاحُ الفَرَج؛
وإذا جاشَ في حُضُورِهِ مِنْ قَلْبي، مَنْطِقٌ خارِجٌ عَنِ السُّرُورِ والغَمّ؛
أنا أَعْلَمُ أنَّهُ أَرْسَلَ ذاكَ لِي، مِنْ ضَمِيْرٍ مِثْلَ سُهَيْلٍ في اليَمَن؛
ذاكَ الحَديثُ في قَلْبي مِنْ تِلْكَ المَيْمَنَة ، لأنَّ هُناكَ مِنَ القَلْبِ إلى القَلْبِ نافِذَة؛

أنا أَضَعُ لِعَظَمَتِهِ رَقَبَتي ، لَهُ المِنَّةُ على قَلْبي وَعَلى بَدَني؛
عِنْدَما سَقَطَتِ الشَّمْسُ مِنْ نافِذَةِ القَلْب ، صارَ الخَتْمُ ، واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛

تَمَّ المُجَلَّدُ السَّادِسُ والأخيرُ مِنَ المَثْنَوي المَعْنَوي

خاتِمَةٌ لِوَلَدِهِ الكامِلِ المُحَقِّق بَهاء الدِّيْن

بَعْدَ مُدَّةٍ مِنْ هذا المَثْنَوِيِّ وَقَدْ صارَ والِدِي، ساكِتاً قُلْتُ لَهُ أَيْ حَيَّ النَّفَس؛

علامَ لَمْ تَعُدْ تَقُولُ الحَديث، مِمَّ أَغْلَقْتَ بابَ العِلْمِ اللَّدُنِيّ؛

قِصَّةُ أولادِ المَلِكِ لَمْ تَصِلْ لِلتَّمام، دُرَّةُ الوَلَدِ الثَّالِثِ لَمْ تُنْظَمْ في النِّظام؛

قالَ نُطْقي نامَ كالجَمَلِ وَلَيْسَ لي ، بَعْدَ هذا حَديثٌ إلى الحَشْرِ مَعَ أَيِّ شَخْص؛

بَقِيَ شَرْحٌ لِهذا وَلكِنَّهُ في الدَّاخِل، لَقَدْ أُغْلِقَ عَلَيْهِ وَلَنْ يَخْرُجَ للخارِج؛

حانَ وَقْتُ الرِّحْلَةِ والتَّحَرُّرِ مِنَ الجَدْوَل، كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلَّا وَجْهَه؛

ما بَقِيَ مِنْ هذا الحَديثِ يَأتي بلا لِسان، إلى قَلْبِ شَخْصٍ يَمْتَلِكُ نُورَ الرُّوح؛

المَقالُ وَصَلَ إلى النِّهايَةِ وَأَيْضاً العُمُر، أَتَتْني البِشارَةُ أَنِّي سَأَتَحَرَّرُ مِنَ البَدَن؛

سَيَكُونُ لِي جَوَلانٌ في عالَمِ الرُّوح، سَأَعْبُرُ مِنَ النَّدى وَأَدْخُلُ في اليَمّ؛

فَإِنَّ هذا العالَمَ حَيٌّ وَجَمِيْلٌ مِنَ النَّدى ، والنَّدى وَجَدَ الحُسْنَ والجَمالَ مِنَ اليَمّ؛

كانَتِ الرُّوحُ تَحْيى في التُّرابِ والنَّدى، أُنْظُرْ في عالَمِ اليَمّ كَيْفَ تَكُون؛

اليَمُّ كالمَدِيْنَةِ والنَّدى كالباب، اليَمُ بلا قِياسٍ والنَّدى كالقَطْرَة؛

مِنْ هذا النَّدى الَّذي هُوَ كالرُّوحِ انْتَقِلْ، إلى بَحْرِ الحَبيبِ حَتَّى تَجِدَ البَقاء؛

النَّدى جاءَ مِنْ بَحْرِ الرُّوحَ لِهذا الطَّرَف، فاطْلُبْ مِنْ طَرِيقِ الرُّوحِ هذا الشَّرَف؛

حَتَّى يَأْخُذَكَ إلى هُناكَ حَيْثُ كان، البَحْثُ تَحْتَ تُرابِ اليَمّ بلا جَدْوى؛

جُزْءُ التُّرابِ يَحْمِلُ إلى بلادِ التُّراب، مَوْجُ بَحْرِ الرُّوحِ يَحْمِلُ نَحْوَ الحَبيب؛

فاطْلُبْ مِنَ الرُّوحِ وَصْلَ الحَبيب، بلا شَفَةٍ ولا فَمٍ اذْكُرْ اِسْمَ الرَّبّ؛

لِتَنْجُوَ مِنْ حَبْسِ هذا العالَمِ الفانِي، وَتَصِيْرَ خالِداً للأَبَدِ في عالَمِ الرُّوح؛

إلامَ تَزْرَعُ بُذُورَ العُمْرِ في الأَرْضِ المالِحَة، إلى أنْ تَصِيْرَ أخِيْراً هلاكاً؛

مِثْلُ هذا العُمْرِ العَزيزِ الَّذي هُوَ بلا ثَمَن، لِماذا تُضِيْعُ كُلَّ لَحْظَةٍ بلا عِوَض؛

تَدْفَعُ حَقْلَ الوَرْدِ وَتَأْخُذُ حَقْلَ الشَّوك، ألا يَجِيْئُكَ الغبْنُ مِنْ ذلِكَ أَيْ رَجُلَ العَمَل؛
العُمْرُ الَّذي صُرِفَ في الدُّنيا لا يَبقى، سَعِدَ ذاكَ الَّذي دَعاهُ الحَقُّ إِلَيْه؛
حِيْنَ تُعْطي العُمْرَ المَعْدُودَ والمَحْسُوب، وَيَصِيْرُ في طَرِيقِ الحَقِّ إلى المُنْتَهى؛
عُمْرُ عَشْرَةِ الأيَّامِ الَّذي ذَهَبَ في الطَّاعَةِ، يَصِيْرُ بلا حَدٍّ ولا عَدٍّ ولا حِساب؛
هَيَّا تَعاطَ التِّجارَةَ في هذا البازار، وَخُذْ بِشَوكَةٍ مِنْكَ مِئَةَ أَلْفِ وَرْدَةٍ؛
خُذْ مِنْ حَبَّةٍ واحِدَةٍ تَزْرَعُها، مِئَةَ أَلْفِ حَبَّةٍ مِنْ فَضْلِ الله؛
أَنْتَ كالماءِ في بَدَنٍ كالجَرَّة، وَحَديثُكَ وَصُلْحُكَ وَحَرْبُكَ كالحُباب؛
وهذِهِ النُّقُوشُ وهذِهِ الصُّوَرُ كالحُباب، على وَجْهِ الماءِ الدَّاخِلِ أَيُّها المَشْهُور؛
أو كالزَّبَدِ على سَطْحِ الماءِ الباطِن، لِيَصِيْرَ السِّرُّ الباطِنُ ظاهِراً في الخارِج؛
مِنَ الحَرارَةِ وَمِنَ الزَّبَدِ وَمِنْ رائِحَةِ القُدُور، تَتَظاهَرُ المَآكِلُ في التَّنُّور؛
لِيُعْلَمَ أَعَذْبَةٌ هِيَ أَمْ مُرَّةٌ، تَصِيْرُ ظاهِرَةً للشَّيْخِ وللشَّاب؛
كما مِنْ قَوْلِ وَمِنْ فِعْلِ النَّاس، يَصِيْرُ ظاهِراً كَيْفَ تَكُونُ الرُّوح؛
كَيْفَ تَكُونُ رُوحُهُ وما تَكُونُ في المَرْتَبَة، أمُؤْمِنٌ هُوَ أَمْ هُوَ كافِرٌ أَمْ هُوَ وَلِيّ؛
لا تَفْصِلِ الماءَ في الجَرَّةِ عَنِ اليَمّ، حَتَّى لا يَصِيْرَ الماءُ العَذْبُ فَجْأَةً آسِناً؛
فإنَّ الماءَ السَّاكِنَ بلا مَدَدٍ آسِنٌ، وَيَذْهَبُ مِنْهُ لَوْنُ وَرِيحُ وَطَعْمُ الماء؛
قالَ أَحْمَدُ مَنْ تَساوى يَوماهُ، يَكُونُ مَغْبُوناً وَأَسِيْرَ شَكّ؛
غَيْرُ ذي اليَقِيْنِ يُولَدُ في البلاهَة، هُوَ مَمْلُوءٌ مِنَ الرِّيْحِ كالقِرْبَةِ الفارِغَة؛
يَرْجِعُ لِلْخَلْفِ مِنْ مُقَدَّمِ الصَّفِّ كُلَّ لَحْظَةٍ، وَيَصِيْرُ صافِيْهِ ثُمالَةً كالزَّبَد؛
أَلَمُهُ يَصِيْرُ كُلَّ لَحْظَةٍ أَسْوَأَ، كُلَّ لَحْظَةٍ هُوَ قَبِيحٌ وَأَبْتَر؛
يَذْهَبُ إلى جَهَنَّمَ مَرْدُودَ باب، في بَحْرِ العَذابِ لا في البِحارِ العِذاب؛
مِنْ قَبْلِ أنْ يَصِيْرَ أَمْرُكَ إلى هُناكَ، وَتَأْخُذَكَ الغَفْلَةُ كُلَّ لَحْظَةٍ للوَراء؛
اِذْهَبْ إلى أَصْلِ نَفْسِكَ كالخَليل، أُعْبُرْ مِنَ النَّجْمِ والفَلَكِ العَلِيْل؛

ضَعْ قَدَمَ الهِمَّةِ على الشَّمْسِ وَالقَمَر ،ضَعِ الرَّأْسَ على ذَاكَ الإيوانِ وتِلْكَ العَتَبَة؛
واجْعَلْ هذِهِ الأنانِيَةَ خَرْجاً في الله، حَتَّى لا تَظِلَّ مُبْعَداً مِثْلَ إبليس؛
اِسْكِبْ ماءَ رُوحِكَ في بَحْرِ الرُّوح، حَتَّى تَصِيْرَ بَحْراً بلا حَدٍّ ولا نِهايَة؛
أَقْصِرِ القِصَّةَ فَقَدْ رُحْتُ في الحِجاب، هيَّا اصْمُتْ واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛
الشُّكْرُ للهِ هذا الكِتابُ وَصَلَ للِعُنْوان، النَّقْدُ لَمْ يَضِعْ وَوَصَلَ للإِخْوان؛
هذا الحَديثُ سُلَّمٌ للسَّماء، كُلُّ مَنْ صَعَدَ عَلَيْهِ وَصَلَ للسَّماء؛
لا إلى سَماءِ الفَلَكِ الأخْضَر ، بَلْ إلى سَماءٍ أَعْلى مِنَ الفَلَك؛

نِهايَة مَتْن وخاتِمَة المَثْنَوي

الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِين

إلى رُوحِ أبي وَمُعَلِّمي
عبّاس اسماعيل زليخة

علي عبّاس زليخة

خاتِمَةُ المُترجم

دُرَرُ معانٍ في حُلَلِ مبانٍ، نُظِمَتْ في نِظامِها ، وَوَصَلَتْ إلى تمامِها، هذِهِ هِيَ التَّرْجَمَةُ العَرَبِيَّةُ الكامِلَةُ لكُتُب *المَثْنَوي المَعْنَوي* السِّتَّة، بلا تحْريفَ ولا تَحويل، ولا تَغييرَ ولا تَبْديل ، نَفَعَ اللهُ بِها مَنْ يُريد ، إنَّهُ نِعْمَ المُريد.

اللهُمَّ أنتَ وَفَّقْتَني لِتَرْجَمَةِ المَثْنوي ، أتمِمْ النِّعْمَةَ ، اِجْعَلْ هذا العَمَلَ نافِعاً ، وَاجْعَلْهُ مُبارَكاً ، لكَ الحَمْدُ أوَّلاً وآخِراً ، وظاهِراً وباطِناً ، لَكَ الحَمْدُ حتَّى تَرْضى وَبَعْدَ الرِّضا ، وَثَقِّلْ بِهذا العَمَلِ مِيزانَ حَسَناتي ، وانْفَعْني بِهِ في حياتي وبَعْدَ مماتي ، وَأحْسِنْ بِهِ حالي ومآلي ، فَإنَّني لَمْ أَعْمَلْهُ طَلَباً للمال ، بَلْ اشْتَرَيْتُ بِهِ الفَقْر ، اِجْعَلْ تِجارَتي رابِحَة ، أنتَ مُعَوَّلي ، وَعَلَيْكَ مُتَّكَلي .

الدُّكْتُور علي عباس زليخة

سُورية

فهرس

الكِتابُ الأوَّل

الكتاب الثّاني

الكتاب الثّالِث

الكتاب الرَّابع

بسم الله الرّحْمن الرّحيم

بيانُ هذا الخَبَرِ أنْ كَلِّموا النَّاسَ على قَدْرِ عُقُولِهِم
قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَنْ بَشَّرَني بِخُرُوجِ صَفَرَ بَشَّرْتُهُ بالجَنَّة
تَشاوُرُ فِرْعَونَ مَعَ آسِيَةَ في شَأْنِ الإيمانِ بِمُوسى عَلَيْهِ السَّلام
قِصَّةُ بازِ المَلِكِ والمَرْأَةِ العَجُوز
قِصَّةُ ذلِكَ الطِّفْلِ الَّذي زَحَفَ على الميزاب وكانَ في خَطَرٍ
مَشْوَرَةُ فِرْعَونَ مَعَ وَزيرِهِ هامان بِشَأْنِ الإيمانِ بِموسى عليهِ السَّلام

تَفنيد كلام هامان عَلَيْهِ اللَّعْنَة

يَأْسُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ إيمانِ فِرْعَونَ
مُنازَعَةُ أُمَراءِ العَرَب للمُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام

في بيان أنَّ عارِفَ قُدْرَةِ الحَقّ لا يَسْأَلُ عَنِ الجَنَّةِ والنَّارِ أَيْنَ هُما

جَوابُ دَهْرِيٍّ كانَ مُنْكِراً للأُلُوهِيَّةِ وَقائلاً عَنِ العالَمِ أنَّهُ قَديم

تَفْسيرُ هذهِ الآيَة أنْ وما خَلَقْنا السَّمٰواتِ والأرْضَ وما بيْنَهُما إلَّا بالحَقّ،
وَحْيُ الحَقّ لِمُوسى عَلَيْهِ السَّلام أن أَيْ مُوسى أنا الحَقُّ خالِقُكَ وأنا أُحِبُّك

غَضَبُ الشَّاهِ على نَديمٍ وَشَفاعَةُ شَفيعٍ لِذاكَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِ
قَوْلُ الخَليلِ لِجِبرائيل عَلَيْهِ السَّلام حِيْنَ سَأَلَهُ أَلَكَ حاجَةٌ

مُطالَبَةُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ الحَضْرَةَ أنْ خَلَقْتَ خَلْقاً وَأَهْلَكْتَهُمْ وَمَجيءُ الجواب

بيان في أنَّ الرُّوحَ الحَيَوانِيَّ والعَقْلَ الجُزْئِيَّ والوَهْمَ والخَيالَ على مِثالِ الثُّمالَةِ،
مِثالٌ آخَرُ أَيْضاً في هذا المَعْنى

حِكايَةُ ذاكَ الوَلَدِ للمَلِكِ الَّذي ظَهَرَ لَهُ وَجْهُ كِبْرِياءِ المُلْكِ الحَقيقِيّ،
مَجيءُ المَلِكِ بِعَرُوسٍ إلى وَلَدِهِ خَوفاً مِنْ انْقِطاعِ النَّسْل

اخْتيارُ المَلِكِ لِبِنْتِ دَرْويشٍ زاهِدٍ لِلْوَلَدِ واعْتِراضُ الحُرُمِ

الكِتابُ الخامِس

في مَعْنى هذا البَيْت: إنْ سِرْتَ في الطَّريقِ فَتَحُوا لَكَ الطَّريق

قَصَّةُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ،

سَبَبُ عَداوَةِ العامَّةِ لأولياءِ اللهِ

في بيان أنَّ الرَّجُلَ سَيِّئَ الفِعْلِ عِنْدَما يَصيرُ مُتَمَكِّناً في السُّوء

مُناجاة

سُؤالُ المَلِك لِمُدَّعي النُّبُوَّةِ ذاكَ

قِصَّةُ ذلِكَ العاشِق الَّذي راحَ يُرَدِّدُ لِمَعْشُوقِهِ أنواعَ خَدَماتِهِ

سَأَلَ واحِدٌ عالِماً عارِفاً أنْ إذا بكى شَخْصٌ في الصَّلاةِ بِصَوْتٍ عالٍ

مُريدٌ جاءَ في خِدْمَةِ شَيْخٍ ، المُريدُ رأى الشَّيْخَ يبكي فَوافَقَهُ..

قِصَّةُ تِلْكَ الجارِيَةِ الَّتي كانَتْ تَقْضي شَهْوَتَها مَعَ حِمارِ سَيِّدَتِها..

تَمْثيل تلقين الشَّيْخ للمُريدين والرَّسُول للأُمَّة كَمَثَلِ البَبَّغاءِ

صاحِبُ قَلْبٍ رأى كَلْبَةً حامِلاً وكانَتِ الجِراءُ في بَطْنِها تَنْبَحُ

قِصَّةُ أَهْلِ ضَروان وَحَسَدُهُم للدَّراويش

بيان أنَّ عَطاءَ الحَقِّ وَقُدْرَتَهُ لَيْسا مَوقُوفَيْنِ على القابِلِيَّة

في ابتِداءِ خَلْقِ جِسْمِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام

إرسالُ ميكائيل عَلَيْهِ السَّلامُ بِقَبْضِ حَفْنَةٍ مِنَ التُّرابِ مِنَ الأرْض

قِصَّةُ قَومِ يُونُس عَلَيْهِ السَّلام وَبَيانُ وَبُرْهانُ أنَّ التَّضَرُّعَ والبُكاءَ

إرسالُ إسرافيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ خُذْ حَفْنَةً مِنَ التُّرابِ

إرسالُ عزرائيل مَلِكِ العَزْمِ والحَزْم عَلَيْهِ السَّلام بأخْذِ حَفْنَةٍ

بيانٌ في أنَّ ذلِكَ الشَّخْصَ الَّذي وَصَلَكَ مِنْهُ ظُلْمٌ هُوَ في الحَقِيْقَةِ مِثْلُ آلَةٍ،

مجيءُ الجَواب أنْ ذلِكَ الَّذي لا يكونُ نَظَرُهُ للأسْبابِ والمَرَضِ

في بيانِ وخامَةِ دَسَمِ وَحُلْوِ الدُّنيا ، وَمَنْعِهِ مِنْ طعامِ اللهِ

جَوابُ ذلِكَ المُغَفَّلِ الَّذي قالَ ما أَجْمَلَ هذِهِ الدُّنيا لَو لَمْ يَكُنْ

في ما يُرْجى مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تعالى مُعْطِي النِّعَمِ قَبْلِ اسْتِحْقاقِها،

قِصَّةُ إياز وامْتلاكِهِ حُجْرَةً مِنْ أَجْلِ حِذاءِهِ الجِلْدِيّ

بيان أنَّ كُلَّ ما سَيُذْكَرُ هُنا هُوَ صُورَةُ القِصَّة،

حِكْمَةُ النَّظَرِ في الحِذاءِ الجِلْدِيّ والثَّوْبِ

خَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نار وَقَوْلُهُ تَعالى في حَقِّ إبليس إنَّهُ كانَ مِنَ الجِنّ فَفَسَق

في مَعْنى هذا أنْ أرِنا الأشياءَ كما هِيَ

بيانُ اتِّحادِ العاشِقِ والمَعْشُوقِ مِنْ وَجْهِ الحَقيقَةِ

سَأَلَ مَعْشُوقٌ عاشِقاً أنْ مَنْ تُحِبُّ أَكْثَرَ نَفْسَكَ أمْ أنا

مَجيءُ ذلِكَ النَّمَّامِ مَعَ الأَبْطالِ في مُنْتَصفِ اللَّيْلِ لِفَتْحِ بابِ حُجْرَةِ إياز

عَوْدَةُ النَّمَّامِيْنَ مِنْ حُجْرَةِ إياز نَحْوَ الشَّاه بِخُرْجٍ خالٍ وَخَجِلِيْن،

تَحْويلُ المَلِكِ قَبُولَ تَوْبَةِ أولئكَ النَّمَّامِيْنَ وفاتِحِي الحُجْرَةِ وَإنْزالَ العِقابِ بِهِمْ إلى إياز

أَمْرُ الشَّاهِ لإياز بالاِخْتِيار بَيْنَ العَفْوِ أو المُجازاة،

أمْرُ المَلِكِ لإياز بالفَصْلِ في هذا الأمْرِ سَريعاً وَعَدَمِ الاِنْتِظارِ

حِكايَةٌ عَنْ تَقْريرِ هذا الحَديث أنْ قَدْ جَرَّبْنا القِيْلَ والقالَ مَرَّاتٍ كَثيرَةً فَلْنُجَرِّبْ مُدَّةً الصَّبْرَ

في بيان أنَّ شَخْصاً يَقُولُ كلاماً وَيَدَّعِي دَعْوى

حِكايَةٌ في بيانِ أنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ كاللَّبَنِ الَّذي يَخْرُجُ مِنَ الثَّدْيِ

في بيان أنَّ دُعاءَ العارِفِ الواصِلِ وَطَلَبَهُ مِنَ الحَقّ مِثْلُ طَلَبِ الحَقّ مِنْ نَفْسِهِ

وُصُول نَوْبَة التَّفْتيش إلى نَصُوح ومجيء النِّداء أنْ فَتَّشْنا الجَميعَ فَتِّشُوا نَصُوح

العُثُورُ على الجَوْهَرَةِ واعْتِذارُ حاجِباتِ الأميرَةِ والخادِماتِ مِنْ نَصُوح

اسْتِدْعاءُ بِنْتِ المِلِكِ مِنْ جَديدٍ لِنَصُوح مِنْ أَجْلِ الدَّلْك

حِكايَةٌ في بيانِ أنَّ ذلِكَ الَّذي يَتُوبُ وَيَنْدَمُ ويَعُودُ فَيَنْسى ذلِكَ النَّدَمَ

تَشْبيهُ القُطْبِ الَّذي يَكُونُ عارِفاً وواصِلاً في إجراءِ العَطاءِ للخَلْقِ

حِكايَةُ رُؤيَةِ حِمارِ السَّقَّاءِ لِغِذاءِ الخُيُولِ الأَصِيْلَةِ في الإصْطَبْلِ الخاصّ

رَدُّ الثَّعْلَبِ قَوْلَ الحِمارِ أنْ أنا راضٍ بالقِسْمَة

جَوابُ الحِمارِ للثَّعْلَب

جَوابُ الثَّعْلَبِ للحَمار

جَوابُ الحِمارِ للثَّعْلَب

حِكايَةُ تِلْكَ البَقَرَةِ الَّتي كانَتْ وَحِيْدَةً في جَزيرَةٍ كبيرَةٍ،

صَيْدُ الأَسَدِ لِذلِكَ الحَمار وَظَمَأُ الأَسَدِ مِنَ الجهْدِ

حِكايَةُ ذاكَ الرَّاهِبِ الَّذي كانَ يَدُورُ بالسِّراجِ في وَسَطِ البازارِ

دَعْوَةُ المُسْلِمِ للمَجُوسيّ

مَثَلُ الشَّيْطانِ على بابِ الرَّحْمن

جَوابُ المُؤْمِنَ السُّنِّيّ للكافِرِ الجَبْرِيّ،

إدراكُ الوجْدان كالاِخْتِيارِ والاِضْطِرار ، والغَضَبِ والاِضْطِبار ،

حِكايَةٌ في بيانِ تَقْريرِ اخْتِيارِ الخَلْق وبيان أنَّ التَّقْدِيْرَ والاِخْتِيارَ غَيْرُ نافِيَيْنِ للاِخْتِيار

حِكايَةٌ في جَوابِ جَبْرِيّ وإثْباتُ الاِخْتِيار وَصِحَّةُ الأمْرِ والنَّهْي

مَعْنى ما شاءَ اللّٰهُ كانَ إرادَةُ إرادَتِهِ وَطَلَبُ رِضاه فاطْلُبُوا رِضاه ،

وَمِثْلُ هذا أنْ جَفَّ القَلَمُ ، يَعْني جَفَّ القَلَمُ وَكَتَبَ ، لا تَسْتَوي الطَّاعَةُ والمَعْصِيَة،

حِكايَةُ ذلِكَ الدَّرْويش الَّذي شاهَدَ في هَراةَ غِلْماناً لِعَمِيْدِ خُراسانَ مُزَيَّنِيْنَ

جَوابُ ذاكَ الكافِرِ الجَبْرِيّ مَرَّةً ثانِيَةً لِذلِكَ السُّنِّيّ الَّذي كانَ يَدْعُوهُ للإسلام

سُؤالُ المَلِكِ إياز قاصِداً كَمْ تَقُولُ الغَمَّ والسُّرُورَ إلى النَّعْلِ والثَّوْبِ

قَوْلُ أَهْلِ المَجْنُون إنَّ حُسْنَ لَيْلى مَحْدُودٌ وَلَيْسَ بالزَّائِد،

حِكايَةُ جُحا الَّذي لَبِسَ ثَوْبَ امْرَأَةٍ وَجَلَسَ بَيْنَ النِّساءِ أَثْناءَ الوَعْظ

أَمْرُ المَلِكِ لإياز مَرَّةً أُخْرى أنْ قُلْ شَرْحَ النَّعْلِ القَدِيْمِ

حِكايَةُ كافِرٍ قالُوا لَهُ في عَهْدِ بايَزِيْد صِرْ مُسْلِماً وَجَوابُهُ لَهُم

حِكايَةُ ذاكَ المُؤَذِّنِ قَبيحِ الصَّوْتِ الَّذي أَذَّنَ في دِيارِ الكُفْرِ وَأَعْطاهُ رَجُلٌ كافِرٌ هَدِيَّةً

حِكايَةُ تِلْكَ المَرْأَةِ الَّتي قالَتْ لِزَوْجِها أنَّ القِطَّةَ أَكَلَتِ اللَّحْمَ

حِكايَةُ ذلِكَ الأميرِ الَّذي قالَ لِغُلامِهِ اجْلِبِ الخَمْرَ

حِكايَةُ ضِياء دَلَق الَّذي كانَ طَويلاً جِدّاً وَأَخِيْهِ تاج الإسلام

ذَهابُ الأَمِيْرِ مُخالَطاً بالغَضَبْ مِنْ أَجْلِ عِقابِ الزَّاهِد

حِكايَةُ غَلَبَةِ هازِل لِسَيِّد شاه ترمد (بالشطرنج)

إلقاءُ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلامُ بالنَّفْسِ مِنْ جَبَلِ حِراءَ..

جَوابُ الأمِيْرِ لأولئكَ الشُّفَعاءِ وَلِجِيرانِ الزَّاهِد أنْ لِمَ قامَ بِتِلْكَ الوَقاحَةِ

تَقْبيلُ يَدِ وَقَدَمِ الأمير مَرَّةً ثانِيَةً وَتَضَرُّعُ الشُّفَعاءِ وَجِيرانِ الزَّاهِدِ لَه

جَوابُ الأمير لَهُمْ مُجَدَّداً

تَفْسيرُ هذِهِ الآيَة أنْ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُون،

طَلَبُ الشَّاه مَرَّةً أُخْرى مِنْ إياز أنْ قُمْ بِتَأويلِ عَمَلِكَ وَحُلَّ الإشْكالَ

تَمْثيلُ بَدَنِ الآدَمِيّ بِمَنْزِلِ الضِّيافَةِ، وَأَفْكارِهِ المُخْتَلِفَةِ بالضُّيُوفِ المُخْتَلِفِيْن

حِكايَةُ ذلِكَ الضَّيْفِ إذْ قالَتْ زَوْجَةُ رَبِّ المَنْزِلِ تَوَقَّفَ المَطَرُ وَبَقِيَ الضَّيْفُ في رَقَبَتِنا

تَمْثِيْلُ الفِكْرِ الَّذي يَجِيْءُ كُلَّ يومٍ في القَلْب بالضَّيْفِ الجَدِيْد ،

مُلاطَفَةُ السُّلْطان لإياز

وَصِيَّةُ الأَبِ للبِنْتِ أنْ انْتَبِهِي لا تَحْمِلِي مِنْ زَوْجِكِ

وَصْفُ ضَعْفِ قَلْبِ وَوَهَنِ صُوْفِيّ تَرَبَّى في الدَّلالِ

نَصِيْحَةُ المُبارِزِينَ لَهُ أنْ بِهذا القَلْبِ والجُرْأَةِ الَّتي تَمْلِكُ حذارِ حَذارِ كُنْ مُلازِمَ المَطْبَخِ

حِكايَةُ العيَّاضي رَحِمَهُ اللهُ وكانَ قَدْ غزا سَبْعِيْنَ غَزْوَةً عارِيَ الصَّدْر ،

حِكايَةُ ذلِكَ المُجاهِد الَّذي كانَ يُلْقِيْ مِنْ هَمْيانِ النُّقُود دِرْهَماً في الخَنْدَقِ كُلَّ يَوم

وَصْفُ غَمَّازٍ لِجارِيَةٍ وَعَرْضُهُ صُوْرَتَها مُصَوَّرَةً على الوَرَقِ على خَلِيْفَةِ مِصْرَ

إيثارُ صاحِبِ المَوْصِلِ الخَلِيْفَةَ بِتِلْكَ الجارِيَة حَتَّى لا يَزِيْدَ سَفْكُ دَمِ المُسْلِمِيْنَ أَكْثَر

نَدَمُ قائِدِ الجَيْشِ على تِلْكَ الجِنايَةِ الَّتي فَعَلَ

حُجَّةُ مُنْكِرِي الآخِرَةِ وَبيانُ ضَعْفِ تِلْكَ الحُجَّةِ

مَجِيْءُ الخَلِيْفَةِ إلى حَسْناءِ الوَجْهِ تِلْكَ مِنْ أَجْلِ الجِماع

إمساكُ تِلْكَ الجارِيَةِ للضَّحِكِ مِنْ ضَعْفِ شَهْوَةِ الخَلِيْفَةِ

إفْشاءُ تِلْكَ الجارِيَةِ ذلِكَ السِّرَّ للخَلِيْفَةِ خَوْفاً مِنْ ضَرْبِ السَّيْف

عَزْمُ الشَّاهِ حِيْنَ صارَ واقِفاً على تِلْكَ الجِنايَةِ أنْ يَسْتُرَها وَيَعْفُوَ

بيان نَحْنُ قَسَمْنا، وَأَنَّهُ أُعْطِيَ لِواحِدٍ شَهْوَةُ وَقُوَّةُ الحَمِيْر ، وواحِدٌ أُعْطِيَ الكياسَةَ وَقُوَّةَ..

إعْطاءُ الشَّاهِ جَوْهَرَةً وَسَطَ الدِّيْوانِ والمَجْمَعِ أنْ كَمْ تُساوِي هذِه

انتِقالُ الجَوْهَرَةِ مِنْ يَدٍ لِيَدٍ ، وَوُصُولُها آخِرَ الدَّوْرِ لِيَدِ إياز

الكِتابُ السادس

مَجيءُ جَعْفَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للاِسْتيلاءِ على قَلْعَةٍ بِمُفْرَدِهِ

رُجُوع إلى حِكايَة ذلِكَ الشَّخْص المَدِيْن وَمَجِيْئُهُ

عِلْمُ ذاكَ الغَريبِ بِوفاةِ ذاكَ المُحْتَسِب

مَثَلُ رُؤيَةِ اثْنَيْنِ كَمَثَلِ ذاكَ الغَريبِ في مَدِيْنَةِ كاشان واسْمُهُ عُمَر،

جَمْعُ شَفيعٍ للمالِ في كُلِّ مَدِيْنَةِ تَبْريز وَجَمْعُ نَذْرٍ يَسِيْر

رُؤيَةُ شاهِ خَوارِزْم في المَسيرِ في المَوْكِبِ جَواداً نادِراً جِدّاً

مُعاقَبَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالحَبْسِ بِضْعَ سِنينَ

عَوْدَةٌ إلى قِصَّةِ ذلِكَ الرَّجُلِ الهُمام وَذاكَ الغَريبِ المَدِيْن وَقَدْ

إخبارُ السَّيِّدِ في النَّوم لِذلِكَ الشَّفيع بِمَوْضِعِ النُّقُودِ لِقَضاءِ دَيْنِ

حِكايَةُ ذلِكَ المَلِك وَوَصِيَّتُهُ لأولادِهِ الثَّلاثَة أنْ في السَّفَرِ

بَيانُ اسْتِمْدادِ العارِفِ مِنْ عَيْنِ الحَياةِ الأَبَدِيَّةِ

ذَهابُ أَولادِ المَلِكِ في مَمالِكِ الأبِ بَعْدَ وَداعِهِم

ذهابُ أولادِ السُّلْطانِ بِحُكْمِ أنَّ الإنسانَ حَريصٌ

رُؤيَتُهُمْ في هذِهِ القَلْعَةِ ذاتِ الصُّوَرِ نَقْشَ وَجْهِ بِنْتِ مَلِكِ الصِّيْن

حِكايَةُ صَدْرْ جَهان بُخارى الَّذي كانَ يَحْرِمُ كُلَّ سائِلٍ يَسْأَلُ باللِّسان

حِكايَةُ أَخَوَيْنِ ناما في مَنْزِلٍ للعُزّابِ ، واحِدٌ مِنْهُما بِلِحْيَةٍ

في تَفسير أنَّ المُصْطَفى صلواتُ اللهِ عَلَيْهِ قالَ *مَنْهُومانِ لا يَشْبَعان*

بَحْثُ أولادِ المَلِكِ الثَّلاثَةِ أولئكَ في تَدْبيرِ تِلْكَ الواقِعَة

مقالَةُ الأخِ الكَبير

ذِكْرُ ذاكَ المَلِكِ الَّذي جَلَبَ ذاكَ العالِمَ بالإكراه إلى المَجْلِسِ

مَسِيْرُ أولادِ المَلِكِ بَعْدَ تَمامِ البَحْثِ والنِّقاش إلى جِهَةِ ولايَةِ

حِكايَةُ امرؤ القَيْس الَّذي كانَ مَلِكاً عَرَبِيّاً

بَعْدَ مَكْثِهِمْ مُتَوارِيْنَ في بلادِ الصِّيْنِ في عاصِمَةِ المُلْك

بيان المُجاهِد الَّذي لا يَتَوَقَّفُ عَنِ الجِهاد مَعَ عِلْمِهِ أنَّ بَسْطَةَ

حِكايَةُ ذاكَ الشَّخْصِ الَّذي رأى في المنام أنْ كُلُّ ما تَطْلُبُ مِنَ

خاتِمةُ المُتَرْجِم

دُرَرُ معانٍ في حُلَلِ مبانٍ، نُظِمَتْ في نِظامِها ، وَوَصَلَتْ إلى تمامِها، هذِهِ هِيَ التَّرْجَمَةُ العَرَبِيَّةُ الكامِلَةُ لكُتُب *المَثْنَوي المَعْنَوي* السِّتَّة، بلا تحْريفَ ولا تَحويل، ولا تَغييرَ ولا تَبْديل ، نَفَعَ اللهُ بِها مَنْ يُريد ، إنَّهُ نِعْمَ المُريد.

اللهُمَّ أنتَ وَفَّقْتَني لِتَرْجَمَةِ المَثْنوي ، أتمِمْ النِّعْمَةَ ، اِجْعَلْ هذا العَمَلَ نافِعاً ، وَاجْعَلْهُ مُبارَكاً ، لكَ الحَمْدُ أوَّلاً وآخِراً ، وظاهِراً وباطِناً ، لَكَ الحَمْدُ حتَّى تَرْضى وَبَعْدَ الرِّضا ، وَثَقِّلْ بِهذا العَمَلِ مِيزانَ حَسَناتي ، وانْفَعْني بِهِ في حياتي وبَعْدَ مماتي ، وَأحْسِنْ بِهِ حالي ومآلي ، فَإنَّني لَمْ أَعْمَلْهُ طَلَباً للمال ، بَلْ اشْتَرَيْتُ بِهِ الفَقْر ، اِجْعَلْ تِجارَتي رابِحَة ، أنتَ مُعَوَّلي ، وَعَلَيْكَ مُتَّكَلي .

الدُّكْتُور علي عباس زليخة

سُورية